مختارات

الفكر المسيحي /٩

كتّاب رحلوا وتركوا اثرا

الفكر المسيحي ٩

١٩٦٤-١٩٩٤

أ. عبد السلام حلوة

أ. فرنسيس يوسف

أ. خليل قوجحصارلي

نجيب قاقو

أ. يوسف حبي

إعداد وتقديم

الأب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر / انفصل ٢٠١٠

مختارات الفكر المسيحي

سلسلة توثق ما نشرته مجلة الفكر المسيحي، بين الاعوام ١٩٧١-١٩٩٤، سواء في ابوابها الثابتة، ام في اعدادها الخاصة، ام لكتّاب تركوا بصماتهم فيها...

صدر منها، أولاً، كتاب وثق تاريخ الكنيسة الشرقية (١٩٧٣)، ومن ثم كتابان وثقا بابين ثابتين، قبل ان تعمد دار بيبليا للنشر، عام ٢٠٠٦، الى مواصلة المشروع، بدءا من الرقم ٣ -وهي من اعداد وتقديم الأب بيوس عفاص.

(-) تاريخ الكنيسة الشرقية/ج١	الاب البير ابونا	
	٢١٦ص، الموصل ١٩٧٣	نفد
(١) همسات ابو فادي/ج١ (الزاوية ذاتها)	الاب (المطران) جرجس القس موسى	
	١٦٨ص، بغداد ١٩٨٥	١٥٠٠د
(٢) ابت، هذه مشكلتي (الزاوية ذاتها)	الابوان عبدالسلام حلوة ويوسف توما	
	١٠٠ص، بغداد ٢٠٠٤	٢٠٠٠د
٣. اسئلة واجوبة (صندوق الاسئلة...)	مشترك بين اكثر من ٥٠ كاتبا (١٢٠ اجابة)	
	٢٢٨ص، الموصل ٢٠٠٦	٢٥٠٠د
٤. افتتاحيات (٢٠٢ افتتاحية)	الابوان بيوس عفاص وجرجس القس موسى	
	٥٠٠ص، الموصل ٢٠٠٧	٣٥٠٠د
٥. همسات ابو فادي/ج٢ (الزاوية ذاتها)	الاب (المطران) جرجس القس موسى	
	١٧٨ص، الموصل ٢٠٠٧	٢٠٠٠د
٦. من وحي الانجيل (الزاوية ذاتها)	مشترك بين ٢٥ كاتباً (١١٧ مساهمة)	
	٢٩٤ص، الموصل ٢٠٠٨	٢٥٠٠د
٧. خواطر وشذرات	١٦٨ خاطرة لكتاب من كل افق	
	٢٠٨ص، الموصل ٢٠٠٩	٢٠٠٠د
٨. المختار من الأعداد الخاصة	٦٦ مقالة لـ ٢٧ كاتباً من كتاب الفكر المسيحي	
	٥٠٨ص، الموصل ٢٠١٠	٣٥٠٠د
٩. كتّاب رحلوا وتركوا اثرا	٣٩ مقالة لـ ١٩ كاتباً	
	٢٩٢ ص، الموصل ٢٠١١	٣٠٠٠د

سعر خاص للكتب السبعة الأخيرة معا، الصادرة عن دار بيبليا: ١٥٠٠٠ عوضا عن ١٨٥٠٠

كتّاب رحلوا وتركوا اثرا

كتاب يخلّد كتّابا ما زالت اسماؤهم تتراقص في ذاكرة القراء، ولقد لعبوا دورا هاما في "الفكر المسيحي"، في سنواتها السمان، واسهموا في تثبيت اقدامها، وكان لهم الفضل في إشعاعها وانتشارها. وكان لا بد لنا، اعترافا بمكانتهم المرموقة في حياة كنيسة العراق، ان نفرز لهم كتابا يقيّم نتاجهم ويوثق بعضا مما دبجته اقلامهم النيرة...

من كلمة الناشر

دار بيبليا للنشر / كنيسة مار توما - الموصل (العراق) mail: bibliamosul@yahoo.com

منشورات
دار بيبليا للنشر

● ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية مصورة بقلم اختصاصيين فرنسيين، عمد م.د.ك.، منذ عام ٢٠٠٠، إلى تعريبها ونشرها بوتيرة ٤ ملفات في السنة. ظهر منها ٤٢ ملفا في العهدين القديم والجديد، وهي في سنتها الثانية عشرة. تتوفر منها مجموعات للسنوات الماضية وباسعار مخفضة: السنوات الخمس الاخيرة (٢٠٠٦ - ٢٠١٠) بـ ٢٠٠٠٠ د. فقط.

● سلسلة "ابحاث كتابية"/ تفاسير

كتب بيبلية رصينة تمكّن القراء من الدخول إلى عالم الكتاب المقدس، وفق منهج علمي وراعوي رصين. انطلقت عام ١٩٩٩ بمعدل كتاب أو كتابين في السنة. ومنذ عام ٢٠٠٨ ظهرت بضمنها سلسلة جديدة باسم "تفاسير" تغطي العهد الجديد بعشرة اجزاء، وبمعدل كتابين في السنة. ظهر منها اربعة أجزاء:

- الانجيل بحسب القديس متى: كلود تاسان (ت: الاب بيوس عفاص)، ٢٠٠٨، ٢٨٨ص/٢٠٠٠ د.
- الانجيل بحسب القديس يوحنا: الآن مرشدور (ت: الاب بيوس عفاص)، ٢٠٠٩، ٢٨٠ص/٢٠٠٠ د.
- الرسالتان الى القورنثيين: بول دي سيرجي وموريس كاريز
(تعريب: المطران جرجس القس موسى)، ٢٠١٠، ٢٣٢ص/٢٠٠٠ د.
- الرسالتان إلى روما وغلاطية: جان بيير ليمونون (ت: الاخت باسمة الخوري)، ٢٠١٠، ٢١٦ص/٢٠٠٠ د.

يظهر في غضون ٢٠١١:

- الرسائل التسع الاخرى (ويؤلف مع الجزئين السابقين "ثلاثية" تغطي رسائل بولس الثلاث عشرة/ وتباع بسعر خاص: ٧٠٠٠ د. فقط)
- الرسائل الاخيرة (الرسالة إلى العبرانيين والرسائل الجامعة)

● دوريات وكتب مستنسخة

منذ عام ٢٠٠٠، عمد م.د.ك. خدمة لقرائه، إلى تكثير عدد من الدوريات والسلاسل والكتب الرصينة في اللاهوت والكتاب المقدس والروحانيات والتاريخ والقضايا الاجتماعية والتربوية... فالى جانب "جريدة بيبليا" (٥٤ عدداً) و "مجلة بيبليا" و سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"، هناك اكثر من ١٢٠ كتابا في شتى المجالات وباسعار مدعومة.

تتوفر نسخ من اعداد المجلة، في شكل مجموعات، للاعوام ١٩٧١ - ١٩٩٤

في مجموعات

* المجموعة الكاملة ١٩٧١ - ١٩٩٤ (٢٤ عاماً/ دون تجليد - كمية محدودة) ٢٥٠٠٠٠ د.
* المجموعة الكاملة ١٩٧١ - ١٩٩٤ (٢١ عاماً/ باستثناء ١٩٧٥ - ١٩٧٧) ١٠٠٠٠٠ د.
* مجموعة الاعداد للاعوام ١٩٨١ - ١٩٩٤ (١٤ عاماً، عدا ١٩٧١ - ١٩٨٠) ٥٠٠٠٠ د.
* مجموعة الاعداد الخاصة للاعوام ١٩٧٨ - ١٩٩٤ (١٦ عدداً/ ١٢٥٢ ص) ٧٠٠٠ د.

تطلب من مكتبة بيبليا/ كنيسة مار توما-الموصل (العراق)

الآب عبد السلام حلوة
الآب فرنسيس المخلصي
الآب خليل قوجحصارلي
نجيب قاقو
الآب يوسف حبي

الآب بهنام السمعاني
الآب (م) اسطيفان كجو
الآب يوسف قوشاقجي
الآب بهنام كجو
بتول سليمان
الآب كوركيس كدادي
المطران كوركيس كرمو
الآب نعمان اوريدة
المطران عمانوئيل بني
الآب ميشيل الكرملي
الآب يوحنان جولاغ
الآب روبير الكرملي
عصمت عبد الاحد عنائي
الآب (المطران) فرج رحو

اليكم هذا الكتاب الذي يسهم، إلى حد ما، في إحياء ذكرى من مروا في حياة كنيستنا ومجتمعنا، زارعين الكلمة الطيبة... كتابا أقدّمه للقراء القدامى الذين لكم تمتعوا في حينه بمقالات كتاب دخلوا التاريخ، وسيطيب لهم أن يعيدوا قراءتها اليوم؛ كما أقدّمه لقراء لكم طرقت اسماعهم اسماءُ هؤلاء الخالدين، وسيطيب لهم، ولا شك، ان يكتشفوهم عن كثب. إنه يعبرّ، في ما يعبرّ، عن عرفان الجميل لهؤلاء الكتاب الذين كان دخولهم إلى قلوبنا من دون استئذان، ونأمل ان يدخلوا، من دون استئذان ايضا، إلى فكر وقلب قراء جدد سيحلو لهم ان يتعرفوا على فترة التحولات الكبرى في حياة كنيسة عراقية كانت قد هزتها توجهات المجمع المسكوني في الستينات -ولكم سعى هؤلاء الكتاب إلى تحريك المياه وشحذ الهمم لنهضتها وتجددها؛ كنيسة عاشت في ظل تحولات سياسية واقتصادية، واجتماعية كبرى، لم تكن دوما قادرة على مواجهتها -ولكم لفت هؤلاء الكتاب الانظار إلى المواقع المصيرية التي يُعاش فيها الانجيل ويُشهد له...

(من كلمة التقديم)

مركز الدراسات الكلدانية
كنيسة مار توما
الموصل-العراق

يطلب من مكتبة بيليا ومن مكتبات الكنائس
سعر النسخة ٣٠٠ دينار

كتاب

رحلوا

وتركوا

أثرا

سلسلة "مختارات الفكر المسيحي "/٩

كتّاب

رحلوا وتركوا أثرا

١٩٦٤-١٩٩٤

اعداد وتقديم

الأب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر
الموصل-العراق
٢٠١١

كلمة الناشر

كان الانكباب على استخراج كتب من "منجم" الفكر المسيحي في السنوات الاربع والعشرين الاولى من مسيرتها الصحافية (١٩٧١-١٩٩٤) فكرة رائدة! فمن الـ٢٤ مجلداً، ظهرت باكورة "المختارات" عام ١٩٧٣ عبر كتاب "تاريخ الكنيسة الشرقية" (رقم صفر- نفد)، وتلته عام ١٩٨٥ "همسات ابو فادي" في جزئها الاول، ومن ثم ظهر عام ٢٠٠٤ كتاب "ابت هذه مشكلتي".

وطاب لدار بيبليا للنشر ان تفرز من ثم كتابا لكل من الابواب الثابتة: اسئلة واجوبة (٢٠٠٦)، افتتاحيات (٢٠٠٧)، همسات ابو فادي/ج٢ (٢٠٠٧)، من وحي الانجيل (٢٠٠٨). إلا ان عام ٢٠٠٩ شهد ظهور "خواطر وشذرات" -وقد وثق مجموعة رائعة من النصوص لكتّاب من كل الافق، من الخاطرة والامثولة والصلاة، إلى الكلمة النبوية والصرخة الناقدة والتأمل الهادئ... اما "المختار من الاعداد الخاصة" (٢٠١٠)، فكان بحق مفاجأة، بضخامته وعمق مقالاته وتنوع طروحاته، وضع فيها ٢٧ كاتباً عصارة فكرهم وتوجهاتهم عبر اعداد خاصة كانت وما زالت مرجعا في العديد من المواضيع الحيوية؛ اعداد هي مفخرة "الفكر المسيحي" بين الاعوام ١٩٧٤-١٩٩٤.

ومع هذا الكتاب، بلغت "المختارات" رقمها التاسع -وكان ينبغي ان يعتبر العاشر!- الذي يخلّد كتّابا ما زالت اسماؤهم تتراقص في ذاكرة القراء، وقد لعبوا دوراً هاماً في "الفكر المسيحي"، واسهموا في تثبيت اقدامها، وكان لهم الفضل في اشعاعها وانتشارها. وكان لا بدّ لنا، اعترافا بمكانتهم المرموقة في حياة كنيسة العراق، ان نفرز لهم كتابا يقيّم نتاجهم ويوثق بعضا مما دبّجته اقلامهم النيرة.

إليكم، ايها القراء الكرام، هذا الكتاب الفريد الذي يحيي ويخلّد كتّابا واكبوا مسيرة "الفكر المسيحي" ورحلوا، وسيبقون خالدين -ولا يمكن للسنوات التي فصلتنا عنهم ان تنسينا اياهم، سيما وان لبعضهم بصمات لا تمحى!

الموصل في ١ تشرين الاول ٢٠١٠

مع تحيات دار بيبليا للنشر

تقديم

إلى روح كتاب "الفكر المسيحي"

في الذكرى الحادية والسبعين لميلادي وعماني معلّماً، فيما كنت منهمكاً في إعداد هذا الجزء التاسع من "مختارات الفكر المسيحي" لتخليد كتّاب واكبوا "الفكر المسيحي"، ورحلوا وتركوا فيها آثارهم... احسست اني قضيت النصف الاكبر من حياتي في خدمتها، وهي الثلاثون عاما (١٩٦٤-١٩٩٤) التي عملت خلالها مع هؤلاء الخالدين ومع كثيرين آخرين هم على قيد الحياة، وكلهم اتحفوا المجلة بمقالات قيمة عكست فترة دقيقة من تاريخ كنيسة العراق، هي فترة التحولات والازمات والتحديات، وعلى مختلف الاصعدة...

ولعل الدافع الاكبر إلى هذا الجزء التاسع من "المختارات" هو إنصاف وتقييم رجال رأوا في "الفكر المسيحي" مجالاً واسعاً للتعبير عن افكارهم وتوجهاتهم وامانيهم وتطلعاتهم في بناء كنيسة عراقية متجددة ابداً، دون ان تتخلى عن اصالتها الضالعة في عمق التاريخ، كنيسة تعرف، بروح الفاتيكاني الثاني، ان تقرأ علامات الازمنة، فتصغي إلى ما يقوله لها الروح، وإلى اين يريد الروح ان يقودها...

من بين هؤلاء الرجال الذين عملوا مع اخوتهم كهنة يسوع الملك، جنبا الى جنب، في تحرير "الفكر المسيحي"، خمسة كانت لهم فيها مساهمات ثمينة تجاوزت العشرين، وقد

سبقونا إلى بيت الآب، وترك غيابهم فراغا كبيرا، بدءاً بالذين غادرونا قبل الاوان: الاب عبد السلام حلوة الدومنيكي الذي وافته المنية، عام ١٩٨٣، وهو على عتبة الاربعين، صاحب الكلمة النبوية الناقدة، وقد ترك ذكرى ذاك الذي توجّه إليه القراء بمشاكلهم كي تلقى حلاً لها! والاب فرنسيس فان ستابن المخلصي الذي حلّ بين ظهرانينا منشطا لعملية التثقيف المسيحي في العراق قرابة ثلاثين عاماً، إلى ان وضع الموت، عام ١٩٩١، حدًّا لنشاطه المتميز. وفيما كانت للاب خليل قوجحصارلي الدومنيكي طروحاته المتجددة، بروح المجمع، على صعيد اللاهوت والروحانية -وغادرنا ليواصل في بلجيكا رسالة الحوار المسيحي الاسلامي وخدمة المهاجرين حتى وفاته عام ١٩٩٣-، هوذا نجيب قاقو، زميله في معهد مار يوحنا الحبيب، قدّم، على مدى ثلاثين عاماً، ما اكتسبه من متابعاته في شتى حقول المعرفة بحيث تجاوزت مساهماته الخمسين، لدى وفاته عام ١٩٩٤. وسيبقى اسم الاب يوسف حبي محفوراً في ذاكرة العراقيين والمسيحيين بنوع خاص، علَماً في مجالات الفكر والادب والتاريخ والاثار والتثقيف المسيحي والعمل الراعوي... هو الذي ترك بصمات لا تمحى في حياة كنيسة العراق، إذ كان دوما المحرك الاكبر للكثير من نشاطاتها، وغيّبه الموت عام ٢٠٠٠ وهو في اوج عطائه الثري...

خمسة كتاب من الراحلين، كان لهم دورهم المميَّز في حياة "**الفكر المسيحي**"، سلسلة ومجلة (١٩٦٤-١٩٩٤) -قد عملوا، يدا بيد، وشهراً بعد شهر، وعلى مدى الثلاثين سنة الاولى من المسيرة- راينا ان نثبت لكل منهم خمس مقالات اساسية، وكنا قد سبقنا فنشرنا لهم اجابات في كتاب "اسئلة واجوبة" (٢٠٠٦) او في كتاب "من وحي الانجيل" (٢٠٠٨) او في "المختار من الاعداد الخاصة" (٢٠١٠)، فضلاً عن ما نشر للاب حلوة في كتاب "ابت هذه مشكلتي" (٢٠٠٦).

ولكي نبرز الدور الذي لعبوه والمكانة التي احتلوها في افكار وقلوب القراء، منذ الستينات وخلال العقود الثلاثة اللاحقة -ونأمل ان يكتشف القراء الجدد عمق طروحاتهم ومعالجاتهم- رأينا ان نثبت نبذة مكثفة عما تميزت به حياتهم، ونلحقها بشهادة حية حررها احد اصدقائهم المقربين؛ ومن ثم ادرجنا لائحة بمساهماتهم كلها -دون الترجمات- وعلى مدى السنوات التي شاركوا خلالها في التحرير، واشرنا كل مرة إلى ما نشر لهم منها في "مختارات الفكر المسيحي"، ونخص بالذكر "المختار من الاعداد الخاصة" حيث كان للاب يوسف حبي ست مقالات، ولكل من الابوين عبد السلام حلوة وخليل قوجحصارلي ثلاث مقالات، ومقالان لنجيب قاقو، ومقال للاب فرنسيس.

وقدّمنا، من جديد، للمقالات الخمس التي اخترناها من بين مقالات اخرى لا تقل عنها قيمة، وكان رائدنا التنوع في الطروحات من اجل القراء الجدد بنوع خاص، وقد فاتهم ما نشرته المجلة في سنواتها السمان؛ فضلاً عن ان اختيارنا عكس إلى حد ما اهتمامات كل كاتب وتوجهاته الفكرية والراعوية والاجتماعية... ولجميعهم مكانة مرموقة في حياة كنيسة العراق...

غير اننا، ونحن بصدد التقييم، ابينا إلا ان نضمّ إلى هؤلاء المخضرمين الخمسة، كتّابا آخرين رحلوا، وكانت لهم مساهمات محدودة، ولكنها جديرة بالتقييم. ولئلا نبخس احداً، اعتمدنا مبدأ يكون بموجبه للكاتب الراحل حدّ ادنى من ثلاث مساهمات، بما فيها مساهمته في بابي "من وحي الانجيل" و "اسئلة واجوبة". وهكذا كان لنا منهم ١٤ كاتبا، بينهم اساقفة وكهنة ورهبان وعلمانيان، رافقوا مسيرة [redacted] في بداياتها وفي اوج عطائها. فهؤلاء جميعاً، خصصناهم بنبذة وجيزة عن حياتهم، وادرجنا لهم مساهماتهم -واسقطنا المترجمة منها- مثبتين لهم مقالاً واحداً، علما اننا سبقنا ان نشرنا لبعضهم مشاركتهم في "اسئلة واجوبة" أو في باب "من وحي الانجيل"، أو في "المختار من الاعداد الخاصة" -وفيه نشر مقال لكل من الابوين بهنام كجو ونعمان اوريدة.

قراءنا الكرام

والذكريات صدى السنين... انها أشبه بانبعاث يجعل الراحلين -رحمهم الله- أحياء خالدين في ذاكرتنا الفردية والجماعية... فاليكم، إذن، هذا الكتاب الذي يسهم، إلى حد ما، في إحياء ذكرى من مروا في حياة كنيستنا ومجتمعنا، زارعين الكلمة الطيبة... كتاباً اقدّمه للقراء القدامى الذين لَكَم استمتعوا في حينه بمقالات كتّاب دخلوا التاريخ، وسيطيب لهم أن يعيدوا قراءتها اليوم؛ كما اقدّمه لقراء لَكَم طرقت اسماعهم اسماءُ هؤلاء الخالدين، وسيطيب لهم ولا شك ان يكتشفوهم عن كثب. إنه يعبّر، في ما يعبّر، عن عرفان الجميل لهؤلاء الكتّاب الذين كان دخولهم إلى قلوبنا من دون استئذان، ونأمل ان يدخلوا، من دون استئذان ايضا، إلى فكر وقلب قراء جدد سيحلو لهم ان يتعرفوا على فترة التحولات الكبرى في حياة كنيسة عراقية كانت قد هزّتها توجهات المجمع المسكوني في الستينات -وقد سعى هؤلاء الكتاب إلى تحريك المياه وشحذ الهمم لنهضتها وتجددها؛ كنيسة عاشت في ظل تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية كبرى، لم تكن دوماً قادرة على مواجهتها -ولَكَم شخّص هؤلاء الكتاب المواقع المصيرية التي يُعاش فيها الانجيل ويُشهد له...

لقد كان الهدف العميق بالتالي من هذا الكتاب، بعيداً عن كل "اجترار" للماضي، الاقرار بمكانة رجال لعبوا دوراً مميزا في قلب الصراعات والازمات في حياة الكنيسة والمجتمع، فتركوا بصمات عميقة في قضايا ما زال كثير منها ساخناً وراهناً!

وفيما اضع بين ايديكم هذا الكتاب الشيّق، اتمنى ان يتاح لي، تلبية لرغبة كثيرين من اصدقاء "**الفكر المسيحي**"، ان اعقبه بمختارات من "الملفات" الدراسية التي احتلت القلب من كل عدد، وعلى مدى سنوات... آمل ان يظهر في غضون عام ٢٠١٢، باذن الله!

الاب بيوس عطاص

المطوصل في ١٩ تموز ٢٠١٠

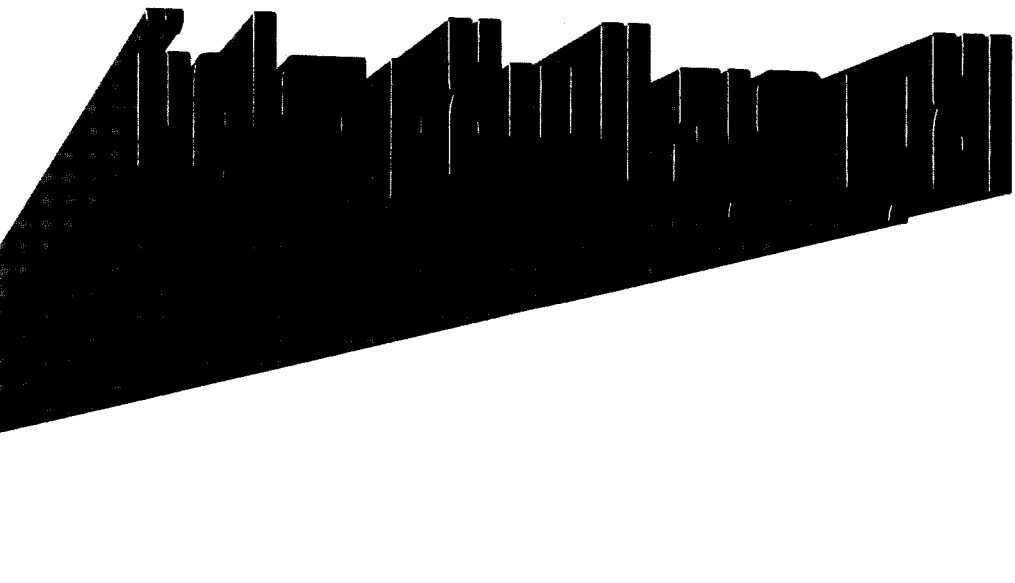

الاب عبد السلام حلوة

١٩٤٤ – ١٩٨٣

ولد في الموصل في ١ ت١ ١٩٤٤، من اسرة ثرية انتقلت إلى بغداد في اواخر الخمسينات.

تخرج في معهد الهندسة المدنية في بغداد، ودخل الرهبانية الدومينيكية عام ١٩٦٨ بدير الابتداء في ليل بفرنسا، وفيها جاهر بالنذور المؤبدة ورسم كاهنا في ١٠ حزيران ١٩٧٣.

حين عاد إلى بغداد، اخذ يزاول الهندسة في دوائر الدولة شاهداً للانجيل من خلال وظيفته. ومن ثم ترك الوظيفة ليتفرغ للعمل الرسولي...

تعين عام ١٩٧٧ مرشداً للنادي الثقافي المسيحي الذي كان الآباء الكرمليون قد اسسوه في كنيسة عذراء فاطمة. وفي السنة ذاتها اخذ يخدم كاتدرائية القديس يوسف للاتين عبر مواعظ ومحاضرات كانت تستقطب الشباب بنوع خاص. انشأ مكتبة النور لنشر الكتاب المسيحي، وساهم في انشاء صندوق لطبع ونشر الكتاب، مناصفة بين الآباء الدومنيكيين والكرمليين، وقد صدر عنه اكثر من عشرة كتب.

له لوحات فنية، واشترك في معارض فنية؛ كما له كتاب مطبوع: "هل كان يسوع سياسياً؟".

أسهم بمقالات قيمة في "الفكر المسيحي" ما بين الاعوام ١٩٧٣-١٩٨٣، وأحصيت له ٦٠ مساهمة في مواضيع ساخنة، بضمنها باب "ابت هذه مشكلتي" الذي عُهد إليه منذ انطلاقته عام ١٩٨٠ وحتى وفاته (٣٣ مشكلة). كان عضواً بارزاً في هيئة التحرير الاستشاية ببغداد.

خطفه الموت في عز شبابه اثر نوبة قلبية حادة في ٢٨ ت٢ ١٩٨٣ ودفن في كنيسة الكاتدرائية.

شهادة

عبد السلام حلوة.. انسان خرج عن المألوف باكثر من باب؛ شاب تربى وتروحن على يد الآباء الكرمليين فصار راهبا دومنيكيا! مهندس واعد فتحت أمامه أبواب العمل والشهرة، وها هو يتزهد بالدنيا ويتزوي وراء حصن الدير مع المكرسين والقانتين! ومن الرسم الهندسي ينتقل، وفي انتقالته منعطف الحياة، الى رسم الايقونات ذات العيون الواسعة ويطرز بها جدران الأديرة والكنائس!

راهب كاهن شاب، قامة فارعة وهامة عالية، مملوءة بالحيوية والمرح وروح الابداع والطموحات اللامحدودة، أعطى وقته وراحته وصحته وفكره، وفتح قلبه على مصراعيه للشباب، في النادي الثقافي المسيحي (السنتر) الذي طوّر أنشطته وقدراته، وجعل من معبده كنيسة خورنية حية، يؤمّها المؤمنون من كل الطوائف بكثافة، لسماع مواعظه والاستنارة بروحانيته!

عبد السلام حلوة الدومنيكي.. رجل كنيسة محبوب وكادر من كوادرها النشطين.. في جعبته مشاريع ومشاريع لكنيسة العراق ولرهبانيته... يهوى فجأة وهو بعد في التاسعة والثلاثين، في عز عطائه، ومن دون سابق انذار، وهو يبتسم وسط اصدقائه وتلاميذه، وكأنه يودّعهم لرحلة مفاجئة، وانه سيعود!

فككاتب، كان عبد السلام معطاء، يقرأ كثيرا قبل ان يكتب. يكتب ويشخبط كثيرا قبل أن يسلم عصارة فكره للتحرير... ويقبل أن تجرى على كتابته عمليات تجميل وتكميل وتأنيق... كانت كتاباته كلها، وقبل كل شيء، مستوحاة من الواقع المعاش، ومن دور كنيسة العراق في تخمير المجتمع وتطعيم الحياة المسيحية بروحانية الانجيل. وكان يحب التنظير انطلاقا من هذا الواقع، لذا كتب في مواضيع فكرية ولاهوتية وكنسية، مزج فيها الفلسفة المعاصرة مع الفكر الاجتماعي الكنسي، منصهرين بما يعلمه العهد الجديد في قيمة الانسان، وما ينقله سفر الخروج في باب التحرر.

كمفكر، كان عبد السلام يتحلى بتواضع التلميذ الذي يريد أن يتعلم ويستشير ويستكمل العلم والتعبير: لا زلت مدينا له بكتاب عن "يسوع المسيح المحرر"، سلمه لي قبل موته للمراجعة والتنقيح والتقديم: لله وله أعترف بانني بدأت وعملت واندمجت في ما كتب الى حدّ الدخول إلى ما بين السطور والافكار، ولكنني لم أنجز المهمة كلها بعد! ولا اكشف سرا ان قلت بأنه لم يكن قد أنهى مسودته بعد عندما سلم لي الكتاب، وكان توقفه –وهنا الدهشة والمفارقة– عند فصل الصليب وموت يسوع... فجاء موت يسوع وموت عبد السلام في فصل واحد!

كصديق، كان وفيا صدوقا، دمث المجلس، ضحوكا –وفي ضحكته جلجلة وفرقعة خاصة به– يحب الكلمة الناعمة ويستأنس بالطرفة الذكية، وكان يستنسخ بعضا منها ويعرضها، لتعميم البسمة، على لوحة الاعلانات في الدير ببغداد – حيث كنت ضيف الاخوة الدائم طيلة فترة طبع المجلة، في نوبتي، فتطول الجلسات وتتشعب المناقشات وتتلاحم الأفكار وتتبارى القفشات وتنصهر المصائر أيضا. وكوفاء لهذه الصداقة لم ينس عبد السلام ذكر اسم صديقه الأسير في ايران "وسيم"، في وصيته الأخيرة، وما جاء مرة الى الموصل الا وزار اخوته كهنة يسوع الملك في كنيسة مار توما، التي كان يحن اليها مع ذكريات الطفولة، اذ هنا كان يأتي مع ذويه لصلاة أحوية الصليب.

كراهب ورجل كنيسة، كان متفرغا بكل فكره وقلبه وروحه ووزناته لعيش نذوره الرهبانية وسط العالم ووسط كنيسته، شاهدا وواعظا وابا روحيا، وكانت كنيسة العراق همه وحبه الأكبر. وكنا جميعا نترقب ونراقب مسيرة نجمه، عندما أتاه الصوت بغتة: تعال اليّ.. اريدك معي وعندي.. لا تخف.. سارسل من يعبئ الحبر في قلمك، والزيت في قنديلك، ويعصر العنب في كاسك...

م. جرجس القس موسى

للاب عبد السلام حلوة ٦٠ مساهمة، نُشر منها ٣٣ في كتاب "ابت هذه مشكلتي" (٢٠٠٤) –وتشير اليها ارقام الصفحات– وثلاث مقالات في كتاب "المختار من الاعداد الخاصة" (٢٠١٠). وهذه خمس مقالات ندرجها في هذا الكتاب، بين الاعوام ١٩٧٤–١٩٨٤ (واشير اليها بالغامق).

مفهوم الثورة في الفكر المسيحي المعاصر/ك١ ٧٣
العنف الثوري/ملف/ نيسان ٧٤
الالتزام السياسي والانسان الانجيلي/خاص، ت١–ت٢ ٧٤
تحية الى التأميم/ شعر/ خاص، ت١–ت٢ ٧٤
ميلاد المستقبل/ ك٢ ٧٥
دور العلمانيين في الكنيسة/ملف/ ايلول ٧٥
"بصير الله في المدينة" للاب فوايوم/كتاب/ ك١ ٧٥
الثنائية وابعادها في الفكر(١)/ملف/شباط ٧٦
الثنائية وابعادها في الفكر(٢)/ ملف/ اذار ٧٦
• آفاق انجيلية في الالتزام السياسي/خاص/ ت١–ت٢ ٧٦ (المختار /ص٤٩)
العنصرية/ملف/ شباط ٧٧
من اجل لاهوت عربي/ ت١ ٧٧
من اجل لاهوت عربي –رد على تعقيب/ شباط ٧٨
"من اجل حوار الحضارات" لروجيه غارودي/ كتاب/ اذار ٧٨
قيامة المسيح امل دائم/ نيسان ٧٨
الخلاص والعالم المعاصر/حزيران ٧٨
يسوع الناصري مسيح الفقراء/ ت١ ٧٨
"لاهوت التحرير" لكوستافو كوتييريز/ كتاب/ ك٢ ٧٩
رفات يوحنا المعمذان/ اسئلة واجوبة/ آذار ٧٩
الله يلتقي بالانسان في المسيح/ملف/ نيسان ٧٩
الثورة موقع اصيل لاختبار ابعاد الايمان الانجيلي/ملف/ نيسان ٨٠
• هل كان يسوع رجل سياسة؟/خاص، ك١ ٨٠ (المختار/ص١٣١)
الانسان على ضوء سر العماذ/ ملف/ ت١ ٨١
يسوع المسيح، كيف نتكلم عنه اليوم؟/نيسان ٨٣
مفهوم الانسان على ضوء سر التوبة/حزيران–تموز ٨٣
• مفهوم الانسان على ضوء سر الزواج/خاص، ت١–ت٢ ٨٣ (المختار/ص٢٢١)
مفهوم الانسان على ضوء سر الاوخارستيا/ ملف/ ك٢ ٨٤

"ابت، هذه مشكلتي"

• اللامبالاة الدينية/ ك٢ ٨٠ (ص٥)
• اختيار شريك الحياة/ شباط ٨٠ (ص٦)
• هجر الايمان/آذار (ص٧)
• عقبة بوجه الزواج/ نيسان ٨٠ (ص٨)
• عثرة في الايمان/ايار ٨٠ (ص٩)
• مأساة زوجة/حزيران ٨٠ (ص١٠)
• المؤمنون الجيدون/ايلول ٨٠ (ص١١)
• خضوع المرأة للرجل/ت١ ٨٠ (ص١٢)
• فسخ الخطوبة خطيئة؟/ت٢ ٨٠ (ص١٣)
• الصراع بين الجيلين/ك٢–شباط ٨١ (ص١٤)
• تردد في البحث عن المسيح/اذار ٨٠ (ص١٥)
• الممارسة ام مساعدة المحتاجين/ نيسان ٨١ (ص١٦)
• خطيبي لا يؤمن/ ايار ٨١ (ص١٧)
• عقاب الله والشعور بالذنب/ حزيران- تموز ٨١ (ص١٨)
• الكهنة وقناعاتهم الشخصية/ آب–ايلول ٨١ (ص١٩)
• بين الكهنوت والزواج/ ت١ ٨١ (ص٢٠)
• حب في غير مكانه/ ت٢ ٨١ (ص٢١)
• الاعتراف الروتيني/ ك١ ٨١ (ص٢٢)
• لزوجي علاقة/ك٢ ٨٢ (ص٢٣)
• الكهنة المتزوجون/شباط ٨٢ (ص٢٤)
• الزواج ثانية/ آذار ٨٢ (ص٢٥)
• ارادتي ضعيفة/ نيسان ٨٢ (ص٢٦)
• الله في حياتي/ ايار ٨٢ (ص٢٧)
• والدي والدين/ حزيران– تموز٨٢ (ص٢٩)
• مفهوم الكنيسة/ ايلول ٨٢ (ص٢٨)
• علام الذهاب الى الكنيسة/ك١ ٨٢ (ص٣٠)
• الصلاة ضعف/ ك٢–شباط ٨٣ (ص٣١)
• الاماتة والتوبة/ آذار ٨٣ (ص٣٢)
• تقاليد الزواج/ نيسان ٨٣ (ص٣٣)
• التناول الاول/ آيار ٨٣ (ص٣٤)
• اخاف من الله/ حزيران–تموز ٨٣ (ص٣٥)
• اختلاف في النظرة/ آب–ايلول ٨٣ (ص٣٦)
• موت يسوع/ ك١ ٨٣ (ص٣٧)

ما ان عاد الاب عبد السلام، متشحا بالثوب الرهباني، حتى انبرى يدبج مقالات استنشق فيها القراء رياح الثورة والتجدد والالتزام، بوحي ذاك الذي شق للانسان طريقا إلى الحق والحياة... لقد مرّ بنا وكأنه شمعة انارت الطريق برهة وما عتمت ان انطفأت، وبقي من وهجها ما لذّ لنا ان نستمتع به وما يطيب لنا ان نستعيد قراءته! ولعل ابرز ما تركه في ذاكرة القراء هي صورة "حلاّل المشاكل" حين كان للقارئ معه موعد كل شهر، وعلى مدى اربعة اعوام -وقد اصبح كتاباً ظهر عام ٢٠٠٤.

● **الالتزام السياسي والانسان الانجيلي** (ت١، ت٢ ١٩٧٤/عدد خاص/ ص٣٩٢)

بعد مدخل مكثف إلى مفهوم السياسة عبر التاريخ، نصل إلى مفهوم تصبح السياسة معه، في عرف المسيحي، التزاما بقضايا الانسان، واولاها كرامته وحريته. وهكذا يعني الالتزام السياسي ثقة بالانسان وبمستقبل الانسانية، كما يعني أنسنة الواقع الاجتماعي السياسي والسعي إلى قهر الاستلاب، ايا كان شكله... والسير على خطى المسيح، محرر الانسانية الاكبر.

● **من اجل لاهوت عربي** (ت٢ ١٩٧٧/ ص٣٩٠)

كانت السبعينات قد شهدت قيام "لاهوت التحرير" في اميركا اللاتينية -وهو لاهوت ينطلق من الواقع ليحتج، في ضوء الانجيل، على الظلم ويدين الانانية ويحرر من كل عبودية. فمن وحيه استلهم الاب عبد السلام ملامح "لاهوت عربي" يسعى إلى اقامة الصلة الوثيقة بين الكلمة الموحاة وتطلعات المسيحي في المجتمعات العربية، وله من انجيله ما يمكّنه على السموّ بها، إن هو عرف ان يلتزم جانب الانسان. انها محاولة عقّب عليها القراء ، ورد عليها الاب حلوة في عدد شباط ١٩٧٨.

● **يسوع الناصري، مسيح الفقراء** (ت١ ١٩٧٨/ ص٣٧٢)

دعوة الكنيسة تقوم في الاعلان بان ملكوت الله موجّه، أولاً، إلى المساكين الذين وضعوا كل رجائهم في الله... والمقال صرخة بوجه كل الذين يتنعمون لوحدهم بالخيرات وينسون او يتناسون ان لهم اخوة يجب التضامن والاقتسام معهم؛ كما انه دعوة إلى الكنيسة، كي تتبنى قضيتهم وتكون حقاً "كنيسة الفقراء" على مثال معلمها "مسيح الفقراء". إنه توجّه نبوي خرج به المجمع الفاتيكاني الثاني، وكان له صدى في كثير من البلدان حيث التفاوت صارخ بين الطبقات.

● **يسوع المسيح، كيف نتكلم عنه اليوم** (نيسان ١٩٨٣/ ص١١٣)

من حق كل عصر ان يساهم باجابة تنطلق من واقعه وتستلهم معطياته الفكرية والثقافية... هكذا كانت الحال، في بدء المسيحية، حين وجدت الكنيسة الاولى طرقا للتعبير عن حقيقة ايمانها بيسوع في ضوء قيامته؛ وهكذا يجب على كل عصر ان يجد كلمات تعبر عن الايمان بلغة جديدة تلتقي مع آمال الانسان، "لغة منسوجة من لحم ودم الحياة التي نعيشها، لغة تعبّر -كنسيا وفرديا- عن الأمل الذي وعد به يسوع البشرية".

● **الانسان على ضوء سر الاوخارستيا** (ك٢ ١٩٨٤/ ص٣٣)

هو آخر مقال ظهر له بعد وفاته المفاجئة، وكأن رحيله استبق الفرح الفصحي مع الرب القائم! فالاوخارستيا احتفال، لا بل هو الاحتفال الرئيس في الحياة المسيحية، كونه عشاء المحبة الذي يجمع المؤمنين حول مائدة الرب. وكما ان لكل احتفال وظيفة دينية اجتماعية تقوم في كونها خبرة مكثفة لعالم جديد، هكذا الاحتفال الاوخارستي هو خبرة ايمانية فريدة تعيشها الجماعة المسيحية في الايمان والرجاء والمحبة.

الالتزام السياسي والانسان الانجيلي

ان مصطلح "السياسة" جاءنا من كلمة يونانية "politicus" ومعناها المدينة او الجماعة المنظمة؛ ونعبر عنها اليوم، في لغتنا المعاصرة، بمصطلح المجتمع المنظم بواسطة الدولة، عبر مشترعاتها وادارتها للشؤون العامة، وكذلك علاقتها مع الدول الاخرى. ان مفهوم السياسة خضع لتطورات عديدة عبر التاريخ، وسنحاول توضيح هذه التطورات من خلال ثلاث مراحل نموذجية:

ا- افلاطون[1]

يعرض لنا افلاطون نموذجاً لمجتمع قسمه الى ثلاث طبقات رئيسية وهي:

- طبقة **الحرفيين**، وهي أدنى طبقة في المجتمع
- طبقة **المحاربين**
- طبقة **الفلاسفة**، وهي قمة المجتمع حيث تمثل العقل والمعرفة. وقد عبّر افلاطون عن وجهة نظره في ان الفيلسوف هو السياسي الوحيد؛ اما افراد الطبقتين الاخريين، فليس لهم ان يعملوا او يتدخلوا في السياسة. ويبرر ذلك فلسفياً بتقسيمه النفس البشرية الى اقسام ثلاثة وهي:
  - قسم الرغبات الواطئة او طبقة الحرفيين، وهي الطبقة التي تحتضن هذا القسم.
  - القسم المتعلق بالقلب والشجاعة، وهي الفضيلة التي تمثلها طبقة المحاربين.
  - القسم الاخير المتعلق "بالعقل"، وطبقة الفلاسفة هي التي تمثل هذه الطبقة.

فبواسطة العقل فقط نستطيع معرفة الواقع وادراك معانيه. والواقع الحقيقي لافلاطون هو المثال الذي يقع خارج الواقع الملموس؛ وهذا الواقع الملموس، ما هو الا

(١) فيلسوف يوناني ولد سنة ٤٢٨ وتوفي سنة ٣٤٨ ق. م وهو تلميذ لسقراط واستاذ ارسطو. اثرت على افكاره الحرب التي دارت رحاها بين مدينة اثينا ممثلة النظام الديمقراطي ومدينة اسبارطة ممثلة النظام العسكري، وانتهت بفوز اسبارطة. وقد اعتبر افلاطون هذا الفوز برهاناً قاطعاً على عدم صلاحية النظام الديمقراطي الذي كان سائداً في اثينا.

ظل وخيال للواقع الحقيقي الكامل. ونتيجة لمثل هذا المفهوم الافلاطوني، نجد ان الفلاسفة فقط هم الذين يدركون هذا الواقع بتأملهم العقلي له، وبذلك هم وحدهم يستطيعون القيام بتوجيه المجتمع للوصول به الى الواقع الحقيقي (المثالي).

من هذا العرض نستنتج ان مفهوم السياسة عند افلاطون مفهوم مثالي يرتكز على التدرج الطبقي، ويتجاهل أي مفهوم علمي للمجتمع الواقعي والقوانين الداخلية التي تعمل على حركته الذاتية.

وانطلاقا من هذا المبدأ نستنتج ان الحياة السياسية لديه هي امر فئة معينة.

٢- ميكافيلي(٢)

قدم ميكافيلي مفهوماً للسياسة اكثر علمية من المفهوم الافلاطوني حيث اعتبرها "فناً للحكم" هدفها الوحيد السلطة، ويجب الوصول اليها باي ثمن كان. وميكافيلي هو الذي دعا الى تحرير السياسة من القيم الاخلاقية، فليس ثمة بحسب نظريته ما بوسعه ان يعرقل الحصول على سلطة ثابتة تحكم المجتمع. والسياسة، بنظره، هي مجرد اسلوب خاص بل تقنية خاصة للوصول الى السلطة والاحتفاظ بها، أي انها العلم الذي يلقن كيفية اتخاذ القرارات وكيفية تنفيذها وكيفية السيطرة على المجتمع بكافة طبقاته.

إن هذا المفهوم المتطرف قاد الى ظهور طبقة خاصة تمارس السياسة وحدها، وهي طبقة "فنّيي الحكم" (التكنوقراط). وبديهي أن هذا المفهوم يرتكز على تمييز طبقي من نوع آخر أكثر علمية من التمييز الطبقي الافلاطوني ذي النظرة التشاؤمية عن الانسانية، حيث يعتبر ميكافيلي الانسان فاسداً، لذا يجب السيطرة عليه لتسييره.

٣- الثورة الفرنسية

تعتبر الثورة الفرنسية التي اندلعت سنة ١٧٨٩ الحدث الأكبر من نوعه في تاريخ البشرية، إذ أن مجتمعا بكامله، أي بكافة مكوناته الطبقية، يصبح للمرة الأولى موضعاً للتغيير الاجتماعي والسياسي. ولأول مرة أيضاً، استطاعت الثورة تعبئة قوى تمثل كافة القطاعات الاجتماعية، من البرجوازية التي قادت الثورة ضد طبقة النبلاء أي الاقطاع، الى فئات الشعب الاخرى التي حملت السلاح دفاعاً عن مصالحها ضد الاستغلال. وهكذا، وكنتيجة لمثل هذا الحدث التاريخي الفريد، اصبح للسياسة مفهوم شامل، ولم تعد تقتصر على فئة معينة من المجتمع.

(٢) رجل دولة ومؤرخ ايطالي ولد في فلورنسا (١٤٦٩-١٥٢٧). بسط افكاره ومفاهيمه عن السياسة في مؤلفات عديدة اهمها كتاب "الامير" (مترجم الى العربية)، وقدم نظرياته المعروفة في كتاب "فن الحرب" دعا فيه الى تحرير السياسة من القيم الاخلاقية بحسب مبدأ "الغاية تبرر الواسطة".

واخيراً أعطى كارل ماركس المفهوم المعاصر للسياسة بصيغته العلمية الواضحة، وأدخل في هذا المفهوم الشيء الذي أهمله أفلاطون وتناساه ميكافيلي -ولم يكن دوره واضحاً على صعيد الوعي السياسي في الثورة الفرنسية- ألا وهو الاقتصاد، حين ربط السياسة ربطاً مباشراً بالاقتصاد، وبذلك وضع أسس المادية التاريخية. ومنذئذ اصبح للسياسة مفهوم علمي وشامل لكل مكونات الحياة، الخاصة والعامة، واصبح لكل شيء علاقة مباشرة بالحياة السياسية.

وهكذا بوسعنا ان نعرّف الوجود السياسي على أنه المكونات الحياتية للمجتمع المنظم. وبامكاننا تمييز اسلوبين لتحقيق هذا الوجود:

- الاول، في الممارسة المباشرة للسلطة وكل ما يتعلق بها من شؤون، كالاقتصاد والأحزاب السياسية والاضطلاع بالمسؤوليات المباشرة.

- والثاني، بالاشتراك، بشتى الوسائل، في الحياة داخل المجتمع أي بمعايشة الأحداث واتخاذ مواقف واضحة منها. فكل ما نفعله وكل موقف نتخذه تجاه أي قضية اجتماعية او ثقافية او اقتصادية هو موقف ذو طابع سياسي، بالمعنى الذي عرّفناه أعلاه، أي بمعنى أن له صلة مباشرة بحياتنا الخاصة وبحياة المجتمع الذي نحن أفراده.

واذا حلّلنا المواقف الممكن اتخاذها تجاه قضية او حدث ما في حياة المجتمع المنظّم لوجودنا، فان هناك ثلاثة أنواع من المواقف هي:

١. موقف التضامن والتأييد
٢. موقف المعارضة والرفض
٣. موقف الحياد او اللامبالاة

إن الموقفين الأولين يعتبران، وبصورة بديهية لا جدل فيها، موقفين سياسيين. لذا سنحاول تحليل الموقف الثالث الذي يتخذه البعض، بحجة انه موقف (لا سياسي).

لندعم هذا التحليل بمثال واقعي من صميم حياتنا السياسية اليوم في العراق: ما تحاول الثورة تحقيقه بجدية من تغيير جذري للانظمة والمفاهيم في مجتمعنا (كالتأميم مثلاً) يقود الجميع، شاءوا أم أبوا، الى اتخاذ مواقف شخصية او جماعية، منظمة او غير منظمة، تجاه هذه التحولات.

فهناك موقف التضامن والتأييد والمشاركة الفعلية في تحقيق هذه المشاريع الثورية والعمل على انجاحها، ذلك لان هناك ايماناً بمستقبل افضل يجب تصوره وخلقه وبناؤه من أجل سعادة الجميع ورفاههم؛ وهذا موقف سياسي، مباشر او غير مباشر، نظراً الى مدى انتماء الشخص أو المجموعة، والدور الذي يلعبانه في المجتمع المنظم.

وهناك موقف المعارضة والرفض، او على الاقل المحافظة[٣]. وهذا ايضاً موقف سياسي يتخذه البعض اذا ما ضربت مصالحهم الفردية والطبقية.

اما الموقف الذي يعتبره البعض "لا سياسياً" اعني موقف الحياد او اللامبالاة، فهو الموقف الاكثر غموضاً، وكثيراً ما تتخذه الفئات التي ترفض الانتماء، بوعي او بغير وعي؛ وهي في معظم الاحوال تستعمل هذا الموقف كقناع لتغطية موقفها الحقيقي الذي هو موقف المعارضة والرفض او اقله موقف المحافظة، لان الذي يعيش ضمن مرحلة ثورية لا يستطيع ان يدعي الحياد، فحياده هذا يخدم قوى الثورة المضادة والرجعية والمحافظة على الانظمة والمفاهيم السابقة، وبالتالي يعرقل مسيرة الانجازات الجديدة والتحولات التي تسعى الى انجازها هذه المرحلة الثورية.

نتيجة لهذا التحليل السريع نستنتج ان الموقف الاخير هو أيضاً موقف سياسي.

ان عنوان "الالتزام السياسي والانسان الانجيلي"[٤] لهو اكبر دليل على ان الالتزام ليس بديهياً بالنسبة للانسان الذي يرغب في تحقيق وجود انجيلي، نتيجة لايمانه وأمله بالمسيح الذي هو "الحق والطريق والحياة". ان طرحنا للموضوع اليوم عن طريق هذا المقال ما هو الا محاولة وضيعة لتحليل الاسباب التي جعلت، ويا للاسف(!)، مفهوم الوجود الانجيلي وكأنه وجود بعيد عن العالم، من صفاته اللاانتمائية والانفصال عن الواقع. فكثيرا ما تردَّدَ بان الحياة المسيحية حياة خارج العالم تتخطى الواقع، لذا اعتقد الكثيرون بان حياة الايمان هي حياة "لا سياسية"، حتى بالمعنى الذي ذكرناه، أي حين ننظر اليها من زاوية علاقتها بالمجتمع ومكوناته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية..

ويذهب البعض الاخر الى الاعتقاد بان الحياة المسيحية هي مجرد حياة التزام روحي (والروحي معناه لديهم غياب العلاقة مع الواقع المحسوس) ويخلصون الى القول بانها حيادية، وبالتالي لا مبالية بما يحدث في العالم من احداث تعتبر مادية. ونتيجة لهذا المفهوم تصبح المسيحية حياة تخص الله واللامرئيات، اما الحياة السياسية فهي حياة تخص الانسان! ومثل هذا المفهوم يسوقنا الى التفكير بان هناك تناقضاً بين الله والانسان، أي ان الله يستلب الانسان من واقعه!

(٣) المحافظة: بمعنى الحفاظ على النظم والبنى السائدة والعمل على استمرار وجودها، او بكلمة اخرى، اتخاذ موقف الجمود وعدم التفاعل مع الحياة السائرة نحو الافضل. وهذا الموقف اذا ما اتخذ اثناء مرحلة ثورية، فهو رجعي وغير واقعي في كل المراحل.

(٤) نقصد بالالتزام السياسي ليس فقط الانتماء الى الاحزاب والمنظمات السياسية، وانما نقصد ايضا معايشة الاحداث واتخاذ مواقف حياتية واضحة منها، حتى خارجاً عن الاحزاب.

ولكن في الواقع؛ من هو الاله الذي اظهره لنا الانجيل؟

هناك فرق عظيم بين إله الفلاسفة الميتافيزيقي (الماورائي)، هذا الكائن المجرد ذي الصفات التي نسبها اليه الانسان في غمرة نظرياته وتأملاته المجردة، هذا الاله الـذي بقي متفرجا من الاعالي، خارج حركة التاريخ.

ان الخوف الذي كان ولا زال يسيطر على الانسان في الكثير من جوانب حياته البشرية، هو الذي دعاه الى خلق مثل كذا وكذا إله (إله الخوف)، لذا كان البـشر يخافون الله ويعملون على ارضائه تجنباً للعقاب.

ومن هنا يتضح لنا الفرق الشاسع بين هذه الاقنعة التي تغلف وجه الله، وهي من صنع البشر، وبين الاله الذي أظهره لنا الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. فالاله الذي يكشفه لنا الكتاب المقدس، هو إله يظهر من خلال التاريخ أي مـن خـلال الحوادث التاريخية التي تشكل حياة الامم وتحدد مستقبلها. فالخبرة الاولى للـشعب المؤمن كانت خبرة الخروج من مصر (سفر الخروج)؛ فقد عاش الشعب هذه التجربة ومن خلالها اكتشف ان الاله الذي يؤمن به، له صفة اساسية هي كونه "محرر". فقد كان من المستحيل لهذا الشعب ان يؤمن باله لا يحمل مثل هذه الصفة، لانه شـعب اختبر العبودية والاستغلال في مصر.

والانجيل يظهر لنا وجوها اخرى لهذا الاله الذي عايش الانسان اثنـاء عمليـة تحرره من العبودية، ومن هذه الوجوه ان الهنا، اله يسوع المسيح، هو "الـه حـب"، احب البشرية وشاركها آلامها وموتها وحياتها، ومنحها -ولا يزال يمنحها- "أمـلاً فعالاً" بامكانه تغيير أي شي، من اجل الرد على الدعوة الموجهة الى البشر جميعاً بان يكونوا اكثر انسانية عما هم عليه. هذا الحب عبر عنه المسيح بموته وقيامته، أي يمكننا القول، بعد هذا، ان صميم الوجود الالهي الذي نؤمن به هـو الانـسانية وحياتهـا ومستقبلها. وأي إله اخر، أي بمعنى ان أي مفهوم اخر عن الله، يبعد الانسان عـن الانسانية وواقعها التاريخي، هو اله غريب عن الانجيل. فاله الانجيل هو إله البشرية، انه منبع أمل عظيم لها وباعث لها نحو مستقبل تخلقه هي بنفسها. فالله خلـق الانـسان وجعله خلاقا بدوره كما يذكر روجيه غارودي في ندائه[٥].

ان النتيجة المنطقية لهذا التحليل هي ان الوجود الانجيلي لا يمكن فصله ابدا عن الوجود الانساني الواقعي. ولهذا، فان هناك علاقة عميقة وجودية (حياتية) بين الحياة

(٥) الفكر المسيحي: عدد ك١ ١٩٧٣ (٣٠)، ص٤٠٤.

السياسية والحياة الانجيلية، ولا يمكن باي حال من الاحوال فصل الواحدة عن الاخرى، حيث ان مثل هذا الفصل يقودنا الى استلابات عديدة.

اما الاصالة في الوجود الانجيلي، هذه الاصالة التي تجعلنا نفكر بان الوجود الانجيلي يتخطى الوجود الانساني بابعاد تفتح امامه آفاقاً غير متناهية... مثل هذه الاصالة يجب على الجماعات المسيحية اظهارها من خلال وجودها الانساني والتزاماتها الواقعية. فهذه الاصالة لا تشكل حجة واقعية لترك انسانيتها والتزام إله مجرد "ميتافيزيقي" غريب عن إله يسوع المسيح الذي اظهره لنا الانجيل.

- **اصالة معنى الوجود الانجيلي التي يمكن اكتشافها من خلال التزام الحياة السياسية**[٦]

سنحاول اعطاء بعض الخطوط الرئيسة التي ستساعدنا على استخلاص هذه الاصالة لمعنى الالتزام السياسي للانسان الذي يرغب في ان يعيش مبادئ الانجيل بصورة واقعية، من خلال هذا الالتزام، مستلهمين الرسالة الانجيلية وحياة المسيح نفسه، ورافضين كل الغيبيات والمثاليات.

(١) **الالتزام السياسي، اذا ما نظر اليه نظرة ايجابية مجردة يعني، اذن، الثقة بالانسان والامل بمستقبل الانسانية**، وهذا يعني الايمان بامكانية تغيير الواقع وجعل الاخرين يكتشفون كل ما هو عدالة وحق.

لنحاول التركيز، في هذه النقطة الاولى، على الدور الذي يلعبه الامل الفعال في الوجود الانجيلي، واهميته الجوهرية لاعطاء الاصالة لمفهوم الالتزام السياسي من وجهة نظر الرسالة الانجيلية. فاذا ما رفضت المسيحية هذا الامل الفعال ولفضته من مفاهيمها المتعلقة بالوجود الانساني، فقدت بذلك معناها العميق والاساسي، أي قابليتها على النقد والبناء والخلق بالنسبة لكافة الاحداث التي تشكل حركة التاريخ الانساني نحو المستقبل، ومن ثم تصبح هذه الاحداث غريبة عما يجب ان تقدمه الرسالة الانجيلية لواقع البشر في مختلف جوانبه؛ وبعبارة اخرى لتحولت المسيحية الى جماعة من الناس المثاليين، ناهيك عن ان للامل الفعال دوراً تعبوياً وثورياً ونقدياً للتاريخ الذي نعيش حوادثه الان.

ان حقيقة هذا الامل غالبا ما استلبت من معناها الاصيل. وبذلك نجد الكثير من اللاهوتيين القدامى يكلموننا عن الامل بمستقبل خارج حركة التاريخ -"في

(٦) الحياة السياسي بمعنى الحياة الملتزمة والمسؤولة، داخل المجتمع المنظم.

الابدية"- ويتجاهلون الامل في تحقيق المستقبل اثناء التاريخ، وبذلك يساهمون في خلق فئة من المؤمنين الفاقدي الثقة بهذا العالم وبحوادثه، يكونون ذوي نظرة تشاؤمية إلى الانسانية وتطلعاتها، وبالتالي يعملون على ابعاد الناس عن كل التزام من شأنه خدمة هذا العالم ومستقبله.

(٢) المعنى العميق للالتزام السياسي هو أنسنة الواقع الاجتماعي والعمل على قهر كافة القوى الاستلابية للانسان.

وعندما تتعلق القضية بالواقع الانساني ومستقبله وسعادته، فليس هناك محل للمواقف الحيادية، اذ ان الحياد اذ ذاك يعني الرضوخ لاستمرار الظلم والاستلاب، بينما كل اقوال المسيح ومواقفه تشير الى عكس ذلك، اذ انها التزام دائم بالانسان وبحريته وبكرامته اللائقة به كانسان.

(٣) الالتزام السياسي للانسان الانجيلي يعني السير في الطريق الذي انتهجه المسيح، اذ ان معناه الاساسي يقوم في امتلاك حساسية عميقة لمعنى الأحداث مع كل طبقة منبوذة ومتألمة وتعيسة هي ضحية الاستغلال، ومن ثم التضامن بكافة اشكاله. وهكذا نكتشف روحانية خاصة للالتزام، مستمدة ومستلهمة من صراخ الجياع الى العدالة وحقوق العطاش الى الحق (لوقا ٦: ٢٠-٢٣).

في مثل هذا الخط يكمن الوجه الاصيل للمسيح، ولا ينبغي ان يُشَوَّه ابدا، والا ابتعدنا جدا عن روح الانجيل المعطى لنا كي تستمر حياة المسيح في العالم.

ولئلا يبقى حديثنا مثالياً مجرداً، علينا ان نوجه النقد الذاتي الى أنفسنا والى حياة كنيستنا، باخلاص وعمق، واكتشاف كيف يتجسد في واقع حياتنا هذا الالتزام، وكيف نتيح لوجه المسيح الاصيل فينا ان يشع ويلعب دوره في التاريخ، وذلك بتحديد مواقفنا الواقعية واختياراتنا الحياتية في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية.

وفي نهاية هذا المقال نود طرح السؤالين التاليين، تاركين لكل قارئ او مهتم بهذا الامر مجال التفكير والاجابة عليها حياتياً:

- كيف نستطيع ان نعيش حياتنا اليوم؟

- هل نستطيع ان نشهد على هذا الامل الفعال الذي يعطينا اياه المسيح بموته وقيامته (أي بازالة هذا العائق من امام الانسان وفتحه امام الوجود الانساني افاقاً لا تنتهي) من دون ان نحدد مواقفنا الواقعية، ونعمل مع غيرنا بالتزام واع على خلق المستقبل الذي نعتقده افضل للمجتمع الانساني عامة وللمجتمع الذي نعيش فيه خاصة؟

من اجل لاهوت عربي

يتقدم الفكر اللاهوتي المعاصر الينا على انه محاولة نظرية -عقلية- حياتية تنطلق من الايمان الواعي لدى جميع الذين جعلوا من كلمة الله الانجيلية "حدثا حياتيا"، لـــه موقع اولي في أعماقهم بحيث لا يستطيعون ان يحيوا، من بعد، من دون ايجاد العلاقة بين ما يعيشون فعلا وبين تلك الكلمة الانجيلية. فاللاهوت اذن مرتبط ارتباطا وثيقا بحياة الايمان التي تشمل الانسان بكل ابعاده، وبكل أصالته، وبالتالي تعتنق جميع خبراته الحياتية، الشخصية والجماعية. من هنا نستنتج ان الخبرة الانسانية المحددة في الزمـــان والمكان تشكل نقطة الارتكاز والارضية السليمة لاي لاهوت، والا لما حصلنا علـــى اكثر من نظريات مجردة، نادرا ما تساعد الانسان على النظر بجدية الى واقعه المحسوس وتدفعه، من ثم، الى تغيير هذا الواقع نحو الافضل. بينما تعتبر عملية تغيير الواقع اليوم من قضايا العالم الاكثر حساسية، وحولها تتمركز الجهود الانسانية.

هكذا اذا ما أردنا للاّهوت ان يعلب دوراً مهما في الحياة الانسانية، علينـــا ان نتجاوز بعض المفاهيم الجامدة التي جعلت منه علما يبحث في الحقائق الالهية المجـــردة ويضيع في عالم الميتافيزيقيات والغيبيات، او في نظريات ادبية مقولبة لجميع البشر مهما اختلفت خضارًاتهم وظروفهم الحياتية!

• من اجل "لاهوت عربي"

يجب ان نفهم اذاً اللاهوت على أنه العلم الذي ينبع من الايمان والخبرة الايمانية لكي يشارك في عملية تغيير وخلق وبناء الانسان والعالم الانـــساني، مـــن جديـــد وباستمرار، وذلك بحسب معطيات الحياة الانسانية المتجسدة في الزمان والمكان، وفي حضارة معينة بكل ما تحوي هذه الكلمة من تراث ونضال وأصالة وواقعية. فكما ان

هناك اليوم "لاهوت تحرير" يبحث في تحرير الانسان باسم المسيح المحرر، وكما ان ثمة "لاهوت ثورة" ترفع رايته مسيحية اميركا اللاتينية لبناء المجتمع الجديد العادل باسم الانجيل، كذلك نجد الحاجة الى "لاهوت عربي" ينبع من الواقع العربي الذي نعيشه، ويمد جذوره في تراثنا العريق. مثل هذه الدعوة منطقية وضرورية، وفي ارتيادها نتوسم الأمل في أن تثمر الجهود المتظافرة لخلق المستقبل الذي نطمح اليه، لوطننا ولمسيحيتنا العربية، ولتأكيد دورها في عملية التغيير الكبرى.

وعندما نتكلم عن تغيير الواقع وعن خلق المستقبل، نؤكد بالفعل ذاته على اننا نعيش أزمة ناتجة عن قوة تشدنا الى الخلف، هي قوة التخلف والانحلال، وقوة تدفعنا الى الامام، هي قوة الطموح والامل؛ واننا لن نستطيع ان نتكلم عن السمات الرئيسة "للاّهوت العربي" المنشود ما لم نستعرض، أولا، واقع هذه الازمة، وإن بصورة مقتضبة.

• في اية ازمة نعيش اليوم؟

ان واقعنا العربي، ببعديه القومي والقطري، يُعتبر واقع ازمة اقتصادية – اجتماعية – سياسية – حضارية – دينية؛ أزمة لا يمكن انكارها ولا التقليل من خطورتها على مستقبل الامة العربية وعلى شخصية الانسان العربي.

فعلى الصعيد الاقتصادي الاجتماعي لا يزال الواقع العربي يعاني من ثقل التجزئة والتخلف –ولا نريد هنا ان نبحث في الاسباب التي أدت الى هذه النتيجة لانها أصبحت من البديهيات– ولكن لنعلم ان هذا الواقع الاقتصادي الاجتماعي لم يصبح بهذه الحالة، بوحي من ارادتنا، وانما فرضته علينا قوى ومصالح خارجية ومحلية. ونعلم اليوم بان أية محاولة للتقدم لا تتم الا عن طريق بناء اقتصاد متين، مستقل ومتكامل. واذا كنا اليوم في أزمة، فلأننا في حالة تكوين للنموذج الاقتصادي الاجتماعي الذي يحتوي في داخله بذرة المستقبل، أي امكانية طرح الحلول المناسبة التي من شأنها تحريرنا من التجزئة والتخلف، ولكن من دون التضحية بالأصالة الخاصة بنا.

من أجل هذا، كانت القضية الاكثر أهمية اليوم بالنسبة لجميع الاقطار العربية هي مسألة تحديد هوية الانسان العربي المعاصر تجاه العالم الحديث –والغربي خاصة– فالسؤال الاساس هو:

كيف تستطيع الاقطار العربية ان تستمر في تطورها، في خضم القوى العالمية الحالية، من دون ان تفقد روحها الاصيل وهويتها العربية الحضارية الخاصة بها؟

في اعتقادنا ان التطور يعني في الوقت الحاضر بالنسبة لنا -ولوقت طويل بعد- تنمية وسائل الانتاج، أي تطوير عملية التصنيع وتأهيل الايدي الفنية. وهذا يعني ان في واقع الحاجات التي تفرض نفسها، وفي واقع القوى العاملة، هناك نضال طويل وصعب أمام جميع الدول النامية، غايته مواجهة السيطرة الاقتصادية الخارجية. وهنا يكمن شكل جديد من اشكال السيطرة الاقتصادية على الدول النامية، تتم بواسطة تصدير أزمات ذات علاقة وثيقة بالتقنية التي تستوردها هذه الدول، كأزمة التضخم المالي، وجعل الحياة الانسانية حياة ميكانيكية، ومشكلة تلوث البيئة الخ... هذه الازمات تقوم بإشغال القوى القومية في محاولة لايجاد حلول لها، وهكذا تجد نفسها مرتبطة بالقوى الاقتصادية العالمية تلقائيا.

في هذا الواقع نتساءل: ماذا يعني التطور بالنسبة للانسان العربي؟ وأي وعي تفرضه هذه العملية عليه؟ ما هي المخاطر الاساسية التي يجب مواجهتها بشجاعة على صعيد البيئة الاجتماعية والثقافية؟ ذلك لان التطور، شئنا أم أبينا، يعني اعادة خلق المجتمع بصورة من الصور. وقد تتم عملية الخلق هذه عن طريق نموذج خارجي مستورد. فالسؤال اذن هو:

ماذا يجب عمله منذ الان لكي نوجه محاولاتنا كلها، وعلى كافة الاصعدة، لكي نعيد خلق مجتمعنا العربي وفق نموذج يضمن للانسان العربي هويته العربية الخاصة به، ويجعل منه انسانا منتميا الى عالمنا المعاصر في الوقت ذاته؟

اذا انتقلنا الآن الى الواقع السياسي للامة العربية، لوجدنا ان التخلف والتجزئة يشكلان احدى السمات الرئيسة له، وقضية الاستعمار بكافة أشكاله تشكل الخط الرئيسي الثاني. فعن طريق القضاء على وحدة الوطن العربي السياسية، تمت عملية استغلال موارده الطبيعية والقضاء على حريته الاقتصادية. وللتمكن من ذلك، شجع الاستعمار تضخم ثروات فئات معينة، وأفقر الغالبية، وباعد ما بين طبقات الشعب، بتشجيعه النعرات الطائفية والقبلية... وما الوجود الصهيوني في قلب الوطن العربي الا رمزاً لهذا الواقع السياسي المجزأ.

ولكن هناك أيضا أزمة حضارية روحية.

لقد كان الوطن العربي في معظم أقطاره مسرحاً لحضارات قدمت للانسانية عطاءات كثيرة. والحضارة العربية جسدت الشخصية العربية واعطتها روحاً متميزاً. ولكن تلك الحضارة مسها التقهقر؛ وها نحن نعاني اليوم من خطر فقدان هذه الروح، عبر تفاعلنا المتزايد مع حضارات ذات ميزات صناعية وتقنية، مما يجعل الازمة أقوى،

فنجد أنفسنا حائرين لا نعرف ماذا نأخذ وماذا علينا أن نعطي. فنحن نعرف حق المعرفة بان العودة الى الماضي والتغني بأمجاده لا يعطينا الحلول لمعانياتنا، ونعرف ايضا بأننا اذا هجرنا تراثنا، فقدنا منبع هذه الروح الاصيلة التي تميزنا.

فنحن اذاً في حالة مخاض لولادة حضارة عربية جديدة، معاصرة، دون ان تفقد أصالتها. أما مقياس أصالة هذه الحضارة، فسيكون في شعورنا الوجداني العميق بأننا فيها نحن أنفسنا، مع بقاء تفاعلنا مع الحضارات الاخرى.

• ازمتنا في الكنيسة

الكنيسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضايا المجتمع الذي تنتمي اليه، وتنعكس فيها الازمات ذاتها. هكذا التخلف أيضا على الصعيد الكنسي واضح، وهذا الواقع المجزأ والمتخلف، هو الآخر، لم يحدث بارادة ربانية، وانما هو نتيجة لعوامل سياسية اقتصادية ثقافية. وقد يوجد اليوم من يعمل على استمرار هذا الواقع لمصالح معينة، أو خوفاً، وكأن التاريخ كله نسج في الماضي! فمن الناحية الحضارية، ماذا تعني الحياة في تراث قديم من دون الرغبة في احيائه، في لحمة حضارة حية معاصرة؟ فالقضايا التي يطرحها العالم المعاصر على الضمير المسيحي اليوم، كالعنف والسياسة والحب ومعنى الوجود... هل نجد لها أجوبة بمجرد ترديد تعاليم الاباء؟.. والا فستكون الجماعة المسيحية "جماعة الماضي"، عيناها دوما الى الوراء، أو كالعضو الذي يبتر اذا انتفت الحاجة اليه. فلئلا يصيبنا مثل هذا المصير، هناك طريقان لا ثالث لهما: اما أن نبدأ بعملية استيراد نظريات ومفاهيم من خارج واقعنا، وبهذا نفقد أصالتنا ونكون في حالة اغتراب، واما ان ننكب على ايجاد فكر لاهوتي يستلهم واقعنا الذي نعيش فيه، يستند الى تاريخنا والتحامنا المصيري ببيئتنا.

• سمات "اللاهوت العربي"

بوسعنا الآن ان نحدد بعض السمات الاساسية لهذا "اللاهوت العربي" النابع من واقعنا، والذي عليه ان يساهم في عملية تغيير هذا الواقع:

١) "اللاهوت العربي" يجب ان يكون لاهوت تحرير وثورة:

وهذا يعني ضرورة الانطلاق من الالتزام ببناء مجتمع، ركائزه العدالة والاخوة والحرية؛ ومحاولة تنظير الممارسة الشخصية والجماعية في هذا المجال، على ضوء معطيات الكلمة الانجيلية، بحيث نرى فيها الاجابة على تساؤلات مثل هذه:

- **في خضم النضال من اجل التحرر من التجزئة والتخلف ومن اجل العدالة وبناء امة قوية، متقدمة، اكثر انسانية وكرامة: ماذا يعني المسيح وماذا يعني موته وقيامته؟**
- **هل هناك مكان في الكنيسة حاليا للفقراء والمستغَلين والمنبوذين؟**
- **المسيح رب ومخلص. ماذا يعني هذا لنا نحن الذين نريد قراءة الاحداث بعيون الايمان الانجيلي؟**
- **الخليقة الجديدة التي يدعونا اليها الانجيل، هل نستطيع ان نعيشها، فعلا، من دون ربطها بما يُخلق جديدا في مجتمعنا؟**
- **المحبة التي هي القاعدة الاساسية للحياة الانجيلية، كيف نعيشها بصورة ملتزمة، ما علاقتها بالثورة والتحرر؟**

هذا هو المجال الحيوي "للاهوت العربي" الذي يجب ان ينطلق من التحليل النظري والعلمي للواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وربطه برسالة الانسان العربي الحضارية والروحية، ومن ثم اكتشاف صلته بالرسالة الانجيلية والخلاص الذي جاء به المسيح للبشرية. فلاهوت الثورة والتحرر العربي، اذن، لاهوت شامل للوجود العربي كله، لانه دعوة الى استيعابه بواقعه الحاضر وبآفاقه المستقبلية.

٢) "اللاهوت العربي" يجب ان يكون ذا تعبير عربي:

لقد حان الوقت ليكون هناك تفاعل ايجابي مخلص في اطار الثقافة والحضارة العربية. فالقضية الاولى للمسيحيين في هذا الشرق العربي، هي ان يصبحوا جديرين بان "يتكلموا" العربية، وان يفكروا بالعربية، وأن يعيشوا ضمن واقعهم العربي. بعكس ذلك سيصعب عليهم ان يعيشوا التزامهم الوطني والقومي بصورة طبيعية، وسوف يشعرون دوما -أو يشعرهم بذلك غيرهم- بانهم مواطنون من الدرجة الثانية، أو أن اوطانهم الحقيقية هي كنائسهم الخاصة، وهذا خطأ جسيم، اذ تتحول الكنيسة الى "اوطان قومية" منغلقة، مصيرها الموت الروحي تدريجيا. فهل نبقى نعيش في عقلية امبراطوريات رومانية او بيزنطية انقرضت منذ زمن بعيد.. وكأن التاريخ توقف هناك.. وكأن المسيح مجرد انسان عظيم عاش في الماضي فقط، كبوذا او غاندي او أي عظيم آخر.. بينما هو الحي في ما بيننا والى منتهى الدهور، يُلهمنا وينير دروبنا؟

فلكي نعيش واقع يسوع المسيح بصورة متجسدة، يجب ان نتفاعل مع واقعنا العربي ونندمج فيه، وبذلك لسنا غرباء او دخلاء؛ فتراثنا العربي-السرياني طالما تداخل واثرى عبر الاجيال، وتاريخنا المسيحي-الاسلامي في هذه البقعة تاريخ مصير واحد. فهذه الخلفية الاساسية والطبيعة المنصهرة في بوتقة العروبة هي الخلفية الواقعية والايجابية الوحيدة التي تسمح باقامة حوار اسلامي-مسيحي جدي، وهي نفسها التي ستتيح للكنائس المختلفة والمتعددة في الشرق العربي ان تتقارب وتتعاون وتتحد...

٣) "اللاهوت العربي" يجب ان يكون لاهوت "أمل":

لقد انطلقنا من التحليل الاقتصادي-الاجتماعي والحضاري للواقع العربي، ومنه توصلنا الى ان من سمات "اللاهوت العربي" الاساسية ان يكون لاهوت تحرير وثورة وذا تعبير عربي. كل هذه السمات تأخذ معناها العميق عند ربطها جوهريا بشمولية الحقيقة الانجيلية، بما تحتويه من أمل مستقبلي ونهائي للانسان في الله. ليس هناك "لاهوت مسيحي عربي" إن لم يتعرض هذا اللاهوت الى قضية العلاقة بين ما عاشه آباؤنا وما نعيشه نحن ونأمل ان نحياه مستقبلا، وربط هذه الحياة التي نعيشها في التاريخ البشري مع حقيقة الله الازلية. المسيحية ديانة "امل" يقول القديس بولس: "ان كنا قد خلصنا فاننا بأمل خلصنا" (رومية ٨:٢٤). أي المسيحية حياة تدعو دوما الى التحول والتغيير والى تجاوز الركود. وهذا الامل ينبع من قيامة المسيح المصلوب والقائم من بين الاموات منتصرا. هكذا الايمان بالمسيح مشدود ابدا نحو الامام، لتحقيق الوعد بالمستقبل السعيد للبشر.

لهذا الامل الفعال دور رئيس في كشف المعنى الجوهري لكل نشاط نقوم به باسم الايمان، لانه يمنحنا الثقة بان المستقبل أفضل. هذا الامل يحررنا من الخوف من الجديد ومن المجازفة، فالسير باتجاه المستقبل سير نحو الله. فالله امامنا دائما، يتجاوزنا نحو ابعاد جديدة، ويخلقنا كل يوم من جديد.

هذا المقال ما هو الا محاولة منا ودعوة الى البحث الجدي في قضية نعتبرها اليوم من القضايا الحياتية لحاضر ومستقبل مسيحيتنا في هذا الشرق العربي. اننا لم نعط حلولاً جاهزة؛ وبين الفكرة ونضوجها، لا بد من محاولات اخرى ودراسات أوفى. فنرجو من القارئ ان يوافينا بملاحظاته وردات فعله ونقده البناء والصريح.

يسوع الناصري مسيح الفقراء

نحاول احيانا التهرب من بعض الواقع ونتجنب النظر اليه وجها لوجه، خوفا من القلق النفسي الذي يحدثه في وجودنا البشري لقاؤنا به! فأمام الواقع المقلق للموت، مثلا، نستخدم تعابير من شأنها ان تخفف من ثقل هذه الحقيقة التي لا تتغير مهما اختلفت العبارات.

الفقراء، المساكين، المعوزون، البؤساء، الجائعون الخ... كلها كلمات تعبر عن واقع واحد وعن حقيقة واحدة، وهي ان المجتمع البشري، باغنيائه وفقرائه، بمستغِليه ومستغَليه يئنّ من مرض يقوم في سوء توزيع الخيرات وما ينتج عنه من مظالم.

قد يسهل الكلام في الاوساط المسيحية عن الفقر والفقراء، وقد يبدي بعض المسيحيين استعدادهم في ان يصبحوا، بشكل او باخر، فقراء القلب والروح! ولكن الى أي مدى يفكرون حقا في البؤساء وفي ابعاد البؤس الحقيقية؟ وما هو مدى احتكاكهم بعالم البؤس؟

نحن بصدد الحديث عن العلاقة الكائنة بين الكنيسة والفقراء! قد يذهب بنا هذا الموضوع بعيدا اذا شئنا ان نلج الى كل ابعاده؛ فقد نقلق راحة الضمائر الساكنة المطمئنة، وقد نُتّهم من ثم باننا ندافع عن طبقة من المجتمع... ومع ذلك لا بد لنا من الكلام! ان المشكلة الاساسية تكمن في امكانية الكلام عن واقع معين قد يفضّل البعض السكوت عنه، او يبحثون عن كلمات تعبر عنه بصورة غير مباشرة، ولكننا سنحاول ان نسمّي الامور باسمائها متتبعين اثار الانجيل.

رسالة الكنيسة الاساسية

اليست الكنيسة ملتزمة باعلان البشرى السارة (الانجيل) للفقراء، وتجعل من هذه المهمة رسالتها الاساسية؟ فالمسيح اظهر نفسه للعالم كذاك الذي أُختير وكُرّس لاعلان

البشرى للفقراء: "**روح الرب علي لانه مسحني لأبشر المساكين، وارسلني لانادي للماسورين بالتخلية، وللعميان بالبصر، واطلق المرهقين احرارا، واعلن سنة نعمة للرب**" (لوقا ٤:١٨-١٩). فاذا كانت هذه هي رسالة المسيح الاساسية، ومن ثم رسالة الكنيسة الاولى، كونها امتدادا للمسيح الحي في اعضائها، فلماذا يكون من العسير ان نتكلم عن العلاقة بين الفقراء والكنيسة؟

وعند البحث عن اجوبة الى هذا السؤال، نجد البعض يقول: لا يوجد فقراء في عالم اليوم، وهؤلاء الذين نراهم ما هم الا كسالى! ويقول اخرون: ليست مهمة الكنيسة تقديم الغذاء الى البشر، فذاك واجب يقع على عاتق الحكومات والمؤسسات الزمنية، وما الكنيسة الا مؤسسة روحية! ويذهب بعضهم الى القول: ليس كل الفقراء فقراء حقا، كما ليس كل الاغنياء اغنياء بالضرورة، فهناك الغني ماديا الذي هو، في الوقت ذاته، فقير بالروح! الى غير ذلك من الافكار المنتشرة في البيئة المسيحية والتي ليست سوى شكل من اشكال الدفاع الذاتي، اذ ان البحث في هذه المشكلة هو كمن يحاول ان يضع اصبعه على جرح ملتهب يعاني منه اكثر من ثلثي البشرية. ومما يثير الدهشة ويدعو الى التفكير هو ان الكنيسة، اقله في مظهرها الخارجي، تنتمي الى الثلث السليم من جسم الانسانية وتبدو غريبة عن الثلثين الباقيين!

من الاسهل ان يمر جمل في خرم ابرة...

ليس الغنى اليوم، بالضرورة، حسابا في بنك او ثروة معينة من الذهب والفضة، انما هو، في عالمنا المعاصر، العلم والتكنولوجيا والمناصب الادارية والمراكز الاجتماعية او السياسية، وحتى النجاح الفني... نحن لا ننكر بأن كل هذه جيدة بذاتها وضرورية للانسان، غير اننا نضيف بأن وجودها رهن بالخير العام وما تقدمه من خدمة للانسانية؛ لذا ينبغي على رواد العلم والتنمية واصحاب المناصب والمراكز ان يجعلوها في خدمة الانسان وخدمة اماله وتطلعاته؛ فاذا تقوقع هؤلاء العلماء والتقنيون والقادة ونجوم الفن على انفسهم، واخذوا يسخّرون مواهبه المختلفة لمصالحهم الشخصية، فحينئذ يصعب عليهم "الدخول في ملكوت الله" (لوقا ١٨:٢٥)، ويبقى مفتاح هذا الملكوت "مخفيا عن الحكماء والفهماء ومعتلنا للاطفال" (لوقا ١٠:٢١)، لان الرب يفرق المستكبرين بفكر قلوبهم، ويترل الاعزاء عن الكراسي ويرفع المتواضعين، ويرسل الاغنياء فارغي الايدي (لوقا ١:٥١-٥٤).

ان اكثرية الاغنياء الذي يتكلم عنهم الانجيل هم في الواقع ضحايا غناهم واموالهم التي استُعبدوا لها الى حد كبير. و لم يستطع هذا الغنى ان يملأ الفراغ الكبير في حياتهم. انهم كمن يدور في حلقة مفرغة، لان قلوبهم حيث هي كنوزهم، على حد تعبير الانجيل؛ وهذه الكنوز فسدت، افسدتها الانانية والمصلحة الذاتية:

" يا أَيُّها الأَغنياء، اِبكوا وأَعولوا على ما يَنزِلُ بكُم مِنَ الشَّقاء. ثَروَتُكم فَسُدَت وثِيابُكم أَكَلَها العُثّ. ذَهَبُكم وفِضَّتُكم صَدِئا، وسَيَشهَدُ الصَّدأُ عليكم ويأكُلُ أَجسادَكم كأَنَّه نار. جَمَعتُم كُنوزًا في الأَيَّامِ الأَخيرة. ها إِنَّ الأُجْرَةَ الَّتي حَرَمتُموها العَمَلَةَ الَّذينَ حَصَدوا حُقولَكم قدِ ارتَفَعَ صِياحُها، وإِنَّ صُراخَ الحَصَّادينَ قد بَلَغَ أُذُني رَبِّ القُوَّات... فإِنَّ مَجيءَ الرَّبِّ قريب..." (رسالة يعقوب ٥:١-٩).

احذروا ان تصبح قلوبكم فارغة!

المسيح لم يات ليدين العالم بل ليخلص العالم ويحرره. والانجيل هو صرخة تدوّي كي يبلغ صداها الى البشر كافة؛ وهو دعوة الى البشر كي يكونوا على حذر من المأساة التي تهدد وجودهم باستمرار، فلا تتحول قلوبهم البشرية الى قلوب فارغة تدور حول نفسها في عبثية لا نهاية لها، سيما اذا ما اصبحت الانانية هي السيدة المطلقة على هذه القلوب الفارغة: **"الوَيلُ لَكُم أَيُّها الأَغنياء فقَد نِلتُم عَزاءَكُم. الوَيلُ لَكم أَيُّها الشِّباعُ الآن فسَوفَ تَجوعون..."** (لوقا٦:٢٤)

واذا كان الانجيل البشرى السعيدة للفقراء، فهو بشرى سعيدة للاغنياء ايضا، انه بشرى تدعوهم الى الاهتداء والايمان بمن هو مصدر الحياة والحق والخير. يجب ان يُعلَن الانجيل لكل البشر، دون تمييز، ومن دون ان يخضع لعملية التجزئة والتمييع. فذوي القلوب الفارغة هم بأمس الحاجة الى ان يسمعوا هذه الكلمات القاسية والمباشرة التي تمس كيانهم وما هم عليه في الصميم، ومن الافضل ان يسمعوا هذه الكلمات من الكنيسة ذاتها. ويحق لنا ان نتساءل: لو ان الكنيسة اعطت الابعاد الحقيقية لكافة النصوص الانجيلية التي تخص الاغنياء والفقراء، ولو انها اعطت لهذه النصوص عين الاهمية التي اعطتها للآية "انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي"، فهل كنا سنعيش يا ترى بنفس الحالة التي نحن عليها الان؟

الخلاص هو مجيء ملكوت العدالة والحق

"يا ابناء الافاعي! من دلكم على الهرب من الغضب الاتي؟... ها ان الفأس موضوعة على اصل الشجر، فكل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار... وساله الجموع: ماذا نصنع؟ فاجابهم وقال لهم: من له ثوبان فليعط من ليس له. ومن له طعام فليفعل كذلك" (لوقا ٣:٧-١١).

ان اولى علامات مجيء ملكوت الله بين البشر هي العدالة في توزيع الخيرات، وسوف يقاس مدى اهتداء البشر الى الملكوت بمقدار مقاسمتهم اخوتهم المأكل والملبس والحب والفرح: **"كنت جائعا فاطعمتموني..غريبا فأويتموني، وعريانا فكسوتموني، وكنت مريضا فعدتموني ومحبوسا فاتيتم الي"** (متى ٢٥:٣٥-٣٦).

تملك امريكا الشمالية حاليا ٤٠% من خيرات الارض، علما بان نسبة عدد سكانها لا تتعدى ٦,٧% من مجمل سكان العالم، بينما الشرق الاقصى الذي يؤلف ٥٢,٣% من مجموع نفوس العالم، لا يملك اكثر من ١٢,٣% من الخيرات!! قد تمد الدول الغنية يد المساعدة الى بعض الدول الفقيرة، ولكن على طريقة الاغنياء التقليديين الذين "يترأفون" ويتصدقون على الفقراء والمعوزين بما لم تعد لهم حاجة اليه! او بما لم يعد ينفعهم! فلكل المؤمنين بالانجيل الذين قبلوا بشارة الخلاص، يجب ان يعلن بقوة كلام القديس مرقس: "توبوا وامنوا بالبشرى السعيدة" (مرقس ١:١٥).

صحيح ان الانجيل ليس دعوة الى المشاركة العادلة بالخيرات وحسب، فهو ايضا الحياة بيسوع المسيح، الكلمة الذي صار جسدا ومات على الصليب، وهو حي اليوم في ما بيننا (اعمال الرسل ٢٥:١٩). غير ان المسيح حي اليوم في اعضائه الذين هم الجياع والعطاش وكل الذين يهدفون الى حياة انسانية كريمة، وينتظرون تحررهم ويتطلعون الى عدالة اكبر: **"من كانت له خيرات هذا العالم ورأى اخاه في فاقة فحبس عنه احشاءه، فكيف تثبت فيه محبة الله"** (١ يوحنا ٣:١٧).

مسيح الفقراء

المسيح والفقراء حقيقة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، وهذا ما تعبر عنه اغلب النصوص الانجيلية. ونلاحظ تشابها مدهشا بين العبارات التي استعملها المسيح في رسم الاوخارستيا "هذا هو جسدي. هذا هو دمي"، وبين الكلمات التي استعملها في كلامه عن الفقراء والمتألمين "كنت جائعا، عطشانا، مريضا، محبوسا" **انا ذاتي، بجسدي ودمي**، بحيث قال: **كل ما فعلتموه باحد اخوتي هؤلاء الصغار، في فعلتم".**

ويتضح من هذا التشابه ان المسيح يعرّف نفسه من خلال الفقراء الـذين يؤلفـون جسده، ويمكننا ان نقول ان المسيح يُعرَف بجسده -الكنيسة- الاوخارستيا، وبجسده – الفقراء. ولهذه النقطة الاخيرة اهميتها في ما يتعلق برسالة الكنيسة التي بيّناهـا في مطلع مقالنا، وبوسعنا ان نذهب الى ابعد ونقول: لو ان يسوع الناصـري لم يعلـن البشرى السارة للفقراء، اولا، ويعدهم بالخلاص والتحرر، لما كان هو المسيح المنتظر. هذه الحقيقة يجب ان توجّه تعليم الكنيسة الاجتماعي ليتسنى لها ان تقوم برسـالتها بافضل شكل، وهي تقوم في اظهار وجه المسيح الحقيقي.

لقد برهن المسيح ذاته على انه مسيح الفقراء حين شاء ان يولد في الفقر ويعيش فقيرا ويموت في اقصى حالات العزلة.

لا ذهب ولا فضة!

"... وفي الطريق بشروا قائلين: ان ملكوت الله قريب! اشفوا المرضى، اقيموا الموتى، طهروا البرصن اخرجوا الشياطين. مجانا اخذتم مجانا اعطوا. لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في هماييـنكم، ولا مزودا للطريق ولا ثـوبين، ولا حـذاء ولا عصا. فان الفاعل مستحق طعامه" (متى ١٠:٧-١٠).

يجب ان يكون الانجيل عطية مجانية لان العطاء المجاني هو العلامة للحب الاصيل، وشهادة لذاك الذي كان غنيا، فاصبح فقيرا حبا بالانسان: **"انتم تعرفون نعمة ربنـا يسوع المسيح، كيف انه، هو الغني، قد افتقر من اجلكم لكي تستغنوا انتم بفقره"** (٢قورنتس ٨:٩). فهنا تكمن قوة الحب الانجيلي القادرة على ان تحـول القلـوب الصخرية الى قلوب من دم ولحم؛ هذه القوة دفعت القديس بطـرس الى ان يقـول للمقعد الذي كان يسأل الصدقة عند باب الهيكل: "ليس لي ذهب ولا فـضة، بـل ما هو لي اياه اعطيك: باسم يسوع المسيح الناصري، قم وامش" (اعمـال الرسـل ٣:١-١٠).

ونعود الان الى تساؤلنا الاول: كيف امست الامور على ما هـي عليـه الان؟ ولماذا توجد شبه قطيعة بين الكنيسة وجماهير الفقراء؟

ان كل قطيعة في جسد المسيح الواحد (الكنيسة) يجب ان تقلقنا، سيما وأن من صفات الكنيسة ان تكون واحدة، ووحدتها هي العلامة على انها ولدت من يـسوع المسيح. واذا كانت الانشقاقات الكنسية تشكل عثرة حقيقية للمؤمنين وغير المؤمنين

معا، فانشقاق شعب الله الى شعب غني له موقعه في الكنيسة، وشعب فقير يعيش على هامشها، هو عثرة اكثر خطورة. فعلى الكنيسة —وهي لا تزال، في ذهنية اغلب الناس، الكهنة والاساقفة!- الاّ تبقى بعيدة عن عالم البؤس، بل ان تنزل الى الساحة، لتلتقي بالبؤساء حيث هم، فتحمل اليهم البشرى السارة بكل صفاتها الانجيلية.

ان كل الذين يرجون الخلاص والتحرر بيسوع المسيح يأملون ان يلتقوا بالمسيح النجار، الحي في كنيسته، ويتمنون ان يجدوا انفسهم من خلاله؛ فهم لا يريدون كنيسة تدّعي انها عروس المسيح وتتقدم اليهم بثوبها الابيض المطرز، انما يريدونها كنيسة اصيلة شبيهة بالمسيح، لها القدرة على مقاسمة الخيرات بروح العدالة، فتكون حقا "كنيسة الفقراء" لان مؤسسها هو "مسيح الفقراء".

يسوع المسيح، كيف نتكلم عنه اليوم؟

لا يبدو الجواب على مثل هذا السؤال سهلا، فهو يفترض معرفة جادة لجوانب متعددة من شخصية يسوع نفسه والبيئة الثقافية والحضارية التي عاش فيها[1]، وتحليلاً لآراء معاصريه فيه، ومن ضمنهم تلاميذه الاثني عشر، ومن ثم الكنيسة الاولى. ولكن الامر ليس بالسهولة التي نتوهمها للوهلة الاولى.

قد نفكر بأننا اذا ما أردنا معرفة يسوع المسيح عن كثب، علينا أولا ان ندرس النصوص الانجيلية. هذا أمر لا مفر منه. ولكن هذه النصوص الانجيلية تقدم لنا مسيحا كما فهمته الاجيال الاولى المسيحية، أي انها تعكس وجهة نظر معينة في المسيح، فهل تتيح لنا، والحالة هذه، التعرف على يسوع الناصري كما عاش فعلا: يسوع، هذا الانسان الذي رأى فيه الرسل المسيح المنتظر، بعد ان عايشوه ورافقوه واختبروا الموت والقيامة معه؟ هل لدينا مداخل اخرى غير النصوص الانجيلية لمعرفة يسوع؟ هل نكتفي بالتعريفات العقائدية التي تقدمها الكنيسة لنا لكي نكتشف هوية يسوع المسيح؟

• دور الكنيسة في شرح الايمان واعادة التعبير عنه

لم يترك لنا يسوع اثرا مكتوبا نستدل من خلاله الى ما نريد معرفته حول شخصيته، ولكنه ترك لنا جماعة (الكنيسة) يسكنها الروح القدس، أي روحه هو نفسه. والرسالة الاساسية لهذه الكنيسة هي جعل الحياة التي بدأها يسوع وعاشها بعمق، حياة تحوي صفة المعاصرة والجدة الدائمة لكل القيم الانجيلية، وامتدادا لحياة

(١) انظر ف.م. العدد الخاص (ك١ ١٩٨٠) حول "شخصية يسوع المسيح"، ولا سيما مقال الاب هوتار: "الوسط الفلسطيني في عهد المسيح".

يسوع نفسه عبر الزمان والمكان. وهذا يضعنا امام واقع مهم جدا، وهو ان بين يسوع الناصري وبيننا نحن، هناك كل هؤلاء المؤمنين الذين عاشوا الايمان وحاولوا التعبير عنه بلغتهم الخاصة، وانطلاقا من واقعهم الاجتماعي والحضاري والثقافي. فايماننا اليوم يرتكز على ايمان الرسل انفسهم، وبكلمة اخرى على الكنيسة الرسولية التي تعتبر المرجع الذي يملك السلطة لشرح الايمان واعادة التعبير عنه. لذا نخطئ اذا ما اعتقدنا بامكانية الوصول الى الينبوع، من دون الاخذ بنظر الاعتبار كل هذه الاجيال المتعاقبة من المؤمنين.

ولكن المشكلة تأتي من ان الرسل كانوا بشرا مثلنا، ينتمون الى زمان ومكان معينين، مثل يسوع نفسه. وهذا يعني انهم ينتمون الى حضارة وثقافة وواقع معين، لذا يكون تعبيرهم الايماني وفهمهم ليسوع متأثرا بهذه الأطر. فهم لم يتكلموا لغة جامعة تجاوزت الزمان والمكان؛ والصور والرموز والاساليب الادبية التي استعملوها هي الصور والرموز والاساليب الادبية السائدة انذاك. لذا نجد ان "اللغة الكتابية"، في الاناجيل أو في كتابات الآباء الاولين، لغة لا نفهمها مباشرة، لان بيننا وبينها الفي سنة، ولان حضارتنا وثقافتنا المعاصرتين تختلفان جذريا عن الحضارة والثقافة اللتين انطلق منهما الانجيل. مع أننا، هنا في الشرق، ورثة طبيعيون لتلك الثقافة الغابرة، ونملك حسا مماثلا الى حد كبير، على عكس الذين يتعاملون مع هذه النصوص الانجيلية وهم من ثقافات وحضارات مختلفة تماماً، كالمؤمنين في اميركا اللاتينية او افريقيا وحتى في الغرب.

من أجل هذا، تضطرنا الفترة الزمنية الطويلة التي تفصلنا عن الرسل الى اعادة التعبير[٢] عما هو اساسي في الاناجيل، أي في محتوى الايمان الرسولي الذي عبر عنه الرسل في لغتهم الخاصة. فمن صميم رسالتنا اليوم، التعبير عن هذا الايمان بلغة معاصرة، أي بصور واساليب ادبية تُلائم اليوم.

ان اعادة التعبير لازمة لتوفير استمرار الحياة الفاعلة بالروح القدس في الكنيسة، ويجب ان تتم انطلاقا من خبرتنا الانسانية وثقافتنا نحن. ولكن عندما يدّعي البعض، بشيء من السذاجة المؤلمة، انهم قادرون على فهم النصوص الانجيلية مباشرة من دون وضعها في اطارها التاريخي، فانهم لا يحترمون هذه النصوص، اذ يستاصلونها من

(٢) انظر مقالنا: "الله يلتقي بالانسان في المسيح" (ف.م. نيسان ١٩٧٩).

جذورها، فتأتي معبرة عما يعتقدونه هم، لا عن ايمان الرسل، وهذا يختلف تماما عما ذكرناه في ضرورة اعادة التعبير.

ثم لا ننسَ ان الله كشف عن ذاته في حدود الخبرة الانسانية المعاشة في الزمان والمكان؛ فتجاهل هذه الحقيقة انتقاص من واقعية التجسد الالهي في التاريخ البشري الذي يعتبر بمثابة حجر الزاوية في الايمان الرسولي.

• كيف تتم "إعادة التعبير" عن الايمان الانجيلي؟

في عملية اعادة التعبير هذه، يتضح دور الكنيسة، أي دور جماعة المؤمنين التي تسلمت من يسوع رسالة اعلان الانجيل، البشرى السارة للعالم: "اذهبوا في الارض كلها واعلنوا البشارة الى الخلق اجمعين" (مرقس ١٦:١٥)

عندما نقول ان من وظائف الكنيسة الاساسية التعبير عن الايمان، فاننا لا نقول بانها قد قامت بهذه العملية في فترة من فترات تاريخها، ثم توقفت؛ وكأنها عبّرت عن كل ما يمكن التعبير عنه بصورة نهائية، واكتشفت اللغة الجامعة التي توافق جميع البشر في كل مكان وكل زمان، وان لا حاجة الى اية جهود جديدة. وبتعبير آخر، لا يعتبر ما قالته الكنيسة في شؤون الايمان، من حيث التعبير والصياغة، نهائيا وابديا ومطلقا، وكأن لمقولاتها اللاهوتية صفة الشمولية غير المرتبطة بالزمان والمكان.

ان ما قلناه في الرسل، نقوله في الكنيسة ايضا. فالكنيسة تحيا في العالم ولها تاريخ بشري، أي انها تحيا في كل حقبة من تاريخها ظروفا ثقافية وحضارية معينة، وهذه الظروف تفرض بصماتها على عملية التعبير، بحيث تصبح عملية مستمرة في الكنيسة، والا انقطع التواصل الحيوي بين الماضي والحاضر، أي بين ايمان الرسل وايماننا المستند عليه.

فما يجعل البعض يتألم اليوم، من جراء عدم فهم ما يؤمن به وعجزه عن التحدث به، هو ان الكنيسة، بمراجعها المسؤولة، هي في تأخر في ما يخص أطر التعبير والكلام عن محتوى الايمان بلغة معاصرة؛ اذ ان ما تلقناه في طفولتنا أو حداثتنا من صور واشكال ايمانية، يعود الى انماط حضارية تختلف جذريا عن المناخ الذي نعيشه اليوم، قطريا وعالميا.

يبقى ان ايجاد هذه اللغة الجديدة للتعبير عن الايمان، مسؤولية تشترك فيها جماعة المؤمنين سوية، ولا بد ان يسبق ذلك أو يصاحبه وعي عميق لدى كل مؤمن بعيش ايمانه بجدية والتزام.

• كيف نتكلم عن يسوع المسيح اليوم؟

بعد الذي قلناه في إشكالات اللغة الايمانية، يأتي هذا السؤال في قلب اهتمامات المؤمن المعاصر. ولكن الكلام عن يسوع المسيح لا يتم بوضع الانسان في حالة بحث فكري وعقلاني، بهدف "اكتشاف" حياة يسوع نظريا، وانما يتم عندما يلتقي الانسان بيسوع ويتفاعل حياتيا معه، أي عندما تحصل خبرة ايمانية عميقة تدفعه الى التعبير عنها. وهذا الالتقاء ليس مجرد جهد شخصي أو منفرد، وانما ينبغي ان يكون جهد الجماعة المؤمنة ككل. فالكلام عن المسيح، اذاً، شهادة، **والشهادة فعل حياتي يتفجر على شكل كلمة خلاصية محررة تعلن يسوع المسيح.**

هذه الكلمة تصبح كلمة حية، اذا ما اعطيت بلغة تنسجم واللغة التي يفهمها الانسان، أي اللغة النابعة من ثقافته وحضارته اليوم، والتي تعبر عن وعيه لوجوده الان ولما يريد ان يكون في المستقبل. ومن ملامح هذا الوعي "المعاصر" للانسان، هناك امر اساسي، وهو ان يتجه الانسان بانظاره نحو المستقبل بشكل جوهري. فما يجعل انسان اليوم يختلف عن البارحة، هو وعيه المتطور بأنه لم يصل بعد كماله، وان عليه ان "يخلق" ذاته بشكل مستمر، وعلى النحو الذي يطمح اليه ويتجاوب مع ارادة الخالق الاعظم، الله. من أجل هذا نركز اليوم بشدة على أهمية الحركة والعمل والتطور والتغيير والبناء الخ... فما هو "واقعي" لانسان القرن العشرين **هو "الممكن" وليس "الموجود" فقط.** لذا، فالعصر الذهبي ليس ما كان في الماضي -ولا يصلح الا كمادة للاغتراب- وانما العصر الذهبي امامنا، ويتم تدريجيا في تحقيق ما يمكن تحقيقه من رغباتنا الانسانية المشروعة.

من هذا المنطلق، لا يصبح الكلام عن يسوع المسيح مفهوما من قبل انسان اليوم، ما لم يظهره مسيحا يعطي الامل الفعال لتحقيق العالم الجديد، لتحقيق الانسانية الجديدة. واذا كانت الانسانية الجديدة هي انسانية العدالة والكرامة والحرية التي أتى بها يسوع، فلماذا نلاحظ أن من هم بحاجة حقيقية الى الخلاص والتحرر، الفقراء وضحايا القمع والاستغلال، لا يتجهون الى الكنيسة -وهي حاملة رسالة المسيح- لكي ينهلوا من هذا الامل[٣]. الا يطرح ذلك علينا سؤالا خطيرا؟ ترى لماذا يذهب من هم بحاجة حقيقية للخلاص الى خارج الكنيسة للحصول عليه؟ لعمري ماذا فعلنا بهذا الامل الانجيلي الذي اشرق بالمسيح يسوع على الانسانية؟

(٣) انظر مقالنا: "يسوع الناصري مسيح الفقراء" (ف.م. ت١ ١٩٧٨)

بيسوع المسيح، وعدنا الله ان يكون هو مستقبلنا ومستقبل جميع البشرية، وهذا هو أحد أبعاد السر الفصحي، سر موت وقيامة يسوع المسيح الذي يفتح لنا البـــاب على المستقبل: مستقبل تنتصر فيه الحياة على الموت، لا العكس، مستقبل ينتصر فيه الحب على الحقد والكراهية.

فالبشرية لا تتغير الا اذا تفاعلت مع حياة الله نفسه. واذا كان الله يعدنا حقـــا بمستقبل فريد بيسوع المسيح، فهذا يعني ان الامل الانجيلي ليس غريبا عن مـــستقبل العالم، أي ان مستقبل الحياة السعيدة التي ترتكز على الحب والـــسلام، لا نرجـــوه لانفسنا أو لكنيستنا فقط، بل للعالم أجمع. فالكنيسة تساهم في تصوير شكل المستقبل الذي تستحقه البشرية، والعمل، من ثم، على تحقيق هذا المستقبل، لان الامل الانجيلي ليس حقيقة نظرية بقدر ما هي حقيقة للعمل؛ بذلك يصبح الكلام عن يسوع المسيح اليوم ممكنا: عندما نحس باننا نعيش حقيقة يسوع ونتحرر بها نحن انفسنا، يـــسوع الذي اعطى حياته الى اقصى الحدود من اجل تحرير الذين أحبهم.

فالعالم، بالنسبة للمؤمن المسيحي، ينبغي الا يكون صالة انتظار يجلس فيها، مع شيء من الضجر، بانتظار مجيء الرب. فالامل الذي وعد به المسيح البشرية لا يتحقق بالنسبة لمن يرغب فيه، على طريقة من يستعد للتلذذ بوليمة شهية وهو لا يبدي أي رغبة في اعدادها. ان كثيرا من المؤمنين، عوض ان يسيروا في المقدمة كرواد حقيقيين، نراهم، بمسيحيتهم الجامدة، يفضلون السير في المؤخرة وراء الاخرين. لذا نجد محـــور الخلاص يتحول خارج كنائسنا، لان ابصارنا، نحن، بقيت تنظر الى الوراء، الى بعض امجاد الماضي، وكأن الزمن الانجيلي قد توقف. ان الامل الانجيلي لا يتحقق الا بالعمل في بنائه في قلب البشرية.

لذلك نقول بان الكلام عن يسوع المسيح يتم من خلال لغة منسوجة من لحم ودم الحياة التي نعيشها.. لغة تعبر بصورة ملموسة ومعاشة عن هذا الامل الذي وعد به يسوع البشرية.

مفهوم الانسان
على ضوء سر الأوخارستيا

الانسان بحاجة عميقة الى الاحتفال باحداث حياته المهمة، وحاجته هذه تشكل بعدا حيويا وجوهريا من ابعاد وجوده الانساني، طبقا لما يريد اضفاءه من زخم ومعان لبعض جوانب هذا الوجود. وقد يكون انساننا المعاصر في حالة فقدان للكثير من معطيات هذه الحاجة الاساسية وتحقيقاتها الفعلية في حياته، وذلك لاسباب عديدة، منها انغماسه في دوامة الحياة، أو انسحاقه تحت وطأة القمع والاستلاب والحرمان حتى الفناء المعنوي، اضافة الى الانحراف الذي يفرزه تطور العقلية العلمية الحديثة الذي لا يقيم أي وزن الا للامور "الجادة"، أي بمعنى المنتجة التي تحقق له ربحا كميا معينا قابلا للوزن والقياس. وهذه العقلية جعلت من الانسان المعاصر كائنا انفراديا لا يهتم بما يغذي وجوده الانساني بكامل ابعاده، وانما آدمي جل اهتمامه في العمل المجرد الذي يؤدي الى الانتاج المادي لا غير. انسان آلي او آلة انسانة، وفي احسن الاحوال "انسان نخاعي" (Cérébral) لا يعمل الا بحسب قياسات الدماغ العقلاني البارد ويترك بُعد القلب والروح جانبا.

من هنا نجد اناسا لا يرون في الايام المخصصة للاحتفال، كالعيد مثلا أو يوم العطلة، سوى نوع من مضيعة الوقت وهدر الزمن، وتراهم يحسون في مثل هذه الايام بالضجر ويتمنون لو انها لم تفرض عليهم. ومع ذلك نجد ثمة حنينا في قلب الانسان الى العيد، والى امكانية الاحتفال جماعيا بشيء ما. فما هو المعنى العميق لهذا الحنين، وما هي الابعاد الوجودية والانسانية للعيد، للاحتفال؟

الاحتفال، أو العيد، يبدو لاول وهلة كنقيض للحياة اليومية الاعتيادية، أي كنفي للرقابة وللروتين اليومي الذي يحياه الانسان. ان حيويته وديناميته الذاتية تناقض استكانة الحياة المنتظمة، الهادئة، المقوننة في ظل نظام مبرمج مسبقا من المحرمات

والممنوعات، وضمن قوانين خاصة ينتهي بها المطاف، اذا انسحبت على فترة طويلة، الى ان تبدو له قمعية ومقيدة. لذا لا يوجد "احتفال" بالمعنى الحقيقي للكلمة من دون كسر للطوق، أي من دون تجاوز للقوانين والعادات المألوفة والرتابة اليومية. وللاحتفال قوانينه الخاصة وطبيعته المختلفة باختلاف اهدافه ومناسباته وأطره الجغرافية والاجتماعية ودوافعه الوجدانية.

ففي الكرنفالات الشعبية، مثلا، أو المهرجانات، نجد الكثير من الامور (كالحركات، والزي، والمواكب المطهمة، والمظاهر الخطابية والتمثيلية والتهريجية، وجو الانطلاق والبهجة...) تحدث بجرأة عجيبة، ولا يمكن للمرء تصور امكانية حدوثها خارج نطاق هذه الكرنفالات أو المهرجانات: فهذا الرقص في الشوارع أو في الهواء الطلق في المسيرات الاحتفالية أو الاعراس، ولبس الاقنعة والتسكع من بيت الى بيت في ساعات متأخرة في ليلة عيد رأس السنة، والحركات البهلوانية أو تقليد الاصوات أو السرد الايمائي المضحك، واجواء الابهة والاضواء في عشاءات المناسبات... وهذه كذبة نيسان التي يسمح الانسان فيها لنفسه بمخالفة الاعراف والتقاليد وايقاع الغير في مصائد معينة لغرض التسلية... وغيرها وغيرها مما يستنبطه المرء للاحتفاء والاحياء والاستذكار.

في كل هذه الامور نجد عنصرا اساسيا مشتركا هو الانعتاق من رباطات المألوف والراهن، بخلق جو من الانشراح والامتداد الى عالم اكثر رقة وشفافية غير الذي نحن فيه. انها عملية تفجير لقوى مكبوتة بفعل القوانين والضغوط والضوابط التي يعيشها الانسان اعتياديا في حياته المنظمة اليومية. ولهذا نستطيع ان نقول، بعبارة ابسط، أن "الاحتفال" أو "العيد" ياتي كحدث غير اعتيادي في خضم الحياة الاعتيادية.

لنأت الان الى تحليل ظاهرة "الاحتفال" ضمن النشاطات الاجتماعية للانسان:

• الاحتفال خبرة مكثفة لعالم جديد

ان الاحتفالات في المجتمعات البدائية، كما يحللها علماء الاجتماع، هي خبرة تقود الانسان الى الدخول في عالم مثالي خاص؛ وتتضمن هذه الخبرة عنصر التجديد الوجداني، يعيشه المرء بروح من العفوية والشفافية. فالاحتفال يعتبر مثل "لعبة" تحدث في زمان ومكان معينين، وفي هذه "اللعبة" يبطل مفعول القوانين والانظمة الاعتيادية لتحل محلها مقاييس وقوى خارقة العادة. فاذا اردنا تحليل القواعد والاسس التي تجعل من الاحتفال دخولا في عالم جديد، نرى فيها عناصر اربعة، وهي:

١ – الاحتفال يفترض مدة محددة من الزمن: اذا كان الاحتفال يعني الخروج من الحياة الاعتيادية، فهذا "الخروج" لا يعني انه يطول لزمن غير محدود، كما لا يمكن لهذا الحدث ان يتم خارج الزمن، والا لما كان حدثا انسانيا.

لذا لا بد من الاخذ بمبدأ التقيد الزمني للاحتفال، من جهة، ومن جهة اخرى تخصيص الزمان اللازم ليفعل الاحتفال مفعوله. ففي المجتمعات البدائية، كانت بعض الاحتفالات تستمر احيانا عدة اسابيع، أو عدة اشهر، تتخللها فترات للراحة تتراوح بين اربعة أو خمسة ايام، كعيد المظال والفصح عند اليهود اللذين كانت احتفالاتهما تمتد الى اكثر من يوم.

٢ – الاحتفال تظاهرة جماعية: فهو يفترض مساهمة الجميع بشكل يعبر عن وحدتهم وتضامنهم، بعضهم مع البعض. انه ينفي الفردية بشكل قطعي ولا يمكن ان يكون هناك حالات انعزال أو عدم اشتراك ابان الاحتفال.

٣ – الاحتفال فعالية شعرية وفنية: ان الاحتفال ليس فعلا اعتياديا يقضيه المرء كما يقضي أي نشاط حياتي آخر. ولما كان يستهدف ابعادا اوسع من الحدث المادي المتزامن، فهو يدخل في نطاق الفعاليات الفنية المتعددة البنى والتعابير. وهكذا يعبر عن طبيعته واهدافه بواسطة وسائل متعددة ومتنوعة كالكلمة الشعرية، والرموز، والتراتيل، والغناء، والرقص، والتمثيل، واستلهام الاساطير والقصص التاريخية، واعادة بعض المشاهد الحياتية من الماضي...

فالاحتفال، اذن، عالم ينسجه الخيال بشكل ايحائي مثير لكي يعبر عن الواقع المعاش، وخاصة عن الطموحات المستقبلية. لذا فهو يتضمن، في أساسه، عنصر الامل الفعال لتحقيق هذه الطموحات. انه فعل يمتد نحو امام ويسمو بالمرء الى فوق ويكثف طاقاته التعبوية نحو الافضل.

٤ – الاحتفال وسيلة للاقتراب من "عالم القدسيات": والمقصود "بعالم القدسيات" هنا العنصر أو العناصر المقدسة، أو الشخص الالهي المبارك، المتره عن رجاسة الانسان، والمحاط بالقدسية والماسك بيده اقدار البشر (الالهة القديمة وعالمها الخاص بنظر عبادها، الله سبحانه وتعالى خالق السماء والارض وماسك الوجود بقدرته، وعالم الروحانيات والقدسيات التي ترفع المرء فوق محدوديته فتسمو به نحو الله الاب محب البشر ومقدسهم).

هذا "العالم" يختلف بطبيعته وسبل الاتصال به عن كل ما نعرفه، لذا فهو يفترض وسائل معينة خاصة للاقتراب منه. وما "الطقوس" المعينة التي تتخلل وتكوّن الاحتفال

الا "لغة" التخاطب والتعامل والدخول في اتصال ومشاركة مع هذا "العالم الاخـــر". من هنا لا يمكن اعتبار "الاحتفال" مجرد وقت للتسلية والراحة، وان كان يبدو ظاهريا كذلك، ولا هو مجرد سرح في الخيال. فالانسان لا يحقق القطيعة مع حياته اليوميـــة لمجرد ان يستسلم للارتخاء الغيبي اللامسؤول في عالم الخيال والاحلام، وانمـــا لكـــي يتحسس الحقيقية الاخيرة لهذا العالم الذي نعيش فيه، أي البعد اللامنظور والالهـــي لعالمنا المادي المنظور. وهذا بالذات هو موقف مقدس بالنسبة للانسان.

فالاحتفال لا يبطل الحياة اليومية، ولكنه يظهر فيها لكي يعطيها معناها الانساني الخفي والذي تكشف عنه قدرة الانسان على الخيال والحلم، أي قدرته على تجـــاوز الحدود الواقعية الملموسة التي يعيشها، الى عوالم وطموحـــات يرنـــو الى اختبارهـــا وعيشها. فاحتفال الانسان بطقوسه وأعياده لا يتم بقوته وحدها فقط، وانما يـــدعو فيها ايضا الى قوة اخرى خارقة تجعل المستحيل ممكنا، وترفع الانسان الى مستوى من السمو وكأنه يعيش فعلا خبرة جديدة وللمرة الاولى، أي وكأنه يحيا في الحالة البدائية من جديد، وعليه ان يعيد خلق الاشياء، خلق حياته والعالم كله معها. ذلك ان "الحالة البدائية" وعملية "الخلق" هما، في وجدان الانسان وخياله الايحائي، بمثابة "حالة البراءة والنعمة" قبل ان يتدنس العالم بالشر: انهما "مرحلة القداسة او القدسية" ("الفردوس المفقود" عند بعض الشعراء والمتصوفين).

فالاحتفال هو، اذن، في بعده الجوهري عملية ولادة جديدة للحياة الانسانية.

في عالمنا المعاصر نجد ان الحياة المدنية قد تعقدت و "تسطحت"، أن صح القول، نتيجة تأثير عملية التصنيع والتطور التقني، بحيث اصبح الانسان يهتم بشكل محمـــوم يدعو الى التساؤل بالانتاج المباشر والكسب المادي باي ثمن، بالمحسوس والاستهلاكي الاني، وينظر بشيء من السخرية الى الجانب الشعري من الحياة الانـــسانية، بخيالهـــا واحتفالاتها. لذا نجدنا اليوم نفتقر أكثر فاكثر الى هذه الاحتفالات التي تجعلنا نتحسس ونعيش خبرة الامل بعالم جديد، ونفقد بذلك البعد الروحي والانساني لوجودنا.

ولكن اذا انحسرت ذهنية الاحتفالات عما كانت في العالم القديم، "فالاحتفال"، من حيث هو ضرورة حياتية واجتماعية لكسر طوق الرتابة وتحريك الواقع، ســـيبقى عنصرا مهما في تركيبة العلاقات الانسانية. فهناك خبرة نمارسها جميعا، وهي الاحتفال بتقاسم الطعام حول مائدة واحدة تعد لهذا الغرض. ففي مثل هذه الاحتفالات نأكل اصناف الاطعمة، غير ان الاكل هنا ليس لمجرد سد الجوع ولا حتى لمجـــرد التغذيـــة، وبالاكثر ليس لان المشتركين بالمائدة ليس لهم طعام في بيوتهم ذلك اليوم! فللطعام هنا

وظيفة اخرى غير الاكل: انها وظيفة مشاركة حياتية (الخبز الواحد مصدر واحد لحياة المشتركين)، وابراز الفرح بالتقاء الاصدقاء أو الاقرباء، وحافز لاندماج اكبر بين المشتركين (ومع الذي على شرفه أو ذكراه يتقاسمون الطعام).

فاذا كان الانسان يحاول، بالاحتفال، تثبيت مقدرته على السيطرة على حاجاته الغريزية، ففي "احتفال المائدة" لا يكون الانسان مسيَّرا بما تفرضه او تمليه عليه غرائزه، ولكنه يتجاوز الكثير من القيود والحدود، وكأن الاحتفال هو المناسبة أو الفرصة المهيّأة ليختبر فيها انطلاقا وحرية لا يجدهما في حياته الاعتيادية.

ثم ان المادبة الحقيقية لا توجد هكذا تلقائيا، بل يُصرف الكثير من الوقت والجهد في إعدادها -وفي تناولها ايضا، كما يشترك كثيرون في هذا الاعداد، وهذا كله يخلق جوا خاصا. فهي، اذن، فعالية جماعية واجتماعية معا، فيها يحس الانسان بوجوده المتعلق بالاخرين، فيشعر بضرورة الاخر، وبان حياته ليست لذاته فقط، وانما هي بعلاقة وثيقة مع الاخرين. فعندما نختبر معا هذه الخبرة، أي الاشتراك في تناول الطعام على مائدة واحدة، في جو من الصداقة والالفة العميقة، متبادلين الاحاديث والشجون، نشعر باننا صلة وتواصل، وباننا نعيش لحظات قدسية.

• الاحتفال الاوخارستي وخبرة العالم الجديد

هذا كله نجده مكثفا، وباسمى صوره، في عشاء الاوخارستيا، أي القداس. ان الاوخارستيا هي احتفال من دون أي شك، بل انها قمة الاحتفال المسيحي، وفي قلب هذا الاحتفال نجد حضورا مركزيا لاحداث الليلة الفصحية ولابعادها الخلاصية، كما سردها الانجيليون المعاصرون لها، وكما فهمها وتشبّع بها المسيحيون الاوائل. فمنذ الاجيال المسيحية الاولى، بل من عهد الرسل، كان يجري هذا الاحتفال خلال حفلة عشاء خاصة. اليس ان المسيح انشأ الاوخارستيا في اثناء عشاء، العشاء الفصحي الذي "احتفل" به مع تلاميذه لاحياء ذكرى انتقال الشعب من نظام العبودية الى ارض الحرية. هذا الفصح الذي احتفل به الشعب، برموزه وابعاده جيلا بعد جيل، وصل به يسوع الى كماله، بموته وقيامته. ولقد فهم المسيحيون الاولون ابعاد هذا "العشاء الفصحي الجديد" في تاريخ الخلاص، على ضوء موت يسوع وقيامته. وهكذا كانت الاوخارستيا احتفالهم الذي يوحدهم ويميزهم ويبعث فيهم الفرح ويدفعهم الى الشكر (هذا هو معنى عبارة "اوخارستيا")، فيبدون للكل، "كجماعة الاخوة السعداء":

"وكانوا مواظبين على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلوات... وكانوا يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بغبطة وسعادة. يسبحون الله، وينالون حظوة عند الشعب كله. وكان الرب كل يوم يزيد عدد المخلّصين". (اعمال ٢:٤٢، ٤٦-٤٧)

اننا نشعر أحيانا أن هذا القداس أو ذاك، الذي عشناه، كان فعلا "احتفاليا"، ليس كسائر القداديس اليومية أو بعض قداديس الاحاد. ومنا من عاش خبرة فريدة في بعض القداديس الخاصة التي تتم في نطاق فرق صغيرة في جو من الالفة والمحبة العميقة، يتم فيها تبادل أحاديث حول الحياة الانجيلية وطرق تنميتها. ويتم الاحتفال في مثل هذه القداديس بصورة بسيطة، ولكن عميقة ومؤثرة جدا.

والان، اذا ما نظرنا الى الاحتفال الاوخارستي نظرة تحليلية، نجد فيه العناصر ذاتها التي رايناها في تكوين "الاحتفال" كما وردت في القسم الاول. فالاوخارستيا هي أيضا تشكل نوعا من نفي الروتين اليومي لاهتماماتنا الاعتيادية، وبذلك تعتبر مدخلا لعالم جديد. وهذه العناصر هي:

١- الاوخارستيا تحتاج الى وقت مخصص لها: اذا اردنا، فعلا، أن نعيش الاوخارستيا بكافة ابعادها الايمانية والروحية والانسانية والاجتماعية، فمن الضروري ان نخصص لها الوقت اللازم. فليس من السهولة ان نعيش الاوخارستيا ونختبر مفعولها فينا، اذا "قضيناها" كمن يكمل فريضة ليس الا، ويود انجازها باقل ما يمكن من الجهد والوقت والتركيز. وهذا "الوقت اللازم" المطلوب يشمل عنصرين: أولهما تهيئة الذات، لان الانسان يحتاج الى "فترة تكييف" ليعد نفسه لعيش هذا الوقت المكرس. وهناك بعض الليتورجيات تخصص زمنا لا باس به لتهيئة التقادم والدخول تدريجيا في جو الاحتفال الاوخارستي. وما مدخل القداس حتى التقدمة (في الطقس اللاتيني) وحتى رتبة السلام (في الطقوس الشرقية)، أي ما نسميه "بليتورجيا الكلمة" الا لتهيئة الذات في جو من التقبل والاستغفار والمصالحة. أما العنصر الثاني، فهو حسن الاداء، ويشمل اضفاء روح الصلاة والعبادة على جو الاحتفال (هدوء الحركات، عمق الكلمة من دون ان تفقد بساطتها التعبيرية، وضوح اللفظ، الانشودة المتقنة، اختيار النص الكتابي الملائم...). فاذا قصد الناس الاحتفال الاوخارستي، ليس لكي "يشهدوا" طقوسا غير مفهومة تتم على عجل وكأنها هرولة كلامية؛ إلا ان الاستطالة والتباطؤ ايضا غير مرغوبين.

٢- الاوخارستيا هي احتفال المؤمنين، فهي بذلك "اشتراك": لا يوجد اوخارستيا من دون جماعة المؤمنين.

هكذا نشأت حول يسوع في العشاء الاخير، وهكذا جددها الرسل منذ البداية في بيوت المؤمنين وباشتراكهم، و لم يحدث قط أن أقام أحد الرسل الاوخارستيا لذاته وحده! فالاوخارستيا، منذ ولادتها ومنذ ممارساتها الاولى، كانت "احتفالا"، والاحتفال لا يكون احتفالا الا بطابعه الجماعي.

فالشعب المؤمن في القداس هو الذي يخلق الاحتفال حقيقة، وهذا الاحتفال لا يمنح امكانية الاشتراك للجميع وحسب، بل تبطل "احتفاليته" اذا لم يمنح هذه الامكانية، أو اذا لم يشترك المؤمنون فعلا في أحداثه. وتأخذ المشاركة الفعلية اوجها عديدة، اولها الاجابات التي تشكل حوارا بين الكاهن والجماعة. وكذلك بتأدية التراتيل الجماعية وعن طريق حركات الجسد.. وخاصة عندما يتناول الجميع من الخبز الواحد والكاس الواحدة، رمز الاخوة والمساواة، متجاوزين بذلك اختلافاتهم، ولربما خلافاتهم.

هكذا اذا كان القداس احتفال الجماعة المسيحية كجماعة متآلفة، وليس كافراد جمعتهم الصدفة؛ أي اذا كان القداس فعل الكنيسة ككنيسة، فالاشتراك في الاحتفال الاوخارستي هو شهادة لعضويتنا في هذه الكنيسة الاشمل.

٣- الاوخارستيا هي فعالية تجعلنا ندخل في عالم من الرموز والشعر: ان الاوخارستيا ليست دروسا لاهوتية تلقى على المؤمنين، ولكنها ممارسة ايمانية تجعلنا نشعر ونعيش ما يريد اللاهوت ان يشرحه لنا. فاذا كان التعبير عن الايمان وعن الوحدة في المحبة والشركة من مقومات القداس، فللاحتفال الاوخارستي أيضا جانب تنشيئي على الايمان والرجاء والمحبة. انه يشكل عملية فعلية وتمرسا على الايمان والصلاة والبحث الروحي والحس الكنسي والانساني.

غير أن للاحتفال الاوخارستي لغته الخاصة، وهي لغة الرمز والشعر والاستذكار والانشاد والموسيقى، وكلها وسائل للتأمل والولوج الى أعماق الذات وبث الحماس والتعبئة. وفي بعض المجتمعات (أفريقيا) يدخل عنصر الرقص الايقاعي في التعبير عن عمق ما تحمله الاوخارستيا من ابعاد. فاذا كان "الرمز ضروريا للحياة لانه اكثر ثراء في التعبير عن تعددية الاوجه المعاشة أو الطموح اليها، فضرورته أكبر في الليتورجيا، وفي غيابه تصبح سطحية، مكشوفة، باردة، تعجز عن النفاذ الى القلب"[١]

(١) راجع القداس، حدث ووظيفة: ف. م. نيسان ١٩٨٣.

٤- الاوخارستيا هي احياء لذكرى: أي جعل ما حدث في الماضي حدثا يتم اليوم. فالاوخارستيا هي احياء للحدث الرئيسي في حياة كل مؤمن، الا وهو عبور المسيح الخلاصي من عالم الانسانية القديم الى عالم القيامة الجديد. الاوخارستيا هي جعل هذا الحدث -وقد وقع في زمن معين ومكان معين- حدثا معاصرا وواقعيا اليوم لكل مؤمن يشترك فيه، ومصدرا لخلق دائمي لعالم جديد، عالم الحياة مع الله، بالمسيح يسوع، بواسطة الروح القدس. وهنا تكمن جذرية الجدة المسيحية للاحتفال الاوخارستي، مقارنة بالاحتفالات البدائية والقديمة. فهذه الجذرية تكمن في جعل الاحتفال الذي نعيشه اليوم بمثابة "نبوءة"، أو تذوق مسبق للاحتفال الذي سنعيشه في المستقبل، وكأننا نحيا اليوم معطيات المستقبل بشكل خاص. من اجل ذلك يحتوي الاحتفال الاوخارستي على شمولية خاصة وهي البدء والحاضر والاحتفال النهائي أيضا حول المسيح الاتي في مجده:

"أقول لكم: باني لا اشرب بعد اليوم من عصير الكرمة هذا، حتى يأتي اليوم الذي اشربه معكم ثمرة جديدة في ملكوت ابي" (متى ٢٦:٢٩)

هكذا، فان الاوخارستيا موسومة بفرح القيامة، ولكنها تعاش اليوم بروحانية الانتظار. ولهذا، فهي توجه المؤمنين نحو مستقبل يجدون فيه اكتمال انسانيتهم بالمسيح. انها توجههم من خلال الصعوبات والمحن التي يلاقونها اليوم، لذا فهي صرخة امل ورجاء يعبر عنها كاتب سفر الرؤيا بهذا النداء الذي يضعه على افواه المؤمنين في اخر كتابه:

"تعال ايها الرب يسوع" (رؤيا ٢٢:٢٠)

فاذا ما تساءلنا حول مآل حياتنا الايمانية، من دون الاحتفال الاوخارستي، لوجدناها حياة منغلقة على نفسها، لا تعرف الا ذاتها، منكفئة في حدودها الانسانية، وقد جعلت الله وكأنه ملك لها لا غير، حياة منفصلة عن الطموح الذي يضعه الله في قلب المؤمن بهوة لا يجتازها، فيتكوّر فيها من دون أصل ولا حاضر ولا مستقبل يتوق الى بنائه.

فالاحتفال الاوخارستي يأتي كنوع من التهديم للجدران التي تحدد حياتنا الانسانية والتي تمنع انطلاقها نحو كمال انسانيتها، أي نحو مشاركة أعمق في حياة الله.

فالمؤمن يشترك في عالم قد تجدد بالمسيح: يحيا بين الماضي الذي يستذكره ويستلهمه في فصح المسيح، أي في عبوره من الموت الى الحياة، وبين المستقبل النير الذي اخبر عنه يسوع، متمثلا بعودته بالمجد:

"فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب، الى ان يجيء" (١ قورنتس ١١:٢٦)

ولهذا لا ينبغي ان ننظر الى الاحتفال الاوخارستي وكأنه ضرب من الهروب من حياتنا الواقعية الى عالم الخيال والاوهام، بل ننظر اليه ونعيشه كدخول في حياة الامل التي تشدنا اليها قيامة المسيح.

هكذا، اذن، تكشف الاوخارستيا للانسان معنى الخبرة التي يعيشها انطلاقا من حاجته العميقة الى "الاحتفال"، هذه الحاجة التي تتعدى الحاجة الاعتيادية الى الراحة والترفيه بعد تعب النهار. فالمؤمن، عندما يحس في اعماقه بالحاجة الى الاحتفال الاوخارستي، فهو انما يعبر عن عطش روحي ذي علاقة مباشرة وجوهرية بعملية تجدده المستمرة بجسد ودم المسيح، ومتصل، من ثم، بقضية أصالته المسيحية ونضوجه الايماني.

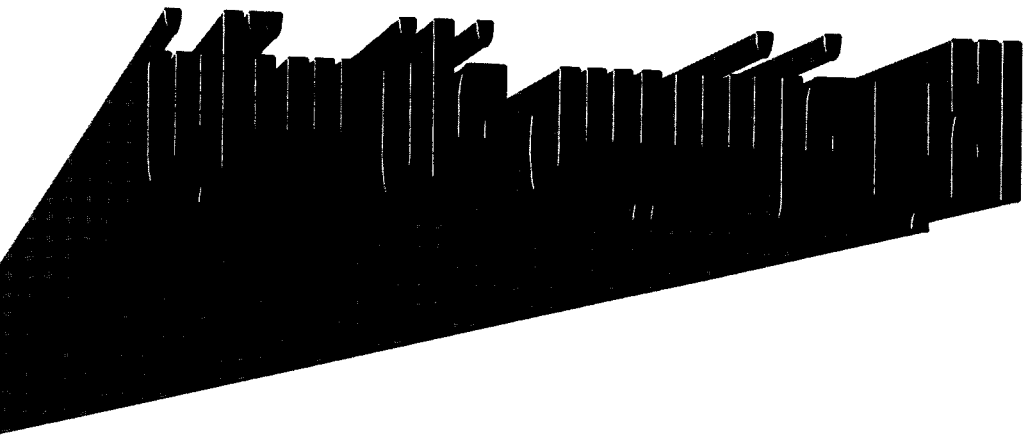

الاب فرنسيس فان ستابن

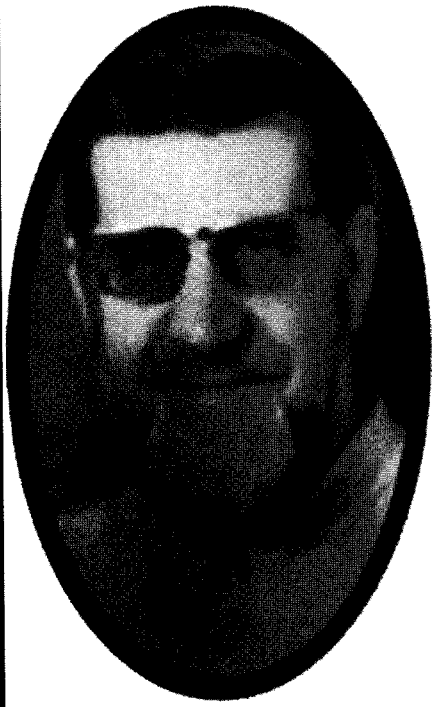

١٩٢٩ – ١٩٩١

ولد الاب فرنسيس فان ستابن في قرية بيفرن (بلجيكا) في ١٩٢٩/١/٢٤. دخل رهبنة الفادي الاقدس (المخلصيين) واعلن نذوره المؤبدة في ١٩٥٠/٩/١٥ ورسم كاهناً في ١٩٥٥/٩/١٥.

جاء مع زملائه المخلصيين، عام ١٩٦٤، إلى بغداد حيث اتقن اللغتين العربية والكلدانية وخدم ووعظ وحاضر في كنائس بغداد قرابة ثلاثين عاماً بهمة وتفان. ودرّس في المعهد الكهنوتي البطريركي. وعمل سكرتيرا في السفارة البابوية.

ولعلّ اهم ما برز به، هو انه دفع عجلة التعليم المسيحي إلى امام عبر لجنة من الشبان والشابات الذين نشّأهم على أسس التعليم واساليبه، في مركز القديس يوسف.

وتميز باهتماماته في مجال السينما، فكان يعرض افلاما دينية واجتماعية في مركز القديس يوسف وفي مراكز التعليم المسيحي، واصدر نشرة لتقييم الافلام ونقدها استمرت قرابة عشر سنوات. كما كانت له هواية رياضية، حتى انه راح ينظم سباقات بكرة القدم للشباب البغدادي.

له كتب عديدة في مجال التفسير والتثقيف المسيحي. وكانت له، في الفكر المسيحي، منذ السبعينات، ٢٣ مساهمة، بينها ٤ في باب "من وحي الانجيل" ومساهمة في باب "اسئلة واجوبة".

توفي في بغداد اثر جلطة مفاجئة في ١٩٩١/١١/٦.

شهادة

الاب فرنسيس كما عرفته، كان بطلاً، طويلاً وقوياً، اشبه بصخرة صلدة لا تتزعزع. في شبابه عمل في الحقل مع الفلاحين؛ وابان الدراسة، كان حارس مرمى في كرة القدم، لا يُغلَب. وفي التمثيل المسرحي، كان يؤثر دور العجوز الهادئ والرصين. وفي الوقت ذاته كان ممتلئا حركة، ولكن بقوة صامتة. حين يدخل البيت، كان يقفز فوق الكراسي، ومن ثم، يعمل، بصمت مع الخشب كنجار ماهر، فيصنع خزانات ويصلح ما كسر او عتق. وفي السرداب، يعد رفوفاً لاستقبال قناني الخمر التي كان يصنعها كل سنة. يحتمل الحر والبرد، ويعمل بجد في إعداد دروس التاريخ للاكليريكيين. فلقد ألّف في الموضوع خمسة مجلدات، كل منها من ٣٠٠ ص. كما كان قد حقق اكثر من ١٥ كتاب بالعربية في مواضيع شتى: التعليم المسيحي، التفسير الكتابي، التاريخ، الروحانية. واضطر احيانا إلى التخلي عن مشاريع كثيرة: فكتابه الاخير عن مريم العذراء بقي غير مكتمل. لقد كانت هذه المواضيع تستقطبه، فكان يجمع، دون كلل، المصادر من كل مكان.

ومع ذلك، كانت له اولويات: فكان التعليم المسيحي قد استحوذ على قلبه. ففي كل اسبوع، كان يقدم دروساً نموذجية لمعلمي التعليم المسيحي؛ وفي يوم الجمعة، كان هو ذاته يذهب ليلقي دروساً على الصغار. وهكذا نشأت حوله حلقة من الشباب الملتزمين الذين كانوا عضداً له في تجديد اساليب التعليم المسيحي في بغداد. ففي كتابه الاخير، باربعة اجزاء، كان قد طرح تفسيراً للعهد القديم على مستوى الصغار.

ولما كان في الماضي واعظاً في الرسالات، كانت له سيطرة تامة على فن الوعظ والحديث عن الرب يسوع ورسالته. وإلى جانب ذلك، كان له حبٌّ خاص للسينما. فمنذ شبابه، كان يجمع معلومات كثيرة وفق نظام خاص يسهّل عليه عملية التنشئة في هذا المجال. ففي مركز القديس يوسف، كان يعرض كل اسبوع فيلماً مختاراً مدعوما بشروح تسهم في اعطاء ثقافة في هذا الفن؛ حتى انه عرف في مراكز التعليم المسيحي بصفته "ابا الافلام"! كما كانت له، بالاضافة إلى ذلك، كفاءة في تصنيف وتنظيم الوثائق والرسائل، فقدم خدمة ثمينة، بصفة سكرتير، في السفارة البابوية ببغداد؛ ونشر كتاباً عن الفاتيكان ودور السفراء البابويين... ففي كل هذه الميادين، كان تفكيره ايجابيا مع تطلعات كبيرة. وهذا البطل الممتلئ ديناميكية للفكر والعمل كان صديقاً للحياة.

لقد كان ينظر إلى كل طفل او رجل او امرأة نظرة خاصة، فيرى فيهم، بالرغم من الضعف والخطأ، إمكانيات حياة؛ وحتى الصخور، كان يعتبرها حبلى بالحياة! الا ان ما يلفت النظر في هذا البطل، لم تكن قوته، وانما حبه للحياة. فلقد كان من كبر النفس بحيث لم يكن يحكم قط على الاخطاء، لا بل لم يكن يلحظها، ولكنه كان يحتملها على امل ان يراها تتغير. ففي بحر طيبته، كان يعرف كيف يحمل صغارات الاخرين كي يحولها إلى نبع حياة.

اشكر الله اني عرفت هذا الانسان العجيب.

بغداد، عيد التجلي ٢٠١٠

للاب فرنسيس ٢٣ مساهمة، نشرت احداها في كتاب "اسئلة واجوبة" (٢٠٠٦) واربـع في كتاب "من وحي الانجيل" (٢٠٨) ومقالة في "المختار من الاعداد الخاصة" (٢٠١٠).

المسيحي والسينما/ملف/ك١ ٧٢

المسيح على شاشة السينما/ آذار ٧٤

الكاهن على الشاشة (١)/ أيار ٧٤

الكاهن على الشاشة (٢)/ حزيران ٧٤

الكاهن على الشاشة (٣)/ آيلول ٧٤

مناقشة حول قانون الايمان (١)/ شباط ٧٥

مناقشة حول قانون الايمان (٢)/ اذار ٧٥

مناقشة حول قانون الايمان (٣): نؤمن/ نيسان ٧٥

الايمان... ما معناه في عصرنا (٤)/ آيار ٧٥

نؤمن بالله (٥)/ أيلول ٧٥

نؤمن بالله (٦)/ ت٢ ٧٥

الثالوث الاقدس (٧)/ شباط ٧٦

اومن بالله الاب الضابط الكل(٨)/ نيسان ٧٦

الله خالق السماء والارض(٩)/ أيار ٧٦

خالق كل ما يرى وما لا يرى (١٠)/ أيلول ٧٦

نؤمن بيسوع المسيح (١١)/ ك١ ٧٦

شارلي شابلن، عبقري الفن السابع/شباط ٧٨

- الكاهن في افلام الوسترن / آذار ٧٨ (اسئلة واجوبة/ص٨٥)
- قراءة الكتاب المقدس على ضوء القيامة/ خاص، ت١-ت٢، ٨٢ (المختار/ ص١٧٠)
- يسوع ابن الله/انجيل/ك٢-نيسان ٩١(من وحي الانجيل/ص٢٥٠)
- التتلمذ ليسوع/ انجيل/ أيار-تموز ٩١ (من وحي الانجيل/ ص٢٥٢)
- كيف نتكلم عن الله/ انجيل/ آب-ت١ ٩١ (من وحي الانجيل/ ٢٥٤)
- اسرار ملكوت الله/ انجيل/ ك١ ٩١ (من وحي الانجيل/ ص٢٥٧)

نظرة إلى مقالات الاب فرنسيس المخلصي تكشف لنا محورين لحياة الايمان بين مقال ومقالة مع الشباب حول قانون الايمان من جهة، والنظرة المسيحية إلى السينما -وبالاخص صورة المسيح والكاهن- من جهة اخرى. فالسنتين الاوليين احتلت مكانا مرموقا على صفحات السبعيات، إلى جانب مقالة رئيسية في العدد

• **المسيح على شاشة السينما** (آذار ١٩٧٤/ص١١٢)

استعراض رائع لصورة المسيح في السينما، منذ بداياتها مع فيلم "الآلام" للاخوين لوميير عام ١٨٨٦، وحتى المسرحية الغنائية الرائعة "يسوع المسيح، النجم المتألق" التي كان لها رواج كبير في اوائل السبعينات، وحولت من ثم إلى فيلم عام ١٩٧٣ -وكان الاب فرنسيس قد لمّح في المقال إلى فيلم "حياة يسوع العاطفية" الذي اثار احتجاجا شديداً قبيل انتاجه...

• **الكاهن على الشاشة** (ايار ١٩٧٤/ص١٨٤؛ حزيران ١٩٧٤/ص٣٣٢)

اكثر من ١٠٠ فيلم -باستثناء افلام القديسين والبابوات- منذ الثلاثينات وحتى السبعينات، كانت أمام عين الآب فرنسيس الناقدة، عبر ثلاث مقالات متتالية؛ اثبتنا منها هنا المقالين الاولين اللذين استعرضا الافلام التي تضمنت دوراً رئيسيا للكاهن. ففي المقال الاول، استعرض الافلام المنتجة من الثلاثينات حتى الخمسينات، وفيها تختلف صورة الكاهن بحسب المخرجين والبلدان المنتجة، بدءاً من "سان فرنسيسكو" (١٩٣٧) وحتى "ذات يوم في روما" (١٩٥٥). اما المقال الثاني، فتناول الافلام من الستينات إلى السبعينات، من مثل "لا ينام الشيطان ابدا" (١٩٦٢) و"الارض المقدسة" (١٩٦٨) و "قضية حب" (١٩٧١)...

• **مناقشة حول قانون الايمان/١** (شباط ١٩٧٥/ص٥٨)

انها سلسلة مقالات عكست مناقشات الشباب المسيحي، بدءا بماهية "قانون الايمان"، كما خرج من مجمع نيقية المسكوني (٣٢٥) وما تضمنه من توجهات رئيسة لا يحدّها الزمان... واسقطنا الحلقة الثانية التي تناولت قانون الرسل في مقارنة مع قانون نيقية (آذار ١٩٧٥).

• **مناقشة حول قانون الايمان/٣: نؤمن** (نيسان ١٩٧٥/ص١٦٣)

في هذه الحلقة، دار النقاش حول الشك في الايمان وإلى أي مدى يتحول الشك إلى يقين، سيما وان قضية الايمان بالله هي قضية الايمان بالانسان، وهل يمكن أن يعيش الانسان من دون الله؟ فالايمان هو بالتالي مسألة البحث عن معنى الوجود. وقد تناولت الحلقات اللاحقة الايمان بالله وبالثالوث حتى يسوع المسيح (الاعداد ايار ١٩٧٥ إلى ك١ ١٩٧٦).

• **شارلي شابلن، عبقري الفن السابع** (شباط ١٩٧٨/ص٨٢)

وكان لا بد ان يُخص شارلي شابلن بمقال، غداة وفاته، وهو ذاك الكوميدي الكبير الذي اضحك مشاهديه بقدر ما لفت انتباههم إلى مآسي المجتمع، ولا سيما إلى التفاوت الصارخ بين الاثرياء والفقراء. ووفاه الاب فرنسيس حقه إلى حد ما، حين استعرض لنا بعضا من افلامه الـ ٨١، من فيلم "كسب العيش" (١٩١٤) وحتى "كونتيسة من هونغ كونغ" (١٩٦٧)، مروراً بـ "البحث عن الذهب" (١٩٢٥) و "العصور الحديثة" (١٩٣٦) و "الدكتاتور" (١٩٤٠)... وسنبقى نذكر ما كتبه عن امه التي اضاءت امامه نوراً يطفح بالخير... "نوراً غذّى الادب والمسرح باعظم واغنى مواضيعهما: الحب والرحمة والانسانية"!

المسيح على شاشة السينما

لقد بلغ فن السينما العام الثمانين من وجوده، وفي هذه المناسبة يجدر بنا ان نلقي هذا السؤال: ما هو، يا ترى، مكان المسيح في هذا الفن الجديد؟

بالرغم من ان الكنيسة كانت بعيدة عن السينما في فجر ظهورها، هناك افلام عالجت مواضيع ذات صلة بالمسيح منذ خطوات السينما الاولى. فنرى، مثلا، ان الاخوة "لوميير" (Lumières) اخرجا قصة الآم المسيح (La Passion) منذ عام ١٨٩٦، كما اخرج "ميليز" اعجوبة سير يسوع على مياه البحر سنة ١٨٩٩؛ أما المخرج الفرنسي الاخر "زكا" (F.Zecca)، فقد عالج قصة الام المسيح في سنة ١٩٠٤، وكان قد عالج، قبل هذا الفيلم، قصة "كوفاديس" (١٩٠٢) باشراف شركة "باتيه" (Pathé).

لا شك ان هذه الافلام كانت قصيرة جداً بحيث ان طولها كا يتراوح بين دقيقة واحدة وعشرين دقيقة. وكان الشعب المسيحي يحب هذا النوع من الافلام. وبما ان معظم الخورنات لم تكن تملك قاعة للسينما، فقد عرضت هذه الافلام في البداية في الكنيسة بالذات، لذا تدخل مسؤولو الكنيسة، ولاول مرة، في امور السينما ومنعوا عرض تلك الافلام في الكنيسة، لانهم اعتبروها غير مناسبة في هذه الاماكن المقدسة، وكان ذلك في عام ١٩١٢.

كان اول فيلم طويل عالج حياة السيد المسيح يدعى "المسيح" من اخراج "أنتومورو" الايطالي (١٩١٦). وقد لاقى هذا الفيلم نجاحا كبيرا بحيث انه عرض في العالم كله. كان اخراجه عظيما بالنسبة الى ذلك الوقت، فقد كان يحتوي على مشاهد اشترك فيها عدد ضخم من الناس، وقد حاول المخرج الحفاظ على الاطار الكامل للوضع التاريخي.

لقد كانت المشكلة الكبرى -ولا زالت هذه المشكلة قائمة- ان نشاهد شخصية المسيح معروضة بقيمتها الفائقة الطبيعة. وقد حاول المخرج الامريكي "فريد نيبلو" ان يعبر عن هذه القيمة في فيلمه "بن هور" (١٩٢٦)، باسلوب خاص، قوامه ان يجعل المشاهد يشعر بحضور المسيح، بسماع صوته فقط من دون ان يشاهده، فيتركز الانتباه على وجوه المشاهدين، باتجاه شخص المسيح المتكلم الخفي. وقد ظهر ذلك بصورة خاصة في مشاهد درب الصليب حيث لم يشاهد فيها المسيح، بل ظهرت الجماهير وحدها فقط. وقد استخدم غيره من المخرجين الاسلوب نفسه، ولكن بدرجات متفاوتة، ومن هؤلاء الفرنسي "دوفيفييه" الذي اخرج اول فيلم ناطق عن حياة يسوع، هو فيلم "جلجثة" (١٩٣٥). الا ان المخرج الامريكي "سيبل دي ميل" استخدم نهجا مغايرا، فقد اخرج افلاما عديدة مقتبسة من الكتاب المقدس، فيها يشاهد المسيح بصورة واضحة. غير ان هذه الافلام اعتبرت من النوع التجاري وخالية من القيمة الدينية، ومن بين افلامه فيلم "ملك الملوك" (١٩٢٨).

اما في الاربعينات والخمسينات، فقد ازداد انتاج الافلام الدينية، وذلك بفضل نشاط اللجنة الكاثوليكية للافلام. وكان الاهتمام الاول في هذه السنوات منصبّاً على اعطاء مكان لائق للدين في عالم السينما، وقد انتجت فعلا افلام كثيرة حول مواضيع دينية. كانت الاولوية فيها لشخصية المسيح او بشارته. وكان الاب "بيتن" (Peyton) محور الحركة في تلك الحقبة، حتى انه نجح في اقناع ممثلين معروفين من هوليود للمشاركة في انتاج افلام تعالج اسرار الوردية.

ووجدت افلام الاب "بيتن" طريقها الى قاعات السينما الاعتيادية، اكثر من افلام تجارية اخرى، ذلك لان شركات انتاج الافلام تحسست، منذ "دي ميل"، ان هذه الافلام تجلب النقود.

من افلام تلك الحقبة فيلم "يوم النصر" (Day of Triumph) (١٩٥٤)، وفيلم "ابن الانسان" (II Figlio del Uomo)(١٩٥٩)، ثم نلتقي بالفيلم الملون "ملك الملوك" (١٩٦١) للمخرج "نيكولاس راي"، وفيلم "اعظم قصة حكيت حتى الان" (The Greatest story ever told) (١٩٦٥). ونستطيع، مؤقتاً، اعتبار هذه الافلام، ولا سيما هذا الاخير، انعكاسا لعقلية الفترة التي تعالجها في هذه المادة، حيث كان اهتمامها منصبّا على تصوير المسيح دون ان تجعل الانسان يتساءل عن قضية البشرية. ان هذه الافلام محفوفة بالاخطار، اذ انها توهم المسيحي بانه نجح فيها في تصوير عقيدته؛ فهل، ترى، يدعو فيها المسيح الى العيش من اجل الله والقريب؟ يخال لنا ان المسيحي في تلك السنوات كان يرمي، قبل كل شيء، الى المجاهرة بايمانه

امام الاخرين، وهذا امر حسن في حد ذاته، الا ان ثمة حركة اخرى كانت تنمو في العالم، وهي تطالب بمعالجة شخصية المسيح، باسلوب اخر يختلف تماما عن رواية قصص الانجيل، ويتجاوزها.

لقد اصبح للمسيح صورة اخرى منظورة رسمتها الروايات القصصية الحديثة، ترى فيها المسيح يتدخل في حياتنا الشخصية، ولا نكون قد جنينا منه شيئا الا اذا تساءلنا عن "وجهه" الالهي وتأثيره على حياتنا اليومية. وقد أُخرجت بعض الكتب في السينما مثل "المسيح يصلب من جديد" (١٩٥٧). وهكذا نلاحظ في الستينات الالحاح على تعليم المسيح الفعلي، اذ كان على المسيحي ان يعيش تعاليم المسيح وليس فقط ان يؤمن به. فالافلام الحديثة تجعل المسيحي امام هذا السؤال: لو رجع المسيح الان، هل يصلب من جديد من قبل الكهنة كما حدث في زمانه؟ وأصبح السؤال الأكبر: اين هو الايمان الحقيقي؟ هل تستطيع، ايها المسيحي، ان تدافع عن اسلوب حياتك امام المسيح؟

وهذا لا يطرح نفسه على المسيحيين فحسب، بل على كل فرد من الناس. وقد يكون فيلم "انجيل القديس متى" (١٩٦٤)، للمخرج الايطالي "بازوليني" ابرز اشارة الى ذلك. لقد كثر النقاش حول هذا الفيلم، لان "بازوليني" رجل غير مؤمن، وقد قيل بان الجانب الخلاصي للمسيح لم ينل الاهتمام اللازم في هذا الفيلم. واذا صح ذلك، فليكن معلوما بان دافع المخرج في هذا الفيلم لم يكن دينيا في الاساس، بيد انه يحترم شخصية المسيح الذي يدعو الناس الى هدف اعلى. واذا لم يقبل "بازوليني" المسيح بصورة كاملة، لا سيما بأهم ما فيه، اعني ملكوت الله، فمن الصحيح ايضا انه يجعل المسيح يطرح سؤالا مفتوحا امام كل انسان عصري.

ونصل اخيرا الى الحقبة التي نحن فيها بالذات، الى السبعينات، فنرى ان المسيح كائن يعيش في ما بيننا. ان عقلية زمننا تُصوِّر المسيح انسانا اعتياديا يمشي معنا في الشارع، ويذهب الى عمله مثلنا، ويدعو كل انسان في أي مكان الى ان يسأل: من هو المسيح؟ وهكذا نشاهد في فيلم "اكتشاف الله" (Godspell) (١٩٧٣) شابا، هو يوحنا المعمذان، يتجول في شوارع نيويورك كي يدعو الناس الى الاستعداد لمجيء المسيح، أو نشاهد في فيلم "يسوع المسيح، النجم المتألق" (Jesus Christ, Superstar) (١٩٧٣) المسيح يصلب في ورشة العمل، ونشاهد الجنود عمالا يعتمرون قبعات الامان. ان هذين الفيلمين يستحقان ان يؤخذا بعين الاعتبار، اذ كانا، بادئ ذي بدء، مسرحيتين موسيقيتين من انتاج وتمثيل الشباب، فيهما ظهر المسيح شخصا يعيش الان ويدعونا الى القداسة الان، وليس فقط شخصا تاريخياً عاش قبل الفي سنة.

ان المسيح كائن يملأ الوجود: حتى ان اعداءه انفسهم لا يستطيعون ان يتركوه على السفح وحده، فينبرون لمقاتلته وحو ذكراه من قلوب الناس: هذا ما يرمي اليه

ذلك الفيلم الدانماركي الي يُنتج حاليا، وفيه يعالجون "حياة يسوع العاطفية"[1]، فلقد قال مخرج هذا الفيلم، في ندوة، انه يقصد ابادة نهائية للاسطورة التي تؤثر على الناس منذ الفي سنة، ولهذا فهو يحاول ان يقلل من عظمة المسيح بعرض مشاهد سلبية تقلل من احترام المسيح لدى الناس! لقد شجب المؤمنون هذه الوقاحة وقاموا بخطوات عديدة لايقاف هذا الفيلم، وارسلت احتجاجات الى حكومة الدانمارك التي تساعد ماليا في انتاج هذا الفيلم؛ اما فرنسا، حيث اراد المخرج ان يصور فيها المشاهد الخارجية، فقد منع عرضه، ومن المحتمل ان لا يُكمل الفيلم. الا اننا نستنتج، من محاولة انتاجه، ان عالمنا لا يستطيع ان يكون حياديا بالنسبة الى المسيح: اما ان يقبله الانسان، او ان يقوم ضده.

الخلاصة

اننا نشهد تطورا كبيرا في عكس صورة المسيح على الشاشة كما يرينا اياها عالم السينما منذ السنوات ١٩٤٠-١٩٥٠ و١٩٧٠. فقد كان الايمان في الفترة الاولى ثابتا، وكان قصد المسيحيين من انتاجهم افلاما عن المسيح، التبشير بالانجيل؛ اما في السبعينات، فنشاهد الانسان يبحث، بكل حرية، عن معنى حياته، ولا بد ان للمسيح دورا مهما جدا في هذا البحث، هل ترى لديه مفتاح لسؤالنا هذا؟

وهكذا اصبح المسيح، من جديد، حجر عثرة لكثيرين. فالمسيح في الستينات والسبعينات ليس لوحة دينية لاطلاق عواطفنا الدينية من مكامنها، بل هو شخص يقدم ذاته وتعليمه لكي نبني عليهما حياتنا.

ففي الوقت الذي يترك كثير من المسيحيين ايمانهم التقليدي، تعبر الافلام عن افكار الحركة الجديدة التي تصرخ امام الكل باننا نحتاج الى المسيح، وبان الانسان لا يستطيع ان يعيش من دون الله ومن دون المسيح. ان العقليات الجديدة في القرون الاخيرة بدأت دوما بنكران الله، فاعلنت "النهضة" مثلا ان العقل هو الاساس الوحيد لبناء الحياة، ويقول "التطور والتكنيك" في زماننا الحاضر باننا لا نحتاج الى الله... ولكن **النور سيرجع دائما كي يضيء في الظلمة.**

فليس من الممكن ان يعيش الانسان من دون المسيح، فيسوع المسيح، كما قال القديس بولس، "هو الامس واليوم والى مدى الدهر" (عبرانيين ١٣:٨).

عدد آذار ١٩٧٤

(١) انظر "الفكر المسيحي" عدد ٢٩ -ت٢ ١٩٧٣ ص٣٩٢.

الكاهن على الشاشة

هذا الموضوع اوسع مما يظن، وسنقتصر في بحثنا على الكاهن الكاثوليكي الاعتيادي، ونستثني متعمدين الافلام التي تعالج حياة القديسين ("القديس منصور" ، "خوري آرس"). كما نستثني الافلام التي تروي حياة البابوات والكرادلة ("الكاردينال منجنتي"، "البابا بيوس العاشر"). وحياة الرعاة غير الكاثوليك ("السمفونية الرعائية"، "الكلمة"، "ايلمر كانتري")، والحياة الرهبانية ("مارسلينو خبز وخمر"). ومع ذلك سيتبقى لدينا اكثر من مئة فيلم يظهر فيها الكاهن؛ وتتوزع هذه الافلام، من الثلاثينات وحتى زمننا المعاصر. وكما هو الامر في أي موضوع آخر، فستختلف صورة الكاهن في السينما بحسب الزمن او البلدان التي أُخرجت فيها الافلام. وبوسعنا ان نقسم هذه الافلام الى قسمين:

١) الافلام التي تتضمن دوراً رئيساً للكاهن (وهي تعالج معنى حياة الكاهن بالذات)
٢) الافلام التي تتضمن دوراً ثانوياً للكاهن

واهميتها تساوي اهمية القسم الاول: لانه في النتيجة، لا معنى لحياة الكاهن اذا لم يعش في المجتمع وللمجتمع. ان دوره دور مخلص ووسيط بين الله والشعب، وينتظر من هذه الافلام ان تعكس كيف يعيش الكاهن هذه الوساطة في المجتمع، وكيف يدل الناس الى الرب.

وفي هذه الافلام نجد ما هو جيد ويستحق كل احترام وتشجيع. وما أُخرج بروح مناوئة للكنيسة، ويعكس حتماً صورة سلبية للكاهن. لن ندخل في التفاصيل، بل سنحاول توضيح صورة الكاهن كيف تنعكس في الفن السينمائي.

وسنقسم بحثنا الى مقالات ثلاث:

المقال الاول: الافلام التي تتضمن دوراً رئيسياً للكاهن من الثلاثينات الى الخمسينات.

المقال الثاني: الافلام التي تتضمن دوراً رئيسياً للكاهن من الستينات الى السبعينات.

المقال الثالث: الافلام التي تتضمن دوراً ثانوياً للكاهن* .

الافلام التي تتضمن دوراً رئيسياً للكاهن

١- من الثلاثينات الى الخمسينات

قليلة هي الافلام التي تتطرق الى الكاهن قبل الثلاثينات، اما في نهاية الثلاثينات، فقد ظهر منعطف مفاجئ بظهور الافلام الاولى في اميركا سنة ١٩٣٧ (القديس فرنسيس San Francisco)، وفي سنة ١٩٣٨ (الملائكة ذوو الاوجه الوسخة Angels with dirty faces). ففي الاول، نشاهد كاهنا يرى نفسه، وقد أُقحم في مغامرة رجلين يحبان المطربة نفسها، اما في الفيلم الثاني، فنرى الكاهن وجها لوجه امام عصابة من اللصوص القتلة، كان دور الكاهن في هذين الفيلمين قصيراً الى حد ما، خلافاً لما كان في فيلم "Boystown" (١٩٣٨) و "Men of boystown" (١٩٤٠) اللذين يمثل فيهما سبنسر تريسي دور كاهن يهتم بتربية شباب مشردين. قد يكون للجنة الامريكية للمحافظة على الاخلاق الحسنة التي تأسست سنة ١٩٣٤، تأثير لا باس به على تلك الافلام، فقد جهدت في أن تعطي للفكرة الكاثوليكية مكاناً مرموقاً في الفيلم، الا أن المنتجين الاميركيين ما كانوا ليفهموا جيدا ماذا عليهم فعله بالادوار الكهنوتية. إلا اننا حين نعود الى افلامهم اليوم، يخال لنا انهم كانوا يحبذون اعطاء الكاهن دوراً وديا، لا سيما للكاهن "العصري". وحين طلب الى المطرب بينك كروسبي ان يمثل دور كاهن في فيلم "انا سائر في طريقي Going my way" (١٩٤٤)، و"اجراس كنيسة القديسة مريم The bells of St Mary" (١٩٤٥)، فكان لا بد ان تتخذ الاغاني مكانها في الفيلم، وفيه ينجح الكاهن في اعادة طلاب عنيدين الى الصلاح. ولكن النقاد الكاثوليك، حتى في اميركا، لم يرضوا عن هذه الافلام، وكان بينك كروسبي يتعجب من كونهم قبلوه في فيلمه السابق وهو يمثل دور سكران، ورفضوه في هذين الفيلمين حيث يمثل دور كاهن. فلماذا يا ترى؟

يتضح من هذا الموقف ان بينك كروسبي هو اول الذين لم يفهموا ان ذلك "الكاهن المطرب" بعيد كل البعد عن الكاهن الاعتيادي الذي يحتاج الى شيء اخر غير الشعور الرومانطيقي كي يجلب الناس الى طريق الرب.

*فيما أثبتنا هنا المقالين مجتمعين، يمكن الرجوع إلى ف. م. ايلول ١٩٧٤، للاطلاع على المقال الثالث الذي يتناول افلاماً، للكاهن فيها ادوار ثانوية.

الا أننا، الى جانب هذه الافلام، نجد في اميركا افلاما اخرى تتسم بعمق ديني يفوق بكثير سطحية تلك الافلام، ومنها "مفاتيح للملكوت The keys of the Kingdom" (١٩٤٤) حيث يمثل كريكوري بيك دور الكاهن فيه. قد يلاحظ المشاهد ان ذلك الفيلم اطول من اللازم، إلا ان ما لا ينكر، هو انه لمس رسالة الكاهن ومعنى حياته بعمق. وموضوع الفيلم يدور حول كاهن مبشر في الصين، باءت دعوته بالفشل، لانه اراد ان يبني ايمان الوثنيين بالمسيح على الحرية الكاملة، وليس على جلب اكبر عدد ممكن من الناس الى المعموذية وباية وسيلة كانت!

وهناك محاولة أخرى جرت في السينما الاميركية ايضا، للتعمق في المعنى الحقيقي للكهنوت، في فيلم المخرج جون فورد بعنوان "الهارب The fugitive" (١٩٤٧)، وقد مثل فيه دور الكاهن هنري فوندا. وموضع الفيلم هو قصة كاهن ابان الاضطهادات في مكسيكو، حين كان الكاهن يتبع توجيهات المضطهدين، ومع ذلك، كان يشعر دوما بضعفه. لم يصل الفيلم الى عمق كتاب غراهام غرين (القوة والمجد) الذي منه أُقتبس، وذلك بسبب اقحام مشاهد مختلفة في الفيلم لتسهيل مشاهدته، بينما اهملت اجزاء مهمة من الكتاب. ولكن الامر الذي بقي واضحاً، هو ان الفيلم يبحث عن شيء في الكاهن يفوق الطاقة الانسانية: ما الذي يجعل هذا الكاهن، شريب الويسكي، ان يكون كاهناً حقيقياً؟ ما الذي يجعل هذا الكاهن الضعيف يمثل المسيح؟

في الواقع هذا هو السؤال الحقيقي الذي يلقيه الفيلم عندما يعالج قيمة الكاهن. اما في أوربا، فقد أعطي اهتمام اكبر للافلام التي تحتوي على دور واضح للكاهن. ومن الافلام التي تتضمن دوراً رئيساً للكاهن نذكر "سيدة موبز Notre Dame de Mouise" (فرنسا-١٩٤٥) وتدور حوادثه حول جهود كاهن يبني كنيسة صغيرة في حي لا يمارس سكانه الواجبات الدينية. اما المانيا، فقد انتجت فيلم "سر الله Das Sigel Gottes" (١٩٤٨)، وفيه تعالج قضية سر الاعتراف.

اذا تركنا جانباً افلام بينك كروسبي التي تخلو من قيمة ذات بال، فبوسعنا ان نقول بان الافلام التي انتجت في الاربعينات تعتبر محاولات جدية للبحث عن معنى الكهنوت. واستمرت الجهود في هذا الخط في الخمسينات، فأُنتجت بعض الافلام في اميركا وفي اوربا تعالج عدم إفشاء سر الاعتراف، منها "أنا أعترف I Confess" (١٩٥٣)، "أومن بالله Credo in Dio" (١٩٥٤)، "الاعتراف Das Beichtgeheimnis" (١٩٥٧). أما فرنسا، فتعتبر أعظم البلدان انتاجاً للافلام التي تحتوي على ادوار كهنوتية: فقد انتجت ثلاثة افلام فائقة الاهمية، وهي: "الله بحاجة الى البشر Dieu a besion des hommes" (١٩٥٠) فيه تحاول

احدى الخورنات ان تدبر امورها الدينية من دون كاهن، فتعين الساعور ليقوم باعمال الكاهن. الا ان ذلك الرجل يعرف جيداً انه ليس بكاهن، ويبرز موقفه هذا في مشهد على ظهر سفينة صغيرة حين تطلب اليه امرأة حامل ان تعترف لديه. وبينما كانت الافلام الثلاثة المذكورة تلح على ان الكاهن يقبل الموت ولا يفشي سر الاعتراف، يوضح هذا الفيلم الفرنسي ان الاعتراف عند شخص غير الكاهن ليس اعترافاً حقيقياً.

أما الفيلمان الاخران، فيبحثان عن معنى وجود الكاهن باسلوب ماهر، وقد اصبحا مدار مناقشات لاهوتية معروفة، اولهما: "يوميات كاهن ريفي Journal d'un curé de campagne" (١٩٥٠) الذي يصف حياة كاهن شاب ذي روحانية متطورة (تمثيل كلود لاندرو) يقبل الدعوة للعيش في الزهد والارشاد الروحي، كي يساعد الناس على السير في طريق الله. إلا أن غيرته العظيمة لم تصل الى نتيجة، وعندما يداهمه الموت بسبب سرطان المعدة، فقيراً، معدماً، وهو في غرفة كاهن ترك الكهنوت، تظهر حياته علانية فاشلة بائسة، حياة انسان ذي نية صالحة، من دون شك، ولكنها فاشلة. ومع هذا كله، كان ذلك الكاهن يعيش، بالرغم من اخفاقه، مع المسيح. أو لم يكن في عريه هذا اكثر قرباً من المسيح الذي مات متروكا على الصليب، مما يبدو كاهن اخر يلقى التشجيع والتفهم؟

اما الفيلم الثاني، وهو بعنوان "خالع الثوب Le défroqué" (١٩٥٣ –بطولة بيير فرني– في دور الكاهن الذي خلع الثوب الكهنوتي) فيعالج سلطان اعطاء الاسرار الذي يملكه الكهنة: في هذا الفيلم نرى كاهنا شاباً، اسيراً في احد المعتقلات، ينال الحلة من كاهن كان قد خلع الثوب الكهنوتي، ونشاهد ذلك الكاهن الشاب نفسه، بعد قليل، في مقهى، وقد ترك الكهنوت هو ايضاً، يلفظ الكلمات الجوهرية على قدح خمر!

فاين سلطان الاسرار لدى الكاهن؟ في هاتين الحادثتين يلقي الفيلم سؤالين مهمين، وهما: كيف يمكن للكاهن ان يغفر الخطايا في المعتقل؟ وهل كان تمثيل القداس في المقهى قداساً حقيقياً مع تحول الخمر الى دم المسيح؟

لم يجب الفيلم على هذا السؤال المزدوج، الا اننا نستطيع القول مع اللاهوتيين بان الكاهن لا يملك ذلك السلطان لذاته، وبصفة منفردة، بل مرتبطاً بالكنيسة، بحيث ان كهنوته يبقى من دون نتيجة اذا أخلاه الكاهن من روح الكنيسة واستخدمه ضد الكنيسة. والكنيسة هي صاحبة ذلك السلطان، لانها مرتبطة بالمسيح، والمسيح هو الذي يغفر الخطايا وهو الذي يحضر بنفسه في سر الاوخارستيا. فالكاهن، في القداس، يملك قوة المسيح، لان المسيح يريد ان يحضر بين الناس، اما اذا اراد الكاهن ان يمثل المسيح ضد قصد المسيح، فأعماله تكون عقيمة.

الى جانب هذه الافلام المهمة نجد في الخمسينات حركة يُستغرب لها لاول وهلة، اذ يبدو ان المخرجين اعتادوا على حياة الكاهن على الشاشة. فقد اخرجوا سلسلة من افلام التسلية، كان الدور الرئيسي فيها للكاهن، نذكر منها سلسلة افلام "دون كاميلو Don Camillo" التي لاقت نجاحاً ضخماً، حتى انها استمرت تنتج حتى بعد موت البطل فرناندیل، اذ استُبدل بممثل اخر. ومع هذه السلسلة نجد كذلك افلاما بوليسية مسلية يكون فيها البطل كاهنا، امثال "الاب براون Father Brown" (١٩٥٥) و "ذات يوم في روما When in Rome" (١٩٥٥).

كانت هذه الافلام الكوميدية تعطي عادة دوراً ودّيا للكاهن الذي يحصل على كل ما يريد، وان كان ذلك باساليب خارقة.

اما اميركا، فتعالج ادوار الكاهن الودية بحسب عقليتها التجارية الخاصة، فقد انتجت فيلم "قديس من جلد The Leather Saint" (١٩٥٣) الذي فيه يحاول كاهن ان يحصل على المال الذي يحتاج اليه لبناء مدرسته، بتزوله الى حلبة الملاكمة. كما انتجت فيلم "اضطرابات على طول الخط Trouble along the Way" (١٩٥٧) حول الفكرة ذاتها، الا انه استبدل الملاكمة بلعبة الكرة. ويعود بينك كروسبي الى دوره ككاهن مطرب في احد محافل ممثلي المسرحية في فيلم "قل شيئاً لي Say one for me" (١٩٥٩). قد تكون هذه الافلام لاقت نجاحاً في اميركا، غير انها لم تقربنا من المعنى الحقيقي لشخصية الكاهن، لذا فهي لا تحمل اهمية خاصة.

ثم جاءت الستينات مع فيلم عرف تحت عنوان "نازارين Nazarin" لمخرجه لويس بونوئيل. ولويس بونوئيل معروف بعدائه للكنيسة في كل افلامه، لذا نظر العالم الكاثوليكي الى فيلمه الجديد بحذر: فبونوئيل يعتبر الكنيسة بمثابة "معهد" لا يتناسب وعصرنا الحالي؛ وفي فيلمه هذا يظهر الكهنة يتقربون من اصحاب الاراضي الاغنياء، بينما يعيش الشعب في الفقر. اما "نازارين"، فهو الكاهن الذي يتجاوب مع الشعب، لانه اراد ان يعيش في الفقر والمحبة الانجيليين، فاضحى مشتبها به من قبل كبار رجال الكنيسة، بينما كان الشعب يعتبره قديساً. ويتضح من هذا الفيلم ان بونوئيل كان يعالج موضوع عودة المسيح الى الارض ورفض الكنيسة له، لانها لا تعيش بحسب القيم الانجيلية. قد يكون الفيلم مهماً في بعض جوانبه، الا انه طرح السؤال الرئيس من جديد: اين هدف الكاهن الحقيقي؟ هل يا ترى يستطيع الكاهن ان يعيش بحسب الانجيل؟

٢- من الستينات الى السبعينات*

لقد طلعت علينا في الستينات افلام مختلفة عظيمة عن الكاهن، ومنها "القوة والمجد The power and the glory" الذي يعود مرة اخرى الى موضوع فيلم

* تتمة المقال التي كانت قد نشرت في عدد حزيران ١٩٧٤.

"الهارب The fugitive". ومن هذه الافلام الكبيرة ايضاً فيلم "فرنسيسكاني بورج Le Franciscain de Bourges" الذي نرى فيه كاهنا مرشداً عسكرياً المانياً يدافع عن العدالة والمحبة لصالح الاسرى الفرنسيين، وقد قدر سكان القرية الفرنسية ذلك الموقف حتى انهم ودوا الالتقاء به بعد الحرب. ويجدر الاشارة الى ان ذلك الكاهن كان احد الالمان القلائل الذين استُقبلوا استقبالا وديا في فرنسا بعد الحرب. والقصة مبنية على حوادث حقيقية.

وهناك فيلمان جيدان اخران عن نشاطات الكاهن الاجتماعية، اولهما "Hoodlum priest" (١٩٦١) الذي يبيّن محاولات كاهن لمساعدة مجرمين شابين على الدخول من جديد في المجتمع. والاخر فيلم "كوبوي" بعنوان "المغني، لا الاغنية The Singer, not the Song" فيه يتجنب الكاهن قضية الدفاع عن الحقوق الاجتماعية. اما النقد تجاه الكنيسة والكهنة في افلام الستينات، فحدث ولا حرج. ففي سنة ١٩٦٨، انتج فيلم "الارض المقدسة Ongewijde aarde" الذي يعكس موقف كاهن يرفض دفنا دينياً لشخص قد انتحر، وذلك بالرغم من محاولات نجل المنتحر المتكررة ليدفن أباه في "أرض مقدسة". ويحدث ان الكاهن يتوفى بعد مدة بسكتة قلبية، فيذهب ابن المنتحر الى المقبرة ويأخذ التابوت الذي وضع فيه ابوه ويضعه في القبر المعد للكاهن ويغطيه بقليل من التراب. وعندما يأتون في اليوم التالي لدفن الكاهن، يوضع الكاهن فوق تابوت المنتحر المخفي تحت التراب! في هذا الفيلم مجال للمناقشة: هل، يا ترى يجب على الكاهن ان يطبق بدقة قوانين الكنيسة التي تمنع الدفن الديني للمنتحرين ام لا؟ فالكنيسة ترفض ذلك الا اذا ثبت ان المنتحر كان فاقداً شعوره في اللحظة التي انتحر فيها.

يبقى لنا اخيرا موضوع لم يعالج من قبل، وهو موقف الكاهن من النساء: وكان اول فيلم عالج هذا الموضوع هو الفيلم الالماني "الكاهن والمرأة Der priester und das madchen" (١٩٥٩) الذي فيه نرى حبا ناميا بين كاهن وفتاة مُقعدة كان يزورها في نطاق زياراته الراعوية. وانتجت في ما بعد افلام اخرى مثل "الكاهن ليون موران Léon Morin, Prêtre" (١٩٦١) و "الملاك بالثوب الاحمر Angel wore red" (١٩٦١) و "لا ينام الشيطان ابداً Satan never sleeps" (١٩٦٢). وقد كان الكاهن في هذه الافلام كلها يسيطر على التجارب.

اما في السبعينات، حيث نشهد ازمة حقيقية لدى الكهنة في اوربا، فمعظم الافلام التي تحتوي على دور كاهن، كانت تناقش هذا الموضوع بصراحة، أي موضوع "الكاهن المتزوج". وقد انتجت كندا، هذا البلد المجهول سينمائيا، فيلمين عن

الموضوع، وهما "الحب البشري Amour humain" (١٩٧٠) و "قضية قلب Act of the heart" (١٩٧١). اما ايطاليا فجاءت بفيلمين آخرين، هما "الكاهن المتزوج Il prete sposato" (١٩٧١) و "زوجة الكاهن Moglie del prete" (١٩٧١). كما انتجت فرنسا "مهلا Doucement les basses" (١٩٧١) و"الكهنة المحرومون Pretres interdits" (١٩٧٣). وانتجت اميركا "Peaces of dreams" (١٩٧٣)، الذي ترجم باسم "بيت الله والمرأة"، ونلفت الانتباه الى ان الافلام الفرنسية والايطالية عالجت الموضوع بطريقة فكاهية مجردة من العواطف الودية التي وجدناها في افلام الخمسينات والستينات. ويعتبر فيلم "Peaces of dreams" الذي يعالج بتقدير حالة كاهن يشك في دعوته وفي الكنيسة، بيد اننا لا نستطيع ان نعتبره فيلماً ناجحاً.

وهناك بعض الافلام ظهرت في السبعينات تعالج مواضيع "كهنوتية" اخرى منها فيلما "غلطة الاب موريه La faute de l'Abbé Mauret" (١٩٧١) المقتبس من رواية ايميل زولا، و"غضب الله The wrath of God" (١٩٧٣) الذي نشهد فيه مغامرات كاهن غريب يحمل الرشاشة. ولكننا، في هذه الافلام، بعيدون عن الافلام التي حاولت، في ما مضى، التعمق في ماهية الكاهن. هناك استثناء واحد، وهو الفيلم الفرنسي "رجل الرغبات Homme de désir" (١٩٧١) الذي يمثل فيه دور الكاهن الاب مارك اوريزون. ان قصة هذا الفيلم موضوعة كلها في إطار قداس، مما يوضح جيدا قصد المخرج، وهو يُرجع كل عمل ايماني إلى موت يسوع المسيح على الصليب. والشخصية الرئيسية الاخرى في هذا الفيلم: اديب يحاول اصلاح صديق له، وعندما يموت الاديب من اجل هذا الصديق، يحمل هذا الاخير جثة الاديب الى الكاهن.

الخلاصة

يتضح من هذه النبذة التي تغطّي اكثر من ثلاثين سنة من التاريخ السينمائي، ان موضوع "الكاهن" على الشاشة لم يُستَثنَ من المواضيع الاخرى، لكونه مرتبطاً بعقلية الزمن والبلدان التي انتجت فيها هذه الافلام، بدءاً من فيلم "الكاهن المطرب" في الاربعينات، والى "الكاهن المتزوج" في السبعينات. وبين هذين الطرفين شهدنا محاولات لاهوتية جادة في ماهية الكاهن والاجابة الى الاعتراضات ضد الكنيسة. ولكن اذا اهتمت السينما اهتماماً خاصاً بازمة زواج الكهنة (وهذه الازمة لا ننكر وجودها)، فلأن قصد منتجي هذه الافلام كان الربح وليس فقط معالجة موضوع

ازمة حالية يعلم كل عليم بها انها ازمة ثانوية، بالنسبة الى تجديد الكنيسة ككل، سيما وقد اصبح هذا التجديد علنياً وواضحاً بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. لقد اهملت السينما النواحي الاخرى لهذا التجديد، واقتصرت معالجاتها على موضوع زواج الكاهن، لان هذا الموضوع يضم شيئاً من الجنس، وهذا ما يجلب حالياً النقود الى خزائن المنتجين. قلة، إذن، هي الافلام المعاصرة التي تتعرض للكاهن والكنيسة في جو من التفاؤل والايجابية، ليكون ذلك موضوع تامل للمسيحيين ولا سيما الكهنة.

من البديهي ان الكاهن انسان كسائر الناس، ولكي نفهمه على حقيقته يجب ربط حياته بالمسيح نفسه: هذا ما حاول توضيحه اخيراً فيلم "رجل الرغبات Homme de désir" دون ان يحصل على النجاح الكامل. ولكن اذا عجزت شخوص عالم الافلام عن التعبير عن هذه الفكرة، فهل الذنب ذنب الكنيسة او الكهنة؟ قد لا تزال الكنيسة تحمل الكثير من بنى "معهد" تتوفر فيه نقائص انسانية كثيرة وتكون، من ثمة، حجر عثرة لغير المؤمنين. إلا أنه من الواضح ايضاً لكل من يعيش في الكنيسة، ان الكثير من قوانين الكنيسة القديمة قد أصبحت غير مطبقة، وان الكنيسة تتجه نحو موقف علني جديد: تلك حقيقة ملموسة لان الكنيسة تريد ان تترك الظواهر الثانوية كي تعيش من المسيح وانجيله. ولا بد ان ينعكس هذا التغيير في نتاجات السينما في المستقبل القريب. سوف تختفي الافلام حول الكاهن المتزوج، كما اختفت افلام الكاهن المطرب، ولا داعي للتشاؤم، لان الكنيسة والكهنة فيها سيجدون دوما الاسلوب الافضل، بارشاد الروح القدس الذي ينير دربهم.

ففي محاولتنا هذه لاختيار الافلام التي برّزت وجه الكاهن بافضل صورة، نستخلص الافلام التالية:

١) "مفاتيح الملكوت The Keys of the Kingdom"

٢) "يوميات كاهن ريفي Journal d'un curé de campagne"

٣) "خالع الثوب Le déforqué"

٤) "نازارين Nazarin"

ان هذه الافلام لا تخلو من النقائص التي نجدها الى حد ما في كل عمل فني، غير ان قيمتها تأتي من انها تشير كلها الى ربط الكاهن بالمسيح. وكم من الكهنة في الكنيسة يعيشون ويتألمون في الخفاء مثل "الكاهن الريفي" كما جاء في فيلم برسون، لانه لم ينجح في توجيه الناس الى المسيح. غير ان سر الخلاص عامل في هؤلاء الكهنة.

ان الكاهن الذي يجاهد فقط من اجل ملكوت الله يكون "صليبه" أنه قلما يشعر بتقدم وتطور ملكوت الله في قلوب الناس!

ملاحظة

في هذه النقطة من استنتاجنا، نجد من المناسب العودة الى افلام بحثت حياة كهنة قديسين مثل "خوري آرس"، و "القديس منصور"، لان اقل ما نستطيع قوله هو ان هؤلاء الكهنة كانوا متعلقين بالمسيح بصورة عميقة. والمشاهد يرتاح لدى رؤيته تلك الافلام، لانه يشعر من خلالها ان الكنيسة مقدسة في ذاتها ويوجد فيها دوما كهنة قديسون، سواء علنيا او في الخفاء. ولكن الافلام التي تعالج حياة كهنة قديسين قليلة، ومن هنا نستنتج ان الناس خارج الكنيسة لا يبالون بالقديسين الذين قلما فهموهم، وانما يهتمون بالكهنة الكثيرين الذين يلتقون بهم كل يوم والذين يمثلون الكنيسة في نظرهم: هذا هو ما دعانا الى الاسهاب، في هذا المقال، في الافلام التي تعالج حياة الكهنة الاعتياديين، لاننا نرى فيها نظرة العالم الى الكنيسة والى الكاهن. هذا مع الاخذ بعين الاعتبار وجهة نظر المؤمن الى ان الكاهن القديس هو الكاهن الوحيد والحقيقي الذي يبين ان الكنيسة تأخذ حياتها الحقيقية من المسيح.

ولكن لا بد من القول بان اكثرية افلام القديسين غير ناجحة، كما ان الافلام عن حياة المسيح لم تنجح. وذلك يعود الى اننا ازاء وضع فائق الطبيعة من الصعب تصويره.

مناقشة حول قانون الايمان/١

كل مسيحي يعرف "قانون الايمان". فهو عبارة عن موجز يعطينا النقاط الجوهرية لايماننا المسيحي. فاذا اراد المسيحي ان يعرف ايمانه بنوع افضل، عليه أن يتأمل في هذا "القانون" ويسأل نفسه: "ماذا اعرف عنه يا ترى؟".

اننا نقدم هنا سلسلة من المناقشات مع الشباب العراقي حول مختلف نقاط هذا "القانون". ولكن علينا، بادئ ذي بدء، ان ندقق النظر في "القانون". فهناك مسيحيون يقولون: الايمان يتطور، وصيغة "قانون الايمان" تعود الى القرن الثاني او الثالث، أفلا ينبغي على كنيسة اليوم ان تضع نصا جديدا يلائم عصرنا بصورة افضل؟

لذا فقد طرحنا السؤال التالي على الشباب: هل يلزم تبديل "القانون"؟ واذا كان الجواب بالايجاب، فبماذا ولماذا؟

ولاحظ الشباب اثناء المناقشة ان ثمة عدة "قوانين". فلماذا لا يوضع "قانون" يتلوه جميع المسيحيين في كافة اقطار العالم؟ ولكن اذا حدث ذلك، فأي نص يجب ان يُتّخَذ؟

واشار رأي اخر الى أن المهم للمسيحي هو ان يحيا ايمانه بالاتحاد مع المسيح، وليس فقط ان يعرف الحقائق. فلماذا لا يكون لهذا "الايمان الحي" محل في "القانون"؟

غير ان معظم الشباب لم يكونوا في الواقع قد طرحوا بعد على انفسهم هذا السؤال، و لم يفكروا بامكانية المساس "بالقانون"، ذلك لان الايمان لا يتبدل، فلماذا، إذن، يجري تعديل على "قانون الايمان"؟

هذه هي مختلف وجهات النظر. ولكن، مع ذلك، نلفت الانتباه الى ان "قانوني الايمان" الاكثر شهرة، اعني بهما "قانون الرسل" و "قانون نيقية" يحتوي كل منهما نقاطاً لا توجد في الاخر. فمن اين هذا الاختلاف؟ سؤال يتطلب جواباً. ولدى البحث عن هذا الجواب، أليس بالامكان، في الوقت ذاته، محاولة اكتشاف العلاقة بين "حقائق" القانون والايمان الحي المعاش؟

هذا، وبغية بحث ما إذا كان علينا تبنّي صيغة معينة "لقانون الايمان" تلائم عصرنا، فقد انطلقنا من "صيغة" كانت قد نشرت منذ مدة بمناسبة اجتماع الشباب في لبنان، بحثت فيه القضية عينها، واليك النص:

• "أومن"... صورة إقرار بالايمان المسيحي

أومن انه في الاصل وفي النهاية يوجد الحب. الله يحبني كما يحب كل انسان، مسيحيا او غير مسيحي، مؤمناً او غير مؤمن. غير اني لكي اكتشف ماهية هذا الحب فعلا. انا مدعو لأن اكتشف العلاقة التي بها ظهر في ملئه، أي صليب يسوع المسيح الذي مات وقام من بين الاموات.

أومن من كل قلبي بيسوع الناصري، المولود من العذراء مريم، المخلص الوحيد، الذي بموته على الصليب من اجل الاخرين، كما من اجلي، يعلمني انه ليس حب اعظم من ان يهب الانسان حياته. انا موقن من انني لا استطيع ان انجح في حياتي من دون حب صادق لله وللآخرين، ومن دون ارادة صادقة لاحترام الانسان والصفح عنه.

يسوع حي، وقيامته تعطي لحياتي معناها، لانها تكشف لي بان الحب اعظم من الخطيئة والموت الذي انتصر عليه، وبان الحب هو فوق الحقد والتحقير، في نور يسوع وقوته.

اومن بالانسان، صورة الله، والمدعو الى مقاسمة حياته. ولكي يبحث عن البشر ويكشف لهم عن حنانه، يدعونا الاب الى شركة الكنيسة، بغضّ النظر عن فروقاتنا الاجتماعية والسياسية والعنصرية. ففي الكنيسة، عرفتُ يسوع المسيح. وهي التي تلدني في الايمان باستمرار، وذلك بالرغم من اوهانها التي اساهم فيها انا ايضا.

اومن بان العشاء القرباني، المحتفَل به كعيد، يشركنا بحياة الله ذاتها، وذلك بتناولنا جسد الرب يسوع.

أومن بانني في الصلاة الجماعية والشخصية معاً اتوغل حقاً في قلب الحقيقة والواقع، واحقق ذاتي. الصلاة وقت لا مثيل له فيه التقي بالرب. ومع ذلك فأنا اعلم ان اوقاتاً كهذه قد تشكل تهرباً رهيباً، اذا لم اكتشف فيها متطلبات الله الحي الذي يلزمني، بصورة اكثر فأكثر جذرية، بخدمة البشر.

وفي اقتحامه لعالمنا، يساعدنا الروح القدس لمحاربة قوى الشر معه. انا أومن بان الروح القدس يعمل حقاً في تاريخ البشر لكي يقود الكون نحو غايته، وقد تصالح في الحب. اومن بان روح الله يُقوِّم ميولي الطبيعية، وبذلك يساعدني على اتخاذ القرارات

الحرة دون التنكر للحتميات التي احملها في اعماق ذاتي. ان الروح ينعشني ويحررني من اخفاقات الماضي، وبوسعي ان افوّض الى الاب أمر الخطيئة التي اثقلت وأظلمت وجودي ووجود اخوتي. اني موقن من ان تجدد قلبي هذا وقلب كل انسان يتم بغير التقنية التحليلية النفسية، بل بفضل الكلمة الالهية التي تجعلني في مراجعة حياة مستمرة وتدعوني الى السير نحو الامام.

أومن بقيمة العمل الذي يخلق اشكالا من التضامن ويساعد الانسان على تحقيق ذاته، ويساهم في الوقت نفسه في بناء العالم.

ولكني أعلم ايضا ان بامكان العمل ان يستعبدنا، ويحدث ذلك كل مرة يعتبره الانسان بمثابة المعنى الاعلى لحياته، او وسيلة لاستغلال اخيه، او كلما كان المرء مرغماً على تحمله.

إزاء المي وألم الآخرين، أقرّ واعترف بان أي تفسير لا يجديني، ولكنني اومن، ازاء هذا السر، بان الرب يسوع قد اخذ على نفسه كل آلام البشرية.

وحينما اصرف حياتي في شبح موتي الذي يبسط ظله سلفاً على وجودي، أجدني اقارع اضخم تناقض بيني وبين اعمق آمالي. ومع هذا فان أومن بان الاب سيكون حاضراً في هذا الحدث المشين، كما كان دوماً حاضراً في حياتي.

اومن بان الله بسط سيادته على كل شيء، وبأنه لن ينبذ، في ابديته، اولئك الذين شدهم مرة واحدة الى ذاته بالحب.

الرب ياتي.

ان صورة ايمان كهذه تقر بجلاء بان الله هو خالق السماء والأرض. ولكنها تلزم الصمت المطبق إزاء العلاقة الداخلية في حياة الثالوث الاقدس بين الكلمة والروح القدس مع الله الاب. ولكن هل تلام حقاً على ذلك؟! فهذه العلاقة قضية لاهوتية لا تهم الشباب. ويجدر بالقول ان مثل تلك الافكار اللاهوتية هي وليدة عقلية معينة في زمن معين، وبأنه من الصعوبة بمكان ان نفهمها اليوم فهماً جيداً. ويجب الاقرار ايضا انه حتى شخصيات سياسية تدخلت احيانا لفرضها، مثال ذلك شارلمان حين اجبر اللاهوتيين الرومان على ان يقحموا في نص "قانون ايمان نيقية" بان الروح القدس لا ينبثق من الاب فقط، بل من الابن ايضاً. هذه الصيغة ما زالت مرفوضة لدى الاخوة الارثوذكس وليس ثمة اعتراضاً، على ما اظن، لو حذفت هذه العبارة اللاهوتية المعترضة على مشروع "قانون ايماني" جديد. ان هذه العلاقة بين اقانيم الثالوث

الاقدس تعود الى مرحلة اعمق من مراحل الايمان، والتزام المسيحي يبدأ قبل ذلك بكثير، أي منذ ان يهب الانسان نفسه ليسوع وانجيله.

اما صورة الايمان التي عرضناها كنموذج، فهي تركز على الصلاة والاوخارستيا، ونعم ذلك! انه برهان على ان المسيحي لا يمكنه ان يحيا من الحقائق وحدها، بل عليه ان يبحث عن احتكاك واقعي مع الله. أما أن يوضع ذلك في صورة اعتراف ايمانية، فامر آخر!

ان مجرد الإقرار بالايمان يشكل سلفا إهتداء الى الله، وذلك في نطاق معين. اما تعميق هذا الاهتداء وعيشه، فيتم ضمن الكنيسة. هذا، ويمكننا ان نناقش طويلا حول ضرورة اضافة هذه النقطة الى "القانون". وكذلك الامر مع حضور يسوع في الاوخارستيا، وهو ايضا عقيدة ايمانية. وفي رأيي، ليس ضرورياً الاقرار دفعة واحدة بكل حقائق الايمان. فاذا أُريدَ ان يقال كل شيء عن الايمان، اصبح "القانون" كتابا، ومن الافضل ان لا يطول اكثر مما هو ضروري.

ونلاحظ أيضاً ان "صورة الايمان" هذه تعطي قيمة كبيرة للعمل، كتعبير انساني، لا بل ان جو "الصورة" كله مستوحى من الحياة الانسانية التي ينبغي ان يعطيها الدين حجمها الصحيح. ذلك مهم جدا، وما هو إلا تعبير عن روح عصرنا الذي يركز كثيراً على الانسان. اننا بشر، ونريد ان نحيا كبشر، فما هي مكانة الدين في خضم هذه الحياة البشرية؟ ان نص هذه "الصورة" يعطي الجواب الوافي لهذا السؤال. ولكن من الممكن التكهن بان عصراً آخر سيركز بدوره على قيم اخرى، بحيث يصبح من اللازم تغيير صيغة "القانون" باستمرار. وحتى في حالة افتراض ذلك، ستظهر فروقات، حتماً، بين منطقة واخرى. وعليه يبدو ضرورياً ان تؤخذ هذه الاحتمالات بمثابة تفسيرات وتعابير متحركة للايمان الحي. ولكن اذا كنا ازاء نقطة انطلاق للاهتداء الى الله -هذا هو تعريف صورة "قانون الايمان"- فلا يجوز ربطه، اذ ذاك، بزمن معين. فالأفضل، اذن، ان يوضع "قانون" لا يرتبط بزمن محدد، ويضم النقاط الضرورية والجوهرية التي يمكن اتخاذها كمنطلقات للاهتداء الى الله، فأنا اقترح صيغة لقانون الايمان على النحو التالي:

أومن بالله الاب، خالق كل ما يوجد
أومن بيسوع المسيح، ابنه الوحيد، ربنا
الذي صار انسانا وولد من مريم العذراء
الذي مات من اجلنا على الصليب

الذي قام وتمجد عند الاب
الذي سيأتي ليدين الاحياء والاموات، ولا يكون لملكه انقضاء
أومن بالروح القدس
وبالكنيسة المقدسة، الجامعة، الرسولية،
وبالمعموذية لمغفرة الخطايا
وانتظر قيامة الموتى والحياة الابدية، آمين

ان "قانوناً" كهذا لا يرتبط بزمن معين، وهو في منتهى الايجاز، ويسهل تعلُّمه غيباً. على كل حال، سنعتمد في مناقشاتنا صيغة "قانون نيقية" الذي نتلوه يوم الاحد في الكنيسة، والذي تقره الكنيسة رسمياً "كقانون"، والاعتبارات التي سنعرضها هنا لا غاية لها سوى ان تجعلنا اكثر شعوراً بقيمته الحقيقية[1].

عدد شباط ١٩٧٥

(١) كانت لهذا المقال تتمة نشرت في عدد آذار ١٩٧٥، بعين العنوان/٢.

مناقشة حول قانون الايمان/٣
نؤمن

كتبت القديسة ترازيا الطفل يسوع في اواخر حياتها قد كتبت: "تحاصرني اراء الانسان المادّي المقتنع، وتضيّق علي". واذا كانت قديسة مغمورة بحضور الله في كل شيء تجد نفسها مضطرة الى مثل هذا القول، فماذا يكون الامر بالنسبة لنا، نحن الذين لسنا قديسين! كلنا نحب ان نحيا حياة سهلة قدر المستطاع، ومهما كنا مخلصين في عقيدتنا، فاننا غالبا ما نحيا مادية "عملية" حيث لا يحتل الله في حياتنا المكانة التي يستحقها.

فلمساعدة الشباب على التفكير في المكان الحقيقي الذي يجب ان يحتله الله في حياتهم، وجهنا السؤال التالي:

ألم تشكّوا يوما في ايمانكم؟

وجد بعض الشباب ان لا داعي الى الشك مطلقاً في الايمان، ففي الطبيعة براهين مقنعة كافية لا تدع مجالا للشك في وجود الله.

ولكن... ان كانت هذه البراهين على مثل هذا القدر من الاقناع، فلماذا يا ترى هناك كثير من الناس لا يؤمنون؟ أليس من الاجدر ان نقول بان هذه البراهين ليست سوى "مؤشرات" على الطريق المؤدية الى الله؟ ويا لسعد الذين يستطيعون اتباع هذه المؤشرات، دون ان يخامرهم الشك!

بيد ان قبول الايمان بمثل هذه البساطة لا يكشف لنا شيئاً يذكر مما يكمن في فعل الايمان من المجازفة على الصعيد الوجودي.

شباب اخرون وجدوا ان من لم يشك مطلقاً في ايمانه، لا يستطيع ان يسبر غور الايمان، وقالوا بان الايمان لا يصبح ايمانا شخصياً في الواقع ما لم يخامر صاحبه شك ويتغلب على هذا الشك، فلا يكون الايمان، والحالة هذه، عملاً رتيبا -تقليدياً- وانما موقفاً شخصياً. ايعني ذلك ان على كل منا ان يشك في ايمانه يوما ليصل -عن طريق الشك- الى ايمان يعيشه بوعي؟

وعندما ناقشنا الشكوك التي خامرت شبابنا في حياتهم، وجدناها تختلف من حيث النوعية. فبالنسبة للبعض منهم، كانت شكوكهم بسبب عدم استجابة الله لطلبات معينة رفعوها اليه. فالايمان في مثل هذه الحالة يبدو كالتماس من الله ان يحل لنا مشاكل حياتنا ولو جزئياً؛ ومثل هذا الموقف لا يقل تعقيداً عن سابقه. فهو يعكس رغبتنا في ان يحتل الله دوراً "عملياً" (نفعياً) في حياتنا. فما حاجتنا الى الله اذا لم يساعدنا في محننا؟ (هذا هو منطق تفكيرنا اذ ذاك).

واشار شاب آخر الى ان الايمان، بالنسبة الى معظم مسيحيينا، يقوم برفع طلبات الى الله.

ولكن عندما نتخذ مثل هذا الموقف، هل نكون مقتنعين حقاً من العمل المترتب علينا انجازه كبشر، ومن الاعتزاز الذي نشعر به حين ننجز هذا العمل؟ فالانسان هو من يحمل شخصياً حياته بين كفيه ليحققها. اجل، انه يحقق حياته مع الله، ولكن ليس الله هو الذي يحققها عوض الانسان. القضية كلها منوطة بمفهومنا عن الانسان. لا شك ان موقف الطلب موقف ايماني، غير انه بذاته ينقصه السمو الذي اكتشفه الانسان في ذاته عندما "أخضع الارض" (سفر التكوين).

هذا يقودنا الى بحث الموضوع على النحو التالي: قضية الايمان هي قضية معرفة ما هو الانسان. هل يكفي للانسان ان يكون "انساناً"، من دون الله... ام انه يحتاج الى الله ليعرف ذاته في أعمق ابعادها؟ هل حاجته الى الله هي بمستوى، بحيث لا معنى لوجوده اذا كان الله غير موجود؟ هذا هو السؤال الجوهري الذي نجده في اساس الايمان.

لقد لامس لفيف من الشباب هذه المسألة حين قالوا بان الانسان اليوم يريد ان يعرف ماذا يجري في العالم وفي الكون، يريد ان يستقصي كل شيء، وحتى ايمانه. لا شك اننا لن نصل الى معرفة الله، فعقلنا قاصر عن ادراكه كاملاً، ولكننا مع ذلك نريد ان نعرف ماذا يريد الله ان يعمل في حياتنا.

اجل، ماذا يبغي في الواقع منا؟ ترى ما هو الايمان؟

من المؤكد ان الانسان المعاصر يريد ان يعرف من هو. انه يبحث عن معنى وجوده، وعن معنى هذا العالم. والكثير مما اعتبر على الدوام من امور الدين، ثبت انه من الظواهر الطبيعية ليس إلا، فهل تكون امور الدين الاخرى "المتبقية" هي ايضا ظواهر طبيعية؟ وهل سيكشف لنا العلم في المستقبل ان كل ما نصادفه في عالمنا المحسوس له تفسير طبيعي؟ في مثل هذه الحال سيكون معنى العالم والانسان في ذاتهما لا خارجا عنهما، ولبطلت الحاجة الى الكلام عن الله الذي يكون، اذ ذاك، من اختراع الانسان في ما غبر من زمان، يوم كان يعزو كل ما يعسر عليه ادراكه الى

كائن قائم خارج هذه الطبيعة. وبمنطق هذه الافتراضات لا تعود لنا حاجة الى هذا الكائن، لاننا سنجد، حينذاك، في الطبيعة ذاتها الحلول اللازمة لكافة معضلاتنا. فمن كان هذا تفكيرهم -وليسوا قلة- يتخذون من الكون ذاته منطلقاً لحياتهم. وهذا هو ما نسميه الموقف "المادي".

ومع ذلك، فلا يقتنع المرء بهذه السهولة، واذا كان ثمة لا مؤمنون كثيرون في العالم، فالمؤمنون اكثر. وهؤلاء المؤمنون، من أي معتقد كانوا، يجدون الكون عاجزاً عن ان يجيب الى السؤال الاساسي المتعلق بجوهر معنى الحياة. واذا كان الانسان جزءاً طبيعياً من نظام الكون، فيتحتم عليه ان يجد، بصورة طبيعية، في هذا النظام، مكانا يحلو له من جميع الوجوه. لكن الواقع يعكس غير ذلك. فالانسان غالبا ما يشعر بخيبة لعدم تمكنه من تحقيق الكثير من رغباته، حتى السليمة منها. فلماذا، يا ترى، تصدم الطبيعة رغباته؟ اذ ليس من الصواب ان تناقض الطبيعة ذاتها. اما المؤمن، فيستنتج من ذلك: ان ما يسمى بالتناقضات ليس حقا تناقضات، بل بالعكس انها تثبت لنا ان الطبيعة في الاساس ليست كاملة في ذاتها، بل هي ليست سوى "وجود يسير" نحو كائن اخر هو غاية الانسان القصوى.

وزيادة في الايضاح لنأخذ المثال التالي: الانسان ميال الى غيره، ويجد ملء سعادته الارضية في العطاء المتبادل بينه وبين انسان اخر. فعندما يحب شاب فتاة، يجد سعادته في إسعاد هذه الفتاة، وتكتمل سعادته عندما يعر ف ان هذه الفتاة لا تعيش إلا له. ولكن كل هذه السعادة قد تنهار فجأة بالموت. فالموت لا يسلبني الحياة فحسب، وانما يشقي ايضا شخصاً اخر اتخذني موضع سعادته. لماذا؟ أما كان بامكان الطبيعة ان تكتفي بان افقد انا حياتي دون النيل من عزيز آخر والاضرار به؟ لماذا ارادت الطبيعة ان تقوم سعادتي على إشراك حياتي بحياة شخص آخر؟ اللهم إلا إذا كانت السعادة في الحقيقة هي في الاشتراك في حياة شخص ثان، غير ان الطبيعة عاجزة عن ان تجعل هذه المشاركة كاملة. إن المشاركة المتبادلة التي نختبرها على الارض تؤكد لنا ان السعادة تكمن حقيقة في المشاركة، شريطة ان لا تخيب املنا هذه المشاركة. ولا نجد مثل هذه المشاركة إلا إذا كانت مع كائن لا يحمل شوائب الطبيعة: الله هو هذا الكائن، والمؤمن يتخذ من هذا الاله اساساً لحياته.

هناك اذاً اختياران ممكنان: إما ان يقبل الانسان المادة في حد ذاتها اساساً لحياته -مع ما في ذلك من مجازفة في ان مشاكل كثيرة لا يمكن حلها عن طريق الطبيعة وحدها؛ او ان يتخذ الله اساساً لحياته -مع مجازفة ان "طرق الله قد تختلف عن طرقنا".

اما نحن فقد اخترنا الايمان. فالله، إذن، هو اساس حياتنا الوحيد.

علينا، إذن، ان نحيا هذا الايمان بشكل منطقي وليس بحسب مادية "عملية" (نفعية)، كما اشرنا في البداية، أي ان نقبل الله مبدئياً كقمة سعادتنا، وفي الواقع نعيش وكأن سعادتنا في مكان آخر! فمثل هذا الايمان ليس صادقاً ولا سليماً.

وهنا نود ان نورد ملاحظة أخيرة ابداها شاب قَبِلَ الله عن اختيار كامل غير مشروط، قال: "جاءتني يوما مشكلة خطيرة جعلتني اقول: لو شككت الان في ايماني لاسقطت من حياتي كل شيء!... فلا الله ولا الانجيل ولا الكنيسة يبقى لهم من معنى في حياتي...".

ان هذا الشاب كان واضحاً: لقد اتخذ الله اساساً لحياته، في فترة كانت الظروف تجنح به الى اعتبار الله وكأنه لا وجود له. ولكني مع هذا لا اعتبر اختياره مدعوما من الناحية الانسانية. انه لم يرد ان يترك الايمان الذي ورثه بالتقليد: بهذا اصبح ايمانه ايماناً شخصياً، وذلك مكسب لا يستهان به، ولكن أما يلزمه ايضا ان يجد الان ان هذا الاختيار لا يجوز ان يكون اختياراً أعمى: لقد قال: أومن رغم كل شيء!... وكان الاجدر ان يقول: "أني أومن لان الله —بين أن أومن والا أومن— يعطيني أفضل الفرص. مع الله تغتني حياتي بمعنى عميق تفتقده عندما لا أومن".

ان هذه الاعتبارات صحيحة لكل مؤمن بوجود الله. اما بالنسبة للمسيحي، فان ايمانه يتمركز حول شخصية المسيح وحياته. ولكني اعتقد انه من الافضل ان ندع الان الحديث عن القضايا المتعلقة بايماننا بالمسيح، ونرجئ الكلام عنها الى حين نتحدث عن المسيح بنوع خاص.

شارلي شابلن: عبقري الفن السابع

في صبيحة عيد الميلاد ٢٥ ك١ ١٩٧٧، مات شارلي سبنسر شابلن الممثل الكوميدي الكبير عن ثمان وثمانين سنة. غير ان "شارلو، سيبقى حيا في ذاكرة الملايين من البشر الذين عرف ان يضحكهم -ويبكيهم احيانا- خلال اكثر من نصف قرن، وعرف بالاخص ان يسترق انتباههم الى ماسي المجتمع التي عاشها في صغره و لم ينسها في سني مجده وثروته.

شابلن، اكبر عباقرة الفن السابع، لا بل العبقري وحسب، ينحني امامه اليوم كل ائمة السينما معترفين بانه الكوميدي الوحيد الذي لولاه لما كانوا، على حد تعبير المخرج الشهير فيديريكو فيلليني: "شارلو -هذا الاسم الاسطوري- يعترف له العالم كله بانه كان صوتا صارخا بوجه الاغنياء وعظماء العالم واعداء الانسانية. وستبقى صورته حية في نفوس كل الفقراء والضعفاء والمظلومين، كما ستبقى افلامه -منذ فيلمه الاول "كسب العيش" عام ١٩١٤ حتى آخر فيلم له "كونتيسة من هونغ كونغ" عام ١٩٦٧- دعوة الى كل الذين ينشدون العدالة والحرية والسلام.

نقرا في مذكرات شابلن "قصة حياتي" هذه الحكاية الممتعة عن سني شبابه: "اذكر اني ذات مساء، وكنا في غرفتنا الوحيدة في الطابق الارضي المطل على شارع اوكلي (لندن). كنت راقدا في فراشي من آثار حمى اصابتني، وسيدني (شقيقه) كان قد ذهب الى درس المساء، فمكثنا انا وامي لوحدنا في الغرفة. انتهت فترة الظهيرة وما زالت امي جالسة، وظهرها الى الشباك، تقرأ وتمثل وتفسر، على طريقتها الخاصة التي لا مثيل لها، صفحات من العهد الجديد ومحبة المسيح للفقراء والاولاد الصغار. قد يكون مرضي السبب في تأثرها، لكنها أعطتني تفسيرا جذابا ومثيرا حول المسيح لم يسبق لي ان سمعته او رايته قط. كانت تتكلم عن ادراكه وفهمه السمح، عن المرأة الخاطئة التي اراد الجمع ان يرجمها، وعن كلماته: "من كان منكم بلا خطيئة فلْيرمها بحجر".

تابعت قراءتها بالرغم من حلول الظلام، و لم تتوقف الا لتوقد المصباح. كلمتني ايضا عن الايمان الذي كان يسوع يوقظه في المرضى، اذ كان يكفي ان يلمسوا طرف ردائه لينالوا الشفاء.

وكلمتني عن حقد وحسد رؤساء الكهنة والفريسيين(...)

وبينما كانت تواصل روايتها، هطلت دموعها. كانت تكلمني حينذاك عن سمعان الذي ساعد المسيح على حمل صليبه، وكيف ان يسوع حباه بنظرة مؤثرة من الامتنان. وكلمتني عن برابا وعن اللص التائب الذي مات معه على الصليب وهو يطلب الصفح، وكلمة يسوع له: "اليوم تكون معي في الفردوس"، وكيف انه، من اعلى الصليب، نظر الى امه وكأنه يقول لها: "يا امرأة انظري الى ابنك"، وصرخته الاخيرة في التراع: "الهي الهي، لماذا تركتني". وبكينا كلانا.

وقالت لي امي: أترى كم كان انسانيا. فمثلنا جميعا عرف الشك... لقد اثر حديث امي في تأثيرا عميقا حتى اني تمنيت ان اموت في ذاك المساء لالتقي بيسوع".

ويتابع شابلن قوله: لم تُبد امي تحمسا لفكرتي وقالت: يسوع يريد ان تعيش اولا وتؤدي مهمتك هنا على الارض.

في تلك الغرفة المظلم من ذاك الطابق الارضي في شارع اوكلي، اضاءت امي امامي نورا يطفح بالخير لم يسبق للعالم ان عرف له مثيلا، وهذا النور غذى الادب والمسرح باعظم واغنى مواضيعهما: الحب والعطف والانسانية"[1].

هذه الفكرة الاخيرة هي لشابلن، وقد نضج وتقدم في العمر وعاش حياة طويلة "وأدى مهمته" انها تعطي ثقلا غير منتظر لنتاج الفنان السينمائي.

هذا النتاج، بالرغم من غزارته، تم بكامله في غياب الله. كان شابلن يعيش بعيدا عن كل فكر ديني. ومن التلميحات النادرة الى الله، في افلامه، قد نجدها في مشهد من "اضواء المسرح" (١٩٥٢ –وهو احد افلامه الاخيرة)، حيث يقول بفم بطله: "ايا كنت ومهما كنت، اجعلا تستمر! هذه العبارة –وهي من عباراته النادرة– هي بحد ذاتها تدل كم ان الله كان مهما في فكر شابلن، إذ لم يعد له اسم ولا وجه!

يجب اذن ان نبحث، على الصعيد الانساني، عن نظراته في الانسان والانسانية. "شارلو"، ذلك النموذج للبطل الذي خلقه الفنان، يتكرر في كل فيلم من افلامه، مما يدفعني الى ان اعرض صفتين اساسيتين لهذا "الشيطان الصعلوك"!

١ – فقير ذو حيل ذكية

اذكر الهزلي الفرنسي جاك تاتي وهو يقول يوما: "الفرق بين بطلي وبطل شابلن، هو ان بطلي يستسلم للموقف –فما يجعله مضحكا هو ان الموقف ذاته مضحك–؛ اما

(١) راجع ف. م. آذار ١٩٧٦: الشخصية الاولى في حياة شارلي شابلن.

بطل شابلن، فهو الذي يخلق الموقف: انه لا يدع الصعوبات تستولي عليه ابدا، انما ينتصر عليها ببراعته".

انها لرؤية دقيقة وواضحة: لوحة صادقة لشابلن من الخمص قدمه حتى قمة راسه!

انظر إلى أي فيلم من افلام شارلو! لا الشرطة ولا الملاّكين الاشدّاء يستطيعون ان يقهروه، انه يجد دوما مخرجا في الاوقات الحرجة. اما الوسائط التي يستعملها، فهي ليست دوما مثالا يحتذى! (كهذا الملاكم الصغير الذي يضع نعل حصان في قفازه لمجابهة خصم اقوى منه!). غير ان المشاهد يسامحه على ذلك، فيصبح المشهد مضحكا (وهذا يعني انه يحرز تأييدا من زاوية ما من عقل المشاهد الباطن).

ملامح من حياته

ولد شارلي سبنسر شابلن في ١٦ نيسان ١٩٨٩، وكان والداه مغنيين. عرف شارلي مع اخيه سيدني البؤس والمبيت في الشوارع والاستجداء، وقادهما الظروف الى اميركا. واكتشف الممثل الشهير ماك سينيت، عام ١٩١٣، مواهب شابلن، وعهد اليه ادوارا في التمثيل. ومنذ عام ١٩١٤ راح شابلن يتعاقد مع الشركات السينمائية في هوليود، واستقرت في الاذهان ملامح "شارلو"، بعكازه وشفقته وشاربه وسرواله العريض...! وفي عام ١٩١٨ استقل عن الشركات، واقام له ستوديو ليتسنى له ان يؤلف ويمثل ويخرج وينتج افلامه بنفسه، فجاءت افلامه نقدا للمجتمع البرجوازي، مما حمل اليه متاعب جمة. وازدادت المضايات عقب انتاجه فيلم "العصور الحديثة" و "الدكتاتور"، حتى اضطر عام ١٩٥٢ الى ترك اميركا مصطحبا زوجته اونا اونيل –وهي الرابعة– الى سويسرا حيث وافاه الاجل في مسكنه في الساحل الشمالي لبحيرة جنيف.

٢ – فقير يجعل الفقراء الآخرين سعداء

كان لشابلن ميول ماركسية، وهذا ما حمل الشركات الامريكية على مقاطعة افلامه. ومع ذلك فانه، في افلامه، لا يدعو ابدا الى ثورة الجماهير، انما يسعى، على الارجح، الى اشاعة مثاله في التعاون، على الصعيد الفردي... وتجاه شخص واحد.

إنه يساعد فتاة واحدة في فيلمه "العصور الحديثة"! واذا وجدناه مشتركا في مظاهرات شعبية، فتلك صدفة قادته اليها الظروف دون رغبة منه. وفي "اضواء المدينة"، نراه يسعى بكل جهده ليعيد البصر الى فتاة فقيرة وضريرة، بائعة الزهور.

لا يبدو شابلن في افلامه صاحب النظريات الذي يرغب في تغيير مجتمعه مهما كلف الامر. انما يجذبه بؤس شخص واحد، واذا به يحن عليه ويحاول، بكل ما اوتي من قوة وطاقة، ان يخفف من آلامه، وإن بقي هو فقيرا وفقيرا جدا.

كان شابلن انسانا طيبا ممتلئاً عطفا، الا انه لم يعرف أي مكان يعطي لله في عالم الانسان. لكنه، وقد تقدم في العمر، اخذ يفكر في حياته السالفة ورأى من الضروري -وهو يسجل مغامراته- ان يعطي اهمية كبرى لتلك الامسية اللندنية حين كانت امه تقص عليه حياة المسيح، هذا ما "اضاء امامه نورا يطفح بالخير لم يسبق للعالم ان عرف له مثيلا، لان "الحب والعطف والانسانية" هي اكثر ما على وجه الارض من غنى.

راى شابلن بان اعظم واجمل طموحاته تحققت في المسيح، وبان المشاعر الانسانية الاكثر نبلا تلتقي بالله – الانسان. فحيث يشقى الاولاد، فالله حاضر في وسط اولاده المتألمين... حتى وإن كانوا لا يعترفون به.

حين دفن شابلن، شاءت عائلته ان تقتصر مراسيم الدفن على افراد الاسرة لا غير؛ ومع ذلك استطاع ٣٠٠ شخص الولوج الى المقبرة! "ان شابلن ليس مُلكا لعائلته وحسب، انما هو ملك للآخرين، للمجتمع. انه ينتمي الى كل الذين يرغبون في ان يُخرجوا الفقراء من بؤسهم، بالطرق التي يراها كل منهم اكثر ملائمة. فالمهم هو ان نساعد الآخرين ونجعلهم سعداء.

شابلن، الرجل الذي، بعد ان "اكمل مهمته"، ذهب اخيرا للقاء المسيح يوم عيد الميلاد! فليقبّله الرب بين "ذوي الارادة الصالحة" الذين لهم ملكوت السموات!

٨١ فيلما:

بعد ان مثل شابلن ٦٤ فيلما لصالح الشركات. اخرج اول افلامه الطويلة: "الصبي" (١٩٢١) و "الحاج" (١٩٢٣) وثم "البحث عن الذهب" (١٩٢٥) الذي يعد من اروع افلامه.

وبعد فيلم "السيرك" (١٩٢٨) و "اضواء المدينة" (١٩٣١) و "العصور الحديثة" (١٩٣٦) و "الدكتاتور" (١٩٤٠) و "المسيو فيردو" (١٩٤٧)، اضطر الى مغادرة امريكا الى اوربا حيث عرض فيلم "اضواء المسرح" (١٩٥٢)، وانتقاما لنفسه اخرج فيلم "ملك في نيويورك" (١٩٥٧). وكان اخر افلامه "كونتيسة من هونغ كونغ" (١٩٦٧).

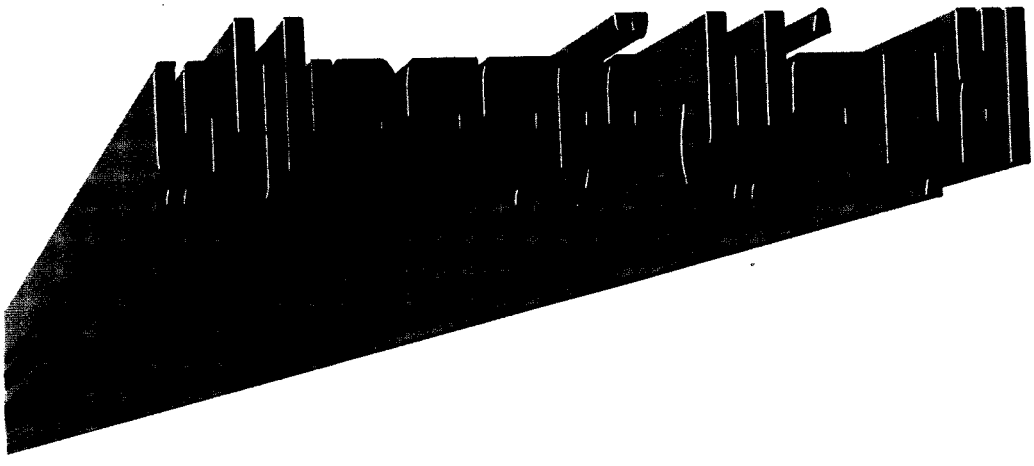

الاب خليل قوجحصارلي

١٩٢١ – ١٩٩٣

ولد في لاباز (بوليفيا) في ١٩٢١/١١/٢٠ من أب سوري الجنسية، ونشأ في القامشلي.

دخل معهد مار يوحنا الحبيب عام ١٩٣٤، ومن ثم انتمى إلى الرهبانية الدومنيكية عام ١٩٤٦ حيث اكمل فيها دروسه الفلسفية واللاهوتية، وجاهر بالنذور ورسم كاهنا عام ١٩٥٠. حصل عام ١٩٥١ على الليسانس بالفلسفة والملفنة في اللاهوت، وعاد الى دير الموصل حيث مارس مهماته الروحية والرسولية، ومنذئذ التصق اسمه بكنيسة العراق عبر الارشاد والمرافقة الروحية والمواعظ المؤثرة.

كان له دور في تأسيس كلية الموصل في نهاية الخمسينات، وبعث النشاط الثقافي بين الشباب. وفي الستينات ارشد الندوة الدينية للجامعيين لطلبة الطب والصيدلة.

منذ ١٩٦٦ عهدت إليه مهمة ارشاد الراهبات الدومينيكيات ومتابعة تثقيفهن وتنشئتهن على الحياة الروحية والرسالة. وإليه يعود الفضل في تاسيس "بيت الصلاة" بمعاونة الاخت ماريان.

انتخب مراراً رئيسا للاباء الدومنيكيين، وعضوا في مجلس شورى الاقليم الرهباني. وغادر العراق عام ١٩٨٣ حيث استقر في بروكسل (بلجيكا) وانتخب رئيساً لديره. وفي بلجيكا، اهتم بمسيحيي الكنائس الشرقية ولا سيما القادمين منهم من تركيا. كما عمل جاهداً في الحوار المسيحي–الاسلامي عبر مركز "الكلمة" الذي اشرف على ادارته؛ واهتم بقضايا العدل والسلام عبر اللجنة التابعة للرهبانية.

كان عضوا في هيئة التحرير الاستشارية بالموصل. واحصيت له ٢٨ مساهمة، بينها ٣ اعداد من "السلسلة"، و٩ مساهمات في باب "من وحي الانجيل"، و ٣ في باب "اسئلة واجوبة". وله كتاب عن حياة مار عبد الاحد عام ١٩٩١.

وافته المنية اثر نوبة دماغية في ١٩٩٣/١/١٩ ودفن في بروكسل.

شهادة

كان لي الحظ الكبير ان اعيش قريبة من الاب خليلن على مدى ٢٠ عاماً مقتسمة معه العمل والصلاة والمشاريع، واخرها بشأن الحوار المسيحي الاسلامي.

في اول حياته، تلقى اسم "خليل" ذي الصلة بالله، هو الذي كانت الصلاة لديه في القلب من حياته. وهكذا رافق بكل قواه "بيت الصلاة" الذي تاسس في قلب جمعية الراهبات الدومنيكيات في الموصل...

"الله والناس"، حقيقتان تعكسان بالكامل ما كانت عليه حياته بحيث اصبحتا المحرك لكل عمله. فبتأصله المكين في الايمان بالله وفي دعوته ضمن رهبنة الاخوة الواعظين (الدومنيكان)، كان الاب خليل بعمق مصغيا إلى الناس، إذ كان كل انسان ذا ثمن في عينيه، حتى ان كل الذين اقتربوا منه، وجدوا فيه اذنا صاغية. لقد كان ركنا يستريح فيه كل من يشاء؛ فلقد كان له شبه حدس يحمل على الشعور بانه يقرأ في القلوب. أليس مدهشا أن نلقى، عقب خمس او عشر او خمس عشرة سنة من وفاته، اشخاصا ترك فيهم اثرا عميقا... اذ كان يُنبت في كل منهم كلمة رجاء، هو الذي كانت تشع منه طيبة كبيرة وذكاء رقيق. لقد كان حساساً للفرح كما للحزن، وكان بوسعه أن يغضب ازاء اوضاع الظلم التي يتعرض لها البعض...

كانت اسرته، طيلة شبابه، بمثابة المهد الذي استقى منه قوته وجذوره. فلَكَم كان يحب ان يستذكر جدّه الذي توفي عن ١٠٤ سنوات، وقد زرنا يوما قبره في كنيسة مار ميخائيل بماردين: فلقد كان "مُجَبِّرًا" وهي مهنة مفيدة جدا في مدينة جبلية —إلى اليوم الذي مُنع من ممارستها لانه لم يكن طبيبا! وحدث انه، انطلاقا من هذا المنع، رفض يوماً أن يذهب ليجبر ساق ابنة متصرف المدينة بالذات! هذه السمة من طباعه، خلّفها لحفيده. فلقد كان الاب خليل يعرف كيف يكون شديدا وصامدا ولا سيما في القضايا العامة، كما في بعض الحقبات من حياته. فعلى هذا المنوال استطاع أن يعاند اباه الذي لم يشأ ان يسمح له بالذهاب إلى معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل؛ وهكذا فعل حين ابى ان يُرسم كاهنا إلى ان تمكن من تحقيق رغبته في الانتماء إلى الرهبنة الدومينيكية —وهي حالة لم تكن مالوفة، سيما وان الدومنيكان الذين اشرفوا على تنشئة الكهنة، كانوا قد اخذوا على انفسهم ألا يجتذبوا احدا إلى رهبنتهم!

لقد كان هذا التجذر العائلي، من الحب والحنان، في الاساس من توازنه النفسي ومن شعوره العميق بالمسؤولية. فلقد طُبعت بهما حياته الدومنيكية كلها.

لقد كان للاب خليل وجهه الانساني. انه يحب الحياة ويعرف ان يتذوق اوقات الراحة مع الاصدقاء ويبحث عن فرص للعيد والفرح... وفي الوقت ذاته، كانت الصلاة في قلب الفرح، هو الذي كان يعشق الانشاد، بصوته العذب، ولا سيما في الليتورجيا. كما يمكننا أن نقول عنه بانه كان رجلا شاملا: هو الذي ولد في بوليفيا وهاجر إلى سوريا ودرس في العراق وفرنسا وانهى حياته في بلجيكا! كان يحب ان يعبر عن شعوره بانه مواطن العالم —سيما وان مهامه اضطرته إلى السفر كثيرا— ويحب ان يُدعى "ابن السبيل"، على الطريق...

والاب خليل رجل تسكنه حرية داخلية. فلقد كان قادراً أن يضع نفسه خارجاً عن البنى التي بوسعها أن تخنقه او ان تذهب به إلى حيث لا يشاء ان يذهب. مثل هذا الموقف جلب عليه كثيرا من المتاعب. ففي كل مرحلة من حياته، لم يكن عبداً للماضي، وانما كان يتكيّف مع كل وضع جديد. كما انه ساعد الكثيرين، بهذا الشكل، على ان يكونوا صادقين مع انفسهم ويلتزموا بكل هدوء.

واختم بالاشارة إلى سمة من شخصيته: لقد كان صانع جسور **(Pontifex)** (كلمة لاتينية كان التقليد المسيحي يمنحها للكاهن بصفته جسراً بين الله والبشر). وهنا اترك الكلام لأحد الاخوة من ديره في بروكسل، يوم تشييع جثمانه: "لقد كان باني جسور عبر إرادته في الحوار مع التقاليد المسيحية في الشرق، ومع الاسلام، هناك وهنا. باني جسور هنا ايضا في ما بيننا، عبر همه الدائم، يوما بعد يوم، في التقريب بين الاخوة وخلق مناخات للحوار ولحياة اخوية حقيقية في جماعته الرهبانية التي عرف أن يضطلع فيها بجدارة بمهمة المسؤول الصعبة... قلب اخوي، حامل للتوازن والتمييز والحكمة، طيب ومرحّب دوماً، ولكنه ملتزم في الوقت ذاته، لانه حرٌّ تماماً..."شكراً لك يا خليل، الاخ، وقد منحنا الله اياك نعمة..."

كانت للاب خليل ٢٨ مساهمة، في مقدمتها ثلاثة اعداد من "السلسلة" ومقالات في المجلة على مدى عشرة اعوام، نشر منها تسع في كتاب "من وحي الانجيل"، وثـلاث في "المختـار"، وثلاث في كتاب "اسئلة واجوبة".

العدد ٨ من "السلسلة" لعام ١٩٦٤: اصل الانسان
العدد ١٦ من "السلسلة" لعام ١٩٦٥: قيمة العمل في الفلسفة المسيحية
العدد ٥٣ من "السلسلة" لعام ١٩٧٠: الانجيل في حياتي

مجمع الاساقفة/ملف/ك٢ ٧٢
هل نحتاج بعد إلى راهبات؟/ملف/ أيار ٧٣
● كنيسة ما بعد المجمع/خاص، ايلول ٧٣ (المختار/ص٦٠)
خواطر في الصلاة/ملف/ شباط ٧٨
صوت الطفل/ اذار ٧٩
"كنيسة العرب" لجان كوربون/كتاب/ ايار ٧٩
رد على "محاولة لاهوتية في النبوءة"/حزيران ٧٩
● ما الفائدة من المعوقين؟/ت٢ ٧٩ (اسئلة واجوبة/ ص١١٣)
● دوافع الدعوة الرهبانية/ ك٢ ٨٠ (اسئلة واجوبة/ص١١٧)
ما المطلوب من كنيستنا؟/حزيران ٨٠
التربية الجنسية في اهتمام الكنيسة/ملف/ ايلول ٨٠
● يسوع، بشرى الله الجديدة/ خاص، ك١ ٨٠ (المختار/ص١٢١)
قيامة المسيح اليوم/ملف/ نيسان ٨١
● الاساليب الادبية/خاص، ت١-ت٢ ٨٣ (المختار/ص١٤٣)
ازمة الدعوات في الكنيسة/ حزيران-تموز ٨١ (اسئلة واجوبة/ص١٣١)
نداء العدالة... من اجل عالم جديد/ ايار ٨٣

"من وحي الانجيل"

● الانسان، أهو قطعة غيار؟/ك٢ ٧٨	(ص١٣)
● الغني والعازر/ شباط ٧٨	(ص١٥)
● ملك، ولكن لأية مملكة؟/اذار ٧٨	(ص١٧)
● المسيح معنا على الطريق/ نيسان ٧٨	(ص٢٠)
● التجدد في الروح القدس/ ايار ٧٨	(ص٢٣)
● نداء إلى الجائعين/ حزيران ٧٨	(ص٢٥)
● العمل والدعوة/ت١ ٧٨	(ص٢٧)
● الرحمة يا رب/ ت٢ ٧٨	(ص٢٩)
● الاستقامة الانجيلية بين القول والفعل/ ك١ ٧٨	(ص٣١)

كانت بدايات الاب خليل مع "سلسلة الفكر المسيحي"، وتعمقها من ثم إلى مقالات في المجلة منذ ١٩٧٢ وحتى مغادرته العراق عام ١٩٨٣، فكانت له طروحات ومعالجات في قضايا حيوية تناولت الحياة الزوجية والصلاة والقيامة، ولم تغب عنها قضايا التربية والعائلة... والاب خليل هو أول من نبّه الاب "بن وحسي الانجيلي" عام ١٩٧٨ وعلى مدى العام، ولقد نشرت مقالاته الكتابي بالعراق ذاته في "الباعوراثا".

- **خواطر في الصلاة/ ملف** (شباط ١٩٧٨/ص٥٨)

"الصلاة، حياة عمل والتزام، وهي فوق كل شيء فعل حب يرتقي بالانسان -ومع البشرية كلها- إلى الله مصدر الحياة والعطاء". بهذه الكلمات كان قد قدّم الملف الذي من خلاله أدخلنا الاب خليل إلى مفهوم عميق للصلاة، يفوق فيها الاصغاء على الحديث، ولكنها بالتالي نداء إلى التزام قضايا الانسان وتطلعاته... ذلك ان الصلاة هي استباق الملكوت، وهي سعي حثيث إلى تحقيقه عبر الالم والشوق الدائم...

- **صوت الطفل** (آذار ١٩٧٩/ ص١٣٠)

وكان لا بد للفكر المسيحي ان ترجّع صدى العام الدولي للطفل (١٩٧٩)، فكان هذا المقال بمثابة "صوت من لا صوت لهم"، عبر كلمات خاطبت ضمير الآباء والامهات وكل من له مسؤولية في تربية النشء الجديد على قيم الحب والحرية والاستقلال وبناء الشخصية المتكاملة.. مقال هو اشبه بدفاع عن حقوق الطفل في مجتمع يستهين بحقه في الحياة ويبخس كرامته ويهزأ بحريته.

- **التربية الجنسية في اهتمام الكنيسة/ ملف** (ايلول ١٩٨٠/ ص٢٩٨)

"الجنس في مفهومه الانساني والمسيحي قيمة ذات مرمى بعيد ترتبط بكيان الانسان ككل، في حركة إلى تجاوز الذات نحو اللقاء والاتحاد بالآخر". هكذا قدّم المقال في حينه، وقد عرض بشكل موضوعي، اسس التربية الجنسية، وصولاً إلى المفهوم المسيحي الذي يضفي عليها انوار الخبرة الايمانية والروحية. انه نداء إلى العائلة والمدرسة والدولة والكنيسة للاضطلاع بمسؤولياتها الجسيمة في بناء انسان متوازن، عاطفيا وجنسيا.

- **قيامة المسيح اليوم/ ملف** (نيسان ١٩٨١/ ص١١٦)

قيامة هي اكثر من حدث تاريخي مضى... انها فعل الله مع يسوع الناصري الذي ذهب بامانته لرسالته حتى الموت، موت الصليب، فكانت القيامة فعل وفاء الله مع يسوع. انها بالتالي حدث تستمر مفاعليه في حاضر الانسان المؤمن، في صراعه المستميت من اجل الحياة والامل؛ وهي المشروع الفصحي الكبير الذي حاولت النصوص الكتابية ان تكشف عن معانيه وابعاده في حياة الانسانية، امس واليوم وغداً...

- **نداء إلى العدالة... من اجل عالم جديد** (ايار ١٩٨٣/ص١٦١)

في مجمع الناصرة، اختص يسوع نبوءة اشعيا التي تحدثت عن المساكين والماسورين والعميان والمرهقين... وعلى الكنيسة ان تختصّها ايضا، مضطلعة، وراء يسوع الذي اسس ملكوت العدل، بمسؤولياتها الجسيمة في قضايا الشعوب التي ترزح تحت ثقل المظالم، ولها في انجيل يسوع ما ينير دربها للعمل على بناء عالم تسوده العدالة والمساواة... والانجيل هو بشرى تحرير وفرج لكل المظلومين والمستَعبَدين والمهمشين...

هذا المقال كان الاب خليل قد بعثه إلينا من باريس عقب مغادرته العراق، وكان آخر مساهماته.

خواطر في الصلاة

لست انوي تقديم دراسة لاهوتية في الصلاة، غير اني اشعر بأن الصلاة هي من القضايا التي لا نستوعب سرها العميق المتميز بمجرد الاطلاع على تعريف لمعناها وتحليل لنشأتها وشروطها ومفاعيلها وانواعها... الصلاة كحجر الماس، كلما ادرته اكتشفت له الوانا جديدة ولمعانا خاصا، أو كشمس الغروب ترسم كل يوم في الافق لوحة تختلف عن لوحات الايام الاخرى.

في هذا المقال اقدم الصلاة التي تنبع من قلوب مسها الله، فأتت انشودة ذات تعابير رائعة للحياة الانسانية المنعكسة فيها أشعة السماء. لست أقصد صلاة بعض المتصوفين أو القديسين، بل ما يمكن قراءته في حياة كل انسان، وهو يعيش طموحاته الروحية التي يبدعها الروح القدس في أعماق الضمير.

وقد يجد المسيحي في هذه المطالعة ما يهذب صلاته ويغنيها ويؤهله لصياغة قلبه للمضي قدما في طريق الخلاص الصاعدة بفرح واقدام. فاذا كانت الصلاة من مقومات مسيحيتنا، كان من الضروري احياؤها واللجوء اليها واعطاؤها ابعادها الحقيقية، سعيا للخروج من المخادعة أو الانتفاعية الضيقة أو التخدير الوقتي.

• من الاعماق

من مخدع قلبك المغلق

كل مكان صالح للصلاة. الله في كل مكان ولا يحتاج الانسان، كي يصلي، الا الى الالتقاء بذاته وبربه، في مخدع قلبه المغلق: "اذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين. فانهم يحبون القيام في المجامع وفي زوايا الشوارع يصلون ليظهروا للناس... أما انت فاذا صليت فادخل مخدعك واغلق الباب وصل الى ابيك في الخفية" (متى ٦:٥-٦).

ان قلبك الآهل بالله، في وسط سكون المناجاة، يحملك حتما على الدخول الى بيت الله، الى هيكله الذي اراده بيت صلاة: "يالها من فرحة حين قيل لي: هلم الى

بيت الرب" (مزمور ١٢٢). الكنيسة، في بنائها وزخارفها وطقوسها، يجب ان تضمن لنا ذلك المناخ الضروري الذي يعزلنا عن ضجة الاصنام ونقاقها، ويغمرنا من روح العبادة والسكينة، فيؤهلنا للقاء الله. لذا كان من الضروري ان يراعى في الكنائس الفن الجميل والبساطة ورقة الذوق، مما يساعد على صلاة تتحرر من الحسيات المائعة والمشاعر السطحية والتقوى العاطفية.

الصلاة الجيدة، يقلّ فيها الكلام ويكثر فيها الاصغاء، للدخول، عبر الليل، في سكوت الله. في حالة السجود والدهشة يبدأ الانسان بتذوق طعم كلام الله، واستيعاب ما يكرره الروح القدس في الاعماق، فيتحول الى انسان جديد. في مثل هذه الصلاة، لن يعود الانسان بعدُ، ذلك الشخص المنشغل بالانتاج والفاعلية، بل يضحي الانسان المعجب بما يرى ويسمع: ما أعظمك يا الله! ما أقدس اسمك يا الله!...

انين انتظار الملكوت

الصلاة اعتراف باننا لم نحقق بعدُ ملكوت المسيح فينا، ولم نصبح كليا من بني الملكوت وسكانه المطمئنين. ففي وسط كوارث الطبيعة ومآسي الحروب والامراض والبؤس والوحدانية والاضطهاد، ترتفع الصلاة انينا من قلب مؤمنين لا يزالون في انتظار مواعيد الملكوت، ولو كان هذا الانتظار شاقا وطويلا.

يعلم المؤمن انه ما دام على الطريق سائرا، فهو يجابه الشر، ويدرك ما لسلطان الشر من قوى رهيبة وجبارة، فيرفع صوته الضعيف الى الله القدير مستنجدا وملتمسا قوته وعطفه وحمايته. انه على ثقة بان الله يميل الى ضعفاء الارض والمساكين والمتألمين: "أعلم ان ربي مؤتي البائس حقه ومنصف المساكين" (مزمور ١٤٠)، و"ينصف المظلومين، يطعم من جاع ويفك قيود الاسرى، ربنا يصيّر الضرير مبصرا، ينهض الرازحين، ربنا يقي ابن السبيل، يؤيد الارملة واليتيم" (مزمور ١٤٦).

صوت الألم

الالم المتصاعد صرخة الى السماء، يضحي صلاة حب واستسلام: "يا ابتاه، ان شئت، فأبعد عني هذه الكأس. ولكن لتكن مشيئتك لا مشيئتي". يرى المؤمن في آلامه، لا عقوبة او انتقاما، انما لقاءً مع المسيح المتألم ودعوة الى المساهمة في بنيان الملكوت. وما دام الملكوت في حالة تكوين، سيبقى صوت الألم مقترنا بالصلاة: "ليأت ملكوتك". ليس الملكوت ترضية للذات أو راحة ونعيما. انه يكمل تحرر

الانسان، بما في هذا التحرر من دعوة له الى العيش كـابن الله. فالمضايق والمحن والاضطراب والفشل.. قيود تكبل الانسان في رغباته العميقة، لذا تعبر صلاته عن رغبته في ان يشركه الله في حرية يسوع المسيح، ويثبته في حب لا يقوى احد ان ينتزعه منه.

• زهرة الحياة

الانفتاح على الحياة

الصلاة وقت ثمين مليئ بالرقة والنعومة، يعيشه الانسان في الفة الله. من صلاتي لا أترقب امرا، ومن صلاتي اتوقع كل شيء، لا أصلي من اجل المنفعة، ومع ذلك تمنحني الصلاة أعظم الخيور: الانفتاح على الحياة. تربطني الصلاة بالرب الحي مصدر كل حياة، كما تربطني باخوتي البشر، وهم يعيشون واقعهم بحيوية متدفقة. حين اصلي اشعر وكأنني اشرب من ماء الحياة الذي ينعشني ويرطب نفسي ويوقظ فيّ اماني الروح وامل كل حي، تضمحل عندئذ اليبوسة الانسانية، ويأخذ حنان الله مأخذه من قلبي؛ وبمقدار ما اضحي اكثر انفتاحا الى الله الحي، اضحي انسانا بالاكثر.

اذا مزجت حياتك بصلاتك، فسوف لا تنفصلان ابدا. والحياة الزاخرة بأعمال ومشاعر وافكار ومواقف، ستكون وقودا يغذي نار الصلاة، وهي تتصاعد لتحولك تدريجيا الى العليقة الملتهبة الرامزة الى حضور الله.

صلاة ثائر قبل موته في احد سجون بوليفيا

ربي الحبيب، بعد الصمت الطويل اكتب لك: اليوم اشعر بحاجة اليك والى حضورك.. انت تعلم كم سعيت، وبشتى السبل، إلى ان أكون امينا نحوك، ولذا فأنا هنا.. ها اني تركت كل شيء واتيت. قد يكون اليوم خميسي الفصحي وغدا جمعتي العظيمة. بين يديك اسلم ما أنا، بملء الثقة، لاني احبك. المي الاكبر هو فراقي لزوجتي واطفالي وعدم معاينتي لانتصار الشعب وتحرره. نؤلف جماعة مؤمنة بالانسانية، المسيحية، وهذا كاف لتحريك عجلة التاريخ وتقدمها..

إن جعلنا معنى للحياة، فالموت ليس بباطل: هذا واقعنا، وداعا يا رب، والى اللقاء في سمائك، الارض الجديدة التي اليها تتوق نفسي.

فرنسيسكو

رنين الانجيل في الحياة

قبل ان تكون الصلاة حديثا مع الله، فهي اصغاء الى كلامه، كما يصغي الصديق الى صديقه ليكتشفه بالاكثر. الاصغاء الى الله -وهو يتحدث الينا في ابنه وروحه القدوس وكتابه وكنيسته والتاريخ الانساني- هو الذي يثير فينا صلاة المديح والشكر والسجود والتهليل بالحب الاعظم. من خلال كلامه يوحي لنا الله ذاته خالقا قديرا وابا محبا ومخلّصا رحيما، فأعيش الله حين اعيش كلامه.

الصلاة تخلد فينا صدى الانجيل ورنينه المعزي والمفرح. فان الطريق الى الخلاص وعرة، والجهاد اليومي الشاق مفروض على كل من عزم ان يعيش الحب الاكبر. فمن اجل نجاح المسيرة والثبات في الجهاد، يحتاج الانسان الى كلمة الحب والسلام.

صلاة يفوح منها عرف المسيح

ان المصلي الاسمى، المقبول لدى الاب، هو الابن الحبيب يسوع المسيح. حلّ الها في ما بين البشر، فتجسد البشرية وكل اشواقها وامانيها وصلاتها. بالتجسد اتخذت قضايا البشرية بعدا جديدا. فالمسيحي يصلي بيسوع المسيح، واذ ذاك تمتلئ صلاته من الروح القدس، وتتخلص من العقلية التشريعية والفريضة، وتتحرر من اعتبار الصلاة وصفات مفيدة وضمانات مستقبلية، فتضحي تمجيدا وحبا يفوح منها، حرا طليقا، عَرفُ المسيح المصلي ومعلم كل صلاة.

• نور وحب

ان صلاتك هي انعكاس لطموحاتك الروحية. هل لديك عطش الى الله، وهلا تشعر في قلبك صوتا يعلو نحو السماء: يا رب اجعلني اتوق اليك. انك تتقدم في معرفة الله بمقدار ما تسكنك رغبة شديدة في التعرف عليه بشكل متزايد. فالانسان عاجز بذاته ان يصبو الى الله. واذا عاش في اشتياق دائم الى الله، فذلك لان الله فيه حتى وإن شعر بغيابه عنه: "لو لم تجدني لما استطعت أن تبحث عني".

"اذا كان فيك شوق، واذا كان شوقك الى النور، فالشوق الى النور يولّد النور، (سيمون فيل).

الصلاة شمس الله في حياتك، شمس تُكسبها اضاءة ودفئا، فتنتج عنها الاعمال الصالحة والخدمة الشاملة بمحبة ونزاهة. وما دامت الصلاة حية، فلا يدرك النفسَ الغروبُ الرهيب المنذر بحلول الظلمة. لا غروب لشمس الله.

شمس الله

"هلم ايها الرب يسوع واسكن في نفسي بالايمان. الهمني واعطني الصبر، وعلمني الا افرح في النجاح واقنط في الفشل. اعطني ان استعمل هذا العالم والا أبالي به، فلا اشمخ متى حالفتني الظروف، ولا اقنط متى عاكستني. لست اباركك متى كنت في بحبوحة وحسب، بل ان خسرت خيراتي، باركتك ايضا"

القديس اغسطينوس

حضور دائم

جعل الله نعيمه بين البشر (امثال ٨: ٣١). فهو حاضر فيك، يمدك حياته وعطفه ونوره. عليك انت ايضا ان تكون حاضرا في حضور الله، وان ترتمي على الارض راكعا ساجدا بتواضع وبمزيد من الحب. والحب فعل مجاني لا نفع فيه سوى انه يحولك الى معزوفة لتنشد هليلويا، دائما وابدا!

لا تعطي الصلاة لله مما فاض من وقتنا. انها تقتضي ان نقبل طوعا وببهجة ان "نضيع" وقتا امام الله ومن اجله، ونملأ هذا الوقت بحضوره: ما أطيب أن نفرح بالرب ونتذوق لذة حضوره، كما تذوقها بطرس في حادثة التجلي.

لا يمكن ان ندخل في ألفة الله، متحدثين اليه، صاغين الى صوته، من دون ان نسمو خلقة: ذلك لان نظر الله المملوء حبا يخلقنا دوما، موسّعا فينا الوجود والقدرة والحياة: "ربي، انت بي خبير، انت بي بصير.. انت مصور كلاي وناسجي في بطن امي، فلك الشكر على الجم من الأعاجيب. فعجب انا، وعجب خلقك" (مزمور١٣٩). وجاء في كتاب "الاله الحي" لروجيه غارودي: "انا ما انا لان الله يراني. تعيش النفس من نظر الحب الذي يلقيه الله عليها. نحن على شفة عمق غير متناه وأمام سر كلي الغبطة. الله هو ذاك الذي ينظر بحب؛ والاشياء، بنظر، هي هي؛ وبنظره، انا ما انا".

بصر جديد وقلب جديد

لا تبدل الصلاة شيئا في سير التاريخ ونشوء المجتمع الانساني، كما انها لا تصد الامواج التي تجتاح العالم مهما كانت قوتها جارفة. غير ان الصلاة تبدّل نظر الانسان وقلبه. انها تُكسبه بصرا جديدا مليئا بنور الانجيل، فيرى ما فيه وما حوله عبر عيني المسيح، رؤية واضحة غير معكرة، تعزز فيه الحكم السليم على الاشياء حسب نوايا

الله ومقاصده. ثم تترع الصلاة من الانسان قلبه الحجري، فتضع فيه قلبا يميل الى الخير ويشعر بألم الغير ويستقبل طَرْقة الرب الواقف على الباب: "ها انذا واقف على الباب اقرع، فان سمع احد صوتي وفتح الباب دخلت اليه لأتعشى على مقربة منه وهو على مقربة مني" (رؤيا ٣:٢٠)

هذا هو السبيل الاقرب لاكتشاف قلب الله الاب وما يحتويه من محبة قصوى لكل انسان. يتم هذا الاكتشاف في سكوت التأمل الهادئ وجو المناجاة التي هي من أروع الخبرات الروحية. ننسى كل ما وراءنا، ونضحي برمّتنا انتباها لله، وهو يشملنا بحبه المبدع كل قداسه: يا رب اجعلني منتبها الى حضورك، منتظرا مجيئك الدائم.

• مواكبة فصحية

الصلاة تترعنا من ذواتنا العليلة وتحقق فينا انسلاخا عن عوائق تعرقل المسيرة، وتطلقنا في اتجاه غلبة القيامة، بقوة الحركة الفصحية التي رائدها الروح القدس.

من يصلي لا يهدأ الى نوم ولا يسكن الى راحة، ما دام هناك اناس جالسين في ظلمة الموت والفناء. فمع المسيح يبقى متطلعا الى الاخوة البشر، وهو ينضم الى الفادي ليحمل معه خطايا العالم: "ماذا ترى يجري بالخطاة المساكين". كانت هذه صرخة مار عبد الاحد وهو يصلي. من الصلاة يستمد كل متألم مؤمن، لا أقول قوة على التحمل والصبر وحسب، انما معنى جديداً للالم يعطيه قدرة فدائية بفضل المحبة المقرونة به وروح التعويض الحاضر فيه. في الصلاة تضامن متين مع افراد الاسرة البشرية، في أفراحهم واحزانهم، في آلامهم وآمالهم، ولا يمكن ان تبقى الصلاة غائبة عن كل قضية يتعلق بها مصير الانسان وتطلعه الى السعادة المنشودة.

"اليوم تكون معي في الملكوت"

صلاة المؤمن معزوفة رجاء وأمل. فالرجاء يعمل على توسيع الافق كي يستمر السير حتى البلوغ. رجاؤنا مبني على كلام المسيح وهو يعلن ان اسماءنا مكتوبة في سفر الحياة، ويعدنا ان يبقى معنا الى انقضاء الدهر. الخطيئة العظمى التي تغلق امامنا باب الملكوت هي تجاهلنا ان الله رحمة خلاقة للضمائر الطاهرة والقلوب الجديدة، وتعمي رفضنا العنيد ان نطرق باب قلبه قبل ان نهرع إلى الطرق على باب ملكوته. هذا هو التجديف على الروح القدس الذي لا يُغفر، اذ ان الله لا يقدسنا بدوننا، أي دون ان نوجه اليه نداءنا بروح بنوية واثقة: يا رب ارحمنا.

صلاة تسليم الذات

"ابت اني اسلم لك ذاتي، فافعل بي ما تشاء. ومهما فعلت بي، فانا شاكر لك.
اني مستعد لكل شيء، وارتضي بكل شيء.
ليس لي رغبة اخرى يا الهي، سوى ان تكمل ارادتك فيّ وفي جميع خلائقك.
اني استودع روحي بين يديك، وأهبها لك يا الهي، بكل ما في قلبي من الحب، لاني احبك، ولان الحب يتطلب مني ان اهب نفسي، ان أودعها بين يديك، من دون ما قياس، وبثقة لا حد لها.. لانك ابي".

شارل دي فوكو

ان صلاة الرجاء تخلق في المؤمن فرح الحركة والانتقال الى عالم الله النيّر، وتحرره من الجمود والانشغال المفرط بفحص ضمير لاكتشاف النقائص ومكافحتها. من الوجهة التحليلية النفسية، هذا اسلوب سقيم يؤدي الى البقاء في الارض الموحلة دون التمكن من الخروج منها.

الرجاء يمنحنا دفعة الى الامام لتُثبت خطواتنا في خطى المسيح وتحملنا عمليا على اكتشاف وجهه الساطع، لا وجهنا القاتم، والى الولوج الى قلبه، قدس الاقداس، فنتقدس.

الصلاة نعمة

ختاما، لنتذكر ان الصلاة نعمة يهبها الله لمن يشاء. غير اننا على يقين من انه لا يرفضها لمن يرفع الحاظه الى السماء ويبسط ايدي الضراعة الى الله ويصرخ صرخة الانتظار للخلاص. لا يخيب الله امل المتكلين عليه، بل يرسل روحه القدوس ليرشدهم الى كل الحق ويعلمهم كيف يصلون: "أخذتم روح التبني الذي ندعو به أبّا، أيها الاب...الروح الذي يعضد ضعفنا. فانّا لا نعلم ماذا نصلي كما ينبغي، لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا توصف..." (رومية ٨:١٥، ٢٦).

لا نُتعبن انفسنا بصلوات كثيرة الكلام وممارسات مملة، مقتبسة من هنا وهناك. لنذهب الى المعين، الى الروح القدس. ولنتركه يحتل قلبنا ويستلم قيادة مسيرتنا، فهو ادرى منا بما نحتاج اليه، وهو الوحيد الذي يستطيع ان يستخرج من قلبنا الضعيف نغمات المديح والشكر اللائقة بالعزة الالهية، وان يخلد فينا صلاة المسيح المرضية.

عدد شباط ١٩٧٨

صوت الطفل

تتصاعد الاصوات في شتى انحاء العالم من أعماق الانسانية المجروحة، وهي تطالب بحقوقها في استرجاع اراضيها المسلوبة وكرامتها المداسة وحرياتها الموقوفة في العيش والتعبير والعمل. اصوات تشق الفضاء، برناتها الحماسية القوية، لتدعو محبي العدالة والحرية والحق الى توحيد الصفوف وتنسيق الجهود لازالة التعسف والظلم والاستغلال.. ايمانا منها بان اصوات الحق والخير هي اكثر نفعا من اصوات المدافع في بناء عالم اكثر انسانية.

واليوم -ونحن في عام الطفل الدولي- تتصاعد، وسط ضجيج الاصوات العنيفة، أصوات الطفل هادئة رخيمة كالنسيم العليل، لا عنف فيها ولا حدة، لا قسوة فيها ولا هجمة. انها اصوات تغني فرحة الحياة، وهي كالنجوم تلمع في وسط الليل الاسود معلنة عن فجر السلام والسكون.

اصوات الطفولة ناعمة، وتكاد لا تسمع الا من قبل من أصرّ على سماعها. انها وضيعة ووديعة بحيث أن وسائل الاعلام تأنف أن تلتقطها وتسجلها وتنشرها، فهي لا تحشد قوات ولا تجند فصائل ولا تنظم معسكرات. ومع هذا، فهي من أخطر الاصوات وأكثرها صدى بين الشعوب من مختلف الحضارات، لانها صوت الحياة، لا صوت الحناجر. ألم تفكر عزيزي القارئ بأن للحياة صوتا منذ نشأتها وخلال تكوينها وحتى اكتمالها؟

صوت الحياة

الحياة حركة، كامنة كانت أم ظاهرة، لا تُعوَّق في نموها وبلوغها الا بالاختناق والموت. انها قوة تدفع بالكائن الحي، منذ بدء تكوينه، الى نشدان اكتماله الى أن يحظى بالنضج التام، كل وفق طبيعته الخاصة. وتنطبق هذه القاعدة على مختلف أنواع الاحياء، البسيطة منها أو المركبة، ولكنها تنطبق باروع شكل على الانسان، وهو قمة

الكائنات الحية على الارض، كونه يحتوي مختلف الانواع الحية السفلى ويتخطاها بصفته المتميزة: حياة الروح.

لحياة الانسان، منذ ظهورها، صوت يرتفع لينادي باحترام وجودها. هذا الحق في الوجود هو من اقدس الحقوق في الكائن الحي، ابتداءً من نشأته الاولى، حيث يتمتع بكل ما يجعله أو سيجعله شخصا مكتمل القوى الروحية والجسمية، له استقلاله ودعوته ومصيره. ان الطفل، بالرغم من ضعفه وعدم تمتعه بوسائل دفاعية تصد عنه العدوان، لا يمكن ان يخضع لقرار من هو اكبر منه، كما لا يسوغ لمن لهم سلطان عليه أن يتحكموا بمصيره. والجنين الانساني، منذ اللحظة الاولى من وجوده، مجموعة من طاقات مدهشة، تعمل على تكاملها تلك النفس الكامنة فيه والتي تحدد شخصيته الروحية فتجعله مكتفيا بذاته ومستقلا عن غيره، بالرغم من انه يبقى لمدة طويلة تحت حماية الام ورعايتها بحكم اتحاده الوثيق الحي بها. فالطفل، ما دام جنينا، مرتبط بامه ومتأثر بمكوناتها الجسمية والمعنوية ولا يمكنه الاستغناء عنها، كما لا يمكنها هي ان تستغني عنه، قبل اكتماله، دون انسلاخ في ضميرها اكثر منه في جسمها. افيحق للوالدين اللذين خولا مهمة الاسهام في خلق الحياة البشرية، ووكلت اليهما مهمة احتضانها حتى نضوجها، ان يبيدا حياة طفلهما؟ ان صوته الخافت الذي يطالب بحقه في الوجود سيرنّ في الاعماق حيث يتحرك الضمير وتطرح التساؤلات الاساسية.

ان انتشار الاجهاض في الاونة الاخيرة، وقد شرّعته بعض الدول، استنادا الى حجج واهية، هو شكل من اشكال الانحدار الخلقي. فالتشريع الذي تسنه دولة ليس دوما مقياسا للحق والخير، لذا لا يمكن الاعتماد عليه واعتباره مبدأ سلوكيا عادلا وسليما بالنسبة الى الضمير الانساني. في نظرنا، ان الابادة المقصودة لحياة بشرية بريئة، مهما بلغت من العمر، جريمة قتل واضحة، سيما اذا كانت الاسباب التي تدفع الى الاجهاض لا تتناسب وجسامة النتائج الادبية والنفسية المترتبة عليه. ان الاحتفال بعام الطفل يدعو الى إعادة النظر في موقف الذين يبيحون الاجهاض، والاصغاء برقة ورهبة الى صوت الطفل الذي يهدد حياتَه أناسٌ حوّلتهم انانيتهم ومصالحهم وأهواؤهم الى أعداء الحياة ومغتصبين حقه في الوجود. ان صوت الحياة لا يخنق! فهو عال، من شأنه ان يُحدث لدى الغافلين يقظة الضمير، بحيث تحملهم على ان يقفوا بجرأة وشهامة موقف دفاع وحماية عن ذاك الكائن الاعزل الذي لا يقوى وحده على الدفاع عن نفسه.

صوت الحب والصداقة

الطفل اشراق الحب! أُنجب، ليس بمجرد آلية القوى الفيزيولوجية لدى الزوجين، بل نتيجة دافع روحي داخلي واختيار مسؤول، تفجر من حب دائم امين. ان الطفل، قبل ان يبصر النور، حاضر في الاب والام حضور الرباط الوثيق بينهما، رباط نسجه، بصبر وتدرّج، الحبُّ المتبادل الذي تحول الى عطاء واقتران، فتجسم بصورة رائعة في الطفل الذي يتعدى بكثير ما بوسع الرجل وحده ان ينتجه وما بوسع المرأة وحدها ان تنتجه. هذا الطفل هو هدية الاب الى الام: انه جزء منه، انه ولده حقا. وهو هدية الام الى الاب: انها تعي بان كل ما في ولدها هو منها، انه ابنها تماما. انه ولد الاثنين معا، وهو بمثل اقوى حلقة وصل بين الوالدين، ليس فيزيولوجيا وحسب، بل لانه صوت حبهما وعبير صداقتهما. انه يجمع فيه ما تضمنته مسيرة الحب في الرجل وفي المرأة من خطوات، الواحد نحو الاخر، وكل ما حققه لقاؤهما من عطاء مشترك ومتبادل ومن اتحاد كلي؛ ويطيب لهما ان يريا في طفلهما انعكاسا حيا، جسميا ومعنويا، لصورة كل منهما وامتدادا لشخصيتهما، كما يطيب لهما ان يشعرا بانهما نالا حظ الغلبة على موتهما والتخلص من شبح الانقراض المرير.

غير ان على الوالدين ان يتذكرا ايضا بان طفلهما هو اخر: انه شخص مدعو إلى ان ينفصل عنهما تماما، يوما ما، ليبني حياته دونهما. ان بطولة الوالدين اللذين يلتزمان كليا ابعاد الحب الخصيب تكمن في قدرتهما على الفرح العميق، وهما يريان الكائن الذي نبع منهما يبتعد عنهما لمجابهة الحياة، حاملا في طيات ضميره مصيره الشخصي!

ان الطفل في المجتمع هو تجسيد رائع للحب. فهو بهذا صديق الجميع: يصادق الحيوان، فلا ينال منه اذى، ويصادق الانسان على امل ان يبادله الصداقة. لا يعادي احدا ولا عدو له، وليس للحقد والانتقام مكان في قلبه النضر. انه صوت الحب بين الوالدين، وهو صوت الحب بين الشعوب: حين قررت فرنسا والمانيا في اعقاب الحرب العالمية الثانية فتح صفحة جديدة في علاقاتهما، اخذتا تنظمان لقاءات ونشاطات مشتركة بين الاولاد من كلا البلدين اسفرت عن خلق جيل جديد يجهل التناحر السابق والصراع القديم، منصرفا الى التعاون بين البلدين من اجل تقدمهما وازدهارهما في كافة المجالات!

صوت الحب يشهد للحب. ولا يحتاج الطفل إلى ان يشهد للحب، بكلامه او بقلمه، فهو انما يحمل الشهادة في شخصه، في صفاء عينيه ورقة ابتسامته وصراحة حركاته وصرخاته. غير انه، مع الاسف، قد يكون الشاهد على غياب الحب في

والديه، سواء من جراء افتراقهما، ام بسبب النزاع القائم بينهما، فتظهر عليه اثار هذا النقص ويفقد الكثير من جماله الروحي والجسمي من جراء عذابه الداخلي. هل يفكر اولئك الوالدون الين يستسلمون لداء الطلاق او الافتراق بعمق الجروح التي يحدثها في اطفالهم ومدى التعاسة الادبية التي يرميهم فيها؟ اننا نقتل الطفل عندما نقتل الحب فيه! وهذا ما نلاحظه في العوائل حيث يسود جو مرير من الخلاف والنزاع والمشاحنات. في هذا الجو الخانق يهرع الطفل لحماية الحب، بدموعه وصراخه، ولكن قلما يكترث الكبار لندائه الطاهر، وقد يدوسون باقدامهم الصلبة هذه الازهار التي زرعها الله على طريقهم لتكون انعكاسا لجماله وحبه في البشرية.

صوت البراءة

ان معظم الكبار اليوم يسلكون الذهنية المادية والمنفعة الانية. لذا نراهم يتسمون تهكما واستهزاءً لدى سماعهم هذه العبارات: الصدق، النزاهة، الامانة، المسامحة، العدالة... هذه الظاهرة هي مؤشر واضح على فقداننا براءة الطفولة! ان عالمنا، نحن الكبار، تغبّر باقذار مطامعنا، وفَسُد بالمنافسات العنيفة من اجل كسب المجد والمال والسيطرة.

"ان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً"! قول المسيح هذا يدل على ان البراءة فينا تتجلى اولا في اعيننا ونوعية الرؤية فينا. البراءة تخلو من سوء الظن والحقد والمطامع الشهوانية والحسد. انها تملأ اعيننا بالنور، فتشع منه علامات النقاوة في الحكم والفكر والنظر.

ان للتربية الاولية اثرا عميقا في تقييم هذه البراءة في الطفل ودورا كبيرا في حمايته من انحرافات قد تؤدي به الى خلل في توازنه وسلوكه، فلا بد ان يفطن الوالدون الى اهمية التوجيه الحسن، منذ البداية، للحياة الجنسية في الطفل. ان الطفل يميل غريزيا الى اكتشاف جسمه قبل ان يبدأ في اكتشاف العالم الخارجي المحيط به، وتظهر لديه تدريجيا تساؤلات طبيعية في اختلاف الجنسين، وكيفية مجيء الطفل الى العالم... فالتربية الحديثة تدعو الوالدين الى اعطاء الطفل اجوبة صحيحة تتناسب مع سنه ومداركه، وباسلوب جاد ورصين؛ فلقد بات من الضروري ان يتحرر الطفل، في موضوع الجنس، من عقد الخجل والخوف والذنب، ويحصل على الشرح الوافي والجدي عن كل ما يخالجه في هذا الموضوع، فلا يدخل في روعه ان هناك امرا شائنا يدعو الى الخجل! ان الجهل الذي تعمدته التربية التقليدية خلّف آفات كثيرة في نفسية الشباب والشابات وافسد العلاقات بينهم، اذ صاروا لا يعترون الاخر الا من الناحية الجنسية، منفصلة عن كرامة الانسان وعن تاصلها في معنى الحب الصحيح.

الطفل يطالب...

يقول الاطفال: ان عددنا في العالم ١,٥ مليار، أي اننا نمثل ٣٥% من سكان الارض! فنطلب من المجتمع ان يحسب لنا حسابا عندما يخطط المدن ويفتح الشوارع العامة ويصمم بيوت السكن... عليه ان يوفر لنا الحدائق والساحات والمسابح: فهي من الامور الضرورية لنا لنتمكن من ممارسة مختلف النشاطات والالعاب، إذ بها يتقوى بدننا ويصقل مزاجنا وتظهر مؤهلاتنا. انها المجال الذي يتيح لنا أن ننشأ على روح التضامن ونتدرب على التعاون والعطاء وروح الابداع... فحين لا تتوفر هذه الفسحات من الحرية، ترونا مضطرين الى اقتحام الشوارع لنحولها الى مساحات لعب، فنعرّض انفسنا لمخاطر عديدة ونعرقل حركة السير ونزعج المارين!

● **يقول الاطفال: بابا، ماما،** اننا نشعر كثيرا بمحبتكما لنا وحنانكما نحونا واهتمامكما البليغ بنا. انكما توفران لنا كل شيء جيد من عناية صحية وتغذية ولباس وتعليم والعاب. نحن سعداء في احضانكما وفي دفء البيت. غير ان امرا واحدا يشق علينا: انكما لا تصغيان الينا ولا تستأنسا الى حديثنا وإلى عملنا ولعبنا. ان لم تعودا فتصبحان مثلنا، فستبقيان غائبين عن حياتنا: اصغاؤكما الينا يزيدنا ثقة وجرأة وفرحا، ويدعونا الى الاصغاء اليكما. ان هذا الاصغاء المتبادل يولد الحوار بيننا، وفي الحوار سر التآلف والفرح.

● **ويقول الاطفال ايضا:** نحب الذهاب الى الكنيسة. ان جوّها يلذ لنا: فنفرح برؤية الشموع على المذبح واللوحات الدينية على الجدران والكهنة والشمامسة وهم مرتدون الحلل الطقسية الملونة... نحب ان نسمع التراتيل الجميلة ونكررها، غير اننا نعتبر انفسنا، وسط الجماعة، مجموعة منسية!

نريد ان نصلي، غير ان صلاة الكبار متعبة ومملة. اما مواعظ الكاهن فهي، بلغتها ومعانيها، للكبار فقط. نحن نطالب بان تقام قداديس خاصة بنا، بحيث تتناسب مع اعمارنا ومستوانا الايماني، فمن حقنا ان نحصل على غذاء الصغار، لان غذاء الكبار لا يصلح لنا. ومن واجب الكنيسة، ام الجميع، ان تشملنا برعاية خاصة.

● **ويقول الاطفال اخيرا:** ان عالمنا عالمكم. انتم تعيشون في عالم القضايا والمشاكل والتحديات والمناورات... عالمنا هو عالم الحرية والفرح والموسيقى والالعاب والالوان. نحن نحب التعايش مع الازهار والطيور والحيوانات الاليفة والرفاق. ما اقساكم انتم يا معشر الكبار: انكم تميلون الى الاحتلال والتوسع... الا يكفيكم عالمكم! لماذا تريدوننا نخوض، قبل الاوان، في مهاتراتكم ونستسلم لتيارات

الحقد والعداء والشراسة؟ انكم تعتبروننا مادة اولية تتصرفون بها كما تشاؤون، فتصبّوننا في قوالبكم وتُحدثون في تفكيرنا تحولات عميقة دون ارادتنا، بوسائل وضغوط نفسية واجتماعية مدروسة. نطالبكم باحترام شخصيتنا واكتشاف مؤهلاتنا وتوجيهنا بتراهة وتجرد لنحصل على الخير والسعادة ضمن عالمنا.

سادتي الكبار، اتركونا وعالمنا: فانتم بحاجة اليه كي لا تبيدكم الشيخوخة المبكرة ولا يبتلعكم عالمكم الذي صيرتموه غير صالح للانسان.

ان عالمنا، نحن الصغار، سيظل عالم الرجاء والمستقبل، عالم الهواء النقي غير الملوث، عالم المياه الصافية غير المعكرة، عالم انسان الغد إن لم يقض عليه انسان اليوم.

التربية الجنسية في اهتمام الكنيسة

دعت الكنيسة، في مجمعها المسكوني الاخير[1]، المسؤولين عن مختلف الجوانب الانسانية في المجتمع الى ايلاء التربية الجنسية لدى الشباب والشابات اهتماما خاصا، باعتبارها جزءا هاما من عملية التربية الشاملة المتكاملة، ولما لها من دور رئيس في رسم مصير الانسان المتحرر المتوازن. ان هذه الدعوة تتجاوب وتطوير المجتمعات البشرية وطموحات الدول على اختلاف اتجاهاتها السياسية، حيث يستهدف الجميع خلق صورة جديدة لانسان اليوم. لذا يتحتم ان تدخل، في البرامج الدراسية، القضية الجنسية وكل ما يتعلق بها من مواضيع راهنة، كالاجهاض وتنظيم النسل، ووسائل الاعلام، واللهو، والصحة، والعائلة، والضمان الاجتماعي والعدالة، وأوضاع المرأة وحقوقها، وحماية الطفل واليافعين الخ... ولقد شعرت الكنيسة -وهي التي ترافق الانسان في واقعه- بدورها في هذا المضمار[2]، وأبرز دليل على اهتمامها بهذه القضية الحيوية انعقاد سينودس الاساقفة (٢٦ ايلول ١٩٨٠) حول "مهمات الاسرة المسيحية في عالم اليوم" والتي ستكون للتربية الجنسية منها نصيب.

الانسان وآفاق علم النفس الجديدة

١) في مطلع هذا القرن جاء فرويد وادلير ويونغ، كروّاد، بأعنف ثورة عرفت في ميدان علم النفس، فجّرت حواجز الحياة الجنسية لتقتحم عالم اللاشعور، وبهذا تقهقر المفهوم القديم للانسان، لتحل محله رؤية جديدة للانسان تضفي على الزواج والجنس والتربية والتحرر ابعادا جديدة.

(١) - بيان في التربية المسيحية (اقرأ مقتطفات منه في عدد ك١ ١٩٧٩)

- دستور راعوي في "الكنيسة في عالم اليوم" (اقرأ مقتطفات منه في عدد حزيران و ت١ ١٩٧٩).

(٢) يعتمد بحثنا دراسة للاب برنار لامبير الدومنيكي نشرتها مجلة: "الوثائق الكاثوليكية" (D.C) في عددها ١٧٧٠: ٢-١٦ ايلول ١٩٧٩.

٢) سرعان ما استثمر التجار بدهاء ومهارة هذا الاكتشاف الفرويدي للاّشعور، فاحتاطوا بخبراء نفسيين ليجدوا اقوى الوسائل التقنية لاستغلال اللاشعور الجماعي والمتاجرة، على صعيد السوق العالمية، بالجنس، حتى أصبح السلعة الاكثر مبيعا، لانها الاكثر طلبا. ولكن الانسان المعاصر يغيب عنه ان لهذه التجارة وهذا الاستغلال "ضحايا"، وهم الطفل ولا سيما المرأة.

نحن امام تساؤل خطير يجب ان يستيقظ في ضمير كل انسان: الى متى يا ترى يبقى الرجل مستغِلا لشريكته المرأة؟ والى متى ستبقى المرأة راضخة لهذا الاستعباد والتبعية؟ ألم يحن الوقت الذي فيه ينبغي على الرجل والمرأة ان يعيشا سوية، بوعي وضمير موحد، حياة جنسية متحررة من ضغوط التجار والمتلاعبين بمقدرات الجماهير؟

من أجل هذا يجب ان نتذكر بان الجنس هو الانسان، وبان كرامة الانسان هي التي تضفي على الجنس كرامته وحرمته.

٣) ان الاهمية المتزايدة التي تعطي للجسد اليوم، ليست من خواص الحضارة المعاصرة: فالشعوب، منذ وجودها، منحت الجسد مكانة هامة. وفي حالتها البدائية، قبل ظهور الكتاب والمدنية والتمثال والاواني الخزفية أو البرونزية، تركت على الجسم نفسه آثار رغباته وميوله وفرائضه الاجتماعية والعائلية كالختان والوشم...

وتعددت اليوم وسائل التعبير والمواضيع المتعلقة بالجسد لاكتشاف اسراره واستذواق جماله وسحره واحاسيسه "كالموضة"، والصحة، والرياضة، ووسائل التسلية، وديكور السكن والملبس والطب والمسرح والرقص والغناء وفن التصوير والرسم وسائر الفنون المختلفة...

لقد خلق الله الجسد، فصار الجسد سبيلا لحضور الخالق بين البشر. انه أبلغ لغة يعبر بها الانسان عن مشاعره وحبه وعاطفته. والانسان، كلٌ موحد: انه نفس كما هو جسد، ولا سمة انسانية فيه الا وتحمل ميزات النفس وميزات الجسد معا. لقد انتهت، لحسن الحظ، تلك الادعاءات اللاهوتية المزعومة التي كانت تتحدث عن "خلاص النفس" دون ان تعير كبير انتباه الى "خلاص الانسان" ككل. ان معرفة الانسان معرفة وافية امر مستحيل، في الواقع، ما لم نعتبر جسدانيته. ومفاهيم المجتمع والسلوكية الإنسانية تبنى كلها اليوم انطلاقا من ملاحظة دقيقة لجسد الانسان، في تركيبته الفيزيولوجية وفي حوافزه الجنسية.

من هنا جاء تقييم الحياة الجنسية لدى النسان بصورة ادق، وتمييزها عن السلوك الجنسي لدى الحيوان؛ فالانسان قادر ان يتحرر من الضغوط الخارجية ومن الفريضة

الغرائزية ليعيش ميوله باختيار هو في تيار الحب، فلا يعود منساقا بحكم انفعالات حسية عمياء لا غير.

المبادئ الاساسية في التربية الجنسية

نستمد هذه المبادئ من قاعدتين:

١) العناصر العلمية للجنس عند الانسان

٢) المفهوم المسيحي للجنس

أولا: العناصر العلمية للجنس عند الانسان

كل تربية جنسية صحيحة تعتمد أولا واساسا على قاعدتها الانسانية الموضوعية، واليكم اهم عناصرها:

١ — على التربية الجنسية ان تأخذ بعين الاعتبار، بادئ ذي بدء وقبل كل شيء، الشخص البشري. ومفهومنا المسيحي للشخص ليس مفهوما ماديا، مغلقا ومحدودا، انما هو مفهوم روحاني منفتح. فللشخص، بحسب هذا المفهوم، خواص ثلاث:

أولا: الشخص "كل متكامل"، فيه، النفس والجسد يشكلان وحدة "روحية-مادية" هي في خدمة أهداف الانسان. ثانيا: الشخص "علاقة": فكل شخص يتكامل أمام الغير ومن أجل الغير؛ انه حضور واع، والجنس لا يحقق معانيه الا ضمن مفاهيم معينة، منها، العلاقة والانفتاح والمشاركة والخصوبة. ثالثا واخيرا: الشخص "تاريخ" يستقبل النماء من دون توقف؛ فالموت ذاته ليس حدا للحياة بل جزءا منها.

٢ — الحياة الجنسية الصفات التالية:

- "الخصوصية": فالحياة الجنسية لدى الانسان، بالرغم من تقاربها من الحياة الجنسية الحيوانية، تتميز بصفتها مشروعا يجب تحقيقه، بتداخل العقل والارادة، ضمن تصميم انساني هادف، وليس فريضة غريزية مرسومة مسبقا كما هي الحال لدى الحيوان.

- "التناسق والنظامية": الحياة الجنسية لدى الانسان تتضمن ثلاثة عناصر هي: العضوية التناسلية، اللذة، الحب؛ هذه العناصر الثلاثة تؤلف الحياة الجنسية كوحدة دينامية تصبو الى حاجات جديدة، اكثر فاكثر سموّا، الى ان يبلغ الانسان ملء كماله.

هناك علاقة واضحة بين العضوية التناسلية والطاقة الجنسية. غير ان العضوية التناسلية تشمل ناحية معينة من العمل الجنسي، بينما تتطلع الطاقة الجنسية الى كل الانسان والى كافة اعماله، ذلك لان الانسان، خارجا عن الفعل التناسلي، كائن جنسي في تكوينه وفي كل ما يفعل.

اما اللذة، فتشير الى عالم الشعور والانفعال العاطفي والاهواء والاحاسيس؛ انها وظيفة متعلقة بالجنس ككل. للذة حضور في حياة كل انسان، رجلا وامرأة، في كل زمان وفي كل مكان، والجميع يندفعون الى اكتسابها بمختلف الوسائل وفي كافة تشعباتها واشكالها. انها جزء من الحياة الفردية والاجتماعية، وتُعَدّ من مقوماتها، تماما كما ان البحث عن المفيد والاستثمار والنظام والدرس، مثلا، تعد من مقومات المجتمع، وتدخل كعناصر في تحقيق حضارة المجتمع، بنسب تتفاوت بين قوم وآخر. اما قيمتها الخلقية، فتقاس بقيمة الفعل الذي انجبها. اللذة جيدة، إن كانت ثمرة فعل جيد، وهي رديئة ان كان الفعل نفسه رديئا. اليس الفرح اشعاع الطاقة الخلاقة فينا – والفرح انعكاس اللذة! انه يرافق كل نماء في الكائن، وفي الفعل، وفي كل امتداد للوجود وللحياة.

لهذا الاعتبار فائدته في التربية الجنسية التي تلعب دورها في نقطة الالتقاء بين النفس والجسد، من خلال الجسم الحي والمضطرم حيث تتركز فيه الانفعالات والحواس. فمن شأن التربية الصحيحة ان تتوصل الى التمييز بين القيم السليمة البناءة والقيم العليلة في اللذة، والى تشخيص خطر الانفصام أو الالتباس بين عناصر الجنس، عندما يقال بأن العضوية التناسلية واللذة تعنيان وجود الحب.

و "الحب" يمثل القطب الثالث في الجنس، وهو منوط بالعزم العميق والارادة القوية الموجودين لدى الطرفين، بحيث يوفر الواحد للآخر السعادة والانتعاش. ليس هناك حب صحيح الا اذا سعى الواحد جديا، من خلال العطاء والخدمة، الى ان ينال الآخر الخير والفرح. ولكنه من المؤسف ان تُبتذل كلمة "الحب"، على الالسن وفي الاغاني وعلى صفحات المجلات الرخيصة، وتكون موضوع حديث مجالس المراهقين بسخرية، حين يبدو الحب محصورا في الانفعالات التناسلية والحسية... بينما هو قوة حياتية هائلة تحرك الانسان نحو الاسمى وتبلور كل طموحاته في سبيل الاكتمال والتحرر الشامل. بالحب يضحي الانسان قادرا على الانفتاح والمشاركة والابداع. الحب يمد جذوره في "التربية الجسمانية"، غير ان حركته تسمو بالانسان الى فوق وتحلق به خارج ذاته ليلتقي بالآخر. ولما كان الحب يحمل في سره الخصوبة، خصوبة العطاء والانجاب، فبمجيء الطفل كثمرة، يبقى مشروع الصداقة خالدا ومكللا.

وهكذا نرى ان الحب اوسع من اللذة وأعظم من الغريزة الجنسية وابعد من العملية التناسلية: انه اختيار واع متبادل، وليس خضوعا لحوافز غريزية فيزيولوجية.

غير ان الجنس قد ينحط ويضحى مغلقا على ذاته اذا اسرته الانانية، فيتحول الى امتلاك الآخر والتسلط عليه ليس الا؛ او حين يغرق في الملاذ الحسية وحدها أو ينحرف في شذوذ يجعل الانسان عبدا مكبلا لا يقوى على الانطلاق. فلا نستغربن، والحالة هذه، اذا تزعّم البعض حركات كالاباحية الجنسية، وحرية المعاطاة والاختلاط بين الجنسين دون قيد ولا شرط، بحجة تحرير الانسان من "العقدة الجنسية". على التربية الجنسية ان تلاحظ تلك التيارات وتحلل نتائجها التي تفكك الانسان والمجتمع.

الحب.. مرمى الجنس

الحب وحده يحقق وعد الجنس، لانه وحده يوفق بين ما فيه من متناقضات "بين الجسد والروح، الأنا والآخر، الحاجة الى الآخر وسخاء بذل الذات". بالحب تتحقق الرغبة الجنسية، ولكنها تتحول في الوقت ذاته، لانها تكشف ان الآخر الذي تسعى اليه لا يُمتَلك كما تُمتلك الاشياء، ولكنه شخص حر يعطي ذاته اذا شاء. انه حركة، يتجاوز بها الجنس ذاته باتجاه الآخر؛ وبهذا التجاوز، وبه وحده، يتحقق ما كان الجنس، في ممارسته النرجسية (أي التي يسيطر عليها السعي الاناني الى اللذة)، يصبو اليه دون ان يدركه، الا وهو اللقاء بالآخر (...)

هذا الحب لا يبطل اهمية العلاقة الجنسية، ولكنه وحده يجعل منها "وصالا" لا احتكاكا خارجيا بين عزلتين متقابلتين. انه لا يبطل اللذة، ولكنه يعطيها كل ابعادها اذ يجعلها منفتحة على ما هو اعمق وابعد (...)

لقد بين فرانسوا شيرباز أن الاخلاق لا تضاف الى الجنس لتنظمه بموجب نواميس خارجية، انما تنبع المقتضيات الخلقية من طبيعة الجنس الانساني نفسها. لذا فالمدافع عن الاخلاق والمنادي بالاباحية مخطئان كلاهما، اذ ينظران الى الجنس على انه مجرد نزعة غريزية ذاتية لا تتجاوز حدود الفرد، فيطلق لها الثاني العنان، فيما يخضعها الاول لقواعد غريبة عنها (...)

مناقبية الجنس كائنة اذن في ارتقائه الى صعيد الحب، في التأليف بين الحب والغريزة، حسب تعبير الفيلسوف الشخصاني المعاصر جان لاكروا: "الحب دون الغريزة طوباوي، الغريزة دون الحب اباحية".

الجنس سعي الى المطلق

يقول فرانسوا دويكارتس: "ليس من باب الصدفة ان تتكلم النصوص الدينية الكبرى التي ظهرت في الانسانية لغة الحب". كيف السبيل الى تفسير تلك الظاهرة؟ كيف يمكن للجنس ان يرتقي من الصعيد البيولوجي الى قمم الخبرة الصوفية، ان لم يكن حاملا في ذاته طاقة تدفعه الى ما لا نهاية، وبعبارة اخرى اذا لم يكن المطلق مستقطبا له في الصميم؟ (...)

يبدو بوضوح ان السعي الجنسي عند الانسان يستهدف بلوغ ملء يتجاوز ما يحصل عليه الانسان عادة من خيرات الوجود، وكأن الانسان ينشد من وراء الممارسة الجنسية تحقيقا مطلقا لذاته وسعادة فردوسية (...)

ونلحظ ذلك بشكل اوضح في الحب الذي فيه يتبلور الجنس ويتسامى. فالحب خبرة بشرية يستقطبها المطلق بشكل صارخ، ويتضح ذلك من نزعته الى تاليه المحبوب الذي يصبح "معبودا" حسب العبارة الشائعة (...)

والجنس في نزعته الى المطلق، لا يمكن ان يستقطبه الا الكائن المطلق نفسه: الله... وهذا ما ادركه المتصوف الكبير ابن عربي عندما قال ان الله يتجلى بنظر كل محب في محبوبه، ذلك لانه مستحيل ان يعشق المرء كائنا ان لم يتصور فيه الالوهة. وقد قالت المفكرة المعاصرة سيمون فيل ان ما يستقطب الحب الجنسي، انما هو السعي الى الاتصال بجمال الكون، ومن خلاله بالحكمة الالهية.

كوستي بندلي: الجنس ومعناه الانساني (منشورات النور ١٩٧١)

من المهم ايضا ان ترافق التربية الجنسية الرجل والمرأة، في كافة مراحل نمائهما الجسمي والنفسي، للتمكن من مجابهة مختلف العقبات التي تتتالى لدى الانسان، منذ الطفولة وحتى وصوله الى النضوج التام، حيث يتحمل مسؤولية أهدافه العليا ويميز بين القيم الخلقية باسبقية تفضيلية واضحة ومنطقية. فكل مرحلة من المسيرة الانسانية، تناسبها تربية جنسية معينة، كي ينتقل الانسان من الحالة الغريزية الاولية، عبر الصراع بين الانحراف والاقرار بالقيمة، الى الاستقرار في مشاعر المسؤولية والاقدام على الالتقاء بالشخص الآخر في اطار الحب المخلص والامين. هكذا يتم الانسجام بين عناصر الجنس الثلاثة: التناسل واللذة والحب.

ثانيا: المفهوم المسيحي للجنس لدى الانسان

ان المفهوم المسيحي للحياة الجنسية يعتمد على قاعدة "الانتروبولوجيا" (علم الانسان) ويتميز، على ضوء الايمان، بروحانيته وبمعنى قيمة الانسان بحد ذاته. ان البشرى السارة التي جاء بها المسيح تتوجه الى كل رجل والى كل امرأة، في كيانهما التام -ومن ثم في مسؤوليتهما الجنسية ايضا- فما خلقه الله خلقه حسنا وجيدا، ولا استثناء في هذه الجودة في ما يخص الجنس.

تاتي الطاقة الجنسية، بحسب الكتاب المقدس، كموهبة للوجود وللحياة الانسانية، تلك الانسانية التي تشمل الذكور والاناث. ليس الجنس اذاً عقبة أو عقوبة أو خطرا أو مجالا محرما لا حضور فيه لله. ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله، وخلقهما ذكرا وانثى. وصورة الله تنعكس على كل الانسان، على عقله وعلى ارادته، كما وعلى حياته الجسدية بكل ما تتضمنه من جنس وحواس ووظائف.

هذه الرؤية تلقي ضوءا جديدا على الجنس وتخرجه من ظلمة القلق والارتباك، وبهذا تكتسب التربية الجنسية السليمة الايجابية واقعية محررة وتوازنا يعطي الراحة النفسية والجسدية للمؤمن، بحيث يتمكن المسيحي ان يعيش حياته الجنسية بروح المسيح وبنور ذاك الحب الالهي الذي يلتحم بالحب الانساني، فيتحقق في الحياة الزوجية أو في العزوبة المكرسة في الكهنوت أو الرهبانية. فالوظيفة التناسلية واللذة والحب -وهي ركائز الحياة الجنسية- تتوحد في الحياة المسيحية العميقة وتنصهر تحت شعار التطويبات الانجيلية. فالرجل والمرأة يضحيان، كل واحد للاخر، عطاء وكمالا وتحررا من حدودهما الذاتية ومن ثقل مسيرتهما الانفرادية، وتتحول الحياة الجنسية الى طاقة ائتلاف وتعاون واشتراك في المسؤولية الواحدة لبناء مجتمع فاضل يؤمن بالحب وبالحياة، ولاشادة الملكوت بقوة وباسم حب المسيح لكنيسته.

دور المربين في الحقل الجنسي

يقوم دور المربين الجنسيين على ارشاد الناشئين وتوعيتهم وتهذيبهم في سلوكهم الجنسي بحيث يبلغون ملء اكتمال كيانهم، كرجل أو امرأة، في حياتهم العاطفية والشخصية والاجتماعية، ويعيشون رسالتهم الانسانية بتمام الحرية والمسؤولية. من هنا يتضح لنا ان التربية الجنسية ليست منفصلة عن التربية ككل، وان غرض كل تربية هو تحقيق اكبر قسط ممكن من الكمال الانساني الشخصي والاجتماعي لدى الفرد.

أما الصفات التي يجب التأكيد عليها من قبل المربين الجنسيين فهي، من دون شك، تقييم ومحبة الحياة -الحياة في الذات وفي الآخرين، الحياة كمنبع سعادة للانسان

والمجتمع. كذلك يجب تنمية روح الاعجاب، والمسؤولية، والامانة، وضبط الـذات، وحسن الاخذ والعطاء، والحوار، واحترام الصداقة، ومعنى الحب والحرية والـسعي، وضرورة القناعة، وأخيرا، الزهد والاكتفاء.

وعلى المربين أن يضعوا نصب اعينهم احتمال مصادفة حالات خاصة يسود عليها طابع الاضطراب والهيجان، لا تسيطر عليها إرادة ولا يتحكم فيها عقل. عندئذ عليهم اللجوء الى اخصائيين: فقد تكون هناك حالة مرضية تتأتى من اضطراب وراثـي أو مـن افرازات تتعلق بالغدد الصماء، أو من ظروف تحول فجائي وسريع في جسم الشخص.

ولكن من هم المسؤولون عن التربية الجنسية؟

١ – العائلة

ان التربية الجنسية، لدى الصغار، هي قضية قلب وحنان وانتباه ومساعدة، اكثر مما هي قضية معلومات. لذا، فالوالدان هما المؤهلان الاولان لتحمل هذه المـسؤولية، وذلك عن طريق شهادة الحياة اكثر مما عن طريق التعليم والارشاد. فالوالدان، باعطاء المثل الصالح في حبهما المتبادل، وفي جو الانسجام والهدوء الـسائد في البيـت، وفي قدسية علاقتهما والامانة في رباطهما الزوجي، يخلقان المنطلق الاساس الـذي منـه يستمد الاولاد المبادئ القويمة للسلوك الجنسي في حقيقته الانسانية والمسيحية.

من هذا الواقع الحياتي الاولى يستمد الوالدان حقا أهم حقوقهم في ايصال قـيم ومفاهيم سليمة عن الحياة والحب والجنس لاولادهما؛ ولا يجوز لاي شخص أو ايـة سلطة دينية أو مدنية أو مؤسسة ان تبعد الوالدين عن هذا الحق وهذا الواجب، بـل بالعكس يجب ان يلقيا العون والدعم في ممارسة هذا الحق وتأدية هذا الواجب علـى أحسن وجه.

٢ – المدرسة

من شأن المدرسة ان تكمل ما بدأته الاسرة من توجيه وتهذيب وتقييم، ففـي التعاون بينهما يكمن سر نجاح تربية الناشئة، فيتحتم اذاً على المربين في البيت، وعلى المربين في المدرسة، ان يتعاونوا، في نطاق لقاءات وندوات واجتماعات تعقد خصيصا لدراسة أوضاع الصغار. ومن الضروري ان يبحثوا معاً القـضايا الجنـسية لتبـادل المعلومات وايجاد الحلول المشترك المتكاملة لحسن توجيه الطلاب والطالبات، وبالشكل الملائم لكل جماعة ولكل محيط. كما انه من الطبيعي ان تتكيف التربية الجنـسية في المدرسة مع اعمار الطلاب ومستواهم الذهني ونضوجهم العاطفي. ونلفت الانظار الى

ان دور المدرسة في التربية الجنسية لا يجوز ان يبقى هامشيا، لان المدرسة تمثل مكانا ممتازا للعلاقات الانسانية، وبهذا تمنح الطلاب فرصة متميزة لانماء مشاعرهم النفسية والجنسية. كما انه من الضروري أن تضم المدرسة، في برامجها التعليمية والثقافية، التربية العاطفية والجنسية كجزء اساس من التربية الشاملة. ومن جانب آخر، في حالة افتقار الطالب الى أبوين، أو عجزهما عن تكميل واجبهما، فعلى المدرسة ان تعوض عن هذا النقص وتسد هذا الفراغ.

٣ – الدولة

للدولة ايضا دور هام في التربية الجنسية لكافة المواطنين، صغارا وكبارا، رجالا ونساء، وذلك ضمن جهودها لنشر الثقافة ورفع المستوى الاجتماعي والصحي وتحسين قدرة المواطن على العمل والانتاج. فالدولة ايضا تلتقي، وباشكال متفاوتة، بالموضوع الجنسي: في تخطيطها من أجل صيانة صحة المواطنين ومعالجة أمراضهم، في مشاريعها من اجل الضمان الاجتماعي، في تشريعاتها حول الزواج، في البرامج الثقافية والفنية ووسائل التسلية، في النظام العام، في وسائل الاعلام، في معالجتها الاجرام واحاطة الاحداث بالحماية الادبية، في تخطيطها للوصول الى نهضة المرأة وتحريرها من الاستعباد والكبت والاستغلال الخ...

٤ – الكنيسة

بالاضافة الى المسؤولين المذكورين اعلاه، للكنيسة ايضا، بصفتها مجتمع المؤمنين، مسؤولية في التوجيه الجنسين الى جانب التوجيه العام، باعتبارها معلمة ومرشدة ومخلّصة. وهنا نشير الى أهمية العناية بالمواعظ التي يجب ان تنزل الى مستوى الشعب وتعالج قضاياه الواقعية وشتى المسائل التي يجابهها الناس، صغارا وكبارا، من تيارات انحلالية أو مشوّهة للأخلاق. فالكفاءة والانجاب والعائلة هي من المواضيع الاكثر استقطابا لاهتمام الناس. فعلى الرعاة ان لا يترددوا من طرح هذا الموضوع من أعلى المنابر ومساعدة المؤمنين على اكتساب رؤية صحيحة عنه. غير ان الوقت المناسب لهذا التعليم بصورة مناسبة وعلمية، فهو اثناء دروس التعليم المسيحي والندوات للصغار والكبار، وللمتزوجين الذين يتهيأون للزواج. فحبذا لو تعقد، لمثل هذه المراحل المتتالية، برامج خاصة تبحث المواضيع الجنسية بشكل واف وكجزء من التوجيه العام الذي يتناول حياة الانسان ورسالته ومصيره، من الناحيتين الانسانية والمسيحية.

اما صفات المربين الجنسيين، فهي اولا الكفاءة العلمية والاطلاع الدائم المبني على الاعلام والرؤية النقدية. فالمجال واسع امام الشعوذة واجتذاب السطحيين من

الناس، صغارا وكبارا، في تيارات انحلالية أو مشوهة للاخلاق. فالكفاءة الجدية ضرورية للتمييز بين القيم السليمة والافكار الخرقاء التي قد تنشرها بعض الكتب أو المجلات الرخيصة أو دعاة التحرر المزعوم. ثانيا، النزاهة والاخلاص: فالمربي يرافق الشباب في مسيرهم ليكتشف قلقهم وطموحاتهم واعترافاتهم وسكوتهم ونجاحهم وفشلهم. والتربية ليست مجرد تعليم، بل تدريب وممارسة وخبرة حياتية. ثالثا، كل مربي شاهد للقيم: فالشباب يتخذون تلقائيا مربيهم ومعلمهم كنموذج يعتمدون عليه ويقتدون به، وسط صراعاتهم وتناقضاتهم. لذا على المربي أن يعي مهمته ويمارس مسؤوليته دون ان يكون هو نفسه عرضة للخوف من الجنس ومشاكله، ودون ان تظهر عنده علامات التردد أو العقد النفسية التي لا بد ان تنعكس على تعليمه وتوجيهه.

وأخيرا، لا بد من الاشارة الى ضرورة التضامن الوثيق بين المربين أنفسهم، والتعاون العملي لتنسيق التعليم وتوحيد التهذيب في المجال الجنسي من أجل خير الطالب والوصول الى تنويره في صراعه الداخلي، وذلك بالاجابة الصريحة والحقيقية على كافة تساؤلاته وعدم التمويه في توجيهه أو شرح ما غمض عليه.

ان التربية الجنسية مهمة خطيرة يجب ان تسترعي اهتمام المسؤولين بصورة دقيقة وجادة، نظرا لدورها الاساسي في تكوين شخصية الانسان الجديد وخلق حضارة انسانية متكاملة تتجاوب مع الرسالة المسيحية وطموحات قطرنا واهداف امتنا.

قيامة المسيح اليوم

"ان كان المسيح لم يقم فتبشيرنا باطل وايمانكم باطل" (١ قورنتس ١٥: ١٤)

ان المسيحية، منذ نشأتها، ابدت اهتماما خاصا بسر قيامة المسيح. غير ان اللاهوتيين، في السنين الاخيرة، جددوا رؤيتهم الى هذا السر، وقد يكون ذلك على اثر تطرف البعض منهم في مفهومهم للقيامة. ففي بداية القرن، ادعت الحركة العصرانية ان القيامة وليدة خيال الرسل وبعض النسوة الذين كانوا مندفعين نحو هذا التصور، بقوة ما كانوا يحملون من توقعات غذّتها فيهم وعود يسوع من جهة، والامل التي من اجله تركوا كل شيء وتبعوه من جهة اخرى. ازاء هذا الادعاء، نهض فيلق من المدافعين عن الايمان المسيحي وركزوا بحوثهم ومساعيهم بحق، ليبرهنوا على حقيقة واقع القيامة، وهم يحثون المؤمنين على ان يرجعوا الى ايمان الكنيسة الاولى كي يتأكدوا من صحة قيامة المسيح: "ان كان المسيح لم يقم فايمانكم باطل"..

ولكن، بحجة الدفاع عن الايمان، تطرف هؤلاء المفكرون الى الجانب الاقصى من الواقعية، اخذين نصوص الكتاب في حرفيتها دون روحها. هكذا تركوا جانبا كل ما تتضمنه القيامة من معانٍ ناطقة عن مشروع المسيح الفصحي وعن مؤثراته الحية في الجماعة المؤمنة، وعن التبديل الهائل الذي حققه على وجه الارض.

سيبقى الفعل الذي به اقام الله يسوع بعيدا عن كامل ادراكنا، لانه خارج عن المعرفة التاريخية والقياس العقلي. وفعلا، لا تعد القيامة بين الاحداث التاريخية الخاضعة لاختبارات الباحثين. غير ان التاريخ لا يقتصر على درس الوقائع الماضية وحسب، بل يهتم ايضا بالماضي المنفتح على المستقبل والحاضر في نتائجه، اليوم. فيسوع القيامة تراءى للبعض، وخاصة للرسل، ولاخرهم بولس... ان هذه الرؤى ليست بحصر المعنى وقائع تاريخية، ولكنها اثارت خبرات مدهشة لدى الرسل، واقامتهم شهودا لا ريب فيهم. ومن الطبيعي ان تعود مثل هذه المواقف، ومن زاوية كونها خبرات حياتية معاشة، الى التاريخ، كما اعتبر ذلك الرسل انفسهم. يمكننا القول، إذن، بان للقيامة اثارا في التاريخ من خلال ايمان المؤمنين الاولين والتغيير الفجائي والجذري الذي طرأ على الرسل.

"الذي صلبوه وقتلوه اقامه الله..." (اعمال الرسل ١٠: ٤٠)

ماذا تعني هذه العبارة التي صرح بها بطرس في عظته الاولى لليهود، وكيف يجب فهمها في اطار تعاليم الرسل جملة، وكما نبعث من ايمان الجماعة المسيحية الاولى؟ علينا، قبل كل شيء، ان نبعد، بقوة، الفكرة السائدة عند الكثيرين بان قيامة المسيح كانت عودة الى حياته السابقة، الى جثته الهامدة الموضوعة في القبر، كما اعاد يسوع الحياة الى لعازر الذي كان قد مات منذ اربعة ايام. ان هذا التفسير يعيد المسيح ثانية الى حياة خاضعة للموت ولمتطلبات الزمان والمكان، مع متاعبها ومضايقاتها. مثل هذه القيامة قيامة وقتية بعيدة كل البعد عن مفهوم القيامة الحقة، كما وردت في الكتاب المقدس وشهد لها الرسل.

ان صلاة يسوع مساء خميس الفصح تتضمن تعبيرا نيرا عن قيامته ومصيره القريب: "يا ابت قد اتت الساعة: مجد ابنك لكي يمجدك ابنك فيهب الحياة الابدية للذين وهبتهم له.." (يوحنا ١٧: ١-٢). القيامة هي، إذن، تمجيد المسيح، بها اكتسب وجودا وحياة جديدة لا يقوى عليهما بعدُ، لا موت ولا عداء، ولا يتحداهما بعدُ، لا شر ولا جرم. بالقيامة، لم يترك المسيح العالم، بل تغير موقفه منه وفيه. لقد كان في الامس خاضعا له، واضحى اليوم سيده وربه، يحرره من "سلطان هذا العالم" ليخضعه لابيه بالحب والحرية. ان تمجيد يسوع جدد نوعية علاقته بالعالم. فهو يملأه بحضوره ليكمله ويأتي به الى حقيقته النهائية.

"وضع نفسه واطاع حتى موت الصليب، لذلك رفعه الله" (فيلبي ٢: ٨)

من اجل حب الانسان، لم يتردد المسيح من ان يتجرد عن صورة الله التي كان من حقه ان يتمتع بها متجليا، ويتخذ "صورة عبد". فقبل على ذاته صورة الخطيئة ونتائجها: "ذاك الذي لم يعرف الخطيئة جعله خطيئة من اجلنا" حسب تعبير بولس (٢ قورنتس ٥: ٢١).

بالتجسد اتخذ يسوع جسدا مثل جسدنا الخاطئ ليخلصنا من الخطيئة والموت، وبقيامته اكتسب جسدا ممجدا به غلب الخطيئة والموت بصورة كاملة ونهائية. بموته أمات الموت، وبقيامته أحيانا. فالقيامة هي حدوث تغيير جذري في المسيح وفي المؤمنين به: "بعدما اقيم من بين الاموات، لن يموت ثانية ولن يكون للموت عليه سلطان، لانه بموته قد مات عن الخطيئة مرة واحدة" (رومة ٦: ٩-١٠). هل، يا ترى، كان ممكنا ان يستسلم المسيح طوعا للموت القاضي على المشروع الذي بناه بعقله وقلبه، إن لم يكن على يقين من انه بقيامته سيجعل من موته بذرة حياة للعالم لا فناء لها من بعد، وانه سيفتح عهد تجدد ورجاء لكل انسان؟

"جُعل ابن الله في القوة بقيامته" (رومة ١: ٤)

ان القيامة للمسيح هي كميلاد ثان الى الحياة الجديدة التي، وحدها، تليق بـه بصفته ابن الله: "انا ابشركم بان ما وعد به اباؤنا قد اتمه الله لنا نحن ابناءهم، اذ اقام يسوع كما كتب في المزمور الثاني: انت ابني وانا اليوم ولدتك..." (اعمال الرسل ١٣: ٣٣). لم يقصد بولس بهذا الكلام بان المسيح لم يكن ابن الله الا بفضل قيامته. فالذي يعنيه هو ان المسيح، بالقيامة، اشترك في انسانيته، بالمجد الذي يعود له مبدئيا، وكان قد تنازل عن كشفه، حينما عزم ان يتشبه بنا في كل شيء. لقد رأت المسيحية الاولى في المجد الفصحي -أي في الحالة الممجدة التي كانت للمسيح في قيامته- حقيقة نبوية، أي ان المسيح في مجده كله هو من اصل الهي: "اقامه الله...". ان هذا العمل الالهي فعل خلقة، وإن كان قد تم في كائن موجود، لان القيامة بداية جوهرية، ولهذا فهي عمل خاص بالله مباشرة دون غيره: "ان الله الذي يحيي الاموات يدعو الى الوجود غير الموجود" (رومة ٤: ١٧). ان قيامة المسيح هي فعل تدخل مباشر من قبل الله الغير المتناهي القدرة، وهو يُحلّ فيه جميع ملء الالوهية دون أي وسيط: "انا اليوم ولدتك". في القيامة كل شيء يبدأ: انها مطلع وجود جديد للمسيح وللمؤمنين. لذا فالقيامة لا يمكن حبسها في حدود حدث تاريخي جرى وانتهى واصبح مجرد رقم في تسلسل عاديات الاحداث الزمنية. انها، فوق الحتمية الزمنية الرتيبة، تشهد بان العالم لم يعد مغلقا على ذاته، بل اضحى منفتحا لروح الله الخالق بيسوع المسيح.

واذا كانت القيامة بداية ونهاية في اقصى الكمال، فسوف لا يتعداها المسيح: لانه ثابت في قيامة ابدية تنبع حياة لا تنضب، وتلد مؤمنين جددا يتمتعون بحياة الله التي لا يطرأ عليها قدم ولا نقصان. أي انسان يلتحق بالمسيح في شركة الايمان والمحبة يضحي ناهضا مع المسيح (افسس ٢: ٦). كل من يلتقي بالمسيح يلتقي به في قيامته، فينال الحياة معه ويحظى بقوة انتصاره: "عرفته وعرفت قوة قيامته وشاركته في الامه فتمثلت به في موته لعلي ابلغ القيامة من بين الاموات" (فيلبي: ٣: ١٠). عندئذ تزول تدريجا رواسب القديم، وبمقدار ما يحقق الانسان شركته بالمسيح، بقدر ذلك يلبس الانسان الجديد (قولسي ٣: ١٠). ومعنى ذلك ان قيامة المسيح اولته ميلادا جديدا واصبحت فيّاضة بنعمة الولادة الجديدة لكل انسان عن طريق المعموذية (رومة ٦: ٣). والمسيح ابدي في نضارة اللحظة الاولى من وجوده الجديد: حيث يقول له الاب ازليا: "انا اليوم ولدتك". نفهم الان ان القيامة لا تعود الى ماض عبر وغاب. لم تسبقها علة سوى فعل الله المباشر، ولم تعقبها تكملة ما، لانها في ذاتها ملء الكمال. فبينما اخذ الانسان العتيق ينهار (٢ قورنتس ٤: ١٦)، هوذا ادم الجديد والاخير يظهر متجددا بهيا.

"ان الله اقامه.... وجعله ديانا للاحياء والاموات" (اعمال الرسل ١٠: ٤٠-٤٤)

القيامة جعلت يسوع ربا؛ ولانه تجرد حتى الموت، نال اسما يفوق كل اسم، وهذا الاسم ليس مجرد لقب، بل هو يشير الى كون المسيح قد رفع الى مستوى الله. منذ ذلك الحين اصبح العالم ماثلا امام هذا الرب كديانه.

"اليوم الاخير" هو بين يدي مسيح القيامة: "انه يوم يدين فيه الناس دينونة عدل على يد رجل قدّره لذلك، وجعل لجميع الناس ضمانا باقامته من بين الاموات" (اعمال الرسل ١٧: ٣٠)، بعد ان "تغاضى بحلمه عن الخطايا الماضية" (رومة ٣: ٢٥). ففي المسيح الذي هو بر في الروح... ورفع في المجد، يخلق الله عالم بر وعدل. وبقدرة القيامة التي تبرر وتقدس، يدين المسيح الاحياء والاموات.

"وهو بكر من قام من بين الاموات" (قولسي ١: ١٨)

ليس المسيح انسانا منفردا انعزل عن المجتمع البشري ليعيش غائبا عنه دون تضامن والتزام. انه بتجسده، لبس البشرية جمعاء في كل مقوماتها وقضاياها واعمالها وتطلعاتها ليصعد بها الى عالم الحياة والنور والفرح، واصبح "بكر الناهضين من بين الاموات"، وادم الجديد لبشرية جديدة. فقد كتب بولس الى القورنثيين: "كما يموت جميع الناس في ادم كذلك سيحيون في المسيح" (١ قورنتس ١٥: ٢٣). وبولس ينسب فعل المسيح هذا الى الروح، اذ ان المسيح، بالقيامة، قد اصبح "روحاً محيياً" (١ قورنتس ١٥: ٤٥). لذا فانه يستطيع الان، بانسانيته التي احياها الروح، ان يُثبت في الجسد كله قدرته المدهشة لمنح الحياة والخلود. من هنا نرى ان موت المسيح لم يكن علة خلاص وفداء الا بالقيامة. وفعلا، ان الموت في حد ذاته لا يقوى على النيل من عناصر الشر والموت الا اذا تحول الى بذرة حياة وقوة تحرير. ولتحقيق هذا المكسب الفائق، اضطر يسوع ان يغلب الموت بموته، هذا الموت الذي حوله الى صرخة حب جبار. وما غلب الموت الا لانه سبق فغلب الخطيئة "وقضى على العداوة بصليبه" (افسس ٢: ١٦).

"قام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب" (١ قورنتس ١٥: ٣)

ان تعبير بولس هذا الذي كرره قانون الايمان يتضمن ثلاث نقاط هامة نذكرها بايجاز:

أولا- ان المسيح، بقيامته، كمل الوعود والنبوءات مطبقا ما جاء في الاسفار المقدسة من ان الله قادر ان يخلص شعبه من كافة الاخطار والبلايا.

ثانيا- في الوقت ذاته، يتبين ان المسيح هو الباب الذي يقودنا الى فهم سر الكتاب، كما انه هو النور الذي يضيء معانيه الخفية. وينطبق هذا المبدأ على النصوص التي تدور حول القيامة: قديما لم يتوصل الشعب اليهودي من ادراك معنى القيامة ومن قبولها الا على مراحل. ففي اول الامر، اكتفى بالايمان باله هو رب الحياة والموت، امين وعادل. اما بالنسبة للقيامة، فكان اليهود يعبرون عنها كحدث يخص شعب الله ككل، وكانوا يشبهون هذا الشعب بمريض يهدده الموت (اشعيا ٥:١)، واحيانا بجثة يعيد اليها الله الحياة في حالة التوبة (هوشع ١:٦) وبهذا المعنى اعلن الانبياء، في زمن النفي، عن نهوضه (حزقيال ١:٣٧-١٤، اشعيا ١٩:٢٦...). ثم شقت الفكرة طريقها الى الامام خلال ازمة المقابيين، وتطورت وتوضحت القيامة الفردية: "كثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون، بعضهم للحياة الابدية وبعضهم للعار والرذل الابدي" (دانيال ٢:١٢). هذه هي الطريق الطويلة التي ينجزها المسيح وينيرها بقيامته اليوم. ويصبح الرجاء راسخا لا يتضعضع.

ثالثا — واخيرا، ان الكتب المقدسة نفسها تساعدنا على فهم قيامة المسيح وابعادها بعمق اكبر.

ما معنى "اليوم الثالث" الواردة في عبارة "وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب"؟ لقد وردت هذه العبارة في هوشع ٢:٦: "يحيينا بعد يومين وفي اليوم الثالث يقيمنا فنحيا امامه".

"اليوم الثالث" هنا اشارة الى "يوم التعازي حيث سيحيي الله الاموات". فانطلاقا من هذا التقليد، يبدو ان يسوع استلهم هذا النص في حديثه عن قيامته في اليوم الثالث. واراد بهذه العبارة الاشارة، لا الى قياس زمني، بل -وبحسب التعبير الكتابي- الى كونه متأكدا من انتصاره الاخير وحياته الجديدة؛ فهو لم يقدم على الموت الا ليبلغ "العالم الاتي" بالقيامة المجيدة. لذا يرجح الرأي اليوم الى اعتبار عبارة "اليوم الثالث" كناية الى الازمنة المقبلة والايام الاخيرة التي نحن فيها. والعدد "٣" هو دوما رمز الى الكمال وتمام الشيء وبلوغه الى اوجه.

"اننا ننتظر مجيء المخلص يسوع المسيح" (فيلبي ٣:٢٠)

لم تنزع القيامة يسوع من العالم، كما قلنا، بل، لانها مجيء دائم، ثبّتت موقعه في قلب العالم ليخلصه. المجيء الثاني (ويتميز عن المجيء الثاني بالتجسد) يتبع القيامة، وهو

الذي يدخلها في تيار تاريخنا الانساني. فالموت، لو لم يكن الا موتا، لقذف بالمسيح على الساحل خارج مجال التاريخ؛ والقيامة، لو لم تكن الا اختطافات الى السماء، لفصلته عن التاريخ. ولكن، لأن القيامة مجيء، فهي ضمن التاريخ، و "المجيء" المقصود هو القيامة ملتحمة بالبشرية والكون. غير ان "تاريخية" هذا المجيء تاريخية خاصة: ان المسيح ياتي من حيث يحقق حضوره في قلب العالم، لكونه حقيقته القصوى والهدف في مسيرة تاريخه. هكذا فالقيامة تصنع تاريخا بحضور المسيح الذي يصبح نقطة تجمع واشعاع؛ وتُجسِّد هذا الاشعاع وذلك الحضور الكنيسة التي تسير في اتجاه الرب بقوة قيامته. كذلك، رب القيامة يحرك نحو شخصه الاحقاب التاريخية السابقة حيث تألف شعب الله فعاش في انتظار المجيء وتجلي ربنا يسوع المسيح. وكما ان الكنيسة تصبو الى قيامتها انطلاقا من قيامة اولى تسكنها، هكذا "المجيء الاخير" يستقطبها انطلاقا من حضور المسيح الحي فيها. وهذا الحضور، رغم إغفائه يوقد فيها الرجاء الكبير.

الرجاء فضيلة تعزز فينا الثقة والاطمئنان، وفي الوقت ذاته تحملنا الى الامام لتحقيق انسانيتنا ووحدتنا في الله ولنيل المجد المنتظر. كيف لا نثق؟ نحن، منذ الان، نمتلك ما نتوق إليه كمشروع نحققه كل يوم، ولكننا نركد ولا نهدأ ما دمنا في الطريق: "نحن الذين لنا باكورة الروح نئن في الباطن، منتظرين التبني وافتداء اجسادنا لاننا نلنا الخلاص ولكن في الرجاء" (رومة ٨:٢٣). في الرجاء نجد قوة قيامة المسيح التي هي احتجاج الله على الخطيئة، ورفض الموت، والمطالبة بالقداسة وبالاخوة الشاملة والمصالحة الكونية.

هكذا تتقدم الكنيسة نحو منبع تاريخها اعني قيامة المسيح، ونحو نهاية تاريخها اعني مجيء يسوع الثاني، وذلك من دون ان تنسلخ في اتجاهين زمني وابدي، وانما في القيامة والمجيء تجد السر الفصحي الواحد الذي يقدسها ويكونها في آن واحد.

قد يكون استنتاجنا لهذا المقال بان القيامة ليست مجرد عقيدة ايمانية نضيفها الى لائحة معتقداتنا، بل هي وجود جديد للمسيح ولنا في المسيح، وحياة جديدة بدأنا تحقيقها وستكمل في الرؤية السعيدة لله. القيامة ربيع الكون والجمال في الابن الحبيب الذي احب حتى الموت، فمات الموت وظفر الحب. والخيار الاخير يبقى بين يدينا: اما ان ننغلق على انفسنا في شتاء كئيب، واما ان تنفتح قلوبنا لربيع القيامة الخالد.

نداء العدالة.. من أجل عالم جديد

ان العدالة مطلب انساني لضمان سعادة الفرد وازدهار المجتمع وتوازن القوى بين الشعوب.

والعدالة، في المنظور المسيحي، تقترن بمفهوم الخلاص وبمجيء ملكوت الله على الارض بيسوع المسيح؛ وهي تشكل، مع المحبة، القاعدة الاساس للرسالة الانجيلية والبشارة السارة.

ولكن العدالة أضحت اليوم كلمة تتفوه بها كل الالسن، وتصرح بها كل المجتمعات، وتذود عنها كل الشعوب، وتعلنها كل الصحف والمنشورات بحروف بارزة، حتى ليمكننا القول بأنها صارت شعار عصرنا. غير اننا عندما نتحرى ما وراء اللافتات البليغة والادعاءات المغرية والتصريحات، نكتشف ان الظلم متمركز في اكثر من موضع، وانه واقع رهيب اقتحم مفاصل المجتمع الحيوية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فاضحى الانسان ضحية في حقوقه الاولية. ونتيجة لذلك، لا يجدي الانجيل نفعا لمن سلبت حقوقه في الحياة والعيش الكريم وحرية التفكير والتعبير والاختيار والعبادة. ان الشعوب الجائعة الى الخبز اليومي والرازحة تحت أنواع الكبت والقمع والاستعباد، ليست في وضع يمكّنها من فهم الرجاء المسيحي، ما دامت في حاجة الى التحرير من الظلم والحرمان. فالظلم مادة سامة تقتل مصادر الامل والفرح والقدرة على العمل في المجتمع، لان المظلوم شخص شلّه النفور والكآبة، لا يقوى على الاخذ والعطاء.

• موقف الكنيسة من قضايا العدالة

لقد كان ولا زال رجال الكنيسة، في بعض المناطق، غافلين عن موضوع العدالة، معتبرين قضايا الانسان امورا لا صلة لها بالايمان والتخلق المسيحي. ولقد

أدت بهم هذه العقلية احيانا الى الوقوف الى جانب المستغلين، والى التزام صمت مشبوه امام تعديات واضحة على حقوق الفقراء والفلاحين، بغية استمالة عطف الملاكين واصحاب الثروات والنفوذ.

غير انه، الى جانب هذه الزمرة المحصورة في مناطق معينة، نذكر باعتزاز المواقف الجريئة والمشرفة التي وقفها ويقفها الكثير من الاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين الملتزمين، في مناطق عديدة من العالم، ولا سيما في اميركا اللاتينية وافريقيا حيث الصراع يطحن طبقات المجتمع، الفقيرة منها والمثرية. فلقد اندفع هؤلاء في خدمة العدالة، والذود عن حقوق المظلومين الذين لا صوت لهم ولا حول، وذلك باسم ايمانهم بيسوع المسيح وبانجيله، وحبّاً بالانسان وتحرره الكامل. لقد شعروا ان ضمائرهم لن ترتاح، ولن يكون لكلامهم أي تأثير، ما لم يتبنوا قضايا الانسان العادلة ويترلوا الى الساحة بكل الوسائل النضالية.

لقد عكست الصحف ووسائل الاعلام المختلفة ردات فعل بعض الانظمة تجاه الثائرين على الظلم، وقد بلغ عدد ضحايا القمع عشرات الالوف في اقطار اميركا اللاتينية، وبينهم عدد غفير من الاساقفة والكهنة والرهبان والراهبات، نذكر منهم على سبيل المثال، لا الحصر، الاسقف روميرو مطران السلفادور، المناضل الشجاع الذي صُرع بسبب دفاعه عن الفقراء والفلاحين. ولا زال اليوم عدد كبير من هؤلاء "الشهود" في غياهب السجون والمعتقلات، لا لشيء الا لانهم، باسم المسيح ورسالته، وقفوا الى جانب المساكين المضطهَدين وطالبوا بحقوقهم العادلة.

ترى، ما لنا وانجيل طليت جوانبه بماء الذهب، وتليت آياته ليل نهار، ونوقشت مضامينه بين علماء العصر، اذا لم يتحول الى خبز للجائعين وحماية للضعفاء وعزاء للحزانى وبشرى خلاص للماسورين. أجل، لقد فهم هؤلاء ان العمل على تحريرالانسان من كافة أنواع الظلم، أمر لا ينفصل عن الكرازة بالانجيل؛ فمن وعظ الانجيل وصمت عن الظلم، هو خائن بحق الانجيل.

ان مثل هذه المواقف الانجيلية في كنيسة اليوم تشير الى تطور واضح في مفهوم العدلة وفي تقييم الدين المسيحي، من خلال عمله ونشاطه الكفاحي من أجل الانسان الذي هو الهدف الاول في رسالته وتنظيمه. فلقد ظهرت، على الصعيد الفكري، بحوث لاهوتية اطلق عليها اسم "لاهوت التحرير" جاءت لارساء مبادئ كتابية وايديولوجية لدعم وتفسير مفهوم التحرير هذا، وتحليل ابعاده ضمن مشروع الخلاص. وعلى الصعيد الرسمي، تشكلت في روما لجنة خاصة باسم "سكرتارية العدل

والسلام" تهتم، بالتعاون مع هيئة الامم المتحدة، بتوعية الشعوب حول قضايا العدالة في عالم اليوم، وبدعم الانشطة المبذولة في هذا المضمار، واحلال السلام وصيانته في كل مكان. وقد نشرت تآليف عدة تناولت هذه المواضيع حتى اصبحت بعض معطيات "لاهوت التحرير" الاساسية محور التعليم المسيحي لخلق حركة تعديل واصلاح على ضوء العدل والسلام. هذه المبادئ نطرحها باختصار:

نظام عالمي جديد

يتكهن علماء الاقتصاد أن اكثر من ٦٠٠ مليون نسمة سيكونون في فقر مدقع في نهاية القرن. وفي حين أن اقلية صغرى تتمتع بمكاسب التقدم الآلي والالكتروني خاصة، نظرا لتفوقهم العلمي والثقافي، ستظل الاغلبية الساحقة تعاني من العوز الى الحاجات الاولية: الطعام، اللباس، السكن.

ازاء هذا التباين الصارخ يتحتم اقامة نظام اقتصادي واجتماعي عالمي على أساس العدالة الشاملة، وذلك ضمانا لمصير البشرية ومستقبلها. فلكي تضحي الارض صالحة لسكنى الانسان، يجب ان تتحول الى أرض تسود فيها العدالة، أرض تغذي الجميع من خيراتها، على أساس من التوزيع المنصف، ارض تحمي الوجود الانساني من الضياع والتلف. والا فسترى الاقلية المحظوظة ذاتها محاطة بمجموعة هائلة من الجائعين والثائرين، يهددون بقاءها، بالرغم من وسائل الامان التي تحتاط بها. ولكي يُخلَق هذا النظام الجديد العادل، ينبغي ان تتضافر جهود كل شعوب الارض وتعمل بجد ونزاهة لمنح الانسان ملء حقوقه ودعم طموحاته: من هنا، ومن هنا فقط، ينطلق السلام الثابت بين الامم.

تطوير البلدان النامية

ان وجود ما نسميه "بالبلدان النامية" لا يفسَّر بالتأخر التقني والعلمي والفني فحسب، بل في أن هذه البلدان تعيش وتتطور في "حلقة مفرغة" من العوامل السياسية والاقتصادية التي ترغمها على البقاء خاضعة لتبعية الدول المتقدمة. ذلك لان السباق مستمر في المضامير العلمية والصناعية والزراعية، ومن لا يستطيع الاعتماد على الاقتدار الذاتي، يظل ابدا في المؤخرة يستعطي: وهذا نوع من الاستعباد، يشق احتماله على الشعوب التي تتوق الى التحرر والوصول الى المساواة.

ازاء هذا الواقع القاسي، يجب التحرك لخلق وعي عام لدى الشعوب في سبيل انشاء خطة جديدة تولي كل شعب، مهما كان موقعه الحضاري والثقافي، حصة، ولو

نسبية، في رسم القرار والتوجيه، ليتحقق ثمة انتقال تدريجي من هذه الانظمة الاقتصادية النامية أو المتخلفة الى انظمة متطورة، تتمتع بشيء من الاستقلال في استخدام العلم والتكنولوجيا لبنائها الذاتي الحر. وهذا التحول لا يتم، في الواقع، الا بمساندة سخية وغير مغرضة من الدول المتقدمة تقنيا، هذه الدول التي تتحمل امام الضمير العالمي والتاريخ مسؤولية تقدم الشعوب أو تأخرها.

وضع حد للتباين بين الشعوب

ان التفاوت بين الشعوب بهذه الصورة الفاضحة التي نشهدها خطر يهدد السلام العالمي وينمي الضغائن عند الناس الضعفاء، ومنها تتولد روح المنازعة واعمال العنف. وليس من الصعب ان يلاحظ المرء تزايد هذا التباين بين الشعوب، فبينما تزداد بعض الدول غنى، تزداد غيرها فقرا؛ ولسنا نتحدث في الخيال عندما نؤكد ان اناسا كثيرين يبنون ثروتهم على حساب ضعفاء الشعب وجهد الكادحين. وما كان صحيحا بين الافراد، صحيح ايضا بين الدول. فالعدالة تقضي بوضع حد لهذا التفاوت الشاسع، لان التعاون المتبادل بين الشعوب على قدم المساواة، هو السبيل الافضل لتقاربها، وذلك باسم العدالة والاحترام المتبادل، بغض النظر عن الفوارق العرقية والحضارية والاجتماعية والسياسية.

مسؤولية الكنيسة في تحقيق العدالة

ان الكنيسة مؤتمنة على رجاء الخلاص وتحرير البشر باسم يسوع. فلا يجوز، والحالة هذه، ان تغيب عن عملية اصلاح العالم وتحويله الى عالم عادل واخوي ومتوازن، ولا ان تكتم صوتها حين يجب ان ترفعه لتشجب كل اشكال الاستعباد والاستغلال.

فالكنيسة تستطيع، من موقعها التعليمي، ان تقوم بتوعية الشعوب المسلوبة الحقوق كي تحيا الدين بطريقة ديناميكية، أي كي تعمل على تبديل الحالات الظالمة الى حالات عادلة، وعلى تغيير اوضاع التخلف والجهل والفقر والاوبئة الاجتماعية، الى حالات تقدم ومعرفة ورفاه وخير. كما انه في مقدورها ومن واجبها ان تعمق وعي شعوب الدول المتقدمة، كي تتحسس مسؤوليتها في خلق نظام اقتصادي عالمي متوازن يضمن لكل الشعوب الواردات الضرورية للتغلب على مشاكلها والخروج من ازماتها، وعليها ايضا ان تراقب تفاصيل المسيرة الاجتماعية اليومية، ولا تخشى من ان تفضح المؤامرات التي يحوكها أهل المطامع والمصالح في الميادين التشريعية أو

الاجتماعية أو الاقتصادية. ان صوت الكنيسة هو صوت المساكين الذين لا صوت لهم، ولن يُسمَع لهم الا بها.

الخطيئة في اصل المظالم

لا شك ان العقبة الكبرى التي تحول دون امكانية تبديل العالم، هي الخطيئة التي تغلغلت في ضمير الانسان، فأفسدت نشاطه وأدخلت البلبلة والفوضى في قواه ونزعت عنه القدرة الكاملة لجعل العالم موطن الخوّة الحقة بين البشر. من اجل ذلك كان الانسان بحاجة الى ان يهتدي الى الله، وان يتطهر من الأثم، كي يقوى على اطلاق حركة تحرير الشعوب وبنيان عالم عادل يحقق التآلف بين الناس.

غير ان هذا الاهتداء ينبغي ان يشمل، لا الافراد وحدهم، بل الجماعة الدولية كلها، لتعود الى الله بصورة شاملة وتناهض الشر والفساد والظلم حيثما كانت. فهناك اوضاع اقتصادية او اجتماعية، بنيت على عوامل مشبوهة، وهي مصدر للجور والمظالم، مما يحتم على الضمير الجماعي المستنير ان يعمل على تطهير هذه المستنقعات، فيكتشف الانسان ان الله هو محرره الاول، وانه الخالق الذي على صورته صنع الانسان، ووهبت له الارض وما فيها ليستثمر خيراتها لفائدة الجميع.

الانجيل طاقة الهية لتبديل العالم

ان العالم، في وضعه الحالي، سيتحول الى مقبرة للانسان إن لم تستيقظ الدول من سباتها وتثير قضية العدالة في منظور شامل يعانق الانسان كله. فسهر الكنيسة على الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي هو أحد أهداف البشارة السارة للفقراء.

ان الانجيل يحوي طاقة الهية قادرة على تبديل العالم وتطويره، ولقد أتت هذه البشارة امتدادا لنداءات الانبياء الذين عهدت اليهم قضية الله والانسان، فبشروا بالعدالة ونددوا بالظلم في مختلف وجوهه. فاذا فصلنا الانجيل عن عالمنا، واعتبرناه غريبا عن قضايانا الانسانية اليومية ونضالنا المشروع في سبيل عالم أفضل، وحصرنا قدرته الخلاصية في أمور الاخرة والابدية فقط، فقد جنينا بحق رسالته المتميزة التي هي احلال ملكوت الله على الارض. ما اسهل ان نطلي جبانتنا وتخوفنا من الكفاح وهربنا من الالتزام بطلاء "الروحانية" واحتقار الارضيات والتعلق بالسماويات! ألي الاجدر بنا أن نسأل: ترى ما موقف الانجيل من عالم الجوع والاضطهاد والكبت والابادة؟ ماذا سنقول يوم يطلب منا الحساب عن اخوتنا، وبماذا سنجيب الى هذا السؤال الذي سيدينا: "أين أخوك"؟.

حقا ان الانجيل يتجسد في أعماق التاريخ كلمة حية تبدع عالما يخدم تطلعات الانسان، وتبلغ به الى كماله. انه قوة الله التي تدفع بنا نحو الانسان، باسم يسوع المخلص، وتغّير في اعماقنا العقلية والمفاهيم والعلاقات الانسانية: من هنا مر يسوع "فدخل الخلاص لهذا البيت"، "انه يُنزل الاعزاء عن الكراسي ويرفع المتواضعين؛ يشبع الجياع من الخيرات ويرسل الاغنياء فرغا".

فمنذ ان جعل الانجيل المحبة للانسان قياسا لعبادة الله بالروح والحق، فقد وضع اسس حقوق الفقير ليحتل مكانته في المجتمع، فلا يبقى من ثم في صف المهملين والهامشيين.

ان الانجيل لا يشرق ولا يبدد الظلمة والظلم الا من خلال من يعيشه ويغتذي منه ويتمثله في حياته وسلوكيته. فشفقة بالبشرية، لا نتركنّ الانجيل -وفيه سر سعادة الانسان- مخفيا تحت المكيال، ولا نُبقينَّ كلمته مقيدة وشعلته منطفئة. لنضعه على المنارة ليضيء لكل من في البيت.

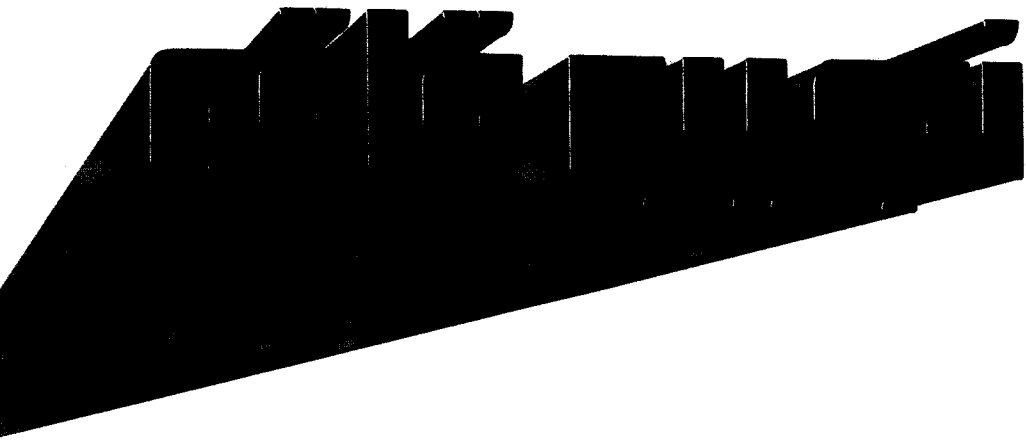

نجيب قاقو

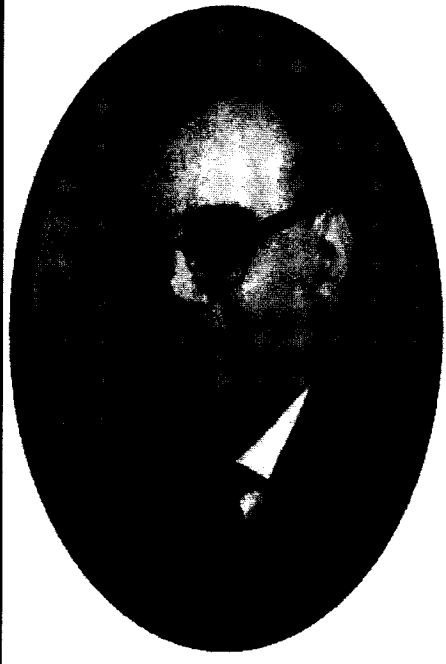

١٩١٦ – ١٩٩٤

ولد في الموصل عام ١٩١٦ في اسرة عريقة وتعلم في المدرسة التوماوية، ومن ثم دخل معهد مار يوحنا الحبيب في عهد مديره الاب يوسف اومي. وترك المعهد قبيل الرسامة بعد ان اكتسب ثقافة فلسفية ولاهوتية، فضلاً عن اتقانه اللغة الفرنسية.

عمل محاسباً في شركات اهلية وتزوج وانجب.. إلا انه كان يواصل متابعاته في مجالات كثيرة، فكانت له بحوث بعضها مؤلف وبعضها الآخر مترجم. من ترجماته مسرحيات عديدة مُثّل بعضها على المسارح.

عمل بشكل وثيق مع الاب خليل قوجحصارلي ابان تأسيس كلية الموصل وشارك في القاء المحاضرات... كما شارك في النشاطات الكنسية المختلفة ولا سيما ابان نشأة ندوة الموظفين بارشاد الاب يوسف حبي، فكانت له محاضرات كثيرة في مجالات عدة.

كان من هواة المطالعة، فجمع مكتبة عامرة باصناف الكتب ولا سيما التاريخية والأدبية...

انكبّ على ترجمة كتاب "الموصل المسيحية" للمؤرخ القدير الاب جان فيي الدومنيكي، ولكنه لم يبصر النور إلا عام ٢٠٠٠، بعنوان "الاثار المسيحية في الموصل".

كان عضواً بارزا في هيئة تحرير "الفكر المسيحي" الاستشارية بالموصل، وقد واكبها، سلسلة ومجلة، وكانت له فيها مساهمات عديدة قيمة عالج فيها القضايا الاجتماعية والاسرية والراعوية والمسكونية...

احصيت له ٥٢ مساهمة، بضمنها عددان في "السلسلة" ومساهمتان في باب "اسئلة واجوبة".

توفي في الموصل في ١٩٩٤/٦/٢١ عن ٧٩ عاماً.

شهادة

فكرت ان استجمع سمات الرجل بكلمة او اثنتين تعبران بصورة قريبة من شخصيته الفسيحة، فلم أر افضل من (الحياة المتوهجة): نوراً ودفءاً وشرَراً يصيب من يقترب منه. هذه الحيوية التي انطوى عليها (أبو نبيل) هي التي أهلته لأن يقدح شراراته المضيئة في كل اتجاه، وفي مناخات ثقافية متشعبة لطالما وجد هواه فيها اهتماما.

لا ريب أن تكوينه الشخصي هو محصلة معطيات ثرة. فذاته تهيأت للإقبال على حديقة الحياة يستثمرها... وهكذا اختار التلمذة في معهد مار يوحنا الحبيب حيث تشكلت انعطافته الكبرى، متفتحا على اللغات وعلى صداقة الفكر الجاد والتأمل والتنظيم والفن الجميل والحماسة وفضائل غيرها اسست لما صار.

عايش زمنا معطاءً بثراء معلميه الكبار كالاب جان فيي مثالا للدارس الدؤوب وللقدرة على الايحاء والرعاية. وقتذاك لم يكن حب الكتاب استثناء كما اصبح! الأمر الذي جعل هذا (النجيب) فرحا بعطشه إلى معين المعرفة والروح، فاقبل يقرأ ويكتب ويتحدث، يترجم ويبدع مسرحيات ومقالات.. الامر الذي بقي مخلصا له إلى النهاية.

عيناه الواسعتان تنتبهان إليك من وراء نظارته باهتمام وتحفّز حواس.. فرح وطلاوة حديث وانفراج اسارير وجاهزية للحوار... لا يلبث أن ينفد صبره حتى يدلي بدلوه في حماسة طفل وخبرة شيخ. قد يختلف معك، لكنه تربى وتشرب على احترام المقابل والفهم والتعاطف.

ها هو ذاك الذي ارتفع بقامة جسمه الصغيرة لتغدو سامقة بحضور روحه العالية وتدفقه الفعال أينما حل.

كانت فرصة لي أن استجمع بعض ما عرفته من مناقب هذا الانسان الذي ترك ذكراه تدوم دافئة بين محبيه.

لنجيب قاقو –وهو العلماني الاكثر مساهمة– ٥٢ مساهمة: عددان في "السلسلة"؛ وفي المجلة، مجموعة من المقالات نشر منها جوابان في كتاب "اسئلة واجوبة" ومقالان في "المختار".

العدد ٣٨ من السلسلة لعام ١٩٦٧: بول كلوديل
العدد ٤٨ من السلسلة لعام ١٩٦٨: فتاة اليوم
الكنيسة والعامل/ آذار ٧١
الكاهن بين البتولية والزواج/ ايار ٧٢
جان رودان/ ملف/ ايلول ٧٢
كنيسة سيرالنكا/ ملف/ اذار ٧٣
●مطاليب الزواج الباهضة/ حزيران ٧٣
(اسئلة واجوبة/ص٤٣)
استطلاع في الزواج/ملف١/ ايلول ٧٣
استطلاع في الزواج/ملف٢/ت١ ٧٣
تنظيم الاسرة/ حزيران ٧٤
نحن واولادنا المراهقون/ ملف/ ايلول/ ٧٤
ما هو دوري في كنيسة الله؟/ خاص، ت١–ت٢ ٧٤
الامانة الزوجية/ نيسان ٧٥
فلسطين إلى امام/ حزيران ٧٥
السحر، وباية قوة؟/ ك٢ ٧٦
تحرير الرجل/ شباط ٧٦
تصريح حول السلوكية الجنسية/ اذار ٧٦
تنزانيا: تجربة اشتراكية افريقية/ اذار ٧٧
كريستوفر موليكا/ حزيران ٧٧
ايمان ام خرافة؟/ت٢ ٧٧
كيسة البرتغال في خضم التحول الاشتراكي/نيسان ٧٨
الدول النامية بين الحرية والاستقلال/ حزيران ٧٨
الشباب والمستقبل والايمان/كتاب/ ك١ ٧٨
كنيسة المجر، متى تخرج من عزلتها/ملف/ ك٢ ٧٩
● مستقبل الدعوات الكهنوتية في العراق/ خاص، ايلول ٧٩ (المختار/ص١٠٩)
كنيسة روسيا: اضواء وظلال/ ملف/ ت٢ ٧٩
الاكوادور، كنيسة الاصلاح الزراعي والفقراء ملف/ ايار ٨٠
يسوع التاريخ/خاص، ك١ ٨٠
كنيسة الصين: انبعاث من الانقاض/ملف/ ك٢– شباط ٨١
الجوع في العالم/ملف/ آب–ايلول ٨١
ناميبيا، عشية الاستقلال/ش.ر/ آذار ٨٢
● الاختلاف في تاريخ القيامة/ حزيران ٧٣
(اسئلة واجوبة/ص١٤٧)
نبذة عن تاريخ الكتاب المقدس ومخطوطاته /خاص، ت١–ت٢ ٨٢
امريكا الوسطى: منطقة ساخنة/ش.ر/ نيسان ٨٣
معوقات الزواج/ خاص، ت١–ت٢ ٨٣
المسيحيون الاولون/ كتاب/ حزيران–تموز ٨٤
الانسان، رجل وامرأة عبر التشريعات الكنسية/خاص، ت١ت٢ ٨٤
كندا، كنيسة تتوحد واتحاد فدرالي مهدد/ملف/ حزيران–تموز ٨٥
شباب ووالدون، وجها لوجه/محاورة/ خاص، ت١–ت٢ ٨٥
البابا في الهند: راعيا ورجل سلام/ ش.ر/ اذار–نيسان ٨٦
سلطان مهدوخت في ارادن/ مزارات/ حزيران–تموز ٨٦
دير مار ميخائيل في التاريخ واليوم/ تحقيق/ آب–ايلول ٨٦
دور العلمانيين في الكنيسة/مناقشة/ ك١ ٨٦
مدخل اخلاقي لمعالجة القروض الدولية/ش.ر/ ايار ٨٧
تشاد: كنيسة حديثة العهد/ ملف/ك١ ٨٧
وسائل تربية الطفل/ طاولة/ خاص، ت١–ت٢ ٨٨
الاب يوسف اومي الدومنيكان/ آب–ايلول ٨٩
الكتاب المقدس: طبعة الدومنيكان/ آب–ايلول ٩٠
● القيامة، عيد نحتفل به سوية/خاص، ت١–ت٢ ٩٠ (المختار/ص٤٣٣)
دير مار يعقوب/بين الماضي والحاضر/ت١–ك١ ٩١
راهبات القديسة كاترينة الدومنيكيات/تحقيق/ ايار–تموز ٩٢
سميل/بين الماضي والحاضر/ تموز–ايلول ٩٣

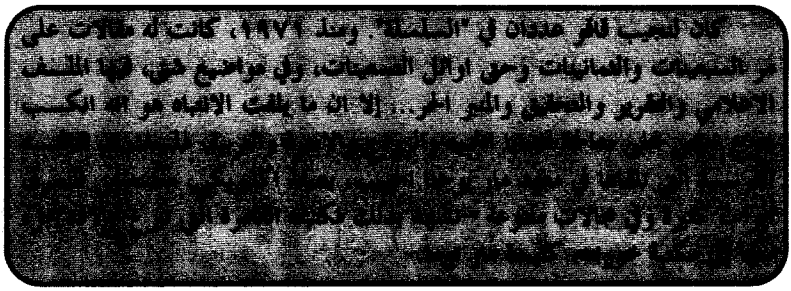

كان لنجيب فاقو عددان في "السلسلة". وعند ١٩٧٢، كانت له مقالات على غير الشعبيات والعاميات وعلى اوائل الشعبيات، وفي مواضيع شتى فيها الفلسف الاجتماعي والتقرير والمقابلة والنبو الخ.. إلا ان ما يلفت الانتباه هو ان الكتب

- **نحن واولادنا المراهقون/ ملف** (ايلول ١٩٧٤/ ص٣٠١)

لم تأل "الفكر المسيحي" جهدا في اشاعة توعية عاطفية وجنسية، كان لنجيب فاقو دور فيها. والمقال هو امتداد لندوة ثقافية في كنيسة ام المعونة بالموصل تناولت موضوع المراهقة وطرق معالجتها، على مستوى الاسرة والمدرسة والمجتمع؛ وقد أقتصر هنا على دور الوالدين في رعاية ابنائهم وبناتهم في فترة المراهقة. فبعد عرض مكثف لمرحلة المراهقة وخصائصها، خلص المقال الى دور الوالدين في مساعدة اولادهم لاجتيازها بسلام.

- **تحرير الرجل** (شباط ١٩٧٦/ ص٧٣)

كان التركيز دوماً على تحرير المرأة، ولا سيما في سنة المرأة (١٩٧٥) -وقد اصدت لها "الفكر المسيحي" طيلة العام. ولم يشأ نجيب فاقو أن تسلط الاضواء على تحرير المرأة ويُنسى الرجل الذي يتعرض هو الآخر لشكل من اشكال العبودية! إلا ان تحرّر الرجل لن يتم على حساب المرأة، بل معها واياها، يدا بيد. وسواء كانت المرأة ام الرجل، فتحريرهما لا يتم إلا بالاعتراف المتبادل بفرادة كل منهما، وبدعوتهما كلاهما إلى الالفة والتلاحم والتكامل...

- **يسوع والتاريخ** (ك١ ١٩٨٠/عدد خاص/ ص٤٤٢)

في عدد خاص عن شخصية المسيح، كان لا بد ان يضع مقال النقاط على الحروف في مسالة "تاريخية" يسوع و "مصداقية" الاناجيل تجاه موجة العقلانية التي كانت، في القرن الاخير، قد شككت بهما! فكان ان تصدّر مقال نجيب فاقو هذا العدد الخاص ليؤكد على شخصية يسوع التاريخية، وفقا لشهادات يهودية ووثنية.

- **الجوع في العالم/ ملف** (آب-ايلول ١٩٨١/ ص٢٦٠)

ملايين من البشر يموتون سنوياً جوعاً، لا سيما في دول العالم الثالث! ما هي الاسباب؟ أهو تمرّد الارض في منح خيراتها؟ أم هي الكوارث والجفاف والفيضانات؟ أهي الهجرة من الريف إلى المدينة؟ ام ارتفاع في الاستهلاك مع شحة في الانتاج؟ أم هي مساومة على كسرة الخبز تمارسها دول غنية تجاه دول فقيرة مغلوبة على امرها... عوامل كثيرة ومتنوعة، اكثرها من صنع الانسان، هي في اصل المجاعات. ملف يحيط بالمأساة، مدعومة بالارقام، ويخلص إلى حلول للقضاء او التخفيف من حدة الجوع.

- **معوقات الزواج** (ت١-ت٢ ١٩٨٣، عدد خاص/ ص٢٩٢)

...وكان لهذا الموضوع مكان الصدارة في العدد الخاص عن الاسرة (١٩٨٣): أليست الصعوبات محكا لشق الطريق إلى السعادة؟ أليس الزواج مشروعا جادا يبرهن فيه الشباب عن استقلالهم في قضية يتعلق بها مستقبلهم؟ أوَليس الوالدون مسؤولين عن وضع حد للوصاية المفرطة التي مارسوها؟ معوقات كثيرة تعترض سبيل المقبلين على الزواج، سواء كانت في شكل مفاهيم خاطئة من جانب الشباب، ام كانت شروطاً تعجيزية من جانب الأهل.

نحن وأولادنا المراهقون

بهذا العنوان كانت الندوة الدينية للموظفين في كنيسة ام المعونة بالموصل قد عقدت بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٧٤ ندوة ثقافية اعدها وادارها كاتب المقال واشترك فيها كل من السيدة نهاد اللوس ماجستير علوم ومدرسة اللغة الانكليزية في كلية الاداب في جامعة الموصل. والدكتور فخري الدباغ استاذ الامراض النفسية المساعد في كلية طب الموصل ومساعد رئيس جامعة الموصل للشؤون العلمية واختصاصي بالطب النفساني ومؤلف كتاب "الطب النفساني"، والاب الدكتور يوسف حبي. بحث المشاركون في الندوة مشاكل المراهقة وطرق معالجتها على المستويات الثلاثة: الاسرة والمدرسة والمجتمع. اما في مقالنا الحاضر فسنقتصر الكلام على دور الوالدين في مساعدة ابنائهم وبناتهم ليجتازوا مرحلة المراهقة بامان وسلامة.

كثيرا ما سمعنا او قرأنا عن المراهقة والمراهقين ومشاكلهم وخلافاتهم مع والديهم وذويهم ومجتمعهم. ولكن هل تقصينا بجدية كافة اسباب مثل هذه المشاكل؟ وهل حاولنا مخلصين أن نتفهم مشاكل اولادنا، وننظر اليها من زاويتهم، لا من زاويتنا، لنصل واياهم الى حلول سليمة لمشاكلهم، ونعاونهم على التغلب عليها دون أن تتحكم في هذه الحلول انانيتنا وسلطتنا الوالدية؟ هل حاولنا أن نكون اصدقاء لاولادنا قبل أن نكون والدين، فيكون التعامل بيننا وبينهم مبنيا على الثقة المتبادلة والصراحة التامة، فيفتح لنا اولادنا قلوبهم بكل اطمئنان، ويطلعونا على ما يعانونه من مشاكل. لانه اذا كان الامر على عكس ذلك، وكانت هالات الاحترام والتبجيل تحيط بعلاقاتنا باولادنا وغيوم الخوف والرهبة تلفها، فلا نرضى أن نبعد شيئا من هذه الحالات أو أن نبدد هذه الغيوم، خشية أن تُمَسّ كرامتنا الوالدية بأذى، فتنتقص او أن يتزعزع مركزنا في اسرتنا، فتضعف سلطتنا الوالدية في البيت. نعم اذا كان هذا كله، فان اولادنا سيبقون منغلقين على انفسهم، بعيدين عنا وان كانوا قريبين منا يعيشون وايانا تحت سقف واحد. انهم سيحاولون أن يظهروا امامنا كما نريدهم، وليس كما هم عليه في الواقع، ليتجنبوا تقريعاتنا وربما عقابنا، فيبدون لنا كل احترام وتبجيل وطاعة وخضوع. أما وراء ظهرنا، فيعملون ما يطيب لهم غير آبهين بارائنا. ومثل هذا

السلوك، مرده هو أن اولادنا ينقمون علينا وعلى ما يتصورونه فينا من تعسف وتجاوز على حقوقهم واستقلالهم الشخصي، فلا يشعرون بطمأنينة في البيت الذي أمسوا يرونه اشبه بسجن، يحاولون الهروب منه للتحرر من سلطتنا الوالدية...

اذن، ساحاول في هذه الكلمة أن أعرض كيف يستطيع الوالدون أن يتعاونوا مع اولادهم في مرحلة المراهقة، ليجعلوا منهم اناساً يقيّمون انسانيتهم ويشقّون طريقهم في الحياة، وينفعون مجتمعهم المدني والديني معا.

فترة المراهقة

فترة المراهقة هي فترة معارضة النظام وثورة النفس على القيود الاجتماعية، وهي تلك الفترة من حياة الانسان، فيها يتدرج نحو النضج البدني والجنسي والانفعالي والفكري (العقلي)؛ في حين أن البلوغ يعني نمو الفرد جنسيا فقط. وقد يحصر علماء النفس فترة المراهقة بين سن الحادية عشرة او الثالثة عشرة وحتى السابعة عشرة، وأحياناً تمتد هذه الفترة الى سن العشرين من عمر الانسان. ويجدر الا يتبادر الى ذهننا أن فترة المراهقة مستقلة عن بقية حياة الفرد، وكأن لا علاقة لها بالفترات الاخرى من عمره. ان حياة الفرد سلسلة واحدة، حلقاتها متصلة وملتحمة مع بعضها، ولكل منها اثر كبير على بقية الحلقات. ونقدر أن نقول أن لطفولة الانسان، او حتى لفترة ما قبل الولادة، اثرا عميقا على سلوكية الفرد في المستقبل، وذلك بفعل التربية الاولى التي يتلقاها الطفل من جهة، وفعل عوامل الوراثة من جهة اخرى. فعوامل الوراثة تُكسب المولود الجديد الكثير من صفات والديه، حسنة كانت او سيئة. وعلى هذا الأساس تبدأ تربية الاولاد باعداد والديهم إعدادا حسنا، وهكذا يقول غوتيه "كان باستطاعتنا انجاب اطفال ذوي تربية عالية لو كان اهلهم كاملين"! وهكذا: "فالاهتمام باولادنا المراهقين لا يبدأ عندما يكونون في دور المراهقة، وانما منذ طفولتهم الاولى، بل قبل أن يولدوا؛ أي بالاهتمام بالوالدين، لان معاملة الوالدين لاطفالهم تتأثر -الى حد كبير- بما خبروه (أي خبره الوالدون) من تجارب ايام كانوا اطفالا. "فهم الى حد كبير يعكسون ما لاقوه من معاملة ايام صباهم، ويحاولون تجنيب اطفالهم ما لم يكن يروق لهم من سلوك آبائهم وأمهاتهم[1]".

(١) مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة ص١٢٦.

خصائص فترة المراهقة

لفترة المراهقة خصائص معينة تميزها عن بقية فترات الحياة، ومن ابرزها التحولات الجسمية والعاطفية السريعة والعنيفة التي يعانيها المراهق او المراهقة.

فمن الناحية الجسمية: يتكامل جسم كل من الفتى والفتاة في مدة قصيرة من فترة المراهقة، ويطرأ على جسم كل منهما تطورات وتحولات هامة، خاصة في أجهزة كل منهما الجنسية، فتجعله قادرا على الزواج. يرى الفتى نفسه قد أصبح رجلا، كامل الرجولة، ويحصل عنده الاحتلام ليلا. وكذلك الفتاة ينضج جسمها ويكتسب أنوثته وتأتيها العادة الشهرية وتصبح أهلاً لتكون أماً. كل منهما يشعر بغريزته الجنسية وباحاسيس كثيرة تضطرم فتلهب كيانه، تكون اشبه بسيل عارم يجتاح جسمه كله؛ وقد يصعب على المراهق في بعض الاحيان مقاومة مثل هذه الاحاسيس لما تحدثه فيه من هزات ورجات عنيفة، فهو في صراع مع الجنس ومشكلاته.

ومن الناحية العاطفية: تكون انفعالات المراهق عنيفة، فيثور لاتفه الاسباب، وكثيرا ما تكون هذه الانفعالات متقلبة وغير ثابتة. ولا يستطيع عادة اخفاء انفعالاته ولا أن يتحكم في مظاهرها الخارجية، فيعبر عنها بحركات كالعض والرفس والضرب والتكسير في حالات الغضب مثلا. وقد يكون الضرب احيانا والاعتداء على الغير رد فعل لما يلاقيه المراهق من اعتداء والده عليه. فيحاول الانتقام من جهة، والتمثل بوالده من جهة اخرى، فيقوم بدور الرجل الثاني في البيت، كما ذكر الدكتور فخري الدباغ في الندوة الثقافية التي المحنا اليها في اول هذا المقال.

وقد يصاب المراهق بما يسمى الاحباط (frustration) بسبب فشله في تحقيق أمانيه، ذلك الفشل الذي يكون من أهم دوافعه تقاليد الاسرة او المجتمع اللذين يعيش فيهما، او افتقاره الى بعض المصاريف التي لا يستطيع والداه توفيرها له، او انهما يمسكانها عنه. فمثل هذه الامور تحول بين المراهق وبين تحقيق امانيه، فتسبب له الفشل الذي، الى جانب التحولات التي يعانيها، يجعله يشعر بالفشل. وخجله يدفعه الى الانزواء والانطواء على نفسه، فلا يحبذ أن يخالط احدا. وانعزاله هذا يغرقه في احلام اليقظة، قاطعا صلته قدر المستطاع بشؤون العالم الخارجي وبما يوحي اليه من اهتمامات موضوعية.

أما اذا تازمت حالة الاحباط واشتدت، فينتج عنها تضارب في الانفعالات المختلفة وجموح في العواطف، مما يدفع المراهق في بعض الاحيان الى حالة يأس وقنوط، ومنها الى التفكير بالانتحار. مثل هذه الحالات شاذة، وهي حالات مرضية،

وعلى الوالدين أن يتنبهوا لها ويستعينوا بطبيب نفساني لمعالجتها. ومما يزيد في تأزم حالات الاحباط، هو أن لا يجد المراهق في البيت او المدرسة او المجتمع من يتفهمه ويقف الى جانبه، محاولا بكل لباقة ومودة أن يأخذ بيده ليخرجه من المأزق الذي هو فيه.

هنالك ايضا عواطف شخصية تظهر لدى الفتى او الفتاة في سن المراهقة كالاعتداد بالنفس او حب الذات، فيطيل المراهق الوقوف امام المرآة والتطلع الى صورته، ويسعى إلى جذب انتباه الغير باعتنائه الزائد بملبسه ومظهره او بطريقة كلامه. وهناك ايضا حب السيطرة.

كما أن هنالك ايضا عواطف جميلة ونبيلة أخرى تبرز عند المراهق او المراهقة، كميله الى الجمال: فيحب كل ما هو جميل ويعبر عن مثل هذه الاحاسيس بانجذابه الى الاشياء الجميلة كالطبيعة والفنون، فيعبر عن حبه لها تعبيرا رقيقا.

ويبرز عند مراهقين آخرين حب التضحية والمخاطرة والدفاع عن الضعيف، أو ميل الى المشاركة الوجدانية للغير والتعاون معهم في كثير من النشاطات الاجتماعية والمدرسية. وكل هذه العواطف حسنة وتحتاج الى توجيه معين لتكون اكثر فائدة. فهنا يقدر الوالدون والمربون أن يلعبوا دورهم الهام في توجيه المراهق الى النشاطات المفيدة، من فنية ورياضية وغيرها، وبذلك يساعدونه على تكوين ذاته وتنمية شخصيته.

الناحية الفكرية: يتطور كل من الفتى والفتاة فكريا وعقليا. لم يعد أي منهما طفلا يتقبل الافكار الفلسفية والمبادئ والنظم الاجتماعية وحتى العقائد الدينية التي أعطيت له وهو طفل، دون أن يتحقق من صحتها وصلاحيتها. لا يرفضها من اساسها، ولكنه يريد أن يكون تقبله لها عن قناعة شخصية. يريد أن يناقشها وأن يكون له رايه الخاص فيها. لا يرضى المراهق أن يتلقى دائما الاوامر والارشادات كما كان يفعل في طفولته. فللمراهق شخصيته الخاصة، يريد أن يعترف له الغير -ومنهم والداه- بحقه في تكوينها واظهارها. يريد أن يثبت ذاته، ولهذا فعندما يكتشف المراهقون أن هناك من لا يريد أن يقر لهم بحقهم في أن تكون لهم شخصيتهم المستقلة وآراؤهم الخاصة، يثورون ضد من يريد اغتصاب حقهم، يثورون ضد اسرهم وضد المدرسة والمجتمع. ومثل هذه الثورات نسمع الكثير عنها في المجتمعات الغربية، وفي بعض مجتمعاتنا الشرقية، أخذت العدوى تنتقل اليها ايضا. فهناك صراع بين جيلين وبين عقليتين: بين جيل الكبار وطريقة تفهمهم الامور، وبين جيل المراهقين وكيفية تفكيرهم. "والملاحظ أن مثل هذا الصراع يتفاوت في شدته وحدته تبعاً للبيئة

الاجتماعية ولمدى القيود والضوابط المفروضة على المراهق. ففي بعض الشعوب البدائية لا تظهر مثل هذه الضروب من الصراع العنيف الذي يلاحظ في الأوساط المتحضرة..."[٢].

من كل ما سبق، نستنتج ان المراهقة الانفعالية ترجع بالاساس الى عدم قدرة المراهق على ان يتلاءم مع بيئته، لأنه يجد ان طريقة معاملة الغير له لا تتناسب وما وصل اليه من نضج وما طرأ عليه من تغير؛ فهو يرى، فتى كان أم فتاة، أن والديه يعتبرانه طفلاً، لا يزال يحتاج الى رعايتهما وعنايتهما. ويفسر كل مساعدة من قبل والديه وكأنها تدخّل في أموره. كم سمعنا اولاداً يقول احدهم لوالديه: "أنا أعرف شغلي، ليش انا صغير؟ ما عندي عقل؟" ويعتقد مثل هذا الولد أن تدخل والديه في اموره الشخصية اساءة في معاملتهما له وتقليل من شأنه، فيبادر الى الاعتراض على سلوك والديه، بما يتخذه ازاءهما من مواقف، كالعناد والسلبية وعدم الاستقرار والالتجاء الى بيئات اخرى يجد فيها مجالاً للتعبير عن حريته المكبوتة. فيجب الا نتوقع أن تمر فترة مراهقة اولادنا، وهي فترة أزمة تكوين شخصيتهم، دون صعوبات وتجارب مؤلمة لأولادنا ولنا.

اذن، كيف نقدر ان نجتاز، نحن وأولادنا المراهقون، هذه الصعوبات وهذه التجارب المؤلمة، لنتحاشى أكبر مقدار من الضرر لاولادنا؟

دور الوالدين

جاء في تعليم المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني حول "كرامة الزواج والاسرة" وفي رسالة البابا بولس السادس "الحياة البشرية" وغيرهما من تعاليم البابوات السابقين وآباء الكنيسة ان "الزواج والحب الزوجي من طبعهما مرتّبان لانجاب البنين وتربيتهم...". وأما نوعية التربية الواجب اعطاؤها للأولاد، فيوضحها المجمع الفاتيكاني بان نمط التربية يجب "ان يتيح لهم، اذا ما بلغوا سن الرشد، أن يتابعوا دعوتهم بما في ذلك دعوتهم الدينية، واعين مسؤولياتهم وعياً كاملاً؛ وان يختاروا نوع الحياة الذي يلائمهم، وأن يستطيعوا، اذا ما تزوجوا، أن يؤسسوا اسرتهم الخاصة في ظروف أدبية واجتماعية واقتصادية مؤاتية...". ويضيف المجمع ذاته: "يجب عليهم (على الوالدين) أن يفهموا الناشئين في الوقت المناسب وبصورة ملائمة ما كرامة الحب الزوجي وما هي مهمته وكيف تكون ممارسته، ويُفضَّل ان يتم ذلك داخل نطاق الاسرة". فعلى الوالدين اذن:

(٢) مجلة علم النفس، المجلد ٢، يونيه، عدد١، ١٩٤٦، ص٢٤.

١. **أن يتفهموا أولادهم**، وخاصة عندما يكونون في دور المراهقة، وأن يقيّموا شخصية المراهق المستقلة، وأن يعلموا أن مشاكل المراهقة طبيعية هي، ومن الضروري أن ينبهوا اولادهم اليها قبل أن يتعرضوا لها، ليكونوا على استعداد لمجابهتها.

٢. **أن يثقفوا اولادهم ثقافة جنسية**: كم من فتاة لم تكن تعرف ما الحيض وما الدورة الشهرية. ولما جاءها ذلك للمرة الاولى، قلقت وخجلت وانزوت مرتاعة، حاسبة أن ما حصل أمر تُعاب عليه. كذلك الشأن مع الفتى الذي يتعلم من رفاقه الاكبر منه سنا، وبطريقة غالبا ما تكون خاطئة، امورا تتعلق بحياته الجنسية، لان والده لم يلقنه هذه الامور الحياتية او لم يطلب الى احد المرشدين أن يقوم بهذه المهمة عوضا عنه. وقد يعتبر بعض الفتيان أن الاحتلام ليلا خطيئة تثقل ضميره، أو بالعكس تعلموا من رفاق السوء كيف يتجاوبون مع احاسيسهم الجنسية والثورة العارمة التي فيهم، عن طريق ممارسات خاطئة، كالعادة السرية مثلاً. ففي مثل هذه الحالات، هل نضع اللوم كله على الاولاد أم أن الاهل ايضا مشتركون معهم في الجرم؟ ان التثقيف الجنسي الصحيح ضروري وعامل فعال يساعد اولادنا على مجابهة فترة المراهقة باطمئنان، وبه نحفظ اولادنا من اخطار الحياة الجنسية. وضروري جداً أن يكون شرح الامور الجنسية لاولادنا بصراحة، دونما كتمان أو تمويه، وبطريقة بسيطة، مستفيدين من المناسبات التي تعرض لنا. وعلينا أن نُفهم اولادنا أن الجنس ليس امرا منحطا ووضيعا بل شريفا ومقدسا.

٣. **توفير الجو الملائم في الاسرة**: جاء في مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني حول "كرامة الزواج والاسرة": "أن الاولاد والذين يعيشون معهم في محيط الاسرة، اذا ما شق الوالدان الطريق امامهم، بقدوتهما الصالحة وصلاتهما المشتركة، تهيأ لهم بسهولة اكثر أن يفتحوا قلوبهم لعواطف انسانية، وأن يهتدوا الى طريق الخلاص والقداسة". فالاسرة هي الوحدة التي يتكون منها المجتمع، فيها تتحقق استجابات الطفل الاولى، لان فيها تتم تفاعلات تنشأ بين الطفل وبين والديه واخوته، وتبقى هذه التفاعلات قائمة بين افراد الاسرة الواحدة. ومن الطبيعي أن تترك هذه التفاعلات ونتائجها آثارا عميقة في حياة الولد وسلوكه، وتساهم في تكوين شخصيته وتحديد علاقاته بمجتمعه حاضرا -طفلا- ، او مستقبلا -رجلا. وذلك لان مفهوم التفاعلات في الاسرة هو العلاقات التي تتكون بين اعضاء الاسرة التي يترتب عليها أن يؤثّر كل فرد في الاخر، بقصد تكوين خبرات جديدة"[٣].

(٣) مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ص١٢٠.

وهكذا، اذا كان الانسجام والالفة والمحبة تربط بين الوالدين من جهة، وبينهما وبين بقية افراد الاسرة من جهة أخرى؛ واذا شعر الولد، طفلا كان أو مراهقا، بالحنان الوالدي، يطمئن الى بيته واسرته ويزداد تعلقا، كما يزداد ثقة بوالديه. اما اذا ساد البيت الاضطراب والخصام بين الوالدين نفسهما، أو بينهما وبين اولادهما، تكون النتيجة عكسية، اذ يفتقد الولد الحنان والحب، فلا يرتاح لوالديه ويفقد ثقته بهما وينغلق قلبه دونهما.

٤. **ماذا اذا زل المراهق:** واذا زل الاولاد، على الوالدين الا يغضبوا ولا يثيروا ضجة كبيرة. يجدر بالوالدين أن يتملكوا اعصابهم تجاه زلة ولدهم. لان الغضب واللوم والتقريع والعقاب تثير عند الولد شعورا بالنقص والحقارة، مما يؤدي به الى شذوذ جنسي. وانما يحسن بالوالدين أن ينتقدوا مع اولادهم الامور التي دفعت بهم الى الزلل، وأن يوضحوا لهم نتائج زلتهم والضرر الذي تسببه هذه الزلة. باستطاعة الوالدين أن يناقشوا ولدهم المراهق أو فتاتهم المراهقة مناقشة الند للند والصديق لصديقه وأن يفهموه أن الغاية من هذا النقاش ليس العتاب والتقريع واللوم؛ وانما للاستفادة من الخطأ واصلاح ما افسدته هذه الزلة، في سبيل تكوين ذات الولد وشخصيته تكوينا سليما؛ فليست الزلة بذاتها المهمة، وانما مسبباتها ونتائجها. فلينصبَّ اهتمام الوالدين على دراسة هذه المسببات والنتائج ومناقشتها مع ولدهم، اكثر من ان يناقشوا الحادث ذاته. ولنأخذ التدخين عند المراهقين، على سبيل المثال. قد يكون للتدخين عدة اسباب: منها شعور المراهق بالزهو والرجولة عندما يدخن. او اذا ما صادفته بعض الهموم، يتصور أن السيكارة تبدد همومه. أو أنه يدخنها لمجرد تقليد اصحابه. فعلى الوالدين أن يكتشفوا السبب الحقيقي للتدخين عند ولدهم ويقنعوه أن التدخين لا يفيده ان لم يكن يضره.

هكذا يستطيع الوالدون أن يساعدوا اولادهم مساعدة فعالة في اجتيازهم فترة المراهقة بامان، اذا ما تفهموا اولادهم جيدا وقيّموا شخصيتهم واشتركوا معهم في حل مشاكلهم، في جو هادئ تسوده المحبة والحنان.

تحرير الرجل

الكتابة عن "تحرير الرجل"، تبدو غريبة، سيما ونحن غير بعيدين عن العام ١٩٧٥، عام المرأة العالمي، عام المطالبة بتحريرها ومساواتها مع الرجل. وقد يتهمني البعض بالرجعية أو التشيع للرجل ضد المرأة! فصبراً عزيزتي القارئة، عزيزي القارئ، لا تصدرا حكمكما قبل ان تأتيا على نهاية هذه الكلمة.

أنا ادعو الى تحرير الرجل، لأنه في الواقع عبد، وعبوديته متعددة الوجوه. قد يكون عبداً لمفاهيم خاطئة أو لعادات مشينة لا طاقة له احياناً لتحطيم قيودها، منها ادمان الخمرة أو الميسر، أو يكون عبداً للمال يسعى وراءه وكأن الحياة هي في جمع المال، أو عبداً لأهوائه وغرائزه. وبعبوديته لغرائزه قد يصبح عبداً للمرأة.

فلو رجع كل منا الى ذاته ودقق في ما يجري في اسرنا، لوجد ان المشاكل العائلية التي يعاني منها البعض وتصل احياناً الى حد الخصومات العلنية بين الزوجين أو بينهما وبين اسرتيهما، تعود في أساسها الى محاولة احد الجنسين التسلط على الجنس الاخر واخضاعه لسيطرته. أوَ يجهل الزوجان أم يتجاهلان ان الزواج شركة بين طرفين متكافئين متساويين في الحقوق والواجبات، وان لكل منهما شخصيته المستقلة ولا يصح ان تنصهر في شخصية الآخر، بل ينبغي ان تحتفظ كل منهما بكيانها المستقل وتكمل احداهما الاخرى! مثل هذا الجهل أو التجاهل يجعلهما عاجزين عن التفكير موضوعياً في أسباب خلافاتهما، لايجاد حل سليم لها.

وان برز تسلط الرجل على المرأة في الكثير من نواحي الحياة -ونحن لا ننكر هذا الواقع المنكر- فان من الزوجات من تجعل من زوجها تابعاً لها، تسعى بكل الوسائل ان يكون لها الامر والنهي والكلام الفصل في البيت. ان شاءت، أجازت له الخروج مع أصحابه واصدقائه؛ وإن أبت، بقي في الدار (يعتني بالطفل واحضار الحليب له!..)؛ إن رضيت، سمحت له بزيارة ذويه؛ وإن أبت حرمت عليه ذلك!.. وربما

ذهبت الى أبعد من ذلك، فحددت له مصروفاته الشهرية وأشرفت على أوجه صرفها، لكي لا تدع له مجالاً لمساعدة والديه أو أخوته، حتى وإن كانوا بحاجة الى مساعدة... وإن حاول الزوج ان يحتج، ثارت ثائرة الزوجة والتهبت نار الحرب بينهما...

وهكذا فان الانسان -رجلاً أم امرأة- ميال الى فرض سيطرته على غيره. الا أن استراتيجية السيطرة تختلف عند كل من الرجل والمرأة. فالاول يلجأ الى العنف والقوة، والثانية سلاحها أمضى. فبدهائها واغرائها، تجرد رجلها من كل سلاح، ولا سيما ان كان هذا الرجل ضعيف الشخصية أو شديد الاندفاع وراء غرائزه الجنسية. ومثل هذا الرجل لا يطلب المرأة لذاتها وانما لذاته هو. انه لا يرى فيها انسانا له كرامته وشخصيته، بل مجرد وسيلة لمتعته، وامتلاكها يعتبره مكسباً كبيراً. وهناك نوع من النساء، اذا ما اكتشفن هذا الضعف في الرجل، أمعنّ التسلط عليه واخضاعه انتقاماً منه لأنفسهن؛ فالمرأة التي لا ينظر اليها زوجها سوى بمنظار الجنس والمتعة، ولا يفكر فيها أو يكاد إلا للفراش، تشعر بالمذلة عند امتلاكه لها وتسلطه عليها. ورجال من هذا النوع يستسلمون صاغرين "لعقربة الفراش" -والمقصود بهذه العبارة الشائنة الزوجة التي توغر صدر زوجها ضد أهله عندما يخلو اليها ليلاً- فتستغل المرأة ضعف رجلها ليلاً، هو الجبار العنود نهاراً، وتلعب باهوائه وقلبه وعقله، فلا يفيق من سكرته إلا وقد أذعن لكثير من مطاليب زوجته، الجيدة والسيئة...

وليست المرأة – الزوجة وحدها من تحاول التحكم بالرجل، بل الام أيضاً والاخت! فالام التي تبالغ في تعلقها بابنها، رافضة التخلي عنه حتى بعد زواجه، وهي لا تزال تراه طفلها المدلل توجهه في كل خطوة من خطواته، لشدة تعلقها وتمسكها به، ترى في زوجته غريمة جاءت تسلبها ابنها. ونتيجة لمحاولة الام بالاحتفاظ بابنها وابقائه تحت نفوذها، والزوجة بامتلاكه هي وحدها دون منافس، تنشأ الخصومة بين الحماة والكنة وتصطدم السلطتان الحاكمتان: سلطة الام وسلطة العروسة، وقد تلعب الاخت دورها -لا سيما إن كبرت وفاتها القطار- فتزيد المشكلة تعقيداً، ويقع الرجل بين حانة ومانة...!

هذه صورة خاطفة أليمة لعبودية الرجل ولواقعنا الناتج عن عدم ادراكنا -رجالاً ونساء- معنى الانسجام والتناغم في الاسرة وعدم تقديرنا تقديراً سليماً لروابطنا العائلية. تحرر الرجل اذاً -كتحرر المرأة ذاتها- يتم بالتفهم الصحيح لدور كل فرد في الاسرة الواحدة، وباقتناعنا بحق كل من الرجل والمرأة بالتمتع بحريته الذاتية،

وبتكوين شخصيته المستقلة ضمن وحدة الزوجين في الحب الصادق والكرامة والاحترام والالفة التي تجعل من الاثنين واحداً.

خارجاً عن هذه النظرة، لن يتحقق التحرر لأحد، وسيبقى الصراع يهبط بالرجل حيناً وبالمرأة أحياناً، أو بكليهما معاً نحو المذلة. أما فيها، فيتحقق تحرر الانسان، رجلاً وامرأة..

يسوع التاريخ

ان قضية اثبات تاريخية شخصية المسيح كانت منذ القدم ولا تزال موضع دراسة النقاد الكتابيين والباحثين. وقد تصاعدت حدة هذه الدراسة منذ اواخر القرن الثامن عشر وحتى بدايات القرن الحالي، فوضعت فيها بحوث جادة استنزفت من اصحابها جهودا جبارة، وجاءت اخيرا نتائجها ردا حاسما على مزاعم القائلين بان يسوع لم يكن حقيقة تاريخية، وانما هو من مخيلة المبشرين به، وأن اصول المسيحية اسطورية وهمية... واول من اطلق مثل هذه المزاعم، في اواخر القرن الثامن عشر، فلاسفة عقلانيون مثل (دوبويس)، ونقاد كتابيون راديكاليون مثل (باور) وباحثون عن الاصول الاسطورية في تاريخ الديانات مثل "دروس". اما اليوم فتعتبر مسألة "تاريخية وجود يسوع" مسألة محسومة علميا.

وفيما يلي بعض المؤشرات التي تعيّن لنا اهم الادلة والوثائق التي اعتمدها هؤلاء العلماء في بحوثهم. ويمكن ارجاعها الى نوعين رئيسين من المصادر: المصادر المسيحية -وهي اسفار العهد الجديد، والاناجيل الاربعة منها خاصة- وقد اشبعوها تمحيصا ونقدا وتدقيقا؛ والمصادر غير المسيحية -اليهودية منها والوثنية-؛ واخيرا شهادات صادرة من غرباء، ان لم نقل خصوما. وساقتصر في كلامي على الادلة التاريخية غير المسيحية التي -على قلتها- اخذت، منذ اجيال، تلعب دورا هاما في اثبات واقع وجود يسوع التاريخي.

الشهادات اليهودية

التلمود، وهو كتاب يضم شرح ما تضمنه كتاب "الميشنا" من شرائع اليهود وقواعد طقوسهم وتقاليدهم، كما يشمل مناقشات الحاخامين في امور دينهم. وقد وردت في التلمود اشارات كثيرة الى يسوع وما صنعه من العجائب والى "تضليله الشعب" -حسب ادعاء التلمود- والى صلبه عشية عيد الفصح بتهمة الالحاد والتضليل... اشارات تعبر في الواقع عن راي يهود ما قبل عام ٧٠ في يسوع، وهذا يعني انهم لم يكونوا ينكرون وجوده.

يوسيفوس

مؤرخ يهودي شهير، وفريسي عُرف بانتهازيته، شأنه في ذلك شأن الطبقة الكهنوتية الارستقراطية التي كان ينتمي اليها بمولده. فهو، رغم ميوله الى الرومان، انضم الى المتمردين من اليهود الذين اعلنوا عصيانهم على اسيادهم الرومان صيف عام ٦٦ م، فاستلم قيادة جيش الجليل. وعندما أُسر عام ٦٧ انحاز علنا الى الرومان، فأُطلق سراحه. وفي عام ٧٠ استولى الرومان على اورشليم وخربوا الهيكل، فتشتت اليهود. وكان يوسيفوس يسعى دوما الى ارضاء اسياده الرومان، لكنه في الوقت نفسه كان يتجنب، في كتاباته، ذكر كل ما له علاقة بانتفاضات اليهود وحركاتهم المسيحانية، لكيلا يثير نقمة الرومان على مواطنيه، الامر الذي جعل النقاد يرون في ذلك تعليلا لصمته، هو وغيره من المؤرخين اليهود في عصره، وعدم ذكرهم ليسوع.

وليوسيفوس كتابات كثيرة اهمها كتابه "حرب اليهود" نشر عام ٧٧ و "عاديات اليهود" (عام ٩٣)، وفيه اتى على ذكر اثنين من معاصري يسوع، هما يوحنا المعمذان (١٨:٥/٢) حين تكلم عن رسالته وموته، ويعقوب اخو الرب، اول اسقف لاورشليم. ويوسيفوس يسميه بسخرية عندما يتكلم عن استشهاده: "يعقوب اخو يسوع الملقب بالمسيح" (٢٠:٩/١). واما عن يسوع نفسه، فيقول: "في ذلك الزمان (أي في عهد هيرودس انتيباس وبيلاطس البنطي) ظهر يسوع، انسان حكيم - ان صح ان يسمى انسانا- لانه كان يعمل اعمالا عجيبة. كان معلم اولئك الذين يتقبلون الحقيقة بفرح، واجتذب اليه العديد من اليهود واليونان. وهذا كان المسيح. لقد وشى به رؤساء امتنا، فحكم عليه بيلاطس بالصلب. الا ان اتباعه لم يتخلوا عن محبتهم له، لانه قام في اليوم الثالث بعد موته وظهر لهم كما اعلن الانبياء ذلك، وغير ذلك من الامور بشأنه؛ ولا تزال هناك جماعة من الناس باقية حتى اليوم يدعون مسيحيين نسبه اليه". (عاديات ١٨:٣-٣)

ان هذا النص يشك غالبية النقاد في صحته من حيث صياغته وشكله، اذ انهم يعتقدون انه قد جرى تحوير عليه في وقت لاحق، غير انهم يتفقون على صحة جوهره، أي انهم يرون فيه نواة من الحقيقة تؤيد ان يوسيفوس ذكر ولا شك يسوع في كتابه "عاديات اليهود".

الشهادات الوثنية

ماذا كتب مؤرخو الرومان عن يسوع؟

ان فقدان جميع التراث الثقافي للامراطورية الرومانية القديمة -عدا مصنفات تاسيتوس وسويتونيوس- لا يسمح للنقاد ان يقرروا جازمين فيما اذا تكلم مؤرخو

الرومان، في القرن الاول للميلاد، عن المسيح والمسيحية ام لا. اما الوثائق الرومانية الرسمية التي كانت تُحفظ في روما، فكانت على نوعين: اعمال مجلس الشيوخ، وهي عبارة عن محاضر جلسات هذا المجلس، و لم يرد فيها ما يشير الى ان المجلس ناقش امور المسيحية في جلساته. كما ان هناك مجموعة من المخابرات المرسلة الى الامبراطور. وكل ما يعتقده النقاد بصدد هذه الوثائق انه من المحتمل ان يكون بيلاطس قد وجه رسالة الى الامبراطور طيباريوس حول صلب يسوع، الا ان مثل هذه الوثيقة لا يجزم احد بحقيقة تواجدها سابقا، كما ان لا وجود لها في الوقت الحاضر.

وفيما يلي استعراض خاطف للمؤرخين الذين ورد ذكر المسيح في كتاباتهم:

١ – تالوس السامري: هو من اهل السامرة. كان عبدا لطيباريوس، فحرره. تحدث عنه يوسيفوس في كتابه "عاديات اليهود" (١٨:٦٣-٦٤)، وكانت وفاته قبل عام ٦٠ م. وما يهمنا من امره هو ان يوليوس الافريقي نسب اليه تعليلا لكسوف الشمس عند موت يسوع، كما ورد في الاناجيل. وهذا يعني ان تالوس كان على علم بالتقليد المتناقل في زمانه حول هذا الحدث.

٢ – بلينوس الاصغر (٦١-١١٥م) عندما كان حاكما لبيثينيا في اسيا الصغرى، رفع بلينوس في حوالي عام ١١١ تقريرا الى الامبراطور تراجان حول الاجراءات الواجب اتخاذها ضد المسيحيين، لانه كان قد تلقى شكاوى ضدهم؛ وقد اوقف بعضا منهم، بينهم "شماستين". وبعد ان قام بالتحريات المقتضاة، و لم يجد ما يدينهم به، كتب يقول (الرسالة ٩٦): "ان هؤلاء الناس (المسيحيين) يجتمعون لينشدوا ترانيم للمسيح، ويتعاهدون بقسم بالا يقترفوا السرقة أو السلب او الزنى، والا يحنثوا بيمين ولا ينكروا وديعة عندما يطالبهم بها صاحبها. فاي ضرر في ذلك؟ لكن كهنة الالهة يتذمرون لان الهياكل هُجرت، وان بائعي لحوم التقادم (الضحايا) كسدت تجارتهم..." ان هذه الشهادة هي اول وثيقة لدينا حول المسيح، ونستخلص منها ان المسيحية كانت منتشرة وراسخة في آسيا الصغرى.

٣ – تاسيتوس (٥٤-١١٧م؟): مؤرخ روماني ومحام بارز في روما وعضو في مجلس الشيوخ. له عدة مصنفات أهمها: "التواريخ" و "الحوليات"، وهذه الاخيرة كتبها عام ١١٦ وتحدث فيها عن المسيحيين واحتراق روما عام ٦٤ – وكان نيرون قد اتهمهم باشعال النار في روما لكي يبرئ ذمته من كل تهمة. يقول تاسيتوس: "... وقد دعوا مسيحيين نسبة الى المسيح الذي حكم عليه بيلاطس البنطي بالموت في عهد طيباريوس. وقد انتشرت هذه الشيعة الخبيثة انتشارا غريبا، ليس فقط في اليهودية منشأها حسب، وانما في روما..." (الحوليات، الثالث: ٤، ٤٤).

٤ – سويتونيوس (٦٩-١٤٠ م تقريبا): وهو مؤرخ روماني ايضا. كان موظفا في بلاط الامبراطور هادريانوس، يسجل الاحداث اليومية للقصر. وقد ورد ذكر المسيحيين مرتين في كتابه "تراجم حياة الاثني عشر قيصرا": مرة أكد فيها اضطهادات نيرون للمسيحيين، واخرى ذكر ان القيصر كلوديوس "طرد من روما اليهود الذين اصبحوا، بتحريض المسيح، سبب قلاقل مستمرة" (راجع اعمال الرسل ١٨:١-٢ بهذا الخصوص)، وكان ذلك عام ٥٢. وهذه الوثيقة تبين لنا انه في حوالي عام ٥٠ كان في روما مسيحيون يبشرون بالمسيح بين الجماعات اليهودية المحلية.

٥ – قلسوس: وهو فيلسوف وثني عاش في القرن الثاني للميلاد، اشتهر بعدائه للمسيحيين وهجماته العنيفة عليهم وعلى معتقداتهم، فتصدى له مسيحيون كبار مثل اوريجانوس (١٨٥-٢٥٤) لدحض مزاعمه. والملاحظ عند قلسوس -كما عند سائر المؤرخين الوثنيين واليهود- انه لم ينكر مطلقا في كتاباته الجدلية وجود يسوع وتاريخه كما نعرفه. وعدم الانكار هذا يعطي لهذه الشهادات اهمية كبرى، وإن كانت في الواقع لا تضيف شيئا على ما نعرفه عن حياة يسوع ورسالته الخلاصية عن طريق اسفار العهد الجديد. فوجود يسوع التاريخي حقيقة لا غبار عليها تعززها نظرتنا الايمانية والنقدية الى الاناجيل.

المراجع:

دانيال روبس: يسوع في زمانه، المطبعة البولسية، لبنان ١٩٦٩.

الاب بولس الياس اليسوعي: يسوع المسيح، شخصيته، تعاليمه/ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٩.

W. Trilling: Jésus devant l'histoire, trad. française par Joseph Schmitt, éd. du Cerf, Paris, 1968.

F. M Braun o.p.: Jésus, histoire et critique, Casterman, Paris 1947.

Arthur Nisin: Histoire de Jésus, éd. du Seuil, Paris 1960.

الجوع في العالم

• يموتون جوعا

في دول العالم "المتحضر" (!) اناس يموتون من التخمة، والى جانبهم اخـــرون يموتون جوعا، لا سيما في بلدان العالم الثالث.

للتعرف على فظاعة المجاعات التي تقع هنا وهناك وعلى ضحاياها وماســيها، اكتفي بالرجوع الى احصائية صدرت عن الامم المتحدة، جاء فيها ان عدد الاطفال المعوقين في العالم ممن لا تتجاوز اعمارهم ١٥ سنة بلغ ١٤٦ مليون طفل، منـــهم ٦ ملايين في اميركا الشمالية، و١١ مليونا في اوربا و١٣ مليونا في اميركا اللاتينية، و١٨ مليونا في افريقيا، و٦٨ مليونا في اسيا. ويعود ذلك بالدرجة الاولى الى سوء تغذيتهم، لا سيما في البلدان النامية. والذين ماتوا جوعا من الرجال والنساء والاطفـــال عـــام ١٩٧٩ بلغ عددهم ٥ ملايين، أي بمعدل ٥٧٠٠ ضحية في الساعة الواحدة. ويبلـــغ عدد البلدان الفقيرة -او كما يسميها تقرير الامم المتحدة الرسمي "البلدان الاقل نموا"- ٣٠ بلدا، ٢٠ منها في افريقيا و ٨ في اسيا، وواحد في المحيط الهادي، وواحد في القارة الاميركية. كما ان نصف سكان البلدان الفقيرة لا تتعدى حصتهم من الغذاء مستوى التغذية المقبول كي يحيا الانسان حياة اعتيادية. والجدول التالي يكشف عـــن البـــون الشاسع بين البلدان النامية والصناعية من حيث مستواها الحياتي:

	البلدان النامية	البلدان الصناعية
وفيات الاطفال	١٢٨ الف	١٦ بالالف
معدل العمر	٥٠ سنة	٧٢ سنة
اميون بالغون	٦٢%	١%

وقد يصل معدل تفشي الامية في بعض البلدان الفقيرة الى ٩٠%، وربما اكثـــر بالنسبة للنساء.

• مسببات المجاعات في العالم

كانت منظمة الغذاء العالمية قد اصدرت في اوائل عام ١٩٨٠ دراسة هامة حول الزراعة وما ستكون عليه عام ٢٠٠٠، اتضح منها ان الدول النامية التسعين موضوع الدراسة، اذا ما استمرت الاتجاهات الحالية فيها الى عام ٢٠٠٠، فستستورد ١٨٠ مليون طن من الحبوب، بينما يبلغ حجم استيراداتها اليوم ٦٠ مليون طن فقط.

اما بالنسبة للوطن العربي، فقد نشرت جريدة الثورة (٢٤ اذار ١٩٨١) مقالا خلاصته ان مساحة الاراضي الزراعية في الوطن العربي يبلغ ١٢٠ مليون دونم وهي تساوي ٢٢% فقط من المساحة الكلية. اما ما يزرع فعلا فهو، ٤% فقط، يضاف اليه ١٧% للمراعي و١% للغابات. وان حجم المياه التي تصرفها الانهار العربية هو ١٩٥ مليار متر مكعب، والمستغل منها لا يتجاوز ٩٥ مليار متر مكعب ، وهذا يعني ان اكثر من نصف كمية مياهنا يذهب هدرا. زد على ذلك ان الانتاجية الزراعية في البلاد العربية منخفضة، فالحبوب شغلت في عام ١٩٧٥ ما يعادل ٦٥% من المساحة المحصولية المزروعة، وان الانتاجية للهكتار الواحد لم يتجاوز ١,٠٣ طن، فقط مقابل ١,٨ طن كمتوسط عالمي لانتاجية الهكتار الواحد.

اما اهم اسباب انخفاض الانتاجية الزراعية في الوطن العربي وفي العالم الثالث، فيمكن حصرها في مجموعتين رئيسيتين من العوامل: مجموعة العوامل الطبيعية، ومجموعة عوامل اخرى من صنع الانسان.

العوامل الطبيعية:

وتشمل جفاف المناخ وما يرافقه من ضعف في التربة وعجزها عن اعطاء ناتج زراعي جيد. والى جانب جفاف المناخ، هناك الكوارث الطبيعية، من زلازل وفيضانات واوبئة... واخيرا ياتي الانفجار السكاني غير الطبيعي، وكل هذه الامور تعيق الزراعة والانتاجية. والزيادة السكانية في البلدان المتخلفة هي بنسبة ٢,٦% سنويا؛ ففي حالة استمرار الزيادة على هذه الوتيرة، سيصبح عدد سكان العالم اكثر من ٦ مليارات نسة سنة ٢٠٠٠، أي بزيادة مليارين، يكون النصيب الاكبر منها للبلدان الفقيرة، فضلا عن ان ٢٠ مليون نسمة من سكان العالم هم منذ اليوم في حالة تعيسة من الناحية الغذائية.

لو دققنا في واقع هذه العوامل الطبيعية، لوجدنا انها ليست وحدها التي تسبب المجاعات في العالم، اذ ان للانسان دورا كبيرا فيها. فعدم اتخاذه التدابير اللازمة لدرء

مثل هذه الكوارث او التخفيف من ويلاتها، هو سبب اضافي وحاسم في استفحالها. فالمراقبون يرون، مثلا، ان الفيضانات التي وقعت في فييتنام عام ١٩٧٨ حدثت بسبب ما اصاب سدودها ومشاريعها الاروائية من عطب وتصدع، نتيجة للغارات الجوية التي شنتها الطائرات الاميركية على البلاد اثناء الحرب.

من جهة اخرى، لو لجأ الانسان الى التقنية في الزراعة، ووازن بين ما يستغله من الاراضي لزراعة الحبوب وبين ما يستغله لزراعة المواد الداخلة في الصناعة، لاستطاع ان يخفف من معضلة الجوع، ان لم نقل يقضي عليها. وليس سرا ان هناك فئة من الناس تتعمد اثارة المشاكل الاقتصادية في الدول النامية من اجل تصريف فوائضها ومنتوجاتها فيها، وتحاول دائما تغطية عمليتها النكراء باتهام العوامل الطبيعية. بذلك تحاول دفع المسؤولية عنها، ولكنها لا تستطيع ازالتها. الى هذه الفئة اشار البابا يوحنا بولس الثاني، قبيل انعقاد الدورة العشرين لمنظمة الغذاء العالمية حيث قال: "ان الجوع في العالم لا ينتج دائما عن ظروف جغرافية ومناخية او زراعية غير ملائمة حسب... وانما ينتج ايضا عن الانسان نفسه وعن قصور في النظام الاجتماعي". فالمجاعة التي وقعت في بنغلاديش، مثلا، عام ١٩٧٤، يرى المطلعون ان الحكومة، لو اتبعت سياسة مبرمجة ووقائية، لخففت كثيرا من وطأتها. ولكن نعود ونسأل في مثل هذه الحال: هل كانت هذه الحكومة -او غيرها- قادرة على مجابهة "سلاح القمح" الذي تشهره الولايات المتحدة بوجه كل من لا ينصاع اليها، فتساوم على "كسر الخبز" مع زبائنها!

هكذا، فان الكوارث الطبيعية امور عرضية، ولكنها بتقصير الانسان تتحول الى نكبات كبرى. وهذا ما نقصده بالعوامل التي من صنع الانسان.

عوامل من صنع الانسان:

نوجز هذه العوامل في نقاط رئيسة اربعة:

١ – عدم توزيع خيرات الارض توزيعا عادلا: من المسلّم به ان ما تعطيه الارض يكفي لغذاء سكانها البالغ عددهم ٤ مليارات نسمة، لو وزعت بشكل عادل ومتوازن. فالمشكلة لا تقوم على شحة خيرات كوكبنا، بل على سوء توزيعها، بدليل ان ٣٠% من سكان العالم يحتكرون ما يقرب من ٤/٣ حاصل السلع الغذائية. ومثل هذا الخلل آفة عالمية لا بد وان تحدث "جيوب" مجاعات في البلدان او في المناطق شحيحة الخيرات. اما ازالة هذه الجيوب، فيكمن في التوزيع العادل وتكافؤ السياسة التنموية- والهند خير مثال لمثل هذه الحالات المضطربة. واقطار الوطن العربي نفسها

ليست في منحى من هذا التفاوت الاقتصادي: فهناك اقطار غنية جدا (النفطية منها خاصة) ومنها اقطار فقيرة، ان لم نقل في حالة فاقة دائمة وسوء تغذية، بالاضافة الى ان اراضي بعض هذه الاقطار صحراوية غير صالحة للزراعة، بينما اراضي الاخرى خصبة وامكانيات الزراعة فيها مرشحة للتقدم والتطور.

٢ – انخفاض الناتج الزراعي: مما لا شك فيه ان انخفاض الناتج الزراعي يتسبب في شحة المواد الغذائية، ومن ثم حصول المجاعة. ومن الامور التي تعمل على انخفاض الناتج الزراعي:

اتجاه المزارعين في البلاد النامية والفقيرة الى زراعة المواد الداخلة في التصنيع، او القابلة للتصدير، أو التي يحتاجها المستهلكون الصناعيون في المدن، بدلا من زراعة الحبوب، وذلك لان المحاصيل الاولى هي مصدر اثراء سريع واكيد لمالك الارض الذي هو وحده يقرر كيفية استغلال ارضه. ومصر مثال على هذه البلدان التي تختص بزراعة مادة معينة قابلة للتصنيع، فزراعة القطن في مصر هي بنسبة ٤٢% من مجموع زراعتها، على حساب زراعة المواد الغذائية. ووما يجب الا يغيب عن بالنا ان الدول الصناعية الكبرى تقف وراء هذا التحول في الزراعة الذي ترجع جذوره الى "عهد التقسيم الدولي للعمل"، في اواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر، حيث خُصصت قارات بكاملها لانتاج المواد الاولية التي كان الغرب يحتاجها في صناعته، وذلك على حساب المواد الغذائية التي تقلصت او انحسرت زراعتها في الاراضي الاقل خصوبة.

وبعد ان تحررت بلدان العالم الثالث من الاستعمار في الستينات من هذا القرن، ظلت على ما كانت عليه من تخلف في زراعة المواد الغذائية وتركيز على الزراعة التجارية، لاغراض التصدير، لتصنيعها في الدول الصناعية واعادتها باسعار مضاعفة على هيئة سلع مستوردة استهلاكية تهدد الاقتصاد الوطني وتنسف الدخل القومي. وهكذا اصبح اقتصاد الدول النامية مربوطا بعجلة الشركات متعددة الجنسيات ولصالح الدول المتقدمة صناعيا.

٣ – انخفاض القدرة الشرائية: ان اتباع اساليب التقنية في الزراعة في البلدان المتطورة، لغرض تحسين الناتج وزيادته، يرفع كلفة هذا الناتج. ومن المعلوم انه كلما ارتفع سعر الكلفة ارتفع ثمن البضاعة، علما بان سعر البيع، هو الاخر، يخضع لقانون العرض والطلب. ولما كان الفائض من المواد الغذائية المخزون في الدول الغنية خزينا مرتفع الكلفة، يصبح استيراده من قبل البلدان النامية باسعار باهضة، مما لا يمكّن الطبقة الفقيرة فيها من شراء كل ما تحتاجه من هذه المواد، لا بل تعجز حتى عن شراء

الضرورية منها. وما يرفع كلفة المواد الزراعية هو ايضا ارتفاع اجور العامل الزراعي، فضلا عن ان عدد العمال الزراعيين اخذ بالتناقص، لسبب انتقال العديد منهم الى المدن، سعيا وراء زيادة الدخل السريع والوفير، اضافة الى ما تقدمه المدينة من فرص عمل واغراء ايضا.

٤ – **"الحنطة كسلاح"**: لا تزال اميركا تحتل المرتبة الاولى بين الدول الزراعية. ففي عام ١٩٧٩، صدّرت ما يقارب ١٠٠ مليون طن من الحبوب من المجموع العالمي الذي يزيد قليلا عن ١٦٠ مليون طن، الامر الذي يسمح لها بالتحكم بالمساعدات التي تقدمها الى بلدان العالم الثالث. من اجل ذلك، فالمساعدات التي تقدمها وفق القانون رقم ٤٨٠ –وقد اسمته "اغذية من اجل السلام"– لا تقدمه بحسب اولوية البلدان التي تحتاجها اكثر من غيرها، بل الى تلك التي لاميركا فيها مصالح استراتيجية، سياسية واقتصادية. وكثيرا ما تستغل اميركا المساعدات التي تقدمها لتساوم بواسطتها على امتيازات خاصة.

لنضرب مثلا على ذلك: لقد بلغ مجموع ما استلمته فييتنام الجنوبية وكمبوديا من اميركا ٧٠% من مجموع المساعدات الغذائية الاميركية. وعندما انتهت الحرب الفييتنامية بفشل اميركا، انقطعت هذه المساعدات. كذلك الامر في شيلي: فعندما كانت شيلي في امس الحاجة الى الاعانات الغذائية، قطعتها عنها اميركا خلال السنوات ١٩٧٠–١٩٧٣، أي في فترة حكم الوحدة الشعبية، واعادتها اليها بعد قيام الحكم العسكري الموالي لها في ايلول ١٩٧٣، فارسلت ١٢٠ الف طن حنطة، وفي عام ١٩٧٥ ارسلت ٦٠٠ الف طن. والسياسة ذاتها اتبعتها مع مصر حين قطعت عنها فجأة مساعداتها الغذائية عام ١٩٦٧ بسبب حرب حزيران مع اسرائيل، ولما عادت مصر الى الفلك الاميركي وقبلت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨، اصبحت احدى الدول الاكثر انتفاعا من المساعدات الاميركية[١].. وليس الاتحاد السوفييتي افضل في تعامله مع اتباعه!

فالعامل الانساني ليس هو السائد في هذا التبادل المشروط والممسوخ. بالاضافة الى ان المساعدات الغذائية عنصر اخر تعزز به الدول الغنية صادراتها الزراعية وتفتح اسواقا تجارية جديدة لمنتوجاتها.

(١) ف. م. عدد حزيران ١٩٧٨، مقالنا: "الدول النامية بين الحرية والاستقلال".

• محاولات للقضاء على الجوع

لا يمكن ردم الهوة السحيقة الفاصلة بين الدول الصناعية الغنية والدول الفقيرة، بمجرد تقديم المساعدات، بل بتحمل كل الدول مسؤولياتها التضامنية تجاه الشعوب سيئة التغذية -كما جاء في كلمة للبابا يوحنا ٢٣، وجهها عام ١٩٥٩ الى ممثلي المنظمة الدولية للتغذية والزراعة- وبمساعدة الجميع في حملة عالمية طويلة الامد على الجوع.

وكخطوة في هذا الطريق، اعلن مدير المنظمة الدولية للتغذية وبتأييد الجمعية العامة للامم المتحدة، في تموز ١٩٦١، عن بدء حملة عالمية للقضاء على الجوع عن طريق تجنيد المنظمات غير الحكومية في العالم وتأليب الراي العام العالمي لتنظيم مساهمة الشعوب في هذه الحملة؛ فتشكلت لجان كثيرة لهذا الغرض[٢٥]، شعبية وكنسية. ولم تكتف هذه الاوساط بمعالجة نتائج الجوع وتقديم المساعدات الغذائية العاجلة، بل تعدتها الى التصدي لاسباب الجوع، فدعت، عبر مؤتمراتها ودراساتها واجهزتها، الى تمكين بلدان العالم الثالث من تسليح ذاتها ضد الجوع، بتوعية الناس لخلق عالم متضامن في المسؤولية، ينقل الانسان من جائع الى مكتف، وبتحقيق تنمية قومية مبنية على سيادة البلد على موارده، فيركز على زراعة المواد الغذائية قبل المواد الاولية الداخلة في تصنيع الدول الغنية، واغنائها على حساب البلد المنتج.

ومن العوامل الرئيسة للوصول الى مثل هذه السيادة وتطوير الزراعة:

١. توفير المساحات الكافية من الاراضي الزراعية ذات الخصوبة الجيدة واستصلاح الاقل جودة، وتأمين مشاريع اروائية اساسية، وتخصيص مثل هذه المساحات لزراعة المواد الغذائية الاساسية، مع تنفيذ اصلاح زراعي قويم ومبرمج.
٢. توفير وتأهيل العمال الزراعيين لاستخدام اساليب التقنية الحديثة في الزراعة والانتاج.
٣. توفير البذور المحسنة والاسمدة والمكننة ووسائل حديثة وسريعة لنقل المحاصيل قبل ان تتلف او تتعرض للافات.

مثل هذه المعالجات تساعد على زيادة الانتاج الزراعي وتطوير العملية الزراعية وانمائها، اذا واجهتها سياسة عقلانية لتنسيق وبرمجة المشاريع الزراعية ووضعها موضع التنفيذ، فلا تبقى مشاريع ميتة رهن المجرّات والملفات وتقارير المؤتمرات...

(٢) حول المنظمات الخيرية والكنسية، مقالنا: "جان رودان" ف. م. عدد ايلول ١٩٧٢.

• العراق وسياسة التكامل الاقتصادي العربي

بسبب الوضع الاقتصادي غير المتوازن في الاقطار العربية، بادر العراق فأعلن، في ٨ شباط ١٩٨٠، اسس "الاعلان القومي" حول الاخذ بمبدأ التكامل الاقتصادي القومي بان "تتعهد الاقطار العربية المقتدرة اقتصاديا بتقديم كل انواع المساعدات الاقتصادية للاقطار العربية بالشكل الذي يصونها من احتمالات الاتكال على القوى الاجنبية بما يمس استقلالها وارادتها القومية". وقد ابدى العراق كامل استعداده "للالتزام بمبادئ هذا الاعلان تجاه كل قطر عربي". و لم يقف تعاون العراق اقتصاديا مع الاقطار العربية فقط، بل تعداه فشمل الدول النامية بصورة عامة والدول الاسلامية بصورة خاصة. فقد جاء في خطاب السيد وزير خارجية العراق في المؤتمر الاسلامي الثاني عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في بغداد من ١-٥ حزيران المنصرم: "... ان العراق يعتبر ذلك (أي التعاون الاقتصادي) من العوامل الاساسية في تحقيق النظام الاقتصادي العالمي الجديد...". وتطرق السيد الوزير في خطابه هذا الى اقتراح الرئيس صدام حسين الداعي الى انشاء صندوق دولي لتعويض الدول النامية عن التضخم المستورد، على ان تسهم الدول المتقدمة في هذا الصندوق، بنسب متعادلة مع تضخم اسعار صادراتها الى الدول النامية، وتسهم الدول المصدرة للنفط بنسب تعادل الارتفاع في اسعار صادراتها.

لم يقف نشاط العراق عند الكلام، بل ترجمه الى اعمال ومشاريع، فقد التزم بتقديم مساعدات بشكل منح وهبات وقروض ميسرة بما يقارب ٤% من ناتجه القومي الاجمالي خلال عام ١٩٧٩، و٥,٦% من ناتجه لعام ١٩٨٠، بينما كان ما قدمته الدول الاخرى من ناتجها القومي الاجمالي ٠,١٥% للولايات المتحدة، و ٠,٤٣% لالمانيا الغربية، و ٠,٥٢% للمملكة المتحدة، و ٠,٥٨% لفرنسا. وجدير بالذكر ان الجمعية العامة للامم المتحدة كانت قد دعت الدول الصناعية المتقدمة الى تقديم نسبة لا تقل عن ٠,٧% من ناتجها القومي. كل هذا يضاف الى تشريع العراق ابوابه للاشقاء العرب للعمل في العراق تحت مظلة التكامل الاقتصادي العربي وتشغيل اليد العاملة العربية في العراق باعتباره امتدادا للوطن العربي الكبير، ناهيك عن الاف العمال من العالم الثالث الذين يعملون في العراق ويساهمون في رفع دخل بلدانهم.

مما تقدم نجد ان الضمير الانساني مدعو الى التنبه الى خطورة الوضع المزري للعديد من بلدان العالم النامي. وهذا الوضع المتخلف -كما سماه السيد الرئيس القائد في مؤتمره الصحفي الاخير- هو "الاستعمار الجديد"، وعلى كل الشعوب ان تتضافر وتتضامن للتخلص من استعمار لا يتم الا "بردم الفجوة بين بلدان العالم الثالث والدول الصناعية".

المصادر

- جريدة الثورة – ملحق ٣٨ في ٢١ شباط ١٩٨١، وعدد ٢٤ اذار ١٩٨١: "الامن الغذائي العربي والوجه الاخر للامن القومي" لهمام عبد الغني.
- جريدة الجمهورية – عدد ١٩٨١/٦/٦: "البيان الختامي للمؤتمر ١٢ لوزراء خارجية الدول الاسلامية".
- منير الله ويردي: "دور التكنولوجيا السياسية في تخلف الـــدول" – بغـــداد ١٩٧٨.
- "الاعلان القومي.. اضواء وافاق"، عن وزراة الثقافة والاعلام ١٩٨٠.
- مجلة (C.J.N): عدد خاص حول الجوع – عدد ٢١٥ – اذار ١٩٨٠.

معوقات الزواج

لو سالنا شبّانا، ممن هم في سن الزواج، لماذا لا يتزوجون، لجاءتنا اجابات متنوعة، منها:

"دعني من الزواج. اتركني اتمتع بحريتي. لماذا تريدني اضع الطوق في عنقي منذ الان، وادخل قفصا وإن من ذهب".

واخر سيقول بحسرة:

"هب اني أردت الزواج -اذا كان الزواج شرا لا بد منه- ولكن من اين لي الفلوس. الفلوس تجلب العروس، يا عزيزي"...

ولو سألت الوالدين: "لماذا لا تزوجون ابنكم او إبنتكم؟" لسمعت اجوبة كثيرة، منها:

"ابننا لا زال صغيرا و لم نشبع بعد من كده. لنا متسع من الوقت كي "نفرغه" باسم المرأة".

واما عن الفتاة، فتبادر امها وتقول:

"اذا لم يأتها نصيب يرضينا، ما زوجناها. العل ابنة فلانة افضل منها؟"

من هذه الاجوبة وامثالها، نستخلص ان هناك من الامور ما يعمل على تأخير زواج ابنائنا وبناتنا، وقد تصدّهم عنه. وهذه المعوقات نحصرها في ثلاث فئات رئيسة، وهي:

- ما يتعلق بمفهوم الشاب عن الزواج والمرأة عموما.
- ما يخص موقف الوالدين من زواج اولادهم.
- وأخيرا ما يتصل بمتطلبات الزواج المادية والبروتوكولية.

• مفاهيم خاطئة

اذا اردنا الالمام بمدى خطورة المفاهيم الخاطئة عن الزواج، يتوجب علينا ان نعرف ما هو المفهوم الصحيح الذي يبنى عليه اختيار شريك الحياة:

ان الزواج ارتباط حر بين رجل وامراة، يختاران بعضهما بارادتهما ورضاهما، ليكونا لبعضهما زوجا وزوجة، ويجعلا من اتحادهما رابطة للحياة المشتركة والنسل... فبالزواج يصبحان جسدا واحدا (متى ١٩:٦)، كما ان المسيح وكنيسته واحد (افسس ٥:٣٢).

بهذا، لا تكون غاية الزواج الوحيدة انجاب البنين، وان كان ذلك نتيجة حتمية وطبيعية له، وانما ايضا، وبصورة رئيسة، التعاون والتكامل بين الزوجين.

ان الانسان المعاصر متعلق اكثر فاكثر بحريته الفردية، وذلك بفعل التيارات الفكرية التحررية التي تجتاح كرتنا. وبسبب التيارات المستجدة لمواكبة حركة التطور، نرى شبابنا، تحت تاثير وسائل الاعلام المختلفة (سينما، تلفزيون، مجلات، روايات...)، يميلون الى الاستمتاع بكامل حريتهم الشخصية، فيحاولون التحرر من اكبر مقدار ممكن من القيود والتشريعات، ومنها قيود الزواج. فالزواج، بالنسبة للبعض منهم، مغامرة يقدمون عليها مكرهين، ويتحذر اكثر من واحد منهم ان يرتبط لمدى الحياة بشخص قد لا يتفق واياه في الرأي ولا في الذوق ولا في كيفية تمتعه بالحياة. ومثل هؤلاء يرون ان لا داعي للتورط في مغامرة يجهلون نتائجها، فهم يرون في الزواج بطاقة يانصيب (الزواج قسمة ونصيب)، وقد تكون هذه البطاقة رابحة او خاسرة، ويا ما اكثر البطاقات الخاسرة!

لو فكر هؤلاء مليا، لوجدوا ان مجالات الحياة كلها -والزواج منها- مليئة بالمغامرات والمشاكل، وان لا لذة في عمل يُنجَز ما لم تصاحبه صعوبات يتغلب عليها المرء بجهوده. أما مشاكل الحياة الزوجية، وحتى فشل بعض الزيجات، فهي لا تنجم بالدرجة الاساس عن طبيعة الزواج ذاته او تشريعاته، وانما عن تحجر المواقف، يوم تظهر الاختلافات ويغيب الحب السموح الغافر والمعطاء. مثل هذه الزيجات الفاشلة قد تترك لدى الشباب ردود فعل عكسية تثنيهم عن الزواج، تفاديا لمشاكل لا طاقة لهم على تحملها: "اذا كانت حالة الرجل مع المرأة هكذا، فخير له الا يتزوج" (متى ١٩:١٠). ولربما يكون الخطأ من الاساس في مقاييس الاختيار. والاختيار خاطئ اذا كان:

١) **لمجرد الجمال او القيافة الخارجيين، او للمورد المالي، او الانتماء العائلي،** ضاربا صفحا عن الميزات الاخرى التي تفوق باهميتها الجمال والمورد والنسب.

فالشاب يحفر فشله بيده -وبالتالي فشل الاسرة التي ينوي تكوينها- اذا اهتم بتلك الامور وحدها و لم يُعِرْ اهتماما باخلاق فتاته وتفهمها لامور الحياة الزوجية والتزاماتها وتوافق الاذواق وانسجام الافكار على قدر معقول. هذه امور تدعم انسجامهما الزوجي والعائلي الى حد بعيد، بالرغم من العيوب والنقائص التي قد لا يخلو ان كلاهما منها.

٢) **ينشد شريكا من نسج الخيال**، فيكون الاختيار بعيدا عن واقع الحياة: الفتاة تمثل فارس احلامها من معدن يختلف عن معدن من تعرف من الشباب، فلا ترى في أي منهم من يشبع طموحاتها: هذا "من أهل برّا"، وذاك قصير أو طويل، والاخر ليس غنيا، والرابع لا زال طالبا او عاملا او موظفا مغمورا... انها تتوقف كثيرا في المحطة، وقد يفوتها القطار. ومثلها مثل الشاب الذي يرسم لفتاته صورة يحيطها بهالات الجمال والكمال والاصل والفصل والذكاء وشتى المواهب... يريدها منزهة عن كل عيب، وصحيفة اعمالها، بيضاء ناصعة... ويريدها، هي وامها واخواتها وخالاتها وعماتها...، سالمين من اقاويل الناس والسنتهم الجارحة، ويا ما أطول الالسنة الشريرة واقساها! انه يريدها تحظى برضى والديه واخوته واخواته، لا تخرج عن طاعتهم لئلا تسبب له المشاكل والازعاجات!! ولما كان لا وجود لمثل هذه الفتاة الكاملة، يبقى صاحبنا يتلكأ في اختيار شريكة حياته حتى يأتي يوم يقول فيه: "حيَ الله"!

فاذا كان من غير الممكن ان يكون المرشحان للزواج خاليين من كل نقيصة، فالمهم هو ان يكونا على استعداد لتجاوز نقائصهما واكتساب المزايا الضرورية ليعيشا حياتهما الزوجية المشتركة بحلوها ومرّها.

ومن مفاهيمنا الاجتماعية الخاطئة ايضا نظرتنا -نحن الرجال- الى المرأة وحكمنا القاسي تجاه تصرفاتها، بينما نتساهل الى اقصى الحدود مع تصرفات الذكور. فهناك نموذج من الشباب يكون قد اعتاد حياة اللهو والمجون قبل الزواج، ومثل هذا النموذج يصعب عليه الاختيار والزواج؛ ولأنه يجد صعوبة في إقلاعه عما اعتاد عليه، يتردد في الارتباط بامراة واحدة معينة. كما ان حياة اللهو تعمق فيه الغيرة والشك، فلا يعود يثق بالمرأة اية كانت. انه يشك في اخلاصها لانها، في اعتقاده، لا تختلف عن اية من الفتيات اللواتي تعرف عليهن وعاشرهن، فيتوقع خيانتها له، بينما هو الذي يخونها.

• موقف الوالدين

يطلب القديس بولس من الزوجين ان يحبا بعضهما حبهما لنفسهما (افسس ٥:٢٨). كيف يتحقق هذا الحب ان لم يكن ارتباطهما قائما على الاختيار الشخصي

الحر، دونما اكراه. ان جميع الشرائع تعترف بان الانسان، متى بلغ سن الرشد، يصبح سيد نفسه ومن حقه التمتع بحريته، ويختار نوع الحياة الذي يريده هو لنفسه. هذا الحق لا يتعارض في الواقع مع حق الوالدين، بل واجبهم، في ممارسة دورهم في توجيه اولادهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم.

ولكن التوجيه شيء، وتقرير مصير اولادهم عوضا عنهم شيء اخر. فهناك والدون لا يقيمون وزنا لرغبات اولادهم -ولا سيما بناتهم- ولاختياراتهم الشخصية، إذ ينظرون اليهم وكأنهم -مهما كبروا- اطفال يحتاجون الى وصاية. وقد يكون ذلك بدافع مغالاة الوالدين في حبهم لاولادهم، ولاختلافهم عنهم في التفكير وفي اسلوب معالجة الامور.

والاخطر من ذلك، هو حين يفضّل الوالدون مصلحتهم الشخصية على مصلحة أولادهم، فيرفضون مثلا كل من يتقدم لخطبة ابنتهم، بالرغم من مؤهلات الخاطب، لانهم يريدون استغلالها والاستفادة منها لمدة اطول؛ اما الشاب، فتحاول امه تزويجه من الفتاة التي ترغبها هي، وتتوقع ان تبقى في طاعتها ولا تخطف منها ولدها. واذا أساء الولد اختيار شريكة حياته، أو بدا كذلك في أعين والديه، يرى هؤلاء ان من واجبهما ان يمنعاه من عقد زيجة فاشلة. واذا اصر الولد على رايه، حينئذ تقع المجابهة.. ولربما القطيعة. وقد يتحاشى الولد اغاضة والديه، فيتزوج بمن يريدانها كنة لهما، من دون أي ميل شخصي اليها، تاركا مجابهة المازق الذي يزج نفسه به الى وقت لاحق - ولات ساعة مندم- أو يعدل عن الزواج كليا، لئلا يرتبط بفتاة ترشحها امه له، طالما يبقى قلبه متعلقا بسواها.

أفليس من الأصوب، لتفادي مثل هذه الاشكالات والمشاكل، ان يعمل الاهل على توجيه اولادهم، منذ حداثتهم، توجيها قويما، وتلقينهم كيف يكون الاختيار الحسن، وفق اهداف الزواج الحقيقية، ليدركوا ماهية الحياة الزوجية والاسرية المثالية؟ مثل هذا التوجيه السليم الذي يحفظ لهم كرامتهم ويعبر عن احترامهم ومحبتهم الزيهة لاولادهم، خير من فرض ارادتهم على اولادهم في قرار يخصهم اكثر من سواهم ويقرر مصيرهم وسعادتهم طيلة حياتهم.

• معوقات الزواج المادية

كثير من شبابنا يستطيعون ان يقولوا اليوم مع الفيلسوف الالماني كانت: "يوم اردت الزواج، لم يكن باستطاعتي اعالة الزوجة، واليوم بعد أن استطعت ذلك، صرت عاجزا عن الزواج". اجل، ان ارتفاع مستوى المعيشة ومتطلبات الزواج المادية

المرهقة صارت تشكل، أكثر من السابق، عقبة كأداء في طريق شبابنا، فتؤخر زواجهم.. أو ترهق كاهلهم بالديون.

لا أحد يجهل "الشروط التعجيزية" التي يفرضها اهل الفتاة على الشاب المتقدم لطلب يدها، شروط دونها شروط امراء قصص "كان يا ما كان"، يوم كانوا يطلبون من خاطب الحسناء ان يقتل الوحش ويأتيهم براسه. كما أن اهل الفتاة -لا سيما اذا كانت ربة الحسن والجمال قد أضفت على ابنتهم مسحة من جمالها- لا يتورعون من اعلان قائمة شروطهم على خاطب ابنتهم المدللة. اذ يجب ان يكون هذا الخاطب وسيما وصغير السن، وان يمتلك دارا او شقة مكملة الاثاث، وسيارة من موديل لائق، ورصيدا محترما في البنك. أما النقدية (الذهب والالماس) فحدّث ولا حرج.. والويل له ولاهله اذا ما نسوا او تناسوا الهدية اللائقة بمقامها في كل مواسم الخطوبة، فقد يكون اهمال ذلك سببا كافيا لفسخ الخطوبة. واذا تمت الامور كلها حسب الاصول، فالحفلة الراقصة بعد "البراخ" في النادي، حق لا تنازلَ عنه، وكذلك رحلة شهر العسل التي يُفضَّل ان تكون خارج القطر!

واهل الفتاة انفسهم يتحملون بدورهم عبء تقاليدنا وينؤون تحت قيودها. فعليهم، مثلا، ان يقوموا بحفلة الخطوبة مهما كانت ظروفهم المالية، وعليهم ان يسايروا العادات المتبعة، فيزفوا ابنتهم الى عريسها بكامل جهازها (الحمالة) مع هدايا (خلع) لوالدة العريس واخواته واخوته و.. و.. دون ان ينسوا صواني البقلاوة يوم "الصبحية" وفي المواسم اللاحقة...

أما في ريفنا، فليس الوضع خيرا مما هو عليه في المدن. فلا زالت الفتاة، يحدد لها ولي أمرها "سعرا" يقبضه نقدية أو مهرا لها يتناسب وجمالها ومؤهلاتها الاخرى، ويعوض عن بعض ما أداه لها، وقد يتجاوز المهر الالف دينار.. ناهيك عمن يفرضون نسبة معينة من الراتب -اذا كانت الابنة موظفة- تؤديها لوالدها لكذا سنين، حتى اذا لم يكن هذا الوالد دوما بحاجة حقيقية الى هذا الدخل الاضافي.

من اين للشباب يا ترى، ولا سيما من ذوي الدخل المحدود الذين لا زالوا في بداية طريق حياتهم العملية، ان يوفروا لوحدهم ما يلبون به مطاليب باهضة كهذه؟ أفلا يضطرون إلى إثقال كاهلهم بالديون المرهقة الطويلة الامد، أو على الاقل إلى البقاء تحت مظلة ذويهم الاقتصادية لمدة طويلة؟ وهل المادة كل شيء في الوجود؟ أو تكون وحدها معيار تقييم صاحبها؟ وماذا، إذن، عن اخلاق الشخص واسلوب تعامله مع الغير ومدى جديته في العمل وشعوره بالمسؤولية والتزامه بها؟ ماذا عن مرونته في التفكير وتقبله اراء الغير؟ ماذا عن نظرته الى الحياة ومفهومه عن المرأة

والزوجة والاسرة؟ ماذا عن الحب الذي يربط بين الشاب وفتاته؟ ماذا عما يمتلكه كل منهما من عوامل التوافق والتناغم لتحقيق رابطة زوجية متينة؟...

هذه هي الامور التي تكوّن -مع غيرها من الصفات الانسانية- شخصية الشاب المتقدم الى الزواج وتشكل راسماله وتحدد مركزه في مجتمعه، قبل المادة التي يمتلكها او الاسم الذي ينتسب اليه.

خاتمة

أما آن لنا ان نتحرر من كل هذه القيود التي تثقل كاهل الشابين المقدمين على الزواج والتي قد تثير او تعمق الخلافات بين اسرتيهما؟ أليس من الاوفر، علينا وعلى أولادنا، ان نسهل امورهم ونقنع بمشاركة الاطراف المعنية في نفقات الزواج مشاركة يسودها الاحترام، لا المساومة او المزايدة، فنساعد أولادنا الاعزاء على تكوين العش الجديد بحسب ما تسمح به ظروفهم وظروفنا، دونما استغلال او تحكم.. وبذلك نهيء سعادتهم.

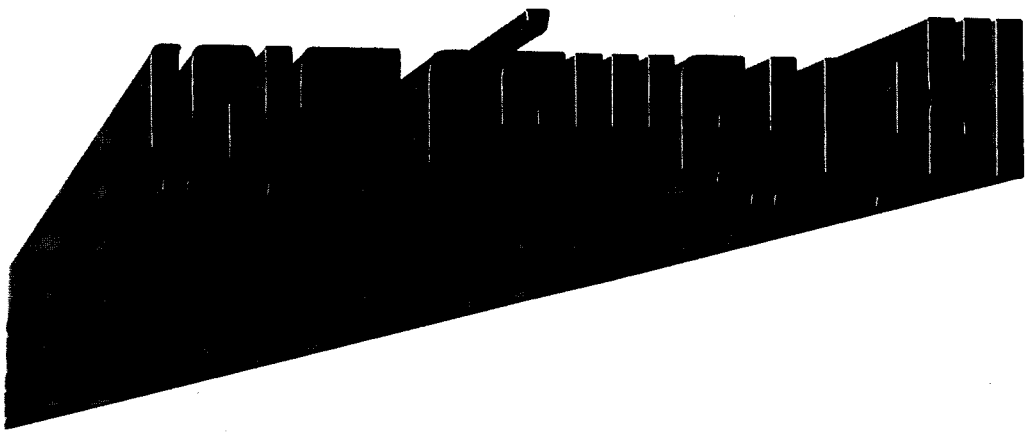

الاب يوسف حبي

١٩٣٨ – ٢٠٠٠

ولد في الموصل في ١٩٣٨/١٢/٢٣. دخل عام ١٩٥٠ معهد شمعون الصفا الكهنوتي، ومن ثم ارسل إلى روما لمواصلة الدراسة في كلية البروبغندا (١٩٥٤-١٩٦١). رسم كاهنا في ١٩٦١/١٢/٢٠ وواصل الدراسة فحصل على الليسانس في الفلسفة واللاهوت والدكتوراه في القانون.

عاد إلى الموصل عام ١٩٦٦ وراح يعمل في الحقل الراعوي والتثقيفي والعمراني، في مسكنتة والطهرة، حتى عين في كنيسة مار افرام (الموصل الجديدة). وتميز بنشاط فريد في مختلف الميادين الراعوية والتعليمية والليتورجية والمسكونية... فكان عضواً في العديد من اللجان الكنسية.

ولعل ابرز ما قام به تاسيس الدورة اللاهوتية عام ١٩٨٣ حيث كان محاضراته، فيها كما في غيرها من المنابر، اثر بالغ بعمقها ودسامة مادتها واتساع آفاقها.

عمل في دهوك لمدة سنتين (١٩٨٦-١٩٨٨) تاركا اثرا بالغا، وفي عام ١٩٩٠ طلبه البطريرك روفائيل بيداويد لتسلم ادارة كلية بابل في بغداد ، فبذل الكثير لتثبيت اقدامها وتقدمها على الصعيد الاكاديمي، ساعيا كي يُعترف بها كلية حبرية. كما اسندت إليه مهمة النيابة البطريركية للشؤون الثقافية، إلى جانب المحكمة الكنسية... وفي عام ١٩٩٦ عين كاهن رعية لكنيسة مار كوركيس حيث انبرى يقوم بنشاطات متميزة ولا سيما في ميدان التعليم المسيحي، حيث شغل مهمة امين عام اللجنة العليا للتثقيف المسيحي.

كان قد اسس في الموصل مجلة بين النهرين عام ١٩٧٢ ورئس تحريرها حتى وفاته، كما كان احد اركان هيئة تحرير مجلة نجم المشرق منذ عام ١٩٩٥ –وفي هذه السنة بالذات لعب دوراً متميزاً في المؤتمر البطريركي الكلداني.

كان عضوا في العديد من المؤسسات الثقافية والادبية في العراق وخارجه، وحضر مؤتمرات عديدة، وكان محاضرا في المعهد الشرقي بروما منذ عام ١٩٨٣. لقد كان كثير الانتاج، بحيث احصي له قرابة ثلاثين كتابا، من تأليف وترجمة، وباحجام مختلفة، وفي قضايا التاريخ والاثار واللاهوت والروحانيات... ولعل ابرزها وآخرها "مجامع كنيسة المشرق" (بيروت ١٩٩٩). ناهيك عن مئات المقالات في مجلة بين النهرين والمجلات العربية والاجنبية.

اما في الفكر المسيحي، فلقد كان له ٤٧ مساهمة، بضمنها عدد في "السلسلة" و ٧ مساهمات في باب "من وحي الانجيل" وسؤالان. عاجلته المنية في حادث مؤسف على طريق عمان في ٢٠٠٠/١٠/١٥.

شهادة

الكلام عن الاب يوسف حبي أشبه بمغامرة. فبماذا نصفه؟ وفي اي اختصاص نضعه؟ درجاته الاكاديمية عديدة، ولكنه لا ينحصر في أي منها. وهذا ما يجعلني أبدو كالمجحف في حقه، لأنه، بالتأكيد، أكبر واغنى مما سأقوله في هذه الصفحة. لكن دعوني اذكر لكم ثلاثة اشياء أساسية عن شخصيته:

انساني جداً: ليس هذا عنوان كتاب الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه "انساني، انسان جداً"، بل هو سمة شخصية الاب حبي. فكل كتاباته مطبوعة باهتمام كبير بالانسانية، هادفة إلى الذهاب بها، عبر جميع البشر، الى الرقي والتقدم والازدهار. انسانيته جريئة تتحدى الماضي بتقاليده وتنقد الحاضر بمغالطاته وتُنشد مستقبلاً لا يريد ان يكون اسيراً لأحد، بل للجميع. انسانيته مبدأ ديناميّ، حيوي، لا تُبقي مَن يتواصل معها على حاله الاولى. يستنير بالكتاب المقدّس ويستمد، من حضارة وادي الرافدين ومبادئها وقيمها، المادة الاولية ليرسم صورة انسان معاصر مسؤول وناضج.

ايمان عميق: ايمانه متجدد، لا يلغي القديم، بل يحييه بشموخه ويجدده بمعانيه وقيمه. حبه لشخص يسوع المسيح ليس له مثيل؛ ومن اتّباعه اليومي في طرقات هذا العالم، يتزود بالحب والرجاء يدفعانه لنشر رسالة ملكوت الله. ينبع ايمانه من الحاضر بواقعيته وينفتح على مستقبل مليء بالرجاء. عميق بتجذره في كلمة الله وتقليد الكنيسة وخصوصا المشرقية. منفتح على ايمان الآخرين. يدرك اهمية القديم، ولكنه يضع الخمر الجديد في زقاق جديد. لا يساوم أو يستسلم أمام الصعوبات، همّه الحق والخير ان ينتشرا. لا يخاف الاختلاف بين الاديان، بل ينبذ الخلاف ليبني سلاماً وعملاً، سمته الديمومة. ايمانه ايمان القيامة والحياة والتجدد.

يميز الايمان عن الدين. فالايمان عنده ضروري للانسان كضرورة الماء والهواء والنور. وهو في الاساس من واقع الانسان الوجداني. انه يعبّر عن اخلاص الانسان الى اصله وهدفه. لقد كان دائم القول: "الايمان يقود الانسان الى الارتباط وثيقا بالحقيقة الاولى والاكمل، والانصات الى كلمة الحق بأذن العقل والقلب، والالتزام بمسيرة نور وحياة".

ثقافة واسعة: بالثقافة هو شجرة: جذورها حضارة وادي الرافدين، جذعها حضارات الشرق الاوسط، واغصانها العلوم والمعارف المعاصرة. لا يكتفي بالقديم ولا يخاف الجديد ولا يعيش في المستقبل. بشخصه، اهتم بكل هذا وعمل من اجل كل هذا.

يؤمن بكل انسان، لذا فلا يستسلم للحتميات. فكم من عظيم دمّر نفسه وكم من فقير رفع شأنه بعمله وجهده. المصير عمل مشترك بين ارادة الخالق وبين حرية الانسان وقدرته على الابداع. يعتقد بان كل انسان بوسعه ان يكون عظيماً في مجالٍ من المجالات، إن هو عرف ان يقيّم ذاته وقابلياته ويستفيد من الظروف المؤاتية، فيكون في نفسه انساناً أفضل.

لا يؤمن بوجود قيم روحية بحتة او قيم مادية بحتة، انما قيم انسانية. الاعمال هي التي تخلق الانسان، لدى قيامه بعمل خير. فهو يضيف حجراً الى بنيان البشرية ولبنة الى عمارة الكون، اي انه ينمي المدنية الانسانية الكلية، لذا كان يؤمن بان خير الناس من نفع الناس.

أسأل الله ان يُرسل لنا رجالاً مثله...

مع عدد "السلسلة"، يكون مجموع إسهاماته ٤٧، نشر منها ٧ لعام ١٩٨٨في كتاب "من وحي الانجيل"، وجوابان في "اسئلة واجوبة" وست مقالات دسمة في "المختار من الاعداد الخاصة".

العدد ٢٨ من السلسلة لعام ١٩٦٦: كنيسة المحبة

اين وصلت قضية الوحدة المسيحية؟/ ك٢ ٧١

ومن لا يعبد ربين؟/ ايار ٧١

معضلة التعليم امسيحي/ ايلول ٧١

جسدنا البشري/ نيسان ٧٢

جاكومو البيريوني/ ملف/ ايار ٧٣

بنيان الذات/ حزيران ٧٤

مجانية العطاء/ ايلول ٧٤

● هل من مفهوم جديد للايمان؟/خاص، ت١-ت٢ ٧٤ (المختار/ص١٤)

ماذا عن شبابنا؟/ ك١ ٧٤

تحرير المرأة/ ك٢ ٧٥

● فكرة الله، أليست فرضية؟/شباط ٧٥ (اسئلة واجوبة/ص٥٦)

مولد الانسان/ايار ٧٥

عمل المسيح تحرير الانسان/اذار ٧٦

المطران لفيفر/ ك١ ٧٦

لننفض عنا طفولة الفكر المسيحي/ك٢ ٧٦

رحلة كنيسة العراق من اجل السلام/ اب-ايلول ٨٤

● التعليم المسيحي بين جيلين/خاص، ت١-ت٢ ٨٦ (المختار/ص٣٣٣)

القضية/شباط ٨٧

مار ايثالاها في دهوك/مزارات/ ت١-ت٢ ٨٧

● ابعد من اخلاق، مقاييس واوزان (الضمير في التجارة)/ ايار ٨٨ (اسئلة واجوبة/٢٠٨)

● الطفل، هدف وامل/خاص، ت١-ت٢ ٨٨ (المختار/ص٣٦٢)

افكار في زمن ما بعد الحرب/شباط-اذار ٨٩

الكنيسة جماعة خدمة/ نيسان ٨٩

للشباب يومهم/ش.ر/ آب-ايلول ٨٩

دور المجلات المسيحية العراقية في حركة النشر/خاص، ت١-ت٢ ٨٩

حركة النشر المسيحي في العراق/آذار ٩٠

المحاكم الكنسية والزواج المسيحي/حزيران-تموز ٩٠

● الوحدة المسيحية، مشروع للتحقيق/خاص، ت١-ت٢ ٩٠ (المختار/ص٤٠١)

الاماكن المقدسة والسلام/ملف/ ك١ ٩٠

لقاء مع الاب يوسف حبي/ ك٢-نيسان ٩١

لو كنّا احياء/ مجرد فكرة/ ايار-تموز ٩١

البطاركة الكاثوليك في اول اجتماع/ش.ر/ آب-ت١ ٩١

نحو رؤية واضحة/ ت٢-ك١ ٩١

في العلية، انت الروح/كتاب/ ك٢-شباط ٩٢

● تطور القداس في الطقوس واللاهوت/خاص، آب-ت١ ٩١ (المختار/ص٣٥١)

البطريرك يوسف اودو/ ك٢-اذار ٩٣

الجديد بين المسيحية والاسلام/ ت٢-ك١ ٩٣

● طقوس حية معاصرة/ خاص، تموز-ت١ ٩٤ (المختار/ص٤٨١)

لقاء البطاركة/ ش.ر/ ت٢-ك١ ٩٤

"من وحي الانجيل"

● من يحقق السلام؟/ ك٢ ٨٨ (ص١٩٥)

● الاحتياطي والاضافي/شباط-اذار ٨٨ (ص١٩٧)

● قلب اب..قلب ام/ نيسان ٨٨ (ص١٩٩)

● من لا يترك لا يلق/ ايار ٨٨ (ص٢٠١)

● ناقوس الخطر/ حزيران-تموز ٨٨ (ص٢٠٣)

● البيت السعيد/ آب-ايلول ٨٨ (ص٢٠٦)

● شيوخ وشباب/ ك١ ٨٨ (ص٢٠٩)

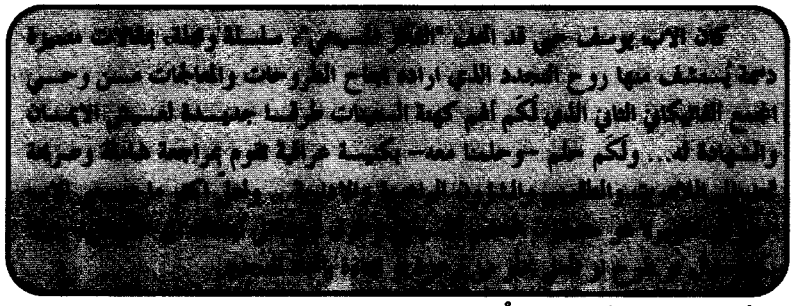

كان الأب يوسف حبي قد أطلق "الفكر المسيحي" سلسلة وثائق ومقالات مسبوقة دعوة لمستقبل منها روح التجدد الذي اراده لمجتمع الطروحات والمعالجات ضمن وحي الفكر المسيحي الغني الذي لكم اغنى كوة السنوات طرقنا جميعنا لمسيحي الإيمان والشهادة له... ولكم تألم -وحلمنا معه- بكنيسة عراقية تقوم بمراجعة ذاتية وشجاعة

● **تحرير المرأة** (ك٢ ١٩٧٥/ص٣٦)

هو المقال الاول الذي أُفتتحت به السنة العالمية للمرأة، وقد دبّجه انطلاقا من مسودة كان قد تناول فيها قضية المرأة في ثماني نقاط. وكما استُشف منه في حينه دفاع شجاع عن حقوق سلبت وكرامة بُخست ودور بقي في الظل... نقراه اليوم وكأن العالم لم يتغير، إذ ان مظاهر الظلم والتخلف عينها ما زالت قائمة! وبالتالي، تبقى مسألة تحرير المرأة مسؤولية تقع على كاهلها!

● **لننفض عنا طفولة الفكر المسيحي** (ك٢ ١٩٧٧/ ص٢٣)

هو اول من افتتح "المنبر الحر" في المجلة، فواجه اولاً معضلة التثقيف المسيحي في العراق، وقد أمست من القضايا الملحة، في غياب مناهج كفوءة وغياب اساليب ووسائل ملائمة... إلى هذا الموضوع الحيوي والمصيري الذي كان الاب حبي قد اولاه كل اهتمامه، لفت الانتباه إلى الثغرات داعيا الدولة والكنيسة إلى الاضطلاع بمسؤولية تأمين تعليم متكافئ يواكب التطور -ولَكَم تناولت "الفكر المسيحي" هذه المسألة الخطيرة بالتحليل والمعالجة، ومن كافة الجوانب.

● **افكار في زمن ما بعد الحرب** (شباط-آذار ١٩٨٩/ ص٦٥)

لم تتوان "الفكر المسيحي"، طيلة الحرب العراقية الايرانية، من اطلاق بعض اللفتات الناعمة لنقد ما كان يسمى "حرباً مقدسة"! وفي اعقاب الحرب الطاحنة، كان الاب حبي اول من طرح افكاراً تلقي الضوء على المآسي التي افرزتها الحرب: ما هو مستقبل الجنود العائدين إلى الحياة العامة؟ ما هي المشاكل التي ستعترض طريقهم ؟ كيف سيواجه المجتمع العائدين بعد ان ذاقوا مرارة العزلة والتضييق؟ هذه التساؤلات وغيرها -مشفوعة بمبادرات واقتراحات- طرحها الاب يوسف على ضمير العراقيين، وعلى الكنيسة بنوع خاص.

● **حركة النشر المسيحي في العراق** (آذار ١٩٩٠/ص٥٨)

بعد مقال خصّ به المجلات المسيحية (العدد الخاص في اليوبيل الفضي/١٩٨٩) -وكان قد استهله بان المطبوع المسيحي مثّل ٦/١ من مجموع المطبوع العراقي ما بين ١٨٥٩ و١٩٧٢- تناول هنا بالبحث الكتاب المسيحي العراقي عبر ثلاث مراحل: ١) من مطبعة الدومنيكان وحتى الحرب العالمية الاولى؛ ٢) بين الاعوام ١٩١٥-١٩٥٨؛ ٣) بين الاعوام ١٩٥٩-١٩٩٠؛ وفي كل مرحلة رُصدت اسماء لامعة من اساقفة وكهنة وعلمانيين. وفيما اكد الاب حبي على إسهام المطبوع المسيحي في حركة النهضة الفكرية في العراق، خرج بعدد من التوصيات الهامة.

● **الجديد بين المسيحية والاسلام** (ت٢-ك١ ١٩٩٣/ ص١٦١)

لما كان الاب حبي امين سر في مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك وحضر لقاءهم الثالث في ايار ١٩٩٣ -وقد تصدّر فيه موضوع الحوار المسيحي الاسلامي- فمن وحيه كتب هذا المقال الذي تناول فيه النقاط المشتركة والمختلفة بين الديانتين، وتطرق إلى ما تخلّل تاريخ العلاقات من سلبيات مريرة، إلى جانب اخرى ايجابية. فبالرغم من الاتهامات المتبادلة والاجحاف الذي يطال الاقلية المسيحية، ما زال الباب، في عرف الاب حبي، مفتوحاً لقيام حوار صادق يحترم الاختلافات، باتجاه علاقات تتسم بالانفتاح...

تحرير المرأة

عزيزتي، كنت اتصفح في هذه الايام اوراقي القديمة، فعثرت على مسودة تتناول قضية المرأة في ثماني خواطر احببت ان ابعث بها اليك على علاقها، كهدية صغيرة مني بمناسبة عامك هذا (السنة العالمية للمرأة)، وكلي امل انها ستروق في عينيك. كوني دوماً في ابتسامة حب واشراقة امل.

محبك

أولاً - قضية المرأة قضية الانسان

ان المطالبة بحقوق المرأة، والعمل من اجل مساواة المرأة بالرجل، والنضال في سبيل تحريرها، ليست امورا هامشية عابرة، انما هي قضية اساسية دائمة.

وقضية المرأة هي قضية الانسان، ليس فقط لان نصف البشرية، بل اكثر، اناث، والنصف الآخر ذكور، بل لان النصف الآخر -الذكور- لا يستطيعون ان يكونوا البشرية وحدهم، بالرغم من انهم مثلوها وحدهم، عن انانية واستلاب، فترة طويلة جدا، وفي مجالات عدة. قضية المرأة هي قضية الانسان، لان "الذكر-الانثى" حقيقة اولى، أقله على الصعيد الواقعي الحياتي، او الوجودي. ونحن نرفض الانسان الخيالي، المجرد، اللاوجودي.

مهما تحدثنا عن المرأة وعملنا وبذلنا في سبيل قضيتها، فانّا لا نزال، كلنا، مقصرين تجاهها، لاننا قد غلفنا القضية لأجيال، وجمدناها دهرا؛ وحين تبنيناها ودعمناها، لم نعتبرها قضية اساساً، بل حصرناها في حصول المرأة على بضع امتيازات وحقوق. وكما اننا -نحن الرجال خاصة- ظلمنا المرأة طويلا، كان لزاما علينا القيام الان بالتعويض. لذا، فان كل حديث وكتابة وعمل ومبادرة في سبيل تحرير المرأة بحاجة الى مضاعفة.

ثانياً - دور المرأة ليس ثانويا

لا نكير ان عالمنا المعاصر حاول ان يعطي المرأة دورا في تكوينه الجديد، حتى بدت المرأة وكأنها السباقة في بعض الميادين. غير ان استعراضا سريعا لادوار نساء العالم يرغمنا على القول ان دور المرأة في القضايا الاسس، وعلى الاصعدة الاولى، لا يزال دورا ثانيا وثانويا، وما بروزها احياناً سوى من باب الشواذ او في مظاهر هي اشبه بالقشور منها باللباب.

فنحن نرى المرأة معروضة في شتى وسائل الدعاية، وكأنها واجهة اعلانية للآلة الضخمة التي هي التجارة العصرية، لا سيما الحرة منها، بكل ما يدر ربحا وفيرا. فالمجلة لا تباع بالالوف الا بصور نساء عاريات، والصابون لا يلقى رواجا الا بانثى، والافلام والازياء والكتب... اما اسباب ذلك، فجمال المرأة ولا شك، والجو الدافئ الذي تشيعه، وشيء من مكانتها في المجتمع؛ ولكنه خاصة وبال عليها باعتبارها لا تصلح لاكثر من العاطفة والجنس والدعاية، كل ذلك بسبب المغالطات الشائعة: نقص في تفكير المرأة، قصر باعها في العمل، ضعفها في الابداع، عاطفيتها الشديدة، واعتبارها لساناً وجنساً، واعتبار الجنس رجساً وتحميله اسباب الخطايا، او احاطته بهالات قدسية شتى. ولا ننس ان هذه المغالطات هي حقائق بديهية في قناعة الكثيرين، وبوسعهم ان يحرجوكم انتم ايضا ان كنتم لا تأخذون بها، بسردهم أمثلة "واقعية".

فالتبجح اذاً بان المرأة قد اعطيت كامل حقوقها، لانها تمر قبل الرجل في المناسبات والحفلات، فهو باطل، او لاننا نقصي عنها كل عمل مضنك ونعهد اليها بالاشغال المنزلية وتربية الاولاد، او لاننا أفرغنا مكاتب السكرتارية لها. اما المجالات والميادين الاخرى، فحرام عليها.

ان تحرير المرأة لا يزال في مراحله الاولى. ولا بد من تغيير قوانين وتشريعات وانظمة مجحفة بحق المرأة، وتطوير الذهنية المناوئة لقضيتها، وشنها حربا على التقاليد وعادات تنتقص من كرامتها وحقوقها.

ثالثا- للانثى ايضاً عقل وقوة!

انا لا احتمل تصريحات مثل هذه: الذكر عقل والأنثى عاطفة. الرجل فعل والمرأة طبيعة. للرجل الوظائف والمسؤوليات التي فيها فكر وابداع وقوة، وللمرأة كل ما فيه ذوق وحس وصبر. يمثل الذكور الجنس القوي والاناث الجنس الضعيف...

ولن يفهمني الكثيرون إن قلت: لا يختلف الرجل عن المرأة في شيء، جوهرياً، اساسا، طبيعيا. اما فروق التكوين الفيزيولوجي-البيولوجي، فواضحة ومعلومة، ولا

مؤثرات لها -في حد ذاتها- على الفروق الاخرى التي نلقاها اليوم بيّنة المعالم، كالعاطفية والضعف وما شاكل ذلك. لذا فان الاختلافات النفسانية والتربوية، واكثر منها العقلية والثقافية، وليدة تربية وتنشئة مجتمعية. لا اقصد بهذا انه لا وجود للذكور والاناث في الطبيعة، بل يقيني ان المجتمع، بما فيه الاهل والمربون واللغة والاداب والمهن والاعمال ووسائل الاعلام، كل بطُرُقه، يعمل على قيام اختلافات واضحة بين الجنسين، بحيث تغدو وكأنها اساسية وعديدة، بينما هي في الاصل بسيطة وثانوية.

لنتذكر ما يقوم به المجتمع من محاولات لتنشئة الناس، منذ مولدهم، ذكورا او اناثا، فيعامل الذكور معاملة خاصة ويعامل الاناث معاملة مختلفة، ابتداء من اعداد ثياب الطفل، والى غرس العادات والتقاليد فيه، وحتى تكريس الفروق الذكرية-الانثوية في المدارس ومجالات العمل، اذ ينشّط قوى الرجال العقلية ويحفز قابلياتهم الابداعية ويتيح لهم المجال الواسع للتمرس في القوة والبروز في شتى فروع الخدم الاجتماعية، بينما يضيّق على النساء ويخنق قابلياتهنّ ضمن الاطار المنزلي. فيغدو الرجل مبدعا، بينما تظل المرأة سطحية، وننسى انهما لم يدخلا الى الوجود هكذا ولا جاءاه ليكونا على هذه الصورة.

رابعا - الابداع ثمرة رجل وامرأة معا

ان مساواة المرأة والرجل، والتقليل من حدة الفروق القائمة بينهما، والمطالبة بالمشاركة الحقيقية للمرأة في شتى المجالات، كل ذلك لا يعني انتفاء دور الرجل-الذكر، والمرأة-الانثى؛ بل بالعكس، فلكي يكون العالم سليما، لا بد من ذكور واناث، وفي التقاء الرجل والمرأة، وتناغمهما، وتعاونهما، وتكاملهما، يتم بنيان المجتمع بنوع صحيح. اما ان يسير الرجل في اتجاه خاص به وحده، ويضطلع باعمال خاصة، ويحمل ذهنية خاصة، والمرأة كذلك، فلا يتم بينهما لقاء فكري وعملي، فثمة كل الخلل في تكوين المجتمع.

من الضروري، إذن، ان يكون الرجل والمرأة معاً. اذ لا وجود لعمل مبدع حقا الا للذكر والانثى معا، سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة. وكلنا نعرف الاقوال المأثورة: لكي تعرف العبقري انظر الى الأم. وراء كل عظيم امرأة. انها عبارات صحيحة لكنها ناقصة، والاصح ان يقال: الابداع ثمرة الرجل والمرأة معا.

كم من اعمال جيدة كان بوسعها ان تغدو مآثر خالدة لو ساهمت فيها المرأة ايضاً، وكم من اولاد تشوهوا لانعدام دور المرأة والرجل في المنزل... انني ارى وجوب مشاركة المرأة للرجل في كافة الميادين بدون استثناء، ولا باس إن كانت

بعض البدايات صعبة وفيها مشاكل واخطاء، فالنتيجة فتح جديد في ميدان الابداع الانساني.

خامسا - التبعية سبب تخلف المرأة

ان الاستعباد يشوه الحقائق والقيم، وقد كانت المرأة مستعبدة لاجيال طويلة. عودة عاجلة الى التاريخ لنرى الصور الشنيعة التي أرغمت المرأة على الظهور والسلوك فيها، وابشع الصفات التي الصقت بها (البنت شقاء وبلية، كل الشر بسببها، النساء عسكر الشيطان، حواء والتفاحة، وغير ذلك من نعوت التحقير بحيث أمست كلمة "امرأة" عينها تجسد التحقير بابشع مظاهره). ولا يزال استعباد المرأة قائماً في المجتمعات المتخلفة، وبأوجه واشكال عدة في المجتمعات التي تدعي الرقي.

سبب ذلك تبعية المرأة للرجل، فهو رب الاسرة، والكاسب الاوحد. فتكونت لدى المرأة عقدة نقص متأتية خاصة من اسباب مادية واجتماعية، فالبنت ليست شخصاً اجتماعياً الا بالاب، هو الوصي عليها وحاميها. وكذلك المرأة في كنف زوجها، بعكس الولد والرجل. ويشعر الاب والزوج انهما قد أوتمنا على وديعة ثمينة سريعة العطب، فعليهما ان يحدبا عليها. وفي مجتمعات متخلفة، يعامل الذكر الأنثى كأمة وعبدة تماما، ويسخرها في اعمال حقيرة، ويمتصها امتصاصا. كل ذلك ادى الى نشوء تقاليد خاطئة وسن تشريعات جائرة، كما في الزواج والارث. ولم يتحسن وضع المرأة بانتقالها من "البيت الابوي" الى "العش الزوجي"، فهي ابدا في عداد "القاصرين"، تابعة للرجل.

اما حين شرعت المرأة تطالب باستقلالها واخذت تنال أوجها منه، لا سيما بتحررها من آلية الاعمال المترلية التي كانت قد خنقت قابلياتها الاخرى، انتفت ادعاءات كثيرة زعمت بقصورها، وفقدت الفروق كثيرا من حدتها، واخذت تنجلي معالم مساواة عميقة.

استعراض خاطف لشتى مظاهر حياة الافراد والجماعات يكشف لنا النقاب عن ضروب الاستغلال والخداع والتخدير التي تتعرض له المرأة عادة فترضخ لها مكرهة او قانعة. يكفينا ذكر تصعيد الجنس "والمودة"... وفي مجتمعنا بالذات: الطرق القديمة التي بها تسير شؤون تدبير المترل والاولاد. والغريب انه ما إن تتجه المرأة نحو الكسب، لقاء خدمة اجتماعية مماثلة لخدمة الرجل، حتى تنتفي عنها صفة التبعية وتتحرر منطلقة في اجواء اكثر انسانية.

سادسا - على المرأة ان تتحرك

ليس الذنب ذنب الرجل وحده في تجميد قضية المرأة، بل الذنب ذنب المرأة ايضا. إن لم يكن كل النساء، لان معظمهن قانعات لم يكتشفن بعد الوجه النير لرسالتهن في الحياة، فهو ذنب المثقفات منهن. وذنبها لانها ترضى بالتبعية والدور الثانوي، وتتلهى عادة بمظاهر وقشور، وتظن ان الحصول على كامل حقوقها يتم بدون تضحيات، كما تنقصها الشجاعة الكافية فتخشى ان تكون الاولى في خطوات التجديد.

انني اذ أدعو الرجل الى الكف عن ادعاءاته المجمّدة للمرأة، ادعو المرأة للنهوض هي الاولى بقضيتها الاساس. فعليها ان تكتب وتنادي وتتكلم بصراحة وشجاعة، وتلقي بنفسها في غمرة الاحداث الصعبة منها ايضا. اننا ننتظر الكثير منها في سنتها العالمية هذه. لان الايمان بالمساواة يبقى على عاتق المرأة اولا، والرجل ثانيا، ولا يحق لاحد ان يتنصل من مسؤوليته، فتراه، وهو من اشد المتحمسين لقضية المرأة، انما بالكلام والخيال ليس الا، لانك ما إن تساله عن ابنته او اخته، او تطالبه بتحرير زوجته، حتى تلقاه متلبسا بكل العقد التي يلوم غيره عليها، متعللا بالظروف غير السانحة وبحجج اخرى واهية، وكأن التحرر وليد الصدف.

ومن مؤشرات التحرر الاولى التي على المرأة القيام بها، رفض الجهل والمطالبة بالتثقيف، واستخدام الوسائل العصرية لتدبير امور المترل باقل وقت وبمجهود ممكنين، والانطلاق في مشاركة الرجل في شتى ميادين الفكر والعمل.

سابعا - الإنسان الناضج ذكر وانثى

قد يبدو بديهيا اعلان التصريح التالي: الانسان الناضج ذكر وانثى. الا اننا بهذا نصعد ما نوهنا به في الخاطرتين الاولى والرابعة حتى ذروة الفكر. ولا غرو أنه، في مفهوم قديم للانسان، لن يكون لهذه الخاطرة من مفهوم عميق، اما في المفهوم الحديث، فالقضية تتخذ ابعادا وآفاقا رحبة.

ليس الانسان شيئا هبط كاملاً من فوق، بل هو جنين متكامل، أو بذرة تنمو بتفاعل الوعي الشخصي مع البيئة (الاهل، المجتمع، الثقافة). والانسان اجتماعي من طبعه، بعكس الحيوان الذي يلقى طبيعته جاهزة، فلا يحتاج الى الجديد من ابتكارات لكي يتكيّف ويعيش. الحيوان لا يصنع ثيابه ولا يعد طعامه ولا يتعلم القراءة والكتابة فلا يتطور ويبدع. اما الانسان، فمضطر الى الانتاج والابداع للعيش والتكامل، ولا

يتاح له ذلك الا في التعاون والصداقة والحب. ولا يسعنا الاسهاب في الامر، بل نوجز فنقول: ان أسمى درجات التكامل الانساني ذكر وانثى، أي ان الشخص البشري الناضج حصيلة تفاعل الرجل والمرأة، ولا يتم هذا التكامل بتواجد ذكور واناث معا وحسب، ولا بمجرد عقد صداقات عادية، ولا بالزواج المبني على الغريزة والمصلحة، بل لا بد من لقاء رجل وامرأة يسعيان معا في النور، بدفء حب وزخم عمل، دون ان ينفيا الآخرين، بل يعقدان صداقات ومجالات تعاون مع الكثيرين، فيتكاملان ويبدعان.

لبلوغ هذا التكامل، لا بد للمرأة ان تنتقل من موضوع او شيء او غرض او متعة، الى شخص بشري له كيانه واستقلاله وقيمته.

ثامنا - المرأة في الكنيسة

لا فرق بين الرجل والمرأة في الكتاب المقدس؛ وما النصوص التي قد توحي بغير ذلك سوى ترسبات عقليات قديمة انتقصت كثيرا من حقوق المرأة في السابق. اما المسيح فقد شنها ثورة نيرة، بتقربه من النساء، فكانت بعضهن من عداد اتباعه، وما لبثن ان اتخذن دورا مهما في فجر المسيحية. الا ان عقلية المدنيات اليهودية والوثنية أثرت على الكنيسة فجمدت قضية المرأة المتصاعدة وحرمت عليها ما اباحته للرجل. ولم ينقطع صوت رجال ومسؤولين في الكنيسة طالبوا بتحرير المرأة تطبيقا لمبادئ الانجيل. اما اليوم فلا يتردد اللاهوتيون المعاصرون في القول ان مكانة المرأة في كنيسة الله لا تختلف عن مكانة الرجل.

ولا يزال تطبيق هذه الحقائق على الصعيد الواقعي محصورا جدا ومن الضروري توسيعه عاجلا، لاننا نؤمن ان على الكنيسة ان لا تتخلف عن الركب وحسب، بل ان تكون السباقة في حركات التجديد.

خلاصة

تحرير الرجل من ذهنية خاطئة قائلة بتخلف المرأة، وتحرير المرأة من سطحية تستطيبها عادة، ليس الا تحرير الانسان، وهذا يقتضي ولادة جديدة، تنشئة جيل وفق مفاهيم انسانية صحيحة.

لننفض عنا طفولة الفكر المسيحي

في تقديري، أن "فكرنا المسيحي، لا يزال من الطفولة بمقدار. من هذا المنطلق، اود ان اثير تساؤلات واعقبها بمقترحات للتعجيل في نفض ثوب "الطفولة" الذي غلفنا به مسيحيتنا لقرون.

بـ "الفكر المسيحي" لست أعني المجلة، بل تفكيرنا وقناعاتنا وتصوراتنا كمسيحيين. سأركز على قضايا تمس الفكر والثقافة والتعليم المسيحي، سيما في المراحل الدراسية.

لقد امسى الكثيرون مقتنعين من وجوب تطوير الطرح المسيحي لقضايا الايمان، غير انه من مظاهر الطفولة، ظننا انه لم يحن الاوان بعد لنعطي اطفالنا وشبابنا تعليما عميقاً معاصراً يتناسب وتطورهم الفكري.

"وخلق الله السماء والارض...وجبل الله الانسان من طين ونفخ فيه نسمة الحياة... وعصا آدم وحواء الله اذ أكلا من الشجرة المحرمة...". واذا بتساؤلات الصغار تنهال على معلم الدين: والله من خلقه؟ وما الضرر من اكل الثمرة؟... وتأتي اعتراضاتهم على "حقائق الايمان" عفوية لا تكلف فيها!

ونحن، أليس لدينا اعتراضات تضاهيها وتفوقها؟ ما النفس؟ وكيف بالموت، تنفصل عن الجسد؟ ما النعيم والجحيم؟ كيف تنسجم قصة الخلق مع النظريات العلمية؟ والمعجزات، أليست ضرباً من الشعوذة؟ وماذا عن حضور المسيح في القربان؟ الخ...

واذا قلنا: هذا هو ايماننا، فحينذاك يحق التساؤل: حتى متى يقتل الحرف روحية ايماننا؟ وحتى متى يبقى الايمان مجموعة من الحقائق والتعاليم وحسب؟ أين الاصالة في الايمان، كما تسلمناه من الانجيل؟

"فلا نكون بعد أطفالاً تتقاذفنا الأمواج وتعبث بنا كل ريح تعليم... بل نعتصم بالحق في المحبة، فننمو من كل وجه نحو من هو الرأس، أي المسيح..." (افسس ٤: ١٤-١٦).

في هذا النص، يرسم لنا بولس الرسول الخطوات الجديرة بأن نسلكها، وأولها ألا نبقى أطفالاً. ويقول في موضع آخر: لا تكونوا أطفالاً، بل كونوا بالغين، ناضجين في تفكيركم ومسلككم.

لو امتحنا واقع تثقيفنا المسيحي، نراه يكاد مقتصراً على ما حُشرت به ادمغتنا، ونحن صغار، من "تعاليم" لم تواكب نمونا الفكري. ولو فحصنا فحوى "التعليم" الذي أُعطيناه -ولا زال يعطى حتى الان- نراه يلخّص في أمرين: إما هو خلاصة فلسفية-لاهوتية مركزة جداً لما توصل اليه الفكر المسيحي في العصور الغابرة، وإرغام الاطفال على حفظها دون استيعاب وهضم. وإما هو أقاصيص شبه صبيانية وتعليقات سطحية على هامش الانجيل وروحيته. فأين المناهج التي تقدِّم للصغار زبدة المسيحية -لا خلاصة التعاليم- ومفهومها الانساني، بتشويق واسلوب تربوي عصري؟ واين النشرات والمجلات والكتب الجيدة التي تناسب كل الاعمار؟ الى أي مدى يؤمَّن التعليم في المرحلة الاعدادية والجامعة، والى أي مدى يبلغ تثقيف العمال والموظفين وربات البيوت الخ... وبكلمة تثقيف الانسان المسيحي في شتى مراحل الحياة ومظاهرها؟ ومن هم المعلمون المنتدبون للتعليم المسيحي، وما استعدادهم النفسي والفكري للقيام بتعليم حي، وهل تم إعدادهم لاعطاء غذاء روحي وانساني دسم؟

كلنا يعلم النقص المتواجد سواء في الكتب المنهجية الحالية ام في كفاءة المعلمين والمعلمات. ليس الذنب ذنب أفراد أو مؤسسة معينة، انما هي عقلية ينبغي ان تتجدد، ومؤسسات وانظمة يجب ان تتطور، وتعابير وصيغ بحاجة الى تبديل. ودليلنا في هذا التجدد كلمات القديس بولس: "لما كنت طفلاً: كنت انطق كطفل، وأعقل كطفل وافكر كطفل. ولما صرت رجلاً أبطلت ما هو للطفل" (١ قورنتس١٣: ١٢).

فالتثقيف المسيحي

- **ليس تعليماً نظرياً جامداً، بل فكر حق وحياة حب**
- **ليس رهن مرحلة معينة، بل نموّا مستمرا في بنيان الذات والعالم**
- **ليس انغلاقاً على فلسفة، بل انفتاحاً على الانسان والمجتمع بقوة الحب**

ولكي يصبح التثقيف المسيحي جديراً بمن يسعون للبلوغ "الى ملء قامة المسيح"، لا بد من تهيئة الجو السليم وتوفير السبل الكفيلة بتحقيق نضوج انساني

متكامل يشمل العائلة والمدرسة والمجتمع. اننا شعب مؤمن بالله وبالقيم، وثورتنا ثورة انسانية منفتحة، فلا بد لنا ان نستفيق من غفوتنا، لا بل من سباتنا، فنعيد النظر في أساليب التثقيف المسيحي وصيغه وكيفية تأمينه لكافة المسيحيين وعلى مختلف مستوياتهم وفي كافة المراحل.

وليُسمَح لي أن ابدي مقترحات بهذا الصدد، بعضها ارفعها الى المسؤولين في حكومة الثورة وبعضها إلى المسؤولين في الكنيسة.

مقترحات الى حكومة الثورة

- توفير التثقيف المسيحي لكافة الطلبة المسيحيين سواء في المدارس الابتدائية ام الاعدادية، ايا كانت نسبتهم في هذه المدارس. فان حرمان طالب واحد يعني حرمان المجتمع من عنصر سليم بناء.
- تنسيب محاضرين كفوئين من الكهنة والراهبات للتعليم في المدارس الرسمية، على غرار ما تقوم به حاليا مديريتا تربية الكرخ والرصافة في بغداد ومديرية تربية كركوك. ومتى تعذّر وجودهم، تنسيب معلمين ومعلمات كفوئين للقيام بهذه المهمة.
- انتداب لجنة من الاخصائيين في التثقيف المسيحي لوضع مناهج وكتب للمدارس المتوسطة والثانوية، إذ لا مناهج حالياً للطلبة الذين يشملهم قانون تدريس الدين في المدارس التي اغلبية طلابها مسيحيون.
- تعديل المناهج والكتب للمرحلة الابتدائية على ضوء الافكار المطروحة اعلاه، وتُرجى وزارة التربية النظر في انتداب اشخاص كفوئين من الكهنة لاجراء التعديل على المناهج الحالية التي يتغلب عليها الجمود، مضموناً واسلوباً وإخراجاً. وحبذا لو يوفر كتاب دليل للمعلم بجانب كتاب الطالب.

مقترحات الى السلطة الكنسية

- تأمين دورات لتثقيف معلمي ومعلمات الدين المنتدبين للتعليم في المدارس الرسمية، وحبذا لو تقام هذه الدورات تحت اشراف مديريات التربية اسوة بالدورات التأهيلية.
- توفير مراكز للتعليم المسيحي للطلبة الذين لا يشملهم حاليا قانون تدريس الدين لكونهم لا يشكلون الاغلبية. وانتداب معلمين كفوئين من كهنة وراهبات وعلمانيين، على ان يتم تثقيفهم واعدادهم اعداداً جيداً.

- تشكيل لجان مختصة للتعليم المسيحي على صعيد المحافظة او الابرشية، وخلق تعاون وطيد بين جميع اللجان على صعيد القطر، لايصال المقترحات الكبرى بشكل رسمي الى الجهات المختصة.
- توفير نشرات وكتب ووسائل ايضاح لمراكز التعليم المسيحي، وفي مقدمتها الكتاب المقدس. وحبذا لو تنشأ لجنة للنشر يمتد نشاطها الى القيام بتأليف ونشر الكتب التثقيفية والاشرطة المسجلة لكل الفئات من المسيحيين بحسب مستوياتهم الفكرية.

لن يتم الكثير من هذه المقترحات إلا متى آمنت الكنيسة في العراق بمسؤولياتها في التثقيف المسيحي وشعرت بأنها جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع الذي يسعى لبناء جيل جديد مؤمن بالتقدم وملتزم ببحث الانسان الجديد.

افكار في زمن ما بعد الحرب

منذ سنوات وانا افكر، ويفكر آخرون، ونتساءل: ماذا نفعل بعد ان تحط الحرب اوزارها، ويعود الجيش الجرار من جبهات القتال، وينعم الناس بسلام نتمناه شاملاً ودائماً. وكنا على يقين بأن السلم آت، ما دمنا ننادي به، ونريده ونحبه ونناشد الجميع بالمساهمة في وضع لبنات صلدة في بناء محكم التصميم، ومتقن التنفيذ، رائع الجمال. وكان ان استجاب الله، رب السلام والحب العظيم، طلبنا وساعدنا على تحقيق مسعانا. فبشرنا يوم ١٩٨٨/٨/٨ بالحمامة والنور وبراعم الخير.. وكان يوم ٨/٢٠، وكانت ايام اخرى، ونحن بانتظار غيرها، حتى تكتمل اللوحة الجميلة: سلام وعمران وازدهار، وتبطل الاعتذارات التي كانت تأتيك من كل صوب: "الا ترى اننا في حالة حرب..." محاولة تعطيل أي عمل مشروع وهمة...

فنحن الآن في مواجهة مرحلة جديدة، مهمة جداً، فكيف تكون؟ وما دورنا؟

محاولتي هذه تقتصر على تأشير خطوط عريضة وطرح خواطر اولى، مع التركيز على دور كنيسة العراق.. فذلك ما يتلاءم وخطة هذه المجلة في مرحلة هي اشد خطورة من زمن الحرب عينه، واطول بكثير.

نحو تحديد المسؤوليات

اول ما يتبادر الى الذهن ويلح بشدة: ماذا من آلاف الجنود الشباب الذين سيعودون من المعسكرات وجبهات القتال، بعد سنوات حرب طاحنة شارك خلالها معظمهم بمعارك دموية، واهملوا اهتماماتهم اليومية، دراساتهم واختصاصاتهم، واجباتهم الحياتية المتنوعة، ما عدا الواجب العسكري؟ كيف سيعودون نفسياً ومعنوياً وثقافياً؟ ماذا سيفعلون اجتماعياً واقتصادياً؟ وما مدى تقبل المجتمع لهؤلاء العائدين، على كل الاصعدة؟... ولنضف اليهم آلاف الاسرى والمفقودين والمعوقين، دون ان ننسى

الايتام والارامل وذوي الشهداء وكل العائلات والافراد؛ فقد شاركنا جميعاً في الحرب بشكل او بآخر، وتأثرنا بها...

يقع الدور الاولي في تحمل المسؤولية على العائلة نفسها، فهي التي ينبغي ان تهيء ذاتها، بمساعدة الكثيرين والمؤسسات والاجهزة، لتقبل الحالة الجديدة. ويجب ان يكون هذا التهيؤ نفسياً قبل كل شيء، وفكرياً واقتصادياً. وبما ان تركيبنا ما يزال عائلياً بدرجة كبيرة، فعلى العائلة نفسها ان تساعد الافراد بعقلية واعية، وذهنية منفتحة، وقلب كبير على خوض غمار المرحلة الجديدة.

والدور الثاني يقع على المجتمع والشعب باسره، اذ هل بوسع احدنا ان يتملص من مسؤولية المشاركة في عملية الحرب، وحالة ما بعد الحرب، ومرحلة بنيان السلام، بحجة ان ليس له شهيد او اسير او معوق، وكأن هذا الواقع الضخم ظاهرة عابرة ليس الا؟ ولا نغفل ان نسجل هنا خطورة متأتية من طباع أناس، ما ان تمرّ الاحداث او تكاد، حتى يخلدوا الى النسيان، وكأن شيئاً لم يحدث! انهم عاطفيون سطحيون ومتقلبون، ونتمنى ان لا يبتلى احد بهذا المرض المزمن في فترة ما بعد الحرب؛ فهذه حالة خاصة بالغة الاهمية تقتضي وقفة طويلة من الجميع لئلا تكون النتائج وخيمة... والانكى من ذلك، ان يستغل بعضهم الفرصة، فيحاولون الانتفاع والابتزاز، بشكل او بآخر، دون رادع او وازع: فهذه جريمة لا تغتفر، لانها استغلال الضعيف والمعوز والمتألم والمنكوب، وهل أتعس ممن يستعلي او يغتني في ظروف مماثلة؟

ونضيف مساهمة اخرى، على رجال الدين والمؤمنين النهوض بها، اذ للدين ولرجاله في بلادنا تاثير كبير، كما ان للمؤسسات الدينية دوراً خطيراً ايضاً. واذ نترك للعلماء والمتدينين المسلمين الادلاء بما بوسع الاسلام ان يقدم من عون، نركز هنا على دور المسيحيين والكنيسة في مجابهة حالة ما بعد الحرب، واحتضان جيل الحرب والقيام بمبادرات نافعة. وكما كان موقف المسيحيين والمسيحية في الحرب مشرّفاً ونافعاً، هكذا ينبغي ان يتصاعد الاسهام النافع في زمن ما بعد الحرب.

انها افكار وخواطر، ونماذج اسئلة، هدفها تحفيز الكثيرين. اما الغاية المتوخاة فهي: ارتقاء العائلة العراقية الكبرى الواحدة في العمران البشري والثقافي والاجتماعي والخلقي.

ركائز وخواطر

المسيحية تجسيد للحب الالهي في العالم، لذا كان اول ما ينبغي التحلي به هو روح الخدمة "على قدر ما انعم الرب على كل منا". واحد يضع الاساس، وآخر يبني،

وثالث يكمل ويجمل، والله يؤتي نعمه على الجميع: "اما تعلمون انكم هيكل الله، وان روح الله حالٌ فيكم؟ من هدم هيكل الله هدمه الله، لأن هيكل الله مقدس، وهذا الهيكل هو انتم" (١ قورنتس ٣:١٦-١٧). وما هدمته الحرب لا يستعاد كما هو، بل يُبنى من جديد؛ ونحو بنيان الجديد، مدعو انساننا في فترة ما بعد الحرب.

ركيزة المسيحية الايمان، والايمان ليس وهماً او خيالاً، بل حقيقة عظيمة بوسعها ان تحرك الجامد الصلب وتنقل الجبال. لذا كان من الضروري ان يعمل المؤمنون على بث الوعي وتأكيد اليقين بأن البر والخلاص، انما يتحققان بفضل ايمان عميق وحي، لا بقوة شرائع مفروضة قسراً، كأن يصدر رؤساء الكنيسة قوانين او تعليمات دون اخذ آراء الناس وواقعهم بنظر الاعتبار. وينبغي ان يبان بوضوح بأن الايمان حياة سعيدة، لا تعاليم غيبية يتلقنها الاطفال بمفردات معقدة، ولا ممارسات عقيمة لا تتفاعل مع حياة الناس.

والمسيحية ديانة امل كبير، اذ حيث تظلم الدنيا وتسودّ القلوب، لا ينطفيء بصيص الامل السماوي، بل يظل ملتهباً حتى يذكي الاعماق. فلا يحق للمؤمن ان يقول: انتهى كل شيء، ولم تعد من فائدة في الحياة.. حتى لو مرّ بأقسى الظروف، وآذته الحرب جداً، لان الامل باق والمستقبل آت، وهو مشرق رغم كل شيء، ان ثبتنا على مبدأ راسخ، وعرفنا الافادة من هذه التجربة والمحنة، وعشنا الحاضر وكل يوم بشكل افضل.

هذا كله ممكن بفضل حب عظيم ينبثق من قلب كبير هو قلب الله، الاب الحنون الرؤوف العطوف، الذي هكذا احب العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك احد، وهل من حب اعظم من ان يبذل الواحد نفسه فداء عن الاخرين؟ هو هذا الحب السعيد يسند ايماننا ويذكي رجاءنا ويفيض بالروح حضوراً سعيداً يتجسد في حياتنا ويجعل المرء ينشد نشيد الشهادة والشجاعة، فيقول مع بولس: "اني لواثق بأنه لا الموت ولا الحياة، ولا الملائكة ولا رؤساء الملائكة، ولا الحاضر ولا المستقبل، ولا اصحاب القدرة العلوية ولا السفلية، ولا خليقة اخرى، ولا شيء بوسعه ان يفصلنا عن محبة الله لنا في ربنا يسوع المسيح" (رومية ٨:٣٨-٣٩).

والكنيسة ليست بنيان حجارة، ولا شرعة قوانين، ولا شكلية طقوس، ولا تدرّج مسؤوليات، ولا هيئة مشاريع، بل حجارة حية من لحم ودم، وبشرٌ هم اخوة واخوات في عائلة واحدة، ولهبات قلب ينبض حباً، وروحية صلاة بحوار بنوي واخوي، وتنوع مواهب تلبي حاجات اعضاء الجسد الواحد، ومسؤوليات خدمة تفتح امام الجميع افقاً رحبة، ومشعل ورؤية للكثيرين... لو كانت الكنيسة ذلك حقاً، لما صعب عليها أي شيء..

فالسؤال الذي يتبادر فوراً هو: هل كنيسة العراق هي هكذا؟

لقد سال حبر وفير، ولاكت ألسن كثيرة، وبحثت محافل عديدة هذا الموضوع الذي نتجاوزه هنا بكلمة واحدة هي: بوسع كنيسة العراق ان تكون افضل، ففيها كل ما يؤهلها لكي تكون افضل؛ وينقصها في الدرجة الاولى الايمان والعمل والتنظيم وما يتطلبه من دراسات، ولجان، وتعاون —ونركز هنا على وضع كنيستنا في زمن ما بعد الحرب ببعض مبادرات.

مبادرات وتجارب

- مطران يفتح مطرانيته امام جنود متعبين، وكاهن يحتضن في كنيسته نحو ٦٠ عسكرياً، وينامون عنده مرتاحين.
- اكثر من مطران وكاهن ومجلس خورنة ومؤمن لا يتركون عائلة منكوبة الا ويوآسونها، بل يقصدون حتى المكان البعيد للتعزية والتخفيف عن ذوي الشهداء والمعوقين والاسرى والمفقودين، باكثر من وجه وشكل.
- كنيسة تفكر في اقامة نصب للشهداء، وكنائس اخرى تضع لوحة باسمائهم وصورهم في امكنة بارزة.
- بابا نوئيل يوزع الهدايا على عائلات تفتقد الابتسامة والحلوى، ولعله هو وزملاؤه المتنكرون يخيفون الصغار، لاول وهلة، ولكنهم سرعان ما يشيعون اجواء سعيدة.
- اخت اعطت كليتها لانقاذ اخيها، وارملة، ام لخمسة اولاد، لم تستسلم للاقدار، بل مضت مكافحة، يواصل اولادها دراساتهم دون الشعور بالحرمان الكبير.
- شخص يقدم مبالغ، وآخر مواد عينية، الى عدة كنائس وجمعيات لمساعدة المحتاجين؛ واكثر من عائلة تخصص مبالغ العزاء للفقراء ومشاريع بناء بدلاً من البذخ في اقامة ولائم...
- عائلة تقول لاهل الشاب: ابنتنا هدية لكم، لا تعملوا لها ذهباً وثياباً وحفلات...
- شخص يتبرع بطبع كتاب مفيد، وآخر باشتراك في مجلة، وثالث بمبلغ شهري مقطوع للمساهمة في مشروع مفيد.

- شاب جامعي يلتهب ذكاء وحماساً يطلب الكهنوت، وآخر الرهبنة، واخرى الدير... وشباب عديدون يطالبون بساعات صلاة ورياضات روحية وفكر قوي في المواعظ ومقالات وندوات عميقة.
- فبالرغم من عشر سنوات قضاها في المعسكرات والجبهة، لم تخر عزيمته ولم يهرب.. وهو يعقد الآمال الآن. انه ابن عائلة متميزة بالقيم والمثل، وابن شعب، وارض، ووطن وكنيسة الخ... الخ... ولا يسعنا هنا حصر كل المبادرات والبطولات، ونحن بحاجة الى المزيد، لان الظرف الراهن يتطلب ذلك -فهل سيدلي آخرون بآرائهم بصراحة وموضوعية وايجابية؟

مقترحات:

اول ما ينبغي ان يحدث فينا هو قلق ينهشنا، حتى تستقر الذات على وضوح الرؤيا. بفضلها نشخّص الاوضاع والسلبيات، ونضع الخطوط العريضة لحالة مجتمعنا وكنيستنا في فترة ما بعد الحرب.. ولا تفيدنا الاسطوانة القائلة: "اليس الرؤساء الكنسيون هم المسؤولون الاولون؟.". الامر صحيح، انما كلنا مسؤولون، اعني انه لاصغر شخص دوره، وقد يكون مهماً جداً، هذا ان كان في الكنيسة "كبار وصغار" (انظر ١ قورنتس ١٢:٢٢).

واختصر المقترحات الكثيرة بما يأتي:

١- الايمان الراسخ بمبدأ ثابت لا يتقلب، ينفح القوانين والانظمة روحاً، بعد اجراء دراسات ولقاءات وتشكيل لجان ذات مهمات كبيرة ومسؤوليات تستمر طويلاً، اذ لا تنفع الآراء الانية العابرة، ولا التوجيهات والتشريعات المتذبذبة. ما يُصمَّم ويُرسَم هو الذي سيُنفَّذ؛ وما نضع من جهد ومواد، هو في النتيجة البنيان والعمران.

٢- عدم فصل العمل الكنسي والديني بشكل عام عن المجتمع. فالاهتمام بكل انسان وكل الانسان هو المطلوب. ويقتضي ذلك الاستعانة بالدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية والفكرية للقيام برسالة بناءة، تبدأ في العائلة نفسها، وفي المدرسة الابتدائية، قبل ان تنتقل الى المكتب والمصنع والتخصص. لانه عمران انساني متكامل، علينا القيام به، شعباً وكنيسة ودولة، وعلى المؤمن ان يكون خميرة وملحاً ونوراً... ولا بد من اهتمام خاص بالناحيتين الاقتصادية والتربوية، اذ من لا يكفيه كسبه معاشياً، سوف يلجأ الى اعمال اخرى، فلا يجيد عمله الاساس، او الى سبل اخرى قد

تكون غير سليمة وغير مشروعة، فتتدهور الاوضاع؛ فلا بد من خلق مجالات عمل انتاجية (زراعة) وتصنيعية (لا استيرادات واستهلاكات لا مورد فيها ولا ابداعات). سيقول البعض ان هذا من مسؤولية الدولة، ونقول: لا نترك الدولة وحدها، ولا نعتبرها غريبة او بعيدة عنا، بل هي منا ولنا، ولا يمكن للدولة ان تصنع العجائب من دون شعبها، وكذلك الكنيسة. كما علينا التركيز على الناحية الثقافية، اذ بدون ثقافة جدية عميقة ومستمرة، تسقط كل الصروح الوهمية التي قد يتخيل البعض انهم يشيدونها على كل صعيد.

٣- خلق اجواء سليمة منفتحة طافحة بالامل، مليئة بالحب، ومحاربة التعقيدات واليأس، لاننا في مرحلة ولادة جديدة تحتاج الى شجاعة لا تصدها الصعاب، وعمق نور لا تحجبه سحب وغيوم، وطاقات حب تفجر براكين مشاريع نافعة. وتأتي رعاية الشباب وجيل الحرب بالدرجة الاولى، ومد يد العون بكل ما في وسع الكبار ان يقدموه.

واخيراً لنطرح السؤال التالي، ولنجب عليه بصراحة: هل اعتبرنا ونعتبر الحرب نقمة ام نعمة؟ ستقولون لي: أهذا سؤال يطرح؟ السنا متفقين جميعاً على ان السلام اكبر نعمة؟ واقول نعم. انما اضيف: علينا ان نكون واقعيين، فقد حصلت الحرب، ثم رفرفت حمامة السلام، فما تفكيرنا وموقفنا نحن؟ هل نفوّت الفرصة، ثم نقول: آه، لو عرفنا، لَو فعلنا...

اني اعتبر حربنا هذه تحريك مياه كانت راكدة، وما اخطر الماء الراكد، اذ لا يبان ما يخفيه، اما الماء المتحرك الجاري فينضح بما فيه. وعلينا الآن تشخيص افرازات الحرب بما في مجتمعنا من عقلية واساليب، ومعالجتها بالشكل الصحيح، فهل سنفعل؟ وهل ستعرف كنيسة العراق، برؤسائها وافرادها وطاقاتها، ان تتخذ دورها في عملية البناء الجديد، ام تسير القافلة ونحن مسيَّرون متفرجون لاهون؟... لقد آن الاوان لكي تكتشف كنيسة العراق حقيقتها في نور الانجيل، مستفيدة من اصالة تراثها وغناه، وعمق خبرة تقاليدها العريقة، فتنهض كنيسة متجددة حقاً، مؤمنة بالحوار والجماعية والانفتاح والفرح.

الامنية الغالية، ان يُهدم الحاجز الذي يفصل بين جميع الاطراف، شعباً وحكومة واديناً وطوائف وقوميات ولغات، لا لكي يفقد احد هويته وخصوصياته، بل لكي تنشأ من الجميع جماعة واحدة وبلد واحد وشخص واحد.

حركة النشر المسيحي في العراق

تقديم

يريد هذا البحث ان يكون استعراضاً شاملاً لمسيرة ذات شأن، لما للنشر من أهمية وتأثير، سواء على الصعيد الفكري العام، ام على الصعيد المسيحي في العراق. وهو يمضي الى ابعد من الاستعراض والرصد، محللاً ما صدر في هذا البلد من مطبوع مسيحي، مميزاً بين الاصيل والمقتبس، والمنفتح والجامد، والعميق والسطحي، والمجلد الضخم والوريقات، والكتاب والمجلة، وصولاً الى ابداء حكم اجمالي، على قدر ما يتسع له المجال والمقام.

اقوم، اولا، باستعراض شامل للمطبوع المسيحي العراقي، ثم أقسمه الى ثلاث مراحل، آتي فيها على تفصيل ما ينفع لتشخيص المطبوع من سائر اوجهه، حتى اختم بالتأكيد على مواطن الضعف والابعاد الايجابية، مقترحاً بضع امنيات علها تسهم في تحفيز الافراد والمؤسسات في كنيسة العراق الى النهوض بحركة نشر افضل فاعلية وجماعية وعمقا ومستوى. واستهل بحثي في هذا القسم الثاني من دراستي بكلمة عن المطابع التي طبع فيها الكتاب المسيحي العراقي.

مطابع الكتاب المسيحي العراقي

كانت بداية المطبوع المسيحي العراقي عندما جلب الاباء الدومنيكيون الى الموصل -حيث مركز رسالتهم منذ عام ١٨٤٠- مطبعة حجرية في بادئ الامر، وذلك عام ١٨٥٦، أقله كتاريخ لبدء المشروع، وهو ايضا تاريخ استبدال الدومنيكيين الايطاليين بفرنسيين، والمهم في الامر هو ان العراق لم يعرف قبل ذلك التاريخ أي مطبوع مسيحي عراقي، بل كانت اوائل الكتب المسيحية التي وصلت الى العراق مطبوعة في اوربا وبعض الاقطار العربية.

لم يصدر عن المطبعة الحجرية سوى كراريس وكتب قليلة اهمها: تراتيل دينية لمريم العذراء، وهي لوحات طبعت بالمطبعة الحجرية، ولوحات أخرى للتناول الاول،

واخرى لتعلم القراءة العربية والكلدانية (السريانية الشرقية) والفرنسية، ثم كتاب (خلاصة في اصول النحو بطريقة جديدة تسهل ماخذها للمبتدئين)، طبع في الموصل، لدى البواتر (أي الاباء) الدومنيكيين سنة ١٨٥٩، من وضع القس (المطران فيما بعد) يوسف داود (زبوني). اما المطبعة الحديثة التي حلت محلها سنة ١٨٦٠، واستمرت حتى سنة ١٩١٤، فقد أنتجت أكثر من ٣٢٠ كتابا، اضافة الى مجلة (اكليل الورود) بطبعات ثلاث: عربية وكلدانية وفرنسية.

وقامت في الموصل ايضاً مطبعة مسيحية اخرى هي (المطبعة الكلدانية)، بهمة الشماس روفائيل مازجي والبطريرك يوسف اودو. لكنها سرعان ما تعطلت بوفاة المازجي بعد اشهر من نصبها عام ١٨٦٦، بعد ان نشرت ثلاثة كتب طقسية ودينية، بالكلدانية والسورث. ثم حاول المطران عبد يشوع جرجس خياط (البطريرك فيما بعد) تثبيت اقدامها، فطبع عدة كتب دينية ومدرسية، لكنها آلت الى السبات، ولم تعرف الانتعاشة الا على يد القس (الخوري ثم المطران) سليمان الصائغ، وذلك منذ عام ١٩١٩؛ فطبعت عدة كتب وكل اعداد مجلة (النجم)، حتى انها عرفت أيضاً بمطبعة النجم.

وثمة مطبعة مسيحية ثالثة، تأسست هذه المرة في بغداد بجهود الاب (الخوري، المنسنيور) عبد الاحد جرجي، صدر عنها جملة كتب، معظمها من وضعه، اضافة الى مجلة (نشرة الاحد) بمجلداتها السبعة عشر، وذلك في الاعوام ١٩٢٢-١٩٣٨، وقد عرفت باسم (المطبعة السريانية الكاثوليكية).

وانشأ الاب يوسف قليتا (المطبعة الآثورية) او (مطبعة دجلة) في الموصل سنة ١٩٢١، طبع فيها عدة كتب طقسية وتراثية. وكان قد بدأ انتاجه ومنشوراته في اورمية، ثم انتقل الى الموصل، حيث اسس مدرسة ايضاً.

غير ان هذا لا يعني ان الكتاب المسيحي العراقي لم يطبع الا في مطابع مسيحية كنسية. فان معظم الكتب والمجلات المسيحية العراقية، عدا التي ذكرنا، صدرت عن جهات كنسية رسمية، او عن افراد من المسيحيين، على مطابع اهلية في الموصل وبغداد، وقلة في البصرة وكركوك. ويطول الامر كثيراً لو شئنا تعداد اسماء تلك المطابع الاهلية واصحابها، انما لا بد من الاعتراف لهم بالفضل لما قاموا به من عون وهمة. وقد كانت الاوضاع في البداية تتطلب صيغة مثل (المطبعة المسيحية)، ثم حصلت تغييرات ليس من السهل الحكم في الصيغة الفضلى، اذ لكل زمن وظرف مقتضياته ونزعاته، والعبرة في المحصلة كمّاً ونوعاً.

مراحل الكتاب المسيحي العراقي

اقسم الكتاب المسيحي العراقي الى ثلاث مراحل:

تبدأ الاولى بظهور اول مطبوع مسيحي عراقي في الاعوام ١٨٥٦-١٨٥٨ وحتى الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ التي اودت بأهم مصدر نتاجي في هذا المجال، الا وهي مطبعة الاباء الدومنيكيين.

ونعتبرها مرحلة ثانية تلك الواقعة بين السنوات ١٩١٥ و١٩٥٨ أي حتى قيام ثورة ١٤ تموز.

وطبيعي ان تكون المرحلة الثالثة من بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ولغاية يومنا هذا، مطلع العام ١٩٩٠.

المرحلة الاولى للكتاب المسيحي العراقي (١٨٥٦-١٩١٤):

صدر في الفترة الواقعة بين ١٨٥٦-١٩١٤، وهي المرحلة الاولى نحو ٣٥٠ كتاباً وكراساً، جلّها عن مطبعة الآباء الدومنيكيين، وشيء يسير عن المطبعة الكلدانية، وليس لنا أي مطبوع مسيحي عراقي خارج هاتين المطبعتين في الموصل. ويتضح من هذا الرصد ان الفضل الاكبر في نشر الكتاب المسيحي العراقي، سواء في بداياته ام طيلة المرحلة الاولى، يعود الى الآباء الدومنيكيين الفرنسيين، وبدرجة ضئيلة الى البطريركية الكلدانية.

هذه المرحلة خصبة وفيرة من حيث العدد، لا سيما اذا ما اعتبرنا الفترة الزمنية والظروف القاسية والامكانات الشحيحة، فهي الاولى على صعيد النشر والطباعة، ايام كان يقتضي استيراد كل شيء بوسائل بدائية وقدرات محدودة؛ اما الايادي العاملة، فحديثة التعامل الفني، والخبرات الفنية نادرة ودخيلة. ومع ذلك فان الكتب الصادرة كانت بمعدل ٦ كتب ونصف سنوياً، وبعض المطبوعات كبيرة الحجم.

ولكن ما نوعية كتب المرحلة الاولى هذه؟

الكتب الروحية، والتقوية منها خاصة، أي كتب الصلوات والرياضات التقوية والعبادات الشعبية وسير القديسين المشحونة بالحكايات والاعاجيب، إلى جانب الاناشيد والتراتيل الروحية... نعمت بالقسط الاوفر من المطبوع، اذ أربى عددها على الستين؛ ولقد اعيد طبع بعضها عدة مرات، بلغت ١٢ مرة احياناً، ويأتي في مقدمة مؤلفي هذه الكتب القديس الفونس ليغوري وتوما الكمبيسي (دي كمبيس) وبيليز

وسنيبري ونيرمبرغ وتوني، وهم من الكتّاب الروحانيين المعروفين. وتأتي الوردية المقدسة في مقدمة المواضيع المطروقة، تليها عبادات قلب يسوع ودرب الصليب وزيارة القربان وتأملات يومية في سير قديسيين، جلّهم من الغربيين والدومنيكيين.

وثمة نقطة ايجابية ينبغي ان نسجلها باعتزاز للمسيحيين العراقيين بشكل عام، وللآباء الدومنيكيين ومطبعتهم بشكل خاص، وهي ان النشر المسيحي العراقي قد اولى، منذ بداياته، عناية بالغة في تعليم مبادئ القراءة والكتابة والاصول الصرفية والنحوية العربية، والنصوص التراثية، ككتب مطالعة، في المدارس العديدة التي فتحها الآباء الدومنيكيون، ومعهم كنيسة العراق بطوائفها الكلدانية والسريانية الكاثوليكية والارثوذكسية في الموصل واطرافها بنوع خاص. والتَفَتَ النشر المسيحي العراقي ايضا الى اللغة الكلدانية (السريانية الشرقية)، فأولاها اهتماما كبيرا، فصدرت كتب تعليمية وقواعد ومعاجم ما تزال حتى اليوم تعتبر من افضل ما صدر في هذا الميدان. ولم ينس الدومنيكيون الفرنسيون التأكيد على لغتهم الام، فعلموها ونشروا عدة كتب في القراءة والتهجئة والاملاء والقواعد، وبلغ عدد الكتب الصادرة في اللغة وما يمت اليها من نصوص وقواعد ومعاجم اكثر من ٥٠.

وكان التركيز في هذه المرحلة ايضا على كتب التعليم الديني، فبلغ عددها نحو ٤٠، جاءت مشحونة بمبادئ اللاهوت المسيحي، بأسلوب نظري تقليدي، كثيرا ما اعتمد طريقة السؤال والجواب لتسهيل الحفظ، دون تقديم تفاسير يستوعبها الشعب، ولا سيما الاطفال، عملاً بما كان سائداً في الكنيسة الكاثوليكية عهد ذاك. ولم يتناول النشر المسيحي العراقي في بواكيره بحوثاً لاهوتية، ما خلا بعض ما نقل عن اللاتينية والفرنسية والايطالية من كتب كلاسيكية معروفة، معظمها عن التعليم المسيحي الاساسي، وفي مقدمتها التعليم المسيحي للمجمع التريدنتيني. وعلينا ان ننتظر ظهور المجلات لنلقى فيها احياناً مقالات لاهوتية وفق الطرح السائد آنذاك.

واذا ما حصرنا التفكير في الفوائد الدينية من الكتاب المسيحي، وجب علينا ان نكلل بالغار والرياحين هامات من عُنُوا بنشر اسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وبحجوم مختلفة، وباللغتين العربية والكلدانية-السريانية، بعد ضبط النص والترجمة، باعتماد الاصل (العبري واليوناني) والترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة (فشيطتا). وقد بلغ عدد الكتب المقدسة المطبوعة نحو ٣٥، ما يزال قسم هو المعوَّل عليه حتى اليوم، بينما اعيد طبع معظم الكتب المقدسة الطقسية بطريقة الاوفسيت لاستعمالها في الكنائس. وتزداد قيمة هذه الكتب متى عرفنا بأن المرحلتين اللاحقتين لم تنتجا شيئاً يذكر في هذا المجال، فيكون جل اعتماد العراق على كتب مقدسة مستوردة.

ونظراً لحاجة الكنيستين الكلدانية والسريانية الى كتب طقسية، فقد تم طبع كتب الصلوات والرتب الكنسية الرسمية، بعدد بلغ نحو ٣٠، ما تزال مستعملة حتى يومنا، بعد ان اعيد طبع بعضها بالاوفسيت، ونشطت في السنوات الاولى من القرن العشرين عناية مركزة بالتراث الكلداني-السرياني واللغة الطقسية، فنُشرت نصوص مهمة ووُضعت كتب تاريخ وأدب؛ ولو استمرت فترة اطول لاغنت المكتبة العربية والسريانية (الكلدانية) بالكثير مما هو مفيد وذو قيمة.

وطبيعي ان تُطبع رسائل بطاركة ومطارنة كلدان وسريان، وتُترجم وتُنشر رسائل بابوات، فيجري تعميم ارشادات وتوجيهات وانظمة كنسية شتى؛ وقد كان عددها نحو ٢٥، معظمها بحجوم صغيرة.

وبوسعنا فرز حياة القديسين واعمال الشهداء في باب خاص، ولو ان غرضها الاساس كان تغذية الانفس روحياً، بقراءة سير فيها من العبر الدينية ما يروّض التقوى، مع ميل خاص الى قديسين وطوباويين غربيين ودومنيكيين. ومع ذلك فثمة مجلدان جيّدان يضمان اشهر شهداء المشرق وسيرة مار افرام في كتيب خاص.

ولم يغفل النشر المسيحي كتب التاريخ والعلوم البحتة التي كانت تحتاجها المدارس. فصدر نحو ٢٠ كتاباً في تاريخ العالم والجغرافيا والحساب، وطبعت رسالتان صغيرتان في الطب. وكان للادب والمسرح ايضا حصة ضمن مطبوعات المرحلة الاولى، وكتب قليلة في موضوعات اخرى متفرقة.

ولا بد من ذكر ابرز الكّتاب الذين ازدهروا في هذه المرحلة. يأتي في طليعتهم، من دون منازع، القس يوسف داود (زبوني) الذي اصبح خوراسقفاً ثم مطراناً على دمشق باسم اقليميس (١٨٢٩-١٨٩٠)، فإليه يعود الفضل في صدور العديد من اوائل الكتب. وقد اضطره الامر الى تناول مواضع دينية ولغوية وتاريخية وعلمية شتى، الا ان رائعته هي (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية على كلا مذهبي الغربيين والشرقيين)، علاوة على تصحيحه الترجمة العربية للكتاب المقدس -وهو احد المترجمين الذي اعتمد الآباء الدومنيكيون عليهم في نقل كتب دينية وعلمية عديدة، واحد المصححين اللغويين، يساعده بالنسبة للعربية والكلدانية-السريانية كل من المطران (البطريرك) عبد يشوع خياط (بزوعي) والقس (المطران) حنا قريو وبعض المعلمين، ولا سيما سليم حسون وفتح الله سحار[١].

(١) من الاسماء اللامعة التي كان لاصحابها اسهام كبير في النشر: القس (المطران) ادي شير صاحب شهداء المشرق واكليل العذراء وتاريخ كلدو وآثور (وقد طبع الكتاب الاخير بمجلدين في بيروت)، والقس لويس رحماني (المطران رابولا، ومن ثم البطريرك افرام)، المطران توما اودو ونتاجه الكلداني الواسع، القس الفونس منكنا ونشره ميامر نرسي وتاريخ اربيل وقواعد سريانية، القس (المطران) يعقوب اوجين منّا صاحب القاموس والقواعد والمروج الزهية. القس بطرس نصري مؤلف ذخيرة الاذهان، الشماس داود كورا والاب الدومينيكي جاك (يعقوب) ريتوري ونتاجهما بالسورث.

حفلت المرحلة الاولى بنحو ٢٤٠ كتاباً بالعربية، و٤٥ بالكلدانية، و٣٠ بالسريانية و٢٠ بالسورث و٣٥ بالفرنسية و٧ بالتركية و٣ باللاتينية. وبينما كانت كتب السنوات الاولى اشبه بتعليم الالفباء على كل صعيد، ينبغي الاقرار بأن نتائج السنوات ١٩٠٠-١٩١٣ متين وأصيل، وثمة شيء من ذلك يسبق هذه الفترة.

المرحلة الثانية (١٩١٥-١٩٥٨)

يبلغ عدد الكتب المسيحية العراقية الصادرة في المرحلة الثانية ١٩١٩-١٩٥٨ نحو ٢٧٥ كتاباً، تمكنا من رصد دقيق لـ٢٢٥ منها: أي بمعدل ٦ كتب في السنة، اقل من المعدل العام باثنين، وقد كان للحربين العالميتين اثر في عدم زيادة المطبوع بشكل عام.

وتنشط في هذه المرحلة المطبعة الكلدانية في الموصل، والمطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد، والمطبعة الاثورية في الموصل، ثم مطبعة الاتحاد التي سيصدر عنها عدة كتب، ومطابع اخرى في الموصل وبغداد... بحيث لا ينحصر النشر المسيحي في مطابع تابعة لمؤسسات دينية. ويحاول الآباء الدومنيكيون تجديد مطبعتهم دون جدوى. وينهض افراد بعملية النشر المسيحي، فتُكلل مساعي البعض بالنجاح تاركة آثاراً خالدة.

لا ريب ان كانت ثمة سنوات عجاف بسبب الحربين العالميتين، لكنها افضل فترة على صعيد المجلات، ولقد كثرت في هذه المرحلة كتب ونشرات مشحونة بالجدل الديني المذهبي. كما تبارت جمعيات خيرية ومؤسسات كنسية واخويات دينية بنشر حصيلة اعمالها، وطبعت قوائم تبرعات ومصاريف تجديد وتعمير كنائس ومدارس، بينما استمر صدور كتب التعليم الديني والمواعظ والارشادات، فهي بحدود ٤٠، وكذلك كتب الصلوات والعبادات التقوية. اما كتب التاريخ الكنسي والآثار الدينية، فبحدود ٣٠، وكتب القوانين والانظمة والرسائل الراعوية نحو ٢٠، والكتب الطقسية كذلك، وكتب اللغة والقواعد والمعاجم نحو ٢٠ ايضاً، وسير القديسين واعمال الشهداء نحو ١٠، ويزداد عدد كتب التاريخ العام والعلوم والاجتماع والمسائل الانسانية، فهي نحو ٢٥، وعدد الروايات والمسرحيات وكتب الفنون نحو ٢٠.

وبينما توارت اللغة الفرنسية في هذه المرحلة، فقد ظهرت ٤ كتب بالانكليزية، وازداد عدد الكتب بالعربية، فبلغ نحو ١٧٠، وبالكلدانية ٥٦، والسريانية ٧، والسورث ٩ [٢].

(٢) اشهر كتاب هذه المرحلة: الاب العلامة انستاس ماري الكرملي، القس (الخوري ثم المطران) سليمان صائغ، القس (الخوري) عبد الاحد حرجي، القس (الخوري) بطرس سابا. القس يوسف قليتا، الراهب الاب (المطران) بولس بهنام، القس (المونسنيور) عمانوئيل رسام، القس (المطران) يوسف كوكي، القس الفونس شوريز، حنا الرسام، كوركيس عواد، القس (المطران) حنا قريو، لورنس عيسائي، الارخدياقون نعمة الله دنو، القس (البطريرك) بولس شيخو، القس (المطران) عمانوئيل ددي، يعقوب سركيس، روفائيل بابو اسحق، المطران روفائيل ربان، الشماس يوسف مري، القس روفائيل بيداويد (غبطة بطريرك الكلدان الحالي) وغيرهم...

المرحلة الثالثة (١٩٥٩-١٩٩٠)

بلغ عدد الكتب التي تمكنّا من رصدها في هذه المرحلة ٣٧٥ كتاباً. ينبغي ان نضيف اليها زهاء ٥٠ كتاباً آخر لم نتمكن من رصده، فتكون بحدود ٤٢٥، أي بمعدل ١٣ كتاباً في السنة، وهو تقدم ملحوظ؛ ولكنه يبقى نسبياً نظراً الى التقدم الثقافي والطباعي في العالم وفي العراق، وتوفر القدرات والامكانات المشجعة.

على الرغم من انعدام طبعات الكتاب المقدس، فان سلسلة كتابية بعنوان (كلام الله) اصدرها الآباء الدومنيكيون سجلت ٢١ جزءاً صغيراً، طبع ١٩ منها في الموصل وبغداد و ٢ في لبنان. وظهرت كتب اخرى قليلة في مقدمات الكتاب المقدس والبشرى-الانجيل ودراسات انجيلية، اغنت المكتبة العربية بما هو اساسي في هذا المجال.

وإثر صدور القرار القاضي بمنح الحقوق الثقافية للناطقين بالسريانية من آثوريين وكلدان وسريان في نيسان ١٩٧٢، كثرت الاصدارات التي تناولت التراث السرياني (الكلداني، الآثوري، والسرياني الغربي) سواء بمبادرة جهات سمية وشبه رسمية، كمجمع اللغة السريانية (هيئة اللغة السريانية في المجمع العلمي العراقي منذ ١٩٧٨)، وجمعية الناطقين بالسريانية، واتحاد الادباء والكتاب، والنادي الآثوري.. ام بجهود افراد وهمة كنائس. كما حاولت البطريركية الكلدانية وبعض المطرانيات اصدار منشورات طقسية، تعليمية، دينية، روحية، وتقوية شتى، حتى تشكلت لجنة من آباء دومنيكيين وكرمليين تبنت قسماً من المطبوع المسيحي العراقي؟ ونشر الاباء المخلصيون عدة كتب. وكثرت اعادة طبع الكتب بطريقة الاوفسيت. لكننا ما نزال نفتقر الى كتب لاهوتية ودراسات اصيلة في معظم الميادين، اذ كانت الكتب المترجمة في هذه المرحلة اكثر من ٦٠ عن الفرنسية ونحو ١٥ عن السريانية[٣].

النشر المسيحي العراقي في الميزان

بعد هذه الجولة الشاملة في رحاب المطبوع المسيحي العراقي (مجلةً في العدد الخاص: ف.م. ت١ ت٢ ١٩٨٩، وكتاباً هنا) نتوقف الآن لنبدي حكماً نأمل ان يكون موضوعياً قدر المستطاع في مجالات مثل هذه، فنقول:

(٣) اهم كتاب هذه المرحلة: روفائيل بابو اسحق، كوركيس عواد، الاب (المطران) اسحق ساكا، الاب عمانوئيل رئيس، الأب البير ابونا، الاب عمانوئيل بتق، الاب بيوس عفاص، سهيل قاشا، نعمة الله دنو، المطران (البطريرك) سويريوس زكا عيواص، الاب يوسف حبي، الاب فرنسيس يوسف المخلصي، الاب بطرس حداد، الاب جاك اسحق، الاب منصور المخلصي، الاب لويس ساكو، المطران صليبا شمعون، بهنام فضيل عفاص، الاب جرجس القس موسى، الاب يوحنان جولاغ، الاب يوحنا عيسى، الاب يوسف توما، الاب يوسف عتيشا، المطران كوركيس كرمو، الاب كوركيس كدادي، الاب افرام سقط، الاب بهنام سوني وغيرهم.

١- يمثل المطبوع المسيحي العراقي، منذ بداياته وحتى اليوم، من حيث الحجم الكلي، حيزاً واسعاً نسبة الى المطبوع العراقي ككل، لا سيما في المرحلة الاولى من مراحله.

٢- يحتل من حيث النوعية والقيمة الحضارية مكانة مرموقة ينبغي تقديره عليها، اضافة الى الغاية الدينية الهادفة والظاهرة بوضوح.

٣- ثمة مجالات اصالة وابداع يحق الاعتزاز بها في قائمة المطبوع المسيحي العراقي على الصعيد الحضاري والثقافي العام، اخصها المعاجم والقواعد، والنصوص التراثية، وترجمات كتب مهمة، وتراجم شخصيات وتواريخ عصور وكنائس وديارات، وطبعات الكتاب المقدس والنصوص الطقسية الكلدانية والسريانية. هذه كلها برع فيها النشر المسيحي العراقي، بينما كان دوره اقل بكثير في المحاولات الفكرية والمجالات الادبية والتاليف الاصيل، الا في المجلات، حيث كانت فرص الابداع اوفر واسهل.

٤- يمكننا القول ان النشر المسيحي اسهم اسهاماً كبيراً في نهضة العراق الفكرية والادبية، واضاف نتاجا ثقافيا لا يحق الاستهانة به، كماً ونوعاً، بل تفوّق في جوانب معينة، وعمل على توطيد دعائم الايمان والاخلاق بشكل جيد.

٥- افاد في نشر مجموعة ضخمة من كتب ومجلات، مخلفاً بذلك ارثاً يجدر الاعتزاز به. وفسح المجال امام اشخاص عديدين تمكنوا من اظهار مواهبهم وقابلياتهم على التأليف والترجمة والتحقيق والتحرير. وساند عملية التثقيف الديني، بشكل او بآخر، مع الاستعانة بكتب ستوردة خاصة من لبنان، رافد الكتاب العربي الاعظم، وفتح افقاً رحبة في عالم النشر، بشتى ابعاده، ومنذ السنوات الاولى، مبدعاً لا مقلداً، في بلد ما يزال حتى اليوم بحاجة الى المزيد من تطوير ونشر وتعميم الثقافة، وفي كنيسة تتمتع بطاقات ومواهب، لو تم استثمارها بذكاء وروحية وتعاون، لحققت المعجزات.

٦- لولا خشية ان ينعتنا احدهم بالتحيز لذكرنا اسماء اشخاص كان لهم الدور الاساس واللامع في حركة النشر المسيحي في العراق، ولذكرنا عناوين ٣٠-٤٠ كتابا يمكننا اطلاق صفة الاصالة والابداع عليها، وهو دليل خير، نتمنى ان يحظى بالاهتمام والرعاية.

٧- الا ان المطبوع المسيحي العراقي اضرَّ ايضاً حين اكد على مفهوم تقليدي للدين والممَارسات، وذلك في معظم الاحايين، سواء في سنواته الاولى بشكل عام، ام في منشورات ما تزال تصدر اليوم ايضاً لتلبي دغدغة الحس

الديني الشعبي، الى جانب كتب ومقالات متحررة، صدرت في الآونة الاخيرة، احياناً من دون سابق انذار، ولا تأكيد على ترسيخ خلفيات علمية لدى جمهور القراء العاديين، لا سيما في مجالات الكتاب المقدس واللاهوت والاخلاق، فكنا حيال ازمة حقيقية تشتد اذا لم تتظافر جهود العاملين في ميادين التعليم والتأليف والنشر، وان لم تعرف كنيسة العراق ان تجمع مبادراتها المشتتة، واذا لم ينشط دور العلمانيين بشكل صحيح.

٨- يتنازع النشر المسيحي حبان: حب التراث والتاريخ والتقليد من جهة، وحب التحرر والتجديد، حتى التغريب، من الناحية الاخرى، لا سيما في السنوات الاخيرة. و لم تتم الموازنة بين الاصالة والحداثة لنقص في المصادر الأصيلة والدراسات الاولية واللقاءات العلمية والكتابات النقدية، لا الانتقائية غير العلمية. فكانت موجات تأزم بعد ان عجّت المرحلة الاولى خاصة بكتب ومقالات تدور حول ممارسات وعبادات تقوية ثانوية آذت النفحة الروحية النابعة عن اصالة انجيلية. وجاءت المرحلة الثانية مشحونة بجدالات اظهر التاريخ اللاحق عُقمَها. ويتوجس البعض من مخاطر المرحلة الراهنة، ويؤلم القول ان الرئاسات الكنسية لم تعرف دائماً ان تتدارك الامور، سواء لعدم قبولها الخط التجديدي مع العودة الى الاصالة، ام لعدم توفر الفرص الكفيلة بأن تنشيء مناخات جديدة تحبذ التطور العلمي والتقني في البلد والكنيسة، او لِترسُّخ عقلياتٍ كان من الصعب على اصحابها الايمان بالانفتاح والتعددية.

٩- لا ينبغي اغفال ما نشره مسيحيون عراقيون خارج العراق، وما نشروه في العراق في مجالات غير دينية، فهو ارث ضخم وذو وزن كبير، لكنه لا يدخل ضمن بحثنا الحالي، نأمل ان ينصرف اليه من يرصده ويوثقه.

كلمة اخيرة

النشر مشروع كامل بحد ذاته، ولكونه اهم وسيلة للاتصال الفكري، فهو شأن خطير؛ وهو قضية، لان الكلمة رسالة نور، تتجسد حياة. انما الفكر بحر، والحقيقة هدف، والتراث غذاء في تفاعل ثقافي يتجدد ابداً، فهل تقوم كل هذه العملية على كتف فرد او افراد معدودين، مُبَعثري القوى، فتموت مبادراتهم بوفاة اصحابها؟

اننا ندعو كنيسة العراق، برؤساها وتشكيلاتها وافرادها، الى الايمان بتجميع القوى والوسائل واكتشاف المواهب والقابليات، وتجنيد كل الطاقات والموارد،

وتأسيس وحدات عمل، وتشكيل هيئة عليا مهمتها الرصد والتوثيق والتخطيط والتنسيق ومد يد العون، فيكون العمل كنسياً، دون حد للمبادرات، ولا استئثار وتفرد، بل بتشجيع المنافسة من اجل الافضل على كل صعيد.

ولأن النشر المسيحي جزء متمم لعملية التثقيف المسيحي، علاوة على كونه وسيلة اعلام ملتزم وجاد، فهو مدرسة بكاملها؛ لذا كان لا بد من ان توليه الكنيسة، رئاسة وشعباً، اهتمامها الكبير، فيتم توثيق مستوف يجمع كل الكتب والمجلات والنشرات والفهارس والبطاقات في مكتبة متخصصة ومفتوحة، واختيار لجنة للدراسة والتوجيه بحيث تصدر بحوث وتتحرك مجالات للنشر على اصعدة ما تزال معدومة او ضعيفة. وحبذا لو نشأت دار نشر حديثة تتبنى المطبوع المسيحي العراقي، موفرة سائر مستلزماته التقنية والفنية، فتنفجر مواهب كثيرة، وتسهم معجزة عصرنا هذه في عملية بناء كنيسة حية، تشع البشرى من قلبها النابض، حباً للجميع واملاً بمستقبل مشرق للعراق وكنيسته. واننا لعلى مشارف عهد نتوقع جداً ان يكون زاهراً، وينبغي ان يكون للنشر الجيد دور فاعل في تحقيق العهد الجديد بوسائل حديثة وطموح متصاعد وتجدد دائم.

الجديد بين المسيحية والاسلام

وهل من جديد وعمر المسيحية الفا عام، والاسلام الف واربعمائة؟

الجديد هو كلمة "بين"، ليس بمعنى ان ما سنذكره لم يكن له وجود البتة، بل بمعنى ان هذا الـ"بين"، كعقلية او ذهنية سائدة، منطلقة من مبادئ راسخة، هو جديد حقاً. هذا هو املنا، لا سيما في ظروف المتغيرات التي تحصل، وربما في اعقاب التطرف الذي يريد البعض ان ينساق اليه المسلمون والمسيحيون معاً، بقوة تيارات سلفية أو أصولية متشددة، بحيث لا يقبل بعضهم البعض الاخر، ويعتبرون التعايش مستحيلاً.

هذا ما دعا إليه بطاركة الشرق الكاثوليك في لقائهم الثالث في عمان من ١٧-١٩٩٣/٥/٢١. وقد دفع قبل ذلك العديدين، من مسلمين ومسيحيين، الى عقد لقاءات وتشكيل لجان حوار، والقيام بمبادرات تقارب شتى.

المشترك

المشترك في اسس الديانات جميعاً: انها تسعى الى الخير وتوطيد العلاقة بين الانسان والله، وكثيراً ما تؤكد على العلاقة الجماعية التي تربط بين الافراد والمجتمع من جهة، وبينهم وبين الخالق والمعبود من الجهة الاخرى.

اما المشترك بين الديانات الموحِّدة، فهو اعظمْ، اذ انها تؤمن كلها بالاله الواحد نفسه، خالق الكل، مدبر الكون، هدف الانسان والبرايا -والمسيحية والاسلام من الديانات الموحِّدة.

وتشترك المسيحية والاسلام في ان لهما "كتاباً مقدساً، ونظاماً اخلاقياً، وشرائع وطقوساً وفروضاً وتقاليد دينية؛ وكثيرا ما تتشابه -على الاقل في الركائز والمعاني والاهداف.

ولعلنا لا ننتبه الى ان الاصل واحد، على الصعيد الانساني، أولاً، وفي المنطقة العربية والمشرقية، على عدة اصعدة، كاللغة، والبلد، والحضارة، ولربما حتى على الصعيد الطبيعي والعائلي.

المختلف

وثمة ما هو مختلف، كالتركيز على مفاهيم وأبعاد روحية، لاهوتية -كلامية تشريعية- فقهية، وفروض وطقوس دون اخرى. وكذلك التركيز على كتاب دون آخر، وعلى اشخاص وأماكن وأعياد واصوام ومناسبات معينة..

والاكثر من ذلك، ميل اصحاب الديانات عادة الى التأكيد على ديانتهم الخاصة كواسطة وحيدة للخلاص، وما يتبع ذلك غالباً من انتقاص من شأن الديانات الاخرى، بل تكفيرها والحكم على اتباعها بمصير هلاك محتوم، وادعاء الصحة والحقيقة لديانتهم الخاصة وحدها، واستبعاد ايجابيات ديانات الاخرين الخ...

عامل التاريخ

ويأتي عامل التاريخ ليؤشر محاور اللقاء ونقاط الخلاف، ومواقف العداء. والتاريخ مدرسة ينتفع منها كثيراً كل انسان نزيه، صريح، متعمق. فلنطرق هذا الباب، وان بايجاز: فمنذ ظهور الاسلام وانتشاره في البلاد، نشأت افكار ومواقف وأوجه تفهم وقبول وتعاون، كما عرف التاريخ مفاهيم خاطئة ومواقف حذر، بل عداء واقتتال. نركز هنا على السلبي منها أولاً، ثم نتناول ايجابيات العلاقات تاريخياً وواقعياً.

السلبيات

لو طلبنا الى أي مسيحي او مسلم ان يعدد سلبيات الاخر، لأتانا كل واحد بأمثلة واقوال وشواهد، وقد يكون فيها شيء من الصحة، او الكثير من المبالغة، او على الاقل من التعميم، مما لا تجيزه استقامة الرأي والحكم.

وقد ننساق الى اعتبار الواقعة الفلانية كل شيء، وننسى بان الافكار والقناعات هي التي تسيّر البشر في آخر المطاف؛ لذا فالمهم هو معالجة الاراء والاحكام الخاطئة، وقد تكون عالقة في الاذهان نتيجة وقائع او اخطاء لا نريد تبريرها، وانما قد تحصل في كل المجتمعات والامم.

واختصارا للتشخيص، نورد ما يذكره الاب موريس بورمانس في كتابه (توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، ترجمة المطران يوحنا منصور، المكتبة البولسية ١٩٨٦)، كعوائق تحول دون قيام الحوار، وينبغي تجاوزها-وقد صدر الكتاب عن امانة السر الفاتيكانية للعلاقات مع غير المسيحيين. ويقول ان العوائق الحالية التي ترجع باصولها الى ماض سحيق، هي:

- من الجانب المسيحي: اعتبار الاسلام مذهب الاستسلام للقدرية (القضاء والقدر والنزعة الاتكالية)، ومذهب الاحكام الشرعية (الشريعة، الحلال، الحرام)، ومذهب الفطرة (تعدد الزوجات، مفهوم الجنة)؛ التعصب العرقي ("خير امة")، التحجر (حرفية التطبيق)؛ دين الخوف (الله الجبار، القهار، شديد العقاب، السيف)..
- ومن الجانب المسلم: اعتبار كتب المسيحيين محرفة، الاسرار غير مقبولة وغير نافعة، التوحيد المسيحي ليس بكامل النقاء؛ الكنيسة ليست سوى سلطة دنيوية، المسيحيون خانوا رسالة يسوع/عيسى؛ المسيحية دين خنوع..

هذه اهم النقاط السلبية، ولا حاجة الى نبش المزيد مما قد تراكم عبر العصور من عدم تفاهم، وموقف عداء، ومظالم متبادلة.. فقد تعمل على تأكيد الاتهامات والشكاوى المتبادلة، اذ لكل فريق ما يوازي، بل يضاهي مآخذ الفريق الآخر، ولكن ما النتيجة؟

لن نعود الى الماضي السحيق لنستذكر الصدامات السياسية والثقافية مع العالم البيزنطي، ثم الاوربي، بما ذلك الحروب الصليبية، وفترات الاستعمار الغربي؛ انما لا بد من التأكيد، بهذه المناسبة، ان كنيسة المشرق، رئاسة وشعباً، لم تتخذ في أي وقت من الاوقات، موقفا عدائيا من الاسلام والمسلمين، بل قبلت، وتعايشت، وتعاونت مع الاسلام والمسلمين، دولة وشعوباً.

ولكن لا بد من الاشارة الى امر خطير، وهو ان الاسلام قد شعر بذلّ، سياسياً وثقافياً، في غضون القرون الاخيرة، وبتحدّ حضاري في العقود الاخيرة، وانه من حق البلاد العربية -وهي متكونة من مسلمين ومسيحيين، وان كان هؤلاء اقلية ضئيلة فيها، فهم أصيلون وتاريخ مواطنيهم تاريخهم، وقد ساهموا معهم في وضعه- اذن من حق هذه البلاد ان تنهض هي ايضا وتواكب مسيرة العصر على الاصعدة كافة.

فلا بد والحالة هذه، من "تحرير" للذهنية المسيحية والاسلامية، على حد سواء، من "المظالم" التاريخية والحالية، سواء أُرتكبت فعلاً، ام نسبت وهماً وبهتاناً, ولا بد من

ذلك للتخلص من معاناة يتحملها الطرفان، وربما بغير داع، او عن قصد طرف ثالث، بعد ان اتخذت وسائل التقنية والاعلام الحديثة وحجوم الثراء والسياسة، ادواراً مؤثرة جدا في حياة الناس والمجتمعات.

ايجابيات وركائز

ليست المطالبة بتحرير الذهنية من باب وجوب التسامح والانفتاح لتعايش مطلوب اليوم وحسب، بل من اجل تواصل ايجابيات ماضي العلاقات المسيحية والاسلامية ايضا –وهي غير قليلة، واهمها قبول المسيحيين والمسلمين بعضهم بعضا على مدى ١٤ قرناً، وقيام حوارات ومجالات تعاون على سائر الاصعدة طوال هذا الزمن غير القصير.

وتأتي في طليعة ركائز هذه الايجابيات نظرة المسيحيين والمسلمين المشتركة الى الله والشهادة له؛ تأدية العبادة الصادقة له، الاقتداء بايمان الانبياء؛ تضامن جماعة المؤمنين؛ مسعى زهدي وصوفي اختبره أتقياء من كلتا الديانتين.. دون اغفال اقحام الالحاد المعاصر المسيحيين والمسلمين معاً بانهم قد استخدموا الدين لغير أهدافه..

واليوم اذ يختبر الناس تحولاً اجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وجذرياً، بعد ان تطورت وسائل التقنية والاتصال والاعلام، لا بد من مواجهة هذه المتغيرات وتحدياتها برسالة موحدة، لئلا ينتقص عمل الله الخلاق، وكرامة الانسان، وتداس القيم الخالدة. ومن الضروري ان يبحث المسلمون والمسيحيون، معاً وسوية، عن مواطن التلاقي، يجدها المؤمنون بالله في اعماق الروح، في سر الله الكبير، وعطية كلامه المحيي، ونفحة روحه القدوس، عبر صلاة عميقة وممارسات تقى تتجسد في افعال الرحمة والمحبة.

ترى هل نلقى شيئا من ذلك في مجتمعاتنا؟

بين الاتهامات والرغبة الصادقة في التآخي

كل يوم يواجهك احدهم بالسؤال: أليس "الشرب-المسكر" محرماً عندكم؟ وقد يحرج غير المتعمق، او قد يتفوّه بما يجرح، بينما ينبغي احترام شعور الاخر بما يمليه عليه ايمانه وتقتضيه السنّة الدينية، فيعرف المسيحي ان كل شيء حلال شرط الا ينجّس الانسان من الداخل، وان الشرب غير السكر، ويبقى الضمير هو الحكم: كما ينبغي احترام موقف الاخ المسلم اذا ما اعتبر الخمر رجساً.

وقد يستنكر المسيحيون اللامساواة المفروضة على الاقليات في بعض الدول الاسلامية، ولا عدالة تشريعات واحكام تُتخذ تجاههم في شهر الصيام، رمضان، او

في احكام زواجية يلحق فيها غبن للطرف المسيحي.. لا بد من التذكير هنا ان ثمة تقدما ملحوظاً في بعض البلدان والانظمة، نتمنى تعميمه وتطويره لتحقيق مساواة شاملة، هي الركن الاساس من حقوق الانسان.

وقد يتهم هذا الطرف ذاك باللجوء الى الدعوة والتبشير، ويتناسيان ان الهدف هو جعل الدعوة والتبشير شهادة صادقة لحياة الايمان، منزهة عن أي اقتناص، وصادرة عن قلوب نقية النوايا، فيتقاسم الجميع نعم الله وعطاياه. ويتزعج المسيحيون اذ يُحسَبون على "الغرب المسيحي"، ويشار اليهم باصبع الاتهام بالصليبية لدى الحديث عن هجمات الغرب، ومسيحيو الشرق براء من تلك الحملات السياسية الاستعمارية، علاوة على كونهم اهل البلاد واخواناً لجميع من فيها.

هذه وغيرها تتطلب حواراً انسانياً صادقاً، عميقاً؛ وبدون هذا الحوار، لا سبيل لتحقيق التلاقي والاخاء والعيش معاً في ارض ووطن هما للجميع، بخيراتهما وآلامهما.

نحو حوار صادق

ليس الحوار أي كلام بين طرفين، وانما التعبير الصادق في جو من الاحترام المتبادل، وصولاً الى انجلاء الحقيقة، لذا وجب له ان يتخطى مواقف النهج التوفيقي الانتفاعي الرخيص، ويتجاوز المماحكة المتصلبة، والجدل العقيم المزعج. الحوار مغامرة المرء في غاب المعرفة، وبحر الحياة، وأفق الحقيقة؛ وهل الاغتناء نفي للفوارق والخصائص، او تركيز على قيمة واحدة، او تلبية نداء لا يتجدد؟

اننا نؤمن بان كلاً منا سيغتني إن هو استعان بما يميّز غيره، واغترف ما لدى الآخرين من قيم، وفتح باب ضميره لتلقي "صوت الحق" باحترام ومودة، واضعاً ذاته في مهب الروح الذي وحده يحيي ويذكي ويقوّي.

وعملياً اقترح:

اولا: التخلي عن الموقف السلبي، لدى المسيحي والمسلم، تجاه بعضهما البعض، سواء كان ذلك على الصعيد الفردي ام الجماعي، الفكري ام الديني، مع الاحترام المتبادل وحفظ التميّز والخصائص.

ثانياً: البحث الصادق عن الركائز والقيم المشتركة، فهي بداية أي حوار، مستنيرين بقول البابا يوحنا الثالث والعشرين: لنبدأ بما يجمعنا، ومتى ما فرغنا منه، نتناول ما يفرقنا،

ثالثاً: عقد صداقات حقيقية بيننا، لا سطحية او نفعية، بل نابعة عن ايمان متواضع، كل منا بمعتقداته وممارساته، تبعد عن سلوكيتنا الاوهام والاحكام الخاطئة.

وليسمح لي ان اقول باني جربت الثلاثة، ولا اغالي ان قلت اني نجحت.. وفي الحوار، لا اتردد عن الادلاء صراحة برايي، كمسيحي ورجل دين وفكر، ولا ألقى أي انغلاق او تزمت الا نادراً. ولكنني أرفض تهجم او تهكم هذا او ذاك، واحاول الحدّ من التهويل في ما ينقل من اخبار تعكر الاجواء، ولا اخفي اني قد تعلمت، بفضل المتابعة العلمية والخبرة الحياتية، فنّ التحاور، وهو ضروري للجميع، وليتنا تدارسناه وجعلناه من مفردات مناهجنا.

اخيراً، وليس آخراً، ادعو الجميع الى قراءة تصريح المجمع المسكوني في علاقات الكنيسة مع الاسلام، والبيان الصادر مؤخراً عن بطاركة الشرق الكاثوليك (ف.م. تموز-ايلول ١٩٩٣). وانا على اتم الثقة انه، لو ترسخت فينا قناعة الحوار، وبكل معانيه وأبعاده وثماره، لحققنا خيراً وفيراً لانفسنا وللاخرين، وبنينا البلاد.

كتاب رحلوا كانت لهم مساهمات محدودة. ابينا إلا ان ندرجهم. وبحسب سنة وفاتهم. في هذا الكتاب الذي يخلد ذكراهم ويصدي لمساهماتهم التي اخترنا واحدة منها. إذ نشير اليها بعلامة (*) كما اشرنا بعلامة ( ) على ما نشر منها في "المختارات".

١- الاب بهنام السمعاني (+ ١٩٨٦)

٢-الاب (المطران) اسطيفان كجو (+ ١٩٨٧)

٣- بتول سليمان (+ ١٩٨٩)

٤-الاب يوسف قوشاقجي (+ ١٩٩٥)

٥-الاب بهنام كجو (+ ١٩٩٨)

٦-الاب كوركيس كدادي (+ ١٩٩٩)

٧-المطران كوركيس كرمو (+ ١٩٩٩)

٨-الاب نعمان اوريدة (+ ١٩٩٩)

٩-المطران عمانوئيل بني (+ ١٩٩٩)

١٠- الاب ميشيل دي ميتنار الكرملي (+ ٢٠٠٤)

١١- الاب يوحنان جولاغ (+ ٢٠٠٦)

١٢- الاب روبير بيلي الكرملي (+ ٢٠٠٧)

١٣-عصمت عبد الاحد عناني (+ ٢٠٠٧)

١٤- الاب (المطران) فرج رحو (+٢٠٠٨)

الاب بهنام السمعاني ١٩٢١ - ١٩٨٦

من مواليد ١٩٢١ في بعشيقة. دخل معهد مار يوحنا الحبيب في الموصل عام ١٩٣٥ وتخرج فيه لدى رسامته الكهنوتية في ١٥ ايار ١٩٤٧.

قضى السنوات الاولى من كهنوته (١٩٤٧-١٩٥٥) في دير مار بهنام لاعداد اكليريكيين لمعهد مار يوحنا الحبيب. وكانت التهيئة تستغرق سنتين، أمّن الاب بهنام خلالها تعليم اللغتين العربية والسريانية ومبادئ الفرنسية، فضلاً عن مواد أخرى والارشاد الروحي...

انتقل عام ١٩٥٥ إلى خدمة رعيته بعشيقة فخدمها بتفان حتى وفاته. كانت له، إلى جانب مهامه الراعوية من تعليم وتثقيف وإعداد شمامسة...، اهتمامات فكرية وادبية وتاريخية... وكانت له مكتبة عامرة تحوي سلاسل وموسوعات ومصنفات عديدة في الفلسفة واللاهوت والتاريخ والآداب...

والمته المنية في اعقاب مرض عضال في ٦ ت١ ١٩٨٦ ودفن في كنيسة رعيته.

كانت له في "الفكر المسيحي" ٣ مساهمات نشرت منها اولاها:

★ اسرة آل بختيشوع — ت٢ ١٩٨١
- عراق الثورة: مكاسب ومنجزات/ ش. ر — شباط ١٩٨٢
- المسيح في شعر احمد شوقي — ايار ١٩٨٢

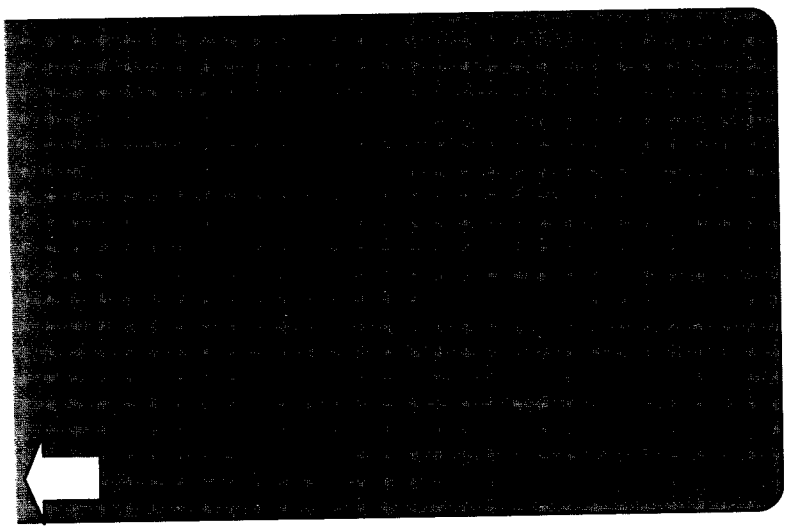

لما قبض العباسيون على ناصية الخلافة عام ١٣٢ هـ = ٧٤٠ م، اقاموا عاصمتهم بغداد بالقرب من بابل على شاطئ دجلة، وما لبثت ان اصبحت اشهر مدن الشرق. اجل لم يبق من المباني التي شادها الخلفاء العباسيون في بغداد مثل ما بقي في سورية الامويين، غير ان ما انتهى الينا من اثار العرب في العلم والادب وسائر الفنون، مما ورد في كتب مؤرخيهم، يكفي ليتمثل المرء حضارتهم في القرن التاسع الميلادي. وقد بلغت بغداد ذروة الرخاء في عصر بطل قصص الف ليلة وليلة، هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩م)، وابنه المأمون (٨١٣-٨٣٣م) حتى صارت اهم مدن المشرق وذاع صيت هارون الرشيد وطبق الافاق.

وكان العلماء ورجال الفن والادب من جميع الملل والنحل، من يونان واقباط وسريان، يتقاطرون الى بغداد، وقد جعلوا منها مركزا للثقافة في الدنيا، فقد قال ابو الفرج عن المامون انه "كان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم، علما منه بان اهل العلم هم صفوة الله من خلقه، ونخبته من عباده. فلهذا السبب كان اهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر، واوحشت الدنيا لفقدهم".

وساهم المسيحيون، انذاك، بقسط وافر في الرفع من شأو هذا العز العباسي في ميادين العلم والفنون المختلفة. فعندما اهتم الخلفاء بترقية العلوم وانشاوا الدواوين للمباحثات، واقاموا المجالس للعلماء واسسوا بيوت الترجمة والحكمة، استعانوا بمترجمين مسيحيين عباقرة، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، حنين بن اسحاق العبادي، وابنه اسحق، ويوحنا بن ماسويه، وقسطا ابن لوقا البعلبكي، وابو بشير متى الخ... لقد

اسرة آل بختيشوع

نبغ هؤلاء المسيحيون في اساليب النقل والترجمة والتعليق، فلم يبق ضرب من العلوم والصنائع الا نقل الى العربية، فاجتمع عند العرب بفضلهم خلاصة علوم الاقدمين من يونان وفرس وسريان وهنود وانباط؛ "وهكذا صار النصارى حلقة الاتصال بين اليونان والعرب، بل كانوا رواد نقل الثقافة والحضارة اليونانية الى العالم كله" كما قال كتاب الطب العربي (ص٢٥-٢٦). وعندما انتشرت صناعة الطب في العراق، ولا سيما في بغداد، ظهر اطباء مسيحيون ماهرون اداروا المستشفيات وعلموا في اصول المعالجة وشخصوا الامراض ودققوا الادوية وعربوا الكتب الطبية على اختلاف انواعها، فنالوا من الخلفاء الكرامة والثقة والحفاوة اكثر من سواهم، بل منحوهم مراكز مهمة في الدولة.

في مقالنا هذا سنتطرق الى اسرة مسيحية عريقة لعبت دورا رئيسا في تاريخ الطب العراقي في عهد العباسيين، هي اسرة "آل بختيشوع". فقد خدمت هذه الاسرة النسطورية الخلفاء العباسيين زهاء ثلاثة قرون متوالية، وبرز منها اطباء شهيرون، ويذكر ان اكبر المستشفيات في مدينة السلام، وهو المستشفى العضدي نسبة الى عضد الدولة بن بويه (افتتح عام ٣٧١هـ= ٩٨١ م: عيون الانباء ١:٣٠٩-٣١٠) تولى رئاسته الاطباء جبرائيل بن بختيشوع وثابت بن قره الحراني؛ وقد تولى سنان ابن هذا الاخير (+٩٣٤) امتحان اطباء وصيادلة بغداد انذاك (اخبار العلماء ص١٣٠، عيون الانباء ٢: ص١٣٣).

قال كتاب "الطب العربي" (ص٧٥) عن هؤلاء بانهم "اول من اوقد النار المقدسة في نهضة العرب الطبية". فقد كانوا فلاسفة واطباء عالجوا المنصور والرشيد والامين والمامون والمعتصم والواثق والراضي، كما عالجوا البرامكة وملوك بني بويه ووجهاء دولتهم ودخلوا بيوتهم ودواوينهم، فكانوا الدرر اللامعة في الطب والمثل العليا في العفة والنزاهة.

من هذه الشجرة ننتقي الشهب اللامعة التالية في نبذة مقتضبة:

١ – جورجيس بن بختيشوع (١٥٢هـ= ٧٦٩ م)

طبيب سرياني، هو ابو بختيشوع الطبيب. كان رئيس الاطباء في جنديسابور، ولما اعتل المنصور العباس، أُرشد اليه. فاستدعاه، فقدم بغداد عام ١٤٨ هـ فاحبه المنصور ومكث عنده، ونقل له كتبا كثيرة من اليونانية الى العربية. عاد الى جنديسابور عام ١٥٢ هـ على اثر مرض الم به ومات هناك.

من تصانيفه –بالاضافة الى ما ترجمه الى العربية– "كناش" بالسريانية وقد ترجمه الى العربية حنين بن اسحق.

قال عنه ابن ابي اصيبعه: "ان جورجيس وولده كانوا من اجمل اهل زمانهم، بما خصهم الله من شرف النفوس ونبل الهمم ومن البر المعروف والافضال والصدقات وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والاخذ بايدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح" (عيون الانباء: ١٣٦:١).

٢ – بختيشوع بن جورجيس (نحو ١٨٤ هـ = ٨٠٠م)

طبيب سرياني مستعرب، اشتهر وتقدم عند الخلفاء العباسيين. هو جد بختيشوع بن جبرائيل الذي سيأتي ذكره. خدم هارون الرشيد. له "كناش" مختصر وضعه لابنه جبرائيل.

٣ – جبرائيل بن عبيد بن بختيشوع (٣١١–٣٩٦هـ/ ٩٢٣–١٠٠٦ م)

طبيب، عالم، من بيت الطب في العصر العباسي. ولد وتعلم في بغداد، ورحل الى شيراز، فاتصل بعضد الدولة، ثم بالصاحب ابن عباد فاغدق عليه الصاحب. وسافر الى القدس ودمشق فاتصل خبره بالعزيز ملك مصر فدعاه اليه، غير انه اعتذر وعاد الى بغداد، فتوفي فيها.

من كتبه "الكافي" في الطب (٥ مجلدات)، و "الكناش الصغير" في الطب، و "المطابقة بين اقوال الانبياء والفلاسفة".

٤ – بختيشوع بن جرائيل (٢٥٦هـ = ٨٧٠ م)

طبيب سرياني مستعرب. قربه الخلفاء العباسيون ولا سيما المتوكل العباسي، فعلت مكانته واثرى حتى ضاهى المتوكل في الفرش واللباس. خدم الواثق والمتوكل والمستعين والمهتدي والمعتز. صنف كتابا في "الحجامة" على طريقة السؤال والجواب. مات في بغداد.

٥ – يوحنا بن بختيشوع (+ نحو ٢٩٠ هـ = ٩٠٣ م)

طبيب ترجم كتبا كثيرة من اليونانية الى السريانية، تسهيلا لنقلها الى العربية. اختص بخدمة الموفق العباسي (طلحة ابن جعفر) وقد سماه هذا الاخير "مفرج كربي" اشارة الى ما قدم له من خدمات.

له بالعربية كتاب "تقدم الادوية" في الاعشاب والاغذية، وكتاب "في ما يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم".

٦ – بختيشوع بن يوحنا (+ نحو ٣٢٩ هـ = ٩٤١ م)

طبيب من اهل بغداد، نال حظوة عند الخلفاء واختص بخدمة المقتدر بالله ثم الراضي بالله، وكان له منهما الانعام الكثير والاقطاعات من الضياع. توفي في بغداد.

٧ – عبيد الله بن بختيشوع (+ نحو ٤٥٣ هـ = ١٠٦١ م)

يكنّى بابي سعيد. طبيب، باحث من اهل ميافرقين، له تصانيف منها: "مناقب الاطباء" و"الروضة" في الطب، و"التواصل الى حفظ التناسل"، و"طبائع الحيوان وخواصها ومنافع اعضائها"، و "الخاص في علم الخواص"، و "عقد الجمان في طبائع الانسان والحيوان".

٨ – علي بن ابراهيم بن بختيشوع (بعد ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ م)

من اهل كفرطاب (سورية)، عالم بطب العيون. له كتاب "تشريح العين".

..وهذه الفذلكة غيض من فيض..

الاب [المطران] اسطيفان كجو ١٩٢٩-١٩٨٧

ولـــد في القـــوش في ١٩٢٩/١١/١. وبعد الدراسة الابتدائية، دخل معهـد مـار يوحنا الحبيب حيـث رسـم كاهنا مـع ثلاثـة زمـلاء في ١٩٥٦/٦/١٧.

خدم في كنائس بغـداد قرابة ٢٥ عاماً، ومارس نشاطاً راعوياً وثقافيا متميزاً في كنيسة ام المعونة بالسعدون.

انتخبـــه الـــسينودس الكلداني اسقفا مساعداً لرئيس اساقفة البصرة مع حق الخلافة، وتقبّل الرسـامة الاسـقفية في ١٩٨٠/١١/٣٠. وفي عـام ١٩٨٤ انتقل إلى رعاية ابرشية زاخو حيث بـذل جهـداً في إنعاشها وتطويرها، ولكن المنية عاجلته في حادث سيارة علـى طريـق بيرسـفي في ٨ ت٢ ١٩٨٧

كانت له ٩ مساهمات، ست منها في "التطوبيات". نشبت له مقالة عن الفوكولاري، هذه الحركة الروحية والرسولية التي اكتشفها في لوبيانو (ايطاليا) وانتمى إليها:

- التطوبيات: مقدمة	ك٢ ١٩٧٣
- التطوبيات: بشرى التعزية	شباط ١٩٧٣
- التطوبيات: الوداعة المكتسبة	ايار ١٩٧٣
- التطوبيات: الجوع والعطش إلى البر	حزيران ١٩٧٣
- التطوبيات: قلب الأم	ت٢ ١٩٧٣
- التطوبيات: فعلة السلام	شباط ١٩٧٤
★ جماعة الفوكولاري، من هم؟	شباط ١٩٧٦
- الكهنوت على ضوء الانجيل	حزيران ١٩٧٦
- خواطر في الاسقفية	اذار ١٩٨١

لعلّ الفكر المسيحي كانت اول من عرّف بالفوكولاري وبمؤسّستهم ذات الشهرة العالمية كيارا لوبيك... -وقد وافتها المنية في ٢٠٠٨/٣/١٤- عبر مقال للاب (المطران) اسطيفان كجو الذي قام بخبرة في جماعات الفوكولاري، واطلع على توجهاتهم الروحية والرسولية والراعوية، في الامانة للانجيل ولنداء البشر الذين ينتظرون منهم الحب والمقاسمة والعطاء... انها شهادة حية نقلها لنا من تلة لوبيانو بالقرب من فلورنسا (ايطاليا) (انظر ايضا ف. م. نيسان ١٩٨١).

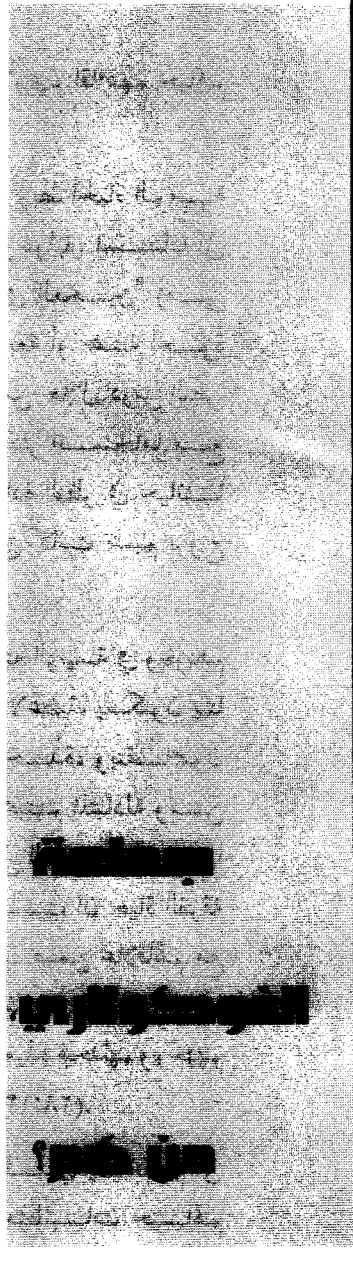

هم جمعية حديثة العهد أو حركة رسولية معاصرة، شبيهة بالحياة الرهبانية، يلقبون انفسهم: "العائلة" (Focolari). بيتهم "الام"، أو مركزهم الرئيسي في ايطاليا، قرب روما، يعيشون في بيوت صغيرة تضم خمسة أو ستة اخوة في حياة انجيلية مشتركة.

ولدت هذه الجماعة عقب الحرب العالمية الثانية. فازاء ما خلفته تلك الحرب من التدمير والياس والقنوط لدى الناس، خرجت قبضة من الفتيات المسيحيات في مدينة تورنتو الايطالية للبحث عن أمل في الحياة، ولا رصيد لهن سوى التفاؤل والثقة بالمسيح، كانت تجسدها رائدتهن كيارا لوبيك، بشجاعتها وفرحها العارم.

"هل من هدف لا تناله القنابل؟"

من هذا السؤال الذي اطلقته احداهن، انطلقت تجربة الفوكولاري، فأجابتها زميلتها: "أجل هناك هدف خالد لا يزول الى الابد، هو الله...". مذ ذاك اخترن الله هدفاً وحيداً لهن، وكان ذلك سنة ١٩٤٢.

منذ البداية اعتادت الفتيات ان يجتمعن حول الانجيل ويصغين سوية الى نداءاته قبل ان يجتزن الى العمل، فبرزت العبارة التالية أمامهن كالمؤشر: "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل ارادة ابي الذي في السموات". فقررن بالاجماع تطبيق هذا القول في حياتهن، والعمل "بارادة الرب". ولكن كيف ذلك؟ بعد مراجعة النص ثانية، ابتسمت احداهن وهتفت فرحة: "انه مكتوب ان كل ما تعملونه لاخوتي هؤلاء الصغار، فلي تعملونه...". وهكذا

اصبحت المحبة وخدمة القريب سبيلهن الاول في تجسيد رغبتهن في تحقيق ارادة الرب عبر الجمعية الجديدة، فبادرن الى الملاجئ والمستشفيات والبيوت يسعفن وينقذن المرضى والمجروحين والفقراء بكل غيرة وتضحية. وبعد الفتيات، توسعت الجمعية فضمت الشباب أيضا وأعضاء من الكهنة.

• حياتهم اليومية

لقد اكتشفت اثناء اقامتي بضعة اشهر، مع اخوة الفوكولاري، اقاسمهم حياتهم وآمالهم وروحانيتهم، اكتشفت ان حياتهم ترتكز على:

١. **دراسة الانجيل وتطبيقه عملياً**، وذلك انطلاقاً من اهمية ربط الحياة اليومية بتعاليم يسوع، بحيث تتفاعل وتصبح ركناً من أركان حياتهم الرسولية، استناداً الى قول المسيح: "أنتم نور العالم، أنتم ملح الأرض، أنتم الخميرة في العجين" (متى ٥:١٣). وتتم دراسة الانجيل هذه في نطاق فرق متكونة من اربعة أو خمسة اخوة يختارون نصا معيناً ذا علاقة بحياتهم العملية اليومية، ويحاولون، من خلال درس النص الانجيلي والتأمل فيه، ان يكتشفوا كيفية توجيه حياتهم لجعلها أكثر انسجاماً مع متطلبات الحياة المسيحية، في عصرنا الحالي الذي يدعونا الى اعادة النظر في حياتنا التقليدية وأكثر قرباً من حياة يسوع في الناصرة، تلك الحياة التي كانت تتسم بروح البساطة والتجرد والعمل والفقر.

٢. واكتشفت أيضاً ان الحياة المشتركة تشكل ركنا له اهميته الرئيسة في وجودهم وحياتهم اليومية. فهم يكوّنون فرقا صغيرة تضم عدداً معينا من الاعضاء يسكنون بيتا واحدا وينظمونه حسب اذواقهم ويعيشون داخله حياة عائلة واحدة، ويتقاسمون العمل، داخل المنزل وخارجه، وذلك بروح تعاونية منبثقة من محبتهم المتبادلة ومن تفاهم اخوي وانسجام الاصدقاء، وهم يتذكرون كلام الانجيل القائل: "احبوا بعضكم بعضا كما انا احببتكم" (يوحنا ١٥:١٢). وقد لاحظت ولمست ان حياة الفرقة تساعد على مقاسمة المشاكل والقضايا التي يلاقونها أثناء عملهم، ضمن علاقاتهم مع مختلف طبقات الناس، فيدرسونها سوية على ضوء الانجيل لاكتشاف سبل مجابهتها ومعالجتها، بتفاؤل وأمل وفرح، كما كان يسوع يجتمع مع تلاميذه فيحدثهم ويوجههم ويفسر لهم الامثال التي كانت وسيلة في التبشير بملكوت الله (متى ١٣:٢٨).

٣. وحياتهم المشتركة هذه مبنية على روح الفقر والتجرد الذي يدفعهم الى مقاسمة مواردهم المالية التي يتقاضونها لقاء اعمالهم وخدماتهم ومتطلبات حياتهم

كالاكل والشرب والملبس والمسكن؛ كما يخصص قسم منها لنشاطاتهم الرسولية كمساعدة الفقراء والنشر والتنقلات والاسفار الخ...

• دورهم في الكنيسة

جمعية الفوكولاري نشات اثناء الحرب العالمية، كما سبق وقلت، على أثر ما خلفته هذه الحرب من دمار وياس واسى لدى الناس، حين اكتشف الشباب الرواد من خلال هذه الحوادث المؤلمة ان الله يدعوهم الى القيام برسالة المحبة تجاه منكوبي الحرب واعطائهم الامل والرجاء في الحياة رغم الموت المخيِّم. فبدأوا عملهم الرسولي هذا مقتنعين من انه من صلب رسالة الكنيسة: "كنت جائعا فاطعمتموني، كنت عطشانا فسقيتموني..." (متى ٢٥:٣٥). وهكذا انطلقوا الى صفوف الشعب المتألم ليجسدوا حياة يسوع بين الناس، فثابروا على عملهم بجد وحب وعطاء، وأظهروا ان الكنيسة ليست معزولة أو منفصلة عن البشر، بل يجب ان تكون في وسط العالم وبين مختلف طبقات الشعب، لتقاسمهم حياتهم وتشاركهم مشاكلهم اليومية، فتكون لهم نوراً وملحاً وخميرة على حد قول المخلص: "انتم نور العالم...انتم ملح الارض" (متى ٥:١٣).

وأود أن اؤكد هنا على نقطة جوهرية اخرى اكتشفتها في "الفوكولاري" وهي الدور المهم الذي يلعبه العلمانيون في اداء رسالتهم المسيحية التي هي من صلب رسالة الكنيسة، لكونهم أعضاء كاملين وأحياء في جسم الكنيسة. بذلك يحققون رسالتهم العلمانية في وسط العالم، معيدين الى اذهاننا حياة المسيحيين الأولين في الكنيسة كما يذكرها لنا كتاب اعمال الرسل (٤:٣٢)، وفي الاجيال التي تلتها. وقد أكد المجمع الفاتيكاني الثاني بدوره على أهمية رسالة العلمانيين وشجعهم على الالتزام بدعوتهم وسط العالم (انظر وثائق المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني: الجزء الثاني ص٢٠٧ لسنة ١٩٦٥).

على هذا النهج يحاولون اليوم ان يعيشوا رسالتهم وسط الناس ليجعلوا المسيح حاضراً بين مختلف الطبقات التي يعملون فيها، سواء بوظائفهم أو أعمالهم المهنية، أو بكتاباتهم ومنشوراتهم، أو بعلاقات الصداقة التي يرتبطون بها مع مختلف الناس. وهذا بالذات ما ادى الى اتساع حركتهم الرسولية في كثير من اقطار العالم.

ويعطون أهمية خاصة أيضاً للعمل مع الشباب الذين يُعتبرون أحد العناصر الفعالة الرئيسية في الكنيسة، فيكوّنون معهم صداقات ويدعونهم الى الندوات والمحاضرات

وبعض الفعاليات الأخرى التي تساعد على اقامة ثقة متبادلة بينهم وتعمق روح الالفة بينهم. هذا الجو الودي يساعد على تبادل الاراء ومناقشة مختلف المشاكل التي تعترض الشباب في حياتهم اليومية، مسترشدين بروح المسيح وتعاليمه.

خبرة أخرى خرجت بها من تجربتي الشخصية، هي اهتمامهم باخوتهم الكهنة والرهبان الذين يشعرون بحاجة أكثر فاكثر الى من يفهمهم ويساعدهم على مجابهة مشاكلهم وتقوية ايمانهم، ويعينهم على اكتشاف حياة المسيح من خلال الانجيل، بصورة متجسدة في واقع الحياة، حيث يستقبلونهم عندهم لعدة أشهر، لمقاسمتهم حياتهم وتعميق قناعاتهم وتبادل خبراتهم في الحقل الرسولي.

اني اكتب هذا عن خبرة شخصية معترفاً بمدى تاثري بهذه الحياة اذ سمحت لي الظروف ان اعيش معهم لعدة اشهر، اني اشعر كم اخذت من الفائدة العملية والروحية كي اعيش كهنوتي بقناعة وفرح أكثر.

واود ان اختم هذه الشهادة الشخصية بامنيتين:

١. يا ليتنا فهمنا اهمية الرسالة العلمانية وفعاليتها في كنيسة اليوم، وافسحنا المجال للعمل المشترك البناء. فنحن بحاجة ماسة الى هذا القلب النابض الذي تتدفق منه الغيرة والنشاط والعمل الرسولي ومعاضدة الكهنة ولتثبيت قوة الايمان في القلوب.

٢. ويا ليتنا تحررنا من بعض همومنا الخاصة التي تاخذ قسطاً كبيراً من وقتنا، كي نتوصل الى مقاسمة مواردنا المالية، ومحاولة العيش بحسب روح التجرد والفقر الانجيلي الذي يدعونا اليه يسوع القائل: "لا تقلقوا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس.. بل اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يعطى لكم ويزاد" (متى ٦:٣١-٣٢). بذلك نستطيع ان نتفرغ لاعمالنا الرسولية باعطاء شهادة حية من خلال حياتنا اليومية التي تكون اذ ذاك بمثابة التبشير بملكوت الله: "...ويرون اعمالكم الصالحة ويمجدون اباكم الذي في السموات" (متى ٥:١٦).

الاب يوسف قوشاقجي ١٩٢٩-١٩٨٧

ولد في حلب عام ١٩١٤ من اسرة ارمنية كاثوليكية. بعد دراسته في مدارس ومعاهد في سوريا، انتقل إلى جامعة القديس يوسف ببيروت حيث تخرج على يد الآباء اليسوعيين. رسم كاهنا عام ١٩٣٨ وزاول التعليم في مدارس عديدة والقاء المحاضرات في الاخويات والتجمعات الشبابية.

ألف وترجم عدداً من الكتب القيمة في الدين والادب والتراث الشعبي -وله فيه كتاب حظي بتكريم حلب له باعتباره احد المبدعين في الفكر والثقافة. ولعل ابرز ما تركه الاب قوشاقجي: ترجمة جديدة للعهد الجديد صدرت عام ١٩٦٩، عن دار المشرق، بمشاركة الاب صبحي حموي ومراجعة الاستاذ بطرس البستاني.

رقد في حلب عام ١٩٩٥.

كانت له ٣ مساهمات نشبت اولاها:

★ الاب تيار دي شاردان / ملف	ايار ١٩٧١
- المسيحية والحضارات	ايلول ١٩٧١
- حوار مع فرانسواز ساغان	ت٢ ١٩٧٤

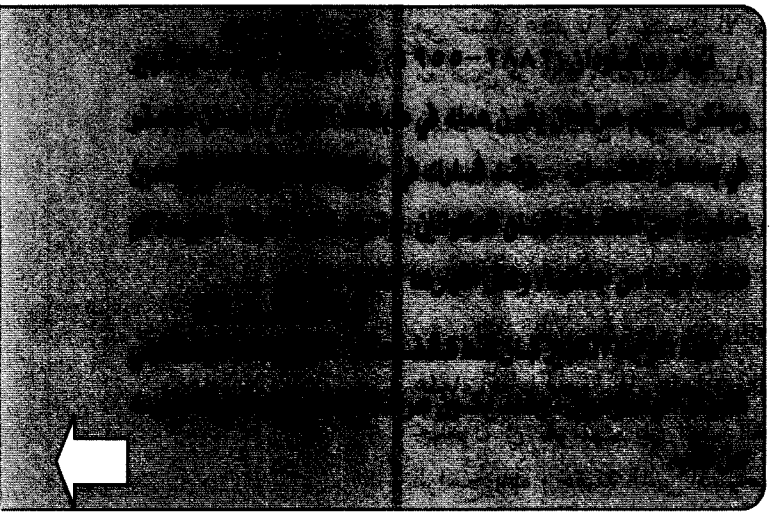

زعم الكاتب الفرنسي أوغست كونت، في القرن الماضي، ان ثلاث حالات تعاقبت على الجماعات الانسانية في الغرب، على مر العصور: اللاهوتية والميتافيزية والواقعية. وكان الناس، في الحالة الاولى، يفسرون ما يحدث في الدنيا تفسيراً لاهوتياً، فينسبون الى القدرة الالهية جميع ما يجري للانسان وسائر الكائنات. ثم تحرر الانسان من أوهام الدين وانتقل الى حالته الثانية وهي الحالة الميتافيزية، فانصرف الى الفلسفة واخذ يعتمد ذهنَه وعقله للكشف عن اسرار حياته وحل الغاز الوجود وماجريات الامور. ثم انتقل الى الحالة الثالثة، وهي الواقعية والطريقة العلمية الحديثة التي لا تؤمن بالعلة والمعلول ولا بالمسبِّب والمسبَّب، بل تقصر جهدها، على البحث في ما يدركه الحس ويكشف عنه الاختبار. وتنبأ أوغست كونت انه لا تمضي بضع سنوات حتى يزول الايمان بالله ويتلاشى كل دين، ولا يبقى الا دين البحث العلمي. فكل ما تطلع الى ما وراء الطبيعة، في رأيه، أمر باطل لا يجدي نفعاً، ومما لا شك فيه هو ان كثيراً من علماء عصرنا لا يهتمون الا بالبحث في امور الدنيا، معرضين عن الله والعقائد الدينية؛ فيهم من ينادي بالالحاد التام، وينكر وجود كائن اسمى من الانسان، وفيهم من هو أكثر اعتدالاً يقول: قد يكون هناك اله، ولكن لا استطيع ان اعرفه ولا ان اتصل به، فلست اؤمن بوجوده ولست انفيه. ذلك مبدأ اللاأدرية.

ولكن نحمد الله على ان هناك أيضاً، في القرن العشرين، علماء كباراً ليسوا أقل علماً من العلماء الملحدين أو اللاأدريين، يجمعون في نفوسهم بين العلم الغزير بامور الدنيا والايمان الراسخ بالله وحقيقة الدين المسيحي، من غير ان يسيء علمهم

الى دينهم أو دينهم الى علمهم؛ فايمانهم بالله يشد ازر علمهم، وعلمهم يشد ازر دينهم، ومن أعظم هؤلاء الاب اليسوعي تيارده شاردان.

ولد عام ١٨٨١ في الناحية الوسطى من فرنسا التي يقال لها l'Auvergne والتي انجبت، في القرن السابع عشر، العالم الكبير والمفكر المسيحي بليز باسكال. كان ابواه من أهل التقى والصلاح، رزقا أحد عشر ولداً، ترهب من بينهم بيير الذي نتحدث عنه، وشقيقة له انضمت الى اخيات الفقراء، وماتت سنة ١٩١١ بداء الجدري في الصين، وهي تخدم الشيوخ والعجائز. وكان أبوه يملك مساحة واسعة من الارض يقوم بزراعتها أحسن قيام ويعامل فلاحيه أحسن معاملة، فيحسبهم من أعضاء اسرته، ويدعوهم كل يوم الى الاشتراك في الصلاة معه ومع زوجته وأولاده. وكان يقضي أوقات فراغه في درس الخطوط القديمة وجمع الفراشات والنباتات وتصنيفها، فنشأ بيير، على ما كان أبوه، مولعاً بالعلم، شديد التعلق باهداب الدين. غير أنه آثر علم الحجارة والصخور على علم الحيوانات والنباتات.

ولما شب، دخل مدرسة الآباء اليسوعيين، فقال فيه أحد معلميه الاب هنري بريمون الكاتب الفرنسي الشهير: "كان حاد الذكاء، ينال اول المراتب في جميع المواضيع. ومع ذلك كان هادئاً جداً لا يأتي بأية حركة في اثناء الدرس، كأنه لا يبالي بما يجري حوله". ولما حصل على شهادة البكالوريا، دخل الرهبانية اليسوعية وهو في الثامنة عشرة من عمره، ودرس الفلسفة مدة ثلاث سنوات في جزيرة جرسي الانكليزية في عرض بحر المانش، تجاه الشاطيء الفرنسي. ذلك بأن وزارة كومب الاثيمة اضطهدت الكنيسة ونفت اليسوعيين من فرنسا، فاضطروا الى نقل معهدهم الى تلك الجزيرة. ثم ذهب الراهب الشاب الى مصر، فبقي فيها ثلاث سنوات من عام ١٩٠٥ الى عام ١٩٠٨، يعلم فيها الكيمياء والفيزياء. ذكر في بعض مؤلفاته، فيما بعد، انه اعجب ببلاد الشرق، نورها ونباتها وحيوانها وصحاريها. وبلغ بعض الشبان الذين كانوا تلاميذه مناصب عالية في عالمي الادب العربي والسياسة. ثم درس علم اللاهوت مدة أربع سنوات في انكلترا، فكان طوال أيام تحصيله العلوم وتدريسه في مصر عاكفاً على العلوم الجيولوجية. والتقى في انكلترا بعالم من علماء الجيولوجية في المتحف البريطاني، فمال الى ذلك العلم واختاره لنفسه. وقامت الحرب العالمية الاولى، فلبث أربع سنوات في الجبهة يؤدي واجبه العسكري في خدمة الجرحى، ويعرّض حياته مراراً لاشد الاخطار، لينقلهم من الخطوط الامامية الى اماكن الاسعاف والمستشفيات، وكان في الوقت عينه يفكر ملياً في مصير الانسان ومعنى الحياة وصلة الدنيا بالله عز وجل.

آمن الأب تيار بالمادة وآمن بالله أيضاً، ورأى ان ليس من تناقض بين البحث في علوم المادة من جهة، والايمان بالروح من جهة اخرى، وحاول ان يوفق بين الامرين توفيقاً يرضي علماء المادة والمؤمنين بالله، على حد سواء، من غير ان يخرج عن جادة الحقيقة والصواب. ذلك كان هدف حياته كلها الى ان توفي وهو في الرابعة والسبعين من عمره، بعد أن طاف في مختلف أقطار العالم وتوغل بعيداً في ما يظهر للعيان من آثار المادة والحياة، بعد ملايين من السنين الغابرة. نال سنة ١٩٢٠ لقب دكتور في العلوم، وسمي استاذاً لعلم الجيولوجيا في الجامعة الكاثوليكية في باريس. ثم رافق رحلة علمية الى الصين سنة ١٩٢٣ وذهب سنة ١٩٢٨ الى البحر الاحمر للتنقيب العلمي، وقضى أكثر حياته فيما بعد، حتى آخر الحرب العالمية الثانية، في الصين، لا يبرحها الا لجولات علمية في افريقيا وعدة بلاد آسيوية، كبورما والهند وجزيرة جاوا.

وكان يعود الى اوربا حيناً بعد حين للاتصال بكبار العلماء، لاطلاعهم على نتائج بحثه. وزار الولايات المتحدة قبل الحرب الاخيرة، وعاد اليها فاستقر في مدينة نيويورك عام ١٩٥٠، وتوفي فيها صباح عيد الفصح المجيد الموافق ١٠ نيسان سنة ١٩٥٥، على اثر نوبة قلبية. وكان في شهر آذار، قد قال لما انتابه المرض للمرة الاولى: "أود ان أموت يوم عيد القيامة".

وما يدل على مكانة هذا الكاهن العلمية، انه انتخب سنة ١٩٥٠ عضواً في المجمع الفرنسي للعلوم، ودعي مراراً عديدة لالقاء المحاضرات العلمية في اشهر الجامعات في فرنسا وبلجيكا وانكلترا والولايات المتحدة، فكان موضع اعجاب أشهر علماء عصرنا. ومن أشهر اعماله مساهمته، في رحلته الثانية الى الصين، للتنقيب عن بقايا الانسان القديم؛ فاكتشف، مع البعثة العلمية سنة ١٩٢٩، جمجمة قديمة لاقدم انسان صيني عرف، فاستدل من تلك الجمجمة على حقائق علمية مفيدة.

مؤلفاته

ترك الاب تيار ده شاردان مؤلفات كثيرة لم يطبع منها، في ايام حياته، الا بعض المقالات العلمية البحتة. ذلك بان رؤساءه استغربوا بعض آرائه الجريئة في مسألة التطور وعلاقات المادة بالروح، ورأوا فيها خطراً على الايمان السليم بالله والوحي، فلم يأذنوا له بنشر مؤلفاته الكبرى. فكان يتألم ألماً شديداً في نفسه من هذه المعاملة، ولكنه كان يتقبل تلك المحنة بروح الوداعة والصبر الجميل، لأنه كان راهباً مثالياً يجعل التواضع فوق كل شيء، ويرى في الخضوع لأوامر رؤسائه الخضوع لمشيئة الله. لم يشقّ عصا الطاعة و لم يستكبر في نفسه بانه عالم كبير، أكثر علماً من رؤسائه

أنفسهم، بل ترك للعناية الربانية ان تسيّر الامور كما تشاء. فكان له، بعد مماته، ما لم يحظ به في أيام حياته.

فما ان توفي حتى تألفت عدة لجان برئاسة الاسرة المالكة في بلجيكا، ضمّت اناساً من كبار العلماء والمفكرين والفلاسفة، فأخذت تنشر كتبه النفيسة في أمور العلم والفكر والدين وعلاقات المادة بالروح؛ ولاقت تلك المنشورات اقبالاً عظيماً، وترجمت الى مختلف اللغات. حسبي ان اقول للقارئ ان عدد النسخ لاول كتبه *"Phénomène humain"* -وموضوعه كيف تطور الانسان وظهر على ما هو عليه الآن- زاد في بضع سنوات على مائة الف بالفرنسية وحدها. ومن غريب الامر ان هذا الراهب اليسوعي الفرنسي الذي مات في نيويورك، بعيداً من بلده، خامل الذكر لا يعرفه الا أهل الاختصاص، أصبح من المؤلفين الذين يقرأ كتبهم كثير من المؤمنين بالله على اختلاف اديانهم ومذاهبهم، فضلاً عن كثير من علماء الدنيا الملحدين ومن المثقفين الذين يرغبون في معرفة صلة المادة بالروح، سواء كانوا يعتقدون بوجود الله أم ينكرونه.

ويطول بي الكلام اذا حاولت ان اذكر عناوين الكتب التي وضعت بمختلف اللغات الكبرى في شرح آراء الاب تيار ده شاردان في كل موضوع من امور العلم والايمان. ناقش اراءه اناس كاثوليك وبروتستانت ولادينيون، من علماء لاهوت وفلاسفة وأهل الفكر والصحافة، وخصته المجلات الاسبوعية الكبرى مثل "باريس ماتش" الفرنسية و "تايم" و "لايف" الاميريكيتين بمقالات طويلة، لكي تُطلع قراءها على خلاصة بنات فكره، وأهم كتبه.

موجز آرائه

من العسير جداً تلخيص آراء الاب تيار ده شاردان في مقال واحد، ايا كان طوله، فاكتفي بذكر بعض مبادئه:

١. العلم يبحث في ما يدركه الحس فحسب، ولكن يجب على العالم ان يحيط به من جميع نواحيه، فمن الخطأ أن يقصر بحثه على ظاهر الامور. ان العلم لا يكفي ان يكون هدف الحياة الاوحد، بل يجب عليه ان يتعداه الى التفكر فيما وراء ما توصل الى معرفته.

ولذلك جعل الاب تيار غاية حياته ان يكشف كشفاً افضل عن الله في العالم؛ فالمادة شيء جيد، صالح بل مقدس، لانها من صنع الله. وعندما يبحث الانسان

في مقوماتها وقواها، فانه يبحث في ما جعله الله فيها من نظام وترتيب. ففي المادة أيضاً شيء من الروح، والعالِم يحلل اجزاءها في المرحلة الاولى من علمه، ثم يجب عليه ان يعود فيجمع ما اطلع عليه من اسرارها، لكي ينظر الى نتيجة بحثه نظرة عامة شاملة، والا فانه يكون قد فتّت المادة من غير ان يدرك خير ما فيها. فلا بد، من بعد البحث العلمي، التفكر في العلم نفسه. فالعلم يمهد السبيل للفلسفة. كتب في أحدى رسائله: لا يعقل ان يفصل بين العلم والفلسفة هاوية من الغموض، ان مثل هذه الهوة أمر غير معقول وخطر. يجب ان نقيم جسراً بين العلم والفلسفة.

٢. كان الاب تيار يؤمن بمبدأ التطور وارتقاء الحياة من الحالات البدائية البسيطة الى الحالات المركّبة المتقدمة. فالكائنات الحية ابتدأت بسيطة قبل ملايين بل مئات الملايين من السنين، ثم أخذت تتطور وتتقدم وتتفرع، من الجراثيم الصغيرة جداً الى النباتات، فالى الحيوانات على اختلاف انواعها واجناسها، حتى آن للنوع الانساني ان يظهر. وما يتبع يحفظ في نفسه جميع ما سبقه من رقي ويزيد عليه رقياً جديداً ويسير الى الامام الى حالة أفضل، ولم ينته التطور، بل هو مستمر دائماً، متجه الى ما هو أكمل وأفضل، وغايته نقطة اوميكا (وهو آخر حرف من الابجدية اليونانية ورمز الكمال الالهي في رؤيا القديس يوحنا).

٣. "أزمة عالمنا أزمة روحية"، لأن العلم اراد ان يكتفي بنفسه ولا ينظر الى ما هو اعمق وابعد من المادة، فجرد المادة من كل روح. وقد حاول الاب تيار ان يكشف لعلماء عصرنا ولمن تأثروا من الذهنية العلمية الصرفة عن "سر الاشياء الاكبر، وينبوعه الاول" من خلال البحث العلمي. اراد ان يقول للعلماء ان الله ليس الكائن المتعالي في السماء فحسب، بل هو الله الذي تتجه نحوه الكائنات في ارتقائها من الناقص الى الافضل. ليس الله أوجد الكائنات فحسب، بل هو الذي تتجه نحوه الكائنات في سيرها نحو الكمال. ومما كتبه: "أومن بان العالم هو تطور، وأومن بأن التطور يسير نحو الروح، وأومن بان الروح يبلغ حد كماله في شخص، وأومن بان الشخص السامي هو المسيح الشامل".

٤. ان العلم الحديث لا يبتغي التأمل ولا المعرفة بقوى العقل فحسب، بل التسلط على الطبيعة وقواها لبناء المستقبل. ان الاب تيار يوافق على ذلك موافقة تامة ويقول ان ما يبغيه العلم الحديث من هذا الهدف يلائم امر الله تعالى الذي خلق الدنيا لخير الانسان. جاء في بعض كتبه: "عندما اعمل...انضم الى قدرة الله الخلاقة، واتفق واياها، ولا اصبح آلة لها فحسب بل امتدادها الحي".

٥. يجب على المسيحي ان يحب العالم ويساهم في بنائه بالعلم والعمل، ومن الخطأ ان يكره العالم: فان الله احب العالم، وبلغ في حبه له انه أرسل ابنه ليخلص العالم. فالذين يدعون الى كره العالم، يخالفون مشيئة الاب السماوي. كتب الاب تيار ده شاردان:"إن العالم لن يهتدي الى آمال المسيحية، الا اذا اهتدت أولاً الى آمال الارض لتؤلّهها".

٦. ان مذهب الاب تيار ده شاردان هو احسن تفنيد لما زعمه أوغست كونت وذكرناه في أول مقالنا، فطريقة البحث العلمي لا تغني عن الفلسفة والايمان بالله، بل لا بد لعالم جدير بهذا الاسم ان يرتقي من العلم الى اعمال الفكر، فيما هو اسمى من العلم، ساعياً الى معرفة من اين يأتي عقل الانسان ومن أين هذا التوافق بين عقل الانسان وما يكتشفه من اسرار المادة.

الاصل الجامع هو الروح، روح الله الذي يسيّر الكائنات من جهة، ويعطي الانسان قدرة على معرفة أسرار الوجود من جهة أخرى. والله لم يكشف لنا عن وجوده بالعقل والخليقة فحسب، بل كلمنا بالسيد المسيح: في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله والكلمة هو الله، والكلمة صار جسداً، وهو البداية والنهاية.

فلا بد لعالمنا من البحث العلمي والفلسفة والايمان معاً، فلا علم بلا ايمان، ولا ايمان بغير علم، ولا فلسفة بغير علم أو ايمان. العالِم الافضل هو العالِم الذي يتعاون فيه البحث العلمي والبحث الفلسفي والايمان الراسخ. اذا لم يكن في العالم سوى العلم، تعرض الانسان لاشد الاخطار، لان العلم وحده لا يكفي، كما قال الاب تيار. وقال الفيلسوف الفرنسي برغسون: "ان جسد الانسان اتسع بالعلم، فلا بد له من مزيد من الروح، وإلا فلا يُستَبعد ان يكون العلم وحده لدمار الانسان، بدلاً من أن يكون لسعادته.

الاب بهنام كجو ١٩٣٤-١٩٩٨

ولد في بغداد في ١٩٣٤/١١/٣ ونشأ في برطلة. بعد الابتدائية، دخل معهد مار يوحنا الحبيب عام ١٩٤٧ وتخرج فيه كاهنا في ١٩٥٨/٦/٨ مع زميله الاب جبرائيل جبوري، من برطلة ايضا.

أُوفد بعد رسامته لدراسة الحق القانوني في روما، وعاد إلى العراق عام ١٩٦١، قبل حصوله على شهادة الدكتوراه، ليصبح امين سر المطران عمانوئيل بني وكاهن رعية في كنيسة الطاهرة. وفي عام ١٩٧٤ عاد إلى روما لفترة قصيرة قدّم خلالها اطروحة الدكتوراه.

إلى جانب مهامه في المطرانية السريانية، تعيّن قاضيا لسنوات عدة في المحكمة الكنسية بالموصل.

ألمّ به مرض عضال أودى بحياته في ١٩٩٨/١/٢٠ ودفن في برطلة.

كانت له ٧ مساهمات، فضلاً عن عدد في "السلسلة" (رقم ١٣ لعام ١٩٦٥: نبيحة القداس:

- الاب شربل مخلوف — ت٢ ١٩٧٧
- البابا - المفاجأة — ت١ ١٩٧٨
- ● الحصاد كثير، اما الفعلة فقليلون/ انجيل — حزيران ١٩٧٩
- ● مفهوم الكهنوت في الكنيسة الاولى/ عدد خاص — ايلول ١٩٧٩
- ★ الام تيريزا، المرأة-المعجزة — ك٢ ١٩٨٠
- من وحي المعركة — شباط ١٩٨٢
- ● بعض المحرمات/ س. ج. — نيسان ١٩٨٥

قد تكون جائزة نوبل للسلام (١٩٧٩) آخر ما تسلّمته الام تيريزا في حياتها... اما جائزتها الكبرى، فكانت اعلان قداستها، بعد وفاتها عام ١٩٩٧، بسنوات قليلة!

كانت الفكر المسيحي عام ١٩٨٠ قد خصتها بمقال بقلم الاب بهنام كجو كشف عن هذا الوجه الذي يقرأ فيه الجميع حبا واحتراما وتضامنا ومشاركة في بؤس الانسان وشقائه، ولا سيما الانسان الفقير والمهمل والمهمّش والمنبوذ... انها بحق المرأة-المعجزة التي كانت تقول: "ابدأ بالاهتمام بشخص واحد، وإن استطعت ابدأ بثانٍ... لاني لو كنت انظر إلى جموع المتألمين، لما بدأت عملي ابدا! وللام تيريزا في العراق اخوات جاءت بهن اثر زيارتها لبغداد عام ١٩٩١.

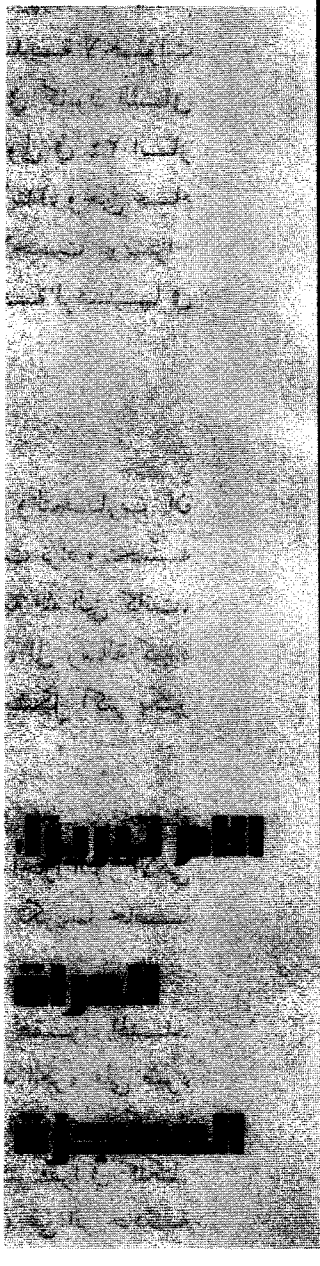

جائز نوبل للسلام هي اخر ما تسلمته الام تيريزا من كلكتا، بعد جائزة بادما شري الهندية (١٩٦٣) وجائزة يوحنا ٢٣ للسلام (١٩٧١) وجائزة نهرو (١٩٧٣) ومدالية منظمة الغذاء الدولية (١٩٧٥) وجائزة بالزان للسلام (١٩٧٨) -وقد تسلمتها وقدرها ١٩٢٠٠٠ دولار، بالاضافة الى ٧٠٠٠ دولار -ثمن تكاليف المأدبة التي رفضتها- و ٧٠٠٠٠ الف دولار اخرى قدمها لها الشعب النرويجي، وهي تقول: اتقبل الجوائز بصفتها اكراما للفقراء ولا فقر الفقراء!

"انه ليس بحاجة الى عطفنا.. انه بحاجة الى تفهمنا وحبنا واحترامنا"! قالتها الام تيريزا في اوسلو (النرويج) في ١٠ ك١، لدى تسلمها جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧٩، وهي تتكلم عن الشعب الفقير الذي لا يهمه بؤسه بقدر ما تهمه كرامته التي لا تقوم على ما ملكت يداه.

هذه المرأة – المعجزة التي كانت تقول: "ابدأ بالاهتمام بشخص واحد، وإن استطعت أبداً بثان... لاني لو كنت انظر الى جموع المتألمين لما بدأت عملي ابدا"!

امرأة مغمورة ومجهولة، عاشت مختفية الى جانب الفقر والمرض والموت، وفجأة تتناقل الاذاعات ووسائل الاعلام اسمها مقترنا بجائزة نوبل للسلام. ليست شخصية سياسية بارعة، ولا زعيمة بلد لامعة، ولا رئيسة منظمة رائدة.. ولكن لا، مهلا، انها زعيمة فعلا، انها ملكة من نوع جديد، ومملكتها ايضا من طراز خاص: انها راهبة بسيطة ومملكتها هي جماهير الفقراء والمعذبين والمنبوذين في المجتمعات البشرية دونما تمييز بين نظمها. هذه الراهبة تشكل ظاهرة مدهشة لاسمى معاني البذل والعطاء، وتقدم لنا نموذجا رائعا للحب والحنان اللذين يغمران روحها الانسانية الكبيرة الشفافة، ازاء الفئات البشرية المحرومة: انها الام تيريزا.

من هي الام تيريزا؟

ألبانية الاصل، يوغسلافية المولد، وهندية الجنسية! ولدت اغنيسة غونشا بوياكيو في بلدة سكوبي في يوغسلافيا في ٢٧ آب ١٩١٠. ولما بلغت سن الثامنة عشرة، قررت ان تصير راهبة، تلبية للنداء الداخلي الذي كان يراودها منذ نعومة اظفارها ويدعوها الى تكريس حياتها للرب. ولطالما حلمت برهبنة تستطيع فيها ان تقدم خدمتها لشعب الهند؛ وقد قادها ذلك الى الانتماء الى الرهبنة الايرلندية لاخوات سيدة لوريتا. وبعد ستة اشهر قضتها في ايرلندا كراغبة، التحقت في كانون الثاني ١٩٢٩ بدير الابتداء في مدينة كلكتا حيث جاهرت بنذورها الاولى في ٢٤ ايار ١٩٣١، واعلنت نذورها المؤبدة في ٢٤ ايار ١٩٣٧. ومنذ فترة الابتداء وحتى عام ١٩٤٨ عملت الاخت اغنيسة -وقد اصبحت تدعى في الدير بالاخت تيريزا- في حقل التعليم والادارة في المؤسسات التعليمية والمدارس التابعة لرهبنتها في مدينة كلكتا.

تحول جذري: يوم الالهام

عشرون عاما من التعليم، كانت، للاخت تيريزا، غنية بالخبرة والتجارب. ان نفسها الطموح الى خدمة الهند تفاعلت مع الواقع اليومي الذي كانت تراه وتتحسّسه وتعيشه وسط المجتمع الهندي في مختلف طبقاته. اضف الى ذلك نعمة الله التي كانت، مثل الخميرة، تعمل عملها داخل الاخت تيريزا وتهيؤها، شيئا فشيئا، الى رسالة كبيرة تتجاوب مع امالها الكبيرة وطموحاتها الواسعة في الخدمة والبذل، بشكل اكثر بكثير من رسالة التعليم.

وكان يوم ١٠ ايلول ١٩٤٨ يوما فاصلا ومنعطفا بالغ الاثر في مجرى حياة الاخت تيريزا. فقد سمّته هي بنفسها "يوم الالهام"، لانها فيه تلقت اخيرا النور الالهي الذي اضاء لها طريقها الجديدة في الحياة، ودعاها الى تكريس ذاتها تكريسا خاصا وكليا لخدمة افقر الفقراء من الناس!

وبعد هذا التاريخ، لازمت الاخت تيريزا فكرة عمل شيء ما لفقراء الهند. وكانت هذه الفكرة تختمر في داخلها وتترسخ في قناعتها، يوما بعد اخر، على ضوء ما كانت تراه حولها من مشاهد البؤس والشقاء. وفي عام ١٩٤٨ تبلورت الفكرة وتجسدت في مشروع انشاء رهبنة جديدة مكرسة لخدمة الناس الاكثر فقرا في كلكتا. واخذت الاخت تيريزا قرارا لا عودة فيه على تاسيس رهبنتها هذه، عى اثر حادثة

وقعت امامها في عام ١٩٤٨ واحدثت في نفسها تاثيرا عميقا: ففي احدى جولاتها في مدينة كلكتا، وفي الاحياء الفقيرة منها، وقع نظرها على امرأة مريضة متروكة امام باب احد المستشفيات، وقد اتت الجرذ والنمل على نصف جسمها، ولا من معين. لازمتها الاخت تيريزا وعنيت بها مثلما تعنى الام بولدها، الى ان فارقت الحياة.

بعد هذه الحادثة، لم يعد هناك مجال للتردد امام الاخت تيريزا، فقررت العمل فورا. كتبت الى روما تطلب السماح لها بترك رهبنتها، تلبية لنداء دعوتها الجديدة في خدمة الفقراء والعناية بالمحرومين، وكان لها ما ارادت. ففي ٨ آب ١٩٤٨ تلقت من روما الاذن بالانفكاك من جمعية راهبات سيدة لوريتا، وبتكريس ذاتها لرسالتها بين الفقراء. كيف؟ اين؟ مع من؟ وباية وسائل؟... اسئلة لم تفكر فيها الاخت تيريزا. البداية كانت ، كما يبدو واضحا، من الصفر، لكن نسبة ايمانها بالعناية الالهية كانت مرتفعة جدا؛ وفي غضون ذلك اكبّت على تلقي دروس مكثفة وسريعة في امور الطب والتمريض.

مغامرة... واية مغامرة؟

مارست الام تيريزا رسالتها الجديدة في ضواحي كلكتا، في الهواء الطلق، في الحدائق العامة، في شوارع المدينة وارصفتها، تقدم العلاج والرعاية والطعام لاي محتاج. وهكذا اتخذت بنفسها هوية جديدة هي هوية الفقر والالم، كي تقوى على مكافحتهما، بحب غير متناه وتفان غير محدود.

وبدأت المغامرة وحدها، وبدون شيء. لكن سرعان ما ارسلت لها العناية الالهية التي وضعت فيها كل ثقتها، النجدات السريعة والمختلفة في الاشخاص والمعونات. ولقد روى احد رفاقها ومحسنيها الاوائل يقول: "في احد الايام، راينا رجلا ينازع على حافة الشارع بجوار مستشفى. هرعت الام تيريزا الى المستشفى محتجة على ادارتها، وكل ما حصلت عليه، هو انها علمت ان الادارة لم تستطع ادخال ذلك المريض! ولما قصدنا مسرعين احدى الصيدليات لشراء بعض الدواء لذلك المنبوذ، كان الوقت قد فات. فلما عدنا، كان قد فارق الحياة وحده"! ويردف المحسن ان الام تيريزا حزّ في نفسها كثيرا ان ترى انساناً يموت هكذا، فلم تقو على كبت احتجاجها: "ترى، هل كان الناس يقبلون بموت كلبهم او قطتهم على هذا النحو؟".

الام تيريزا.. امل المنبوذين

كانت رؤيتها لالاف الكائنات البشرية المعذبة والمتروكة تزيدها عنادا وتصميما وحيوية. فراحت تعمل بلا هوادة في اتجاهين: تحتج على ادارة المستشفيات من جهة،

ومن جهة ثانية، ترهق دوائر الشرطة في مراجعاتها لتجد لها مكانا تجعله ماوى لمن يفترسهم الموت في العراء، تحت المطر، بدون رعاية وحنان.

واخيرا خصصت لها السلطات الرسمية جناحا قديما من معبد الإلاهة كالي ليكون نواة لمشروعها الكبير، فكان اول دار للمدنفين! كانت الشرطة، كل صباح تاتي اليها بمن لم يتمكن من مغادرة الارصفة، بالمنازعين والمصابين بحميات شديدة، دونما تمييز في العرق او الدين... انهم هنا على الاقل بخير، يلقون حسن الاستقبال، يحاطون بالعناية والحب، فيسترجعون قليلا من كرامتهم الانسانية ويموتون بحشمة ولياقة: "لقد عاشوا كالبهائم، فليموتوا هنا على الاقل ككائنات بشرية".

ووجهت الام تيريزا اهتمامها الى البرص الذين كان يزيد عددهم على الخمسين الفا في منطقة كلكتا. فمن عربات اسعاف جاد بها عليها محسنون، جعلت مستوصفات متحركة تجول مناطق الاكواخ الحقيرة حيث يجثم الاف البرص. وبعد مدة، اسست لعائلات البرص "مدينة السلام" وفرت فيها المستوصفات والمدارس، مما اعاد الاطمئنان الى هؤلاء المساكين، فاستقروا وانقطعوا عن الاستجداء.

ومن غرائب الامور ان هذه الانسانة الكبيرة، لم تسلم من معاكسات رهبان المعبد، ولا من ملاحقات رجال السياسة. ويذكر ان احد السياسيين وعد اتباعه بالعمل على طرد الام تيريزا. وقصد دار المدنفين ليعثر على مأخذ ضدها، لكنه حين غادر المكان اعلن لرجاله: "اوافق على طرد الام تيريزا، بشرط ان تأخذ امهاتكم واخواتكم مكان هؤلاء الراهبات ويؤدين ما يؤدينه، وبالحب نفسه"!

كما يروي عن احد كهنة معبد كالي انه تبع يوما الام تيريزا في زيارتها الصباحية للمدنفين، وفي نهاية الزيارة، ركع الراهب البراهميني عند قدميها قائلا: "منذ ٣٠ عاما وانا اخدم الإلاهة كالي في المعبد. واليوم ارى امامي الإلاهة —الام في شكل انسان"!

مرسلات المحبة

— في ١٩ اذار ١٩٤٩، لحقت بالام تيريزا احدى طالباتها الاوليات في كلكتا، فكانت باكورة العاملات اللواتي احسسن بالدعوة الى العمل في مشروعها الانساني الكبير، ومن ثم توالت الدعوات. فاسست الام تيريزا في كلكتا، في ٧ تشرين الاول ١٩٥٠، رهبنة مرسلات المحبة. ولما توسع مشروعها، انشأت رهبنة مرسلي المحبة. وما يميز هاتين الرهبنتين هو اضافة نذر رابع الى النذور الثلاثة التقليدية: تكريس الذات مدى الحياة لافقر الفقراء بشكل كلي، بدون قبول اية مكافأة مادية مطلقا. وتعد الاثنتان نحو ٢٠٠٠ عضو، يعاونهم ما يقرب من ٨٠ الف متطوع ومحسن..

وسرعان ما امتدت مؤسسات الام تيريزا الى حـــوالي ١٥٠ بلـــدا في مختلـــف القارات.

ثورة هادئة وشهادة حب

اذا كان مشروع الام تيريزا قد لاقى تجاوبا عالميا واسعا، فلأنه فرض نفسه عالميا كثورة حقيقية، وإن مسالمة، على الانانيات الفردية والجماعية؛ وهذا التعبير هو مـــن الام تيريزا نفسها: "ان يجعل الواحد نفسه فقيرا مع الفقراء في فقرهم، فتلك ثـــورة واكبر ثورة"! ولقد قالت يوما: "على مدى ٢٠ عاما من العمل على توفير العـــيش الكريم للناس -دونما تمييز في الطبقة والمعتقد والجماعة- خرجت بهذه النتيجـــة: ان يكون الفرد متروكا ومنبوذا، فذلك اسوأ ما يختبره كائن بشري".

ان عمل الام تيريزا ثورة، لانه شهادة على الحب الاقصى للاخـــرين. فهـــو لا يقتصر على مجرد ايواء المتشرد او اطعام الجائع.. بل هو احياء القيمة الانسانية فيـــه وانعاش كرامته البشرية التي سحقها الظلم والمرض والجوع والنبذ... هذه السلوكية الرفيعة هي الميزة الاساسية لعمل الام تيريزا، كما ردت هي يوماً حين سئلت عـــن هدفها في الحياة: "ان اعطي الحب لغير المحبوبين، واقدّم المأوى والحنان للمنبوذين".

وفي رؤيتها للاوضاع العالمية وتطلعاتها المستقبلية، تبقى الام تيريزا متفائلة: "نعم هناك حل للمشاكل الحالية وهو: تبادل الحب. هنا، وبفضل الشهادة التي نعطيهـــا، كثير من الهنود اكتشفوا ما هو حقا حب القريب. ولو اعطى جميع المسيحيين الشهادة ذاتها، لاختفت جملة من المشاكل، وبالاخص مشكلة الجوع".

هذه هي الام تيريزا: فقيرة بين الفقراء، جائعة مع الجياع، وصديقة المنبوذين... عملها معجزة دائمة، محبة متجسدة، صرخة إيمان حية بالله وبالانسان. ورنين هـــذه الصرخة يلقى، في كل مكان وفي كل انسان، صدى باطنيا اكيدا للمعنى الروحـــي والانساني للحياة، كما ان هذا الرنين يتجاوب مع الرغبة العالمية الحالية العارمـــة في المزيد من التضامن العالمي والاخوة الشاملة، دونما حدود وبلا استثناءات.

بتـــول سلـيمـان ١٩٢١-١٩٨٩

ولـــدت في الموصـــل في ١٩٢١/١١/٤. تخرجـــت في دار المعلمات في بغداد. تعينت أولاً في اربيل وانتقلت مـــن ثم إلى الموصل، وكانـــت آخـــر مدرسة عملت فيهـــا، الفتـــوة النموذجية، قبل احالتها علـــى التقاعد عام ١٩٦٩ بـــسبب المرض.

عملت سكرتيرة في جمعية حماية الاطفال منـــذ تاسيـــسها وحتى إغلاقها.

لها مقالات في العـــادات والتقاليد الشعبية لمدينة الموصل نـــشرت في مجلـــة "التـــراث الشعبي" (بغداد) ومجلة غرفـــة تجارة الموصل. كما لها كتابان لم يُبصرا النـــور، احـــدهما عـــن الموصل ومكوّناتهـــا ومعالمهـــا الاثرية والدينية، والآخر عـــن اربيـــل ومناطقهـــا الاثريـــة والسياحية...

توفيـــت في الموصـــل في ١٩٨٩/١٠/٣٠

كانت لها ٤ مساهمات نشبت آخرها:

- المطران كبوجي	ايار ١٩٧٦
- الحملة الوطنية لمحو الامية	حزيران ١٩٧٨
- في سبيل الأمل والكرامة	آب/ ايلول ١٩٨١
*الصليب يعانق الهلال	حزيران/ تموز ١٩٨٢

جملت المقدمة التي تصدّرت المقال في حينه هذه الكلمات: "...كل الحروب، عبر التاريخ البشري، برهنت على عقم ذاك المنطق القائل: إن كنت تريد السلام، فاستعد للحرب! ومهما كانت الدوافع إلى الحرب "مشروعة"، إلاّ انها لا تتم دون تضحيات، وبعضها لا يعوّض".

جاء هذا المقال في غضون الحرب العراقية – الايرانية ليبتكّر بمنظمة الصليب الاحمر الدولية – وترجع نشأتها إلى المونسنيور هنري دونانت – ومساعيها الانسانية ابان الحروب، مع شقيقتها العراقية جمعية الهلال الاحمر، وكان لها دور فاعل ابان الحرب مع ايران، وما خلفته من اسرى وشهداء، فضلاً عن دمار وويلات لا طائل تحتها.

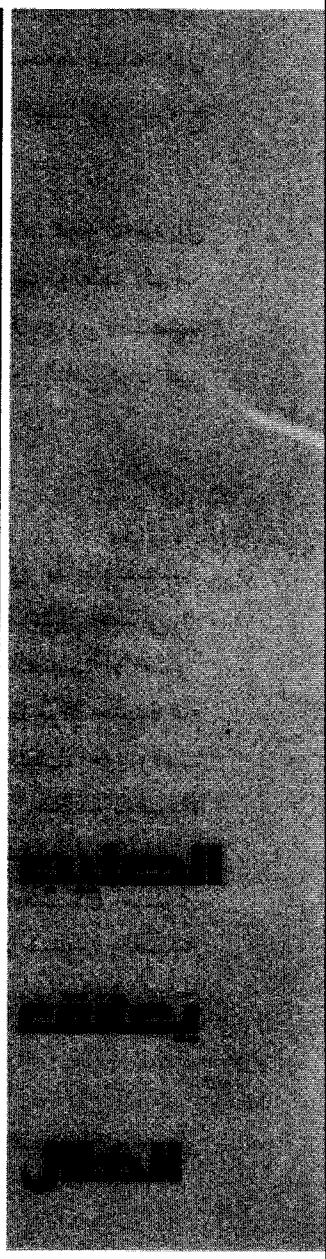

لا يخفى ما تخلّفه الحرب، كل حرب، من ويلات ومآس في حياة الشعوب، وما تفرزه من آلام جسدية ونفسية تبقى آثارها عميقة... فكل الحروب، عبر التاريخ البشري، برهنت على عقم ذاك المنطق القائل: "إن كنت تريد السلام فاستعد للحرب"! ومهما كانت الدوافع إلى الحرب "مشروعة"، إلا انها لا تتم دون تضحيات.. وبعضها لا يعوّض.

من اجل التخفيف من وطأة الآلام والتضحيات التي تخلفها الحرب، ولدت منظمة الصليب الاحمر الدولية -وكان لجهود المونسنيور هنري دونانت اثر كبير في نشأتها.

انطلاقا من نظرة العراق الانسانية إلى قضية الاسرى من كلا الطرفين، اعلنت السلطات العراقية المختصة عن موافقتها على تبادل الزيارات بين عوائل الاسرى في كل من العراق وايران. وقد ابلغت بعثة اللجنة الدولية للصليب الاحمر في بغداد عن استعداد العراق لتنفيذ الفكرة باشراف الصليب الاحمر الدولي. ما هو الصليب الاحمر وكيف نشأ؟

في إعقاب حرب طاحنة...

في يوم حزيران عام ١٨٥٩، أسفرت معركة (سلفرينو) بين الفرنسيين بقيادة نابليون الثالث وبين النمساويين الذين كانوا قد احتلوا القسم الشمالي من ايطاليا، عن انتصار الفرنسيين؛ وكانت حصيلتها ١٥٠٠٠ قتيل وجريح! ومرت الايام دون ان يتمكن الجراحون من مشاهدة جميع الجرحى، وكثير منهم اسلم الروح قبل ان تمتد إليه يد الاسعاف ... في

هذه الاثناء، كان شاب سويسري (هنري دونانت)[1] في رحلة اضطرته الى اجتياز ساحة القتال، وابت نفسه الكبيرة ان يمر بأنين الجرحى وجثث القتلى مر الكرام؛ فأجّل سفره واوقف نفسه لمؤازرة الاطباء والجراحين. لقد كان هنري دونانت بلسما شافيا في تلك الساحة المليئة بالآلام، حيث انكب بمحبة وشجاعة على العناية بالجرحى من كلا الجانبين، سواء كانوا فرنسيين منتصرين، ام نمساويين منهزمين. وشاع عمله الانساني في ايطاليا الشمالية، واخذ الناس، رجالا ونساء، يأتون إلى ساحة القتال وهم يحذون حذوه. وهكذا ضرب دونانت مثلا رائعا في الروح الانسانية العالية لتخفيف الآم البشر، دون تمييز بين عدو وصديق.

لم ينس هذا الشاب السويسري ما شاهده من ألم وبؤس وشقاء. فما ان عاد إلى سويسرا حتى اصدر كتابا بعنوان (سلفرينو) كشف فيه مآسي الحرب، واظهر كم من المحبة قادرة على التخفيف من الآم البشر، لو حاول الناس جميعا ان يؤازر بعضهم بعضا، وسعوا إلى خلق جمعية تعمل على تحقيق الاخوة والتعاون بين الناس دون تمييز في لون او جنس او وطن او مذهب..

... ظهرت منظمة الصليب الاحمر

وكان لكتاب المونسنيور هنري دونانت (سلفرينو) اثر كبير في ايقاظ الضمير العالمي على الويلات التي تخلفها الحروب. ففي عام ١٨٦٤ عقد مؤتمر عالمي في جنيف وافقت فيه ١٤ دولة على عقد اتفاقية عرفت بـ "اتفاقية الصليب الاحمر" للعناية بالجرحى من الجنود. وقد عُدّلت هذه الاتفاقية وأُضيفت إليها مواد جديدة عام ١٩٠٦ في مؤتمر لاهاي (هولندا)، ومن ثم عام ١٩٢٩ في مؤتمر جنيف، حين وقعت الدول على ميثاق "اسرى الحرب". وهكذا اصبح "الصليب الاحمر" منظمة دولية، وتعتبر اللجنة الدولية للصليب الاحمر "منظمة خاصة تتألف من اعضاء يحملون الجنسية السويسرية ويقومون بمهام معينة تقع ضمن النطاق الذي يتناوله ميثاق اسرى الحرب"[٢٢]. وتشمل هذه المهام اسعاف جرحى الحرب وحماية الاسرى وتقديم شتى المعونات للمرضى المنكوبين والمعوزين، سواء كان في زمن السلم ام في ايام الحرب الطاحنة.

---

(١) ولد المونسنيور هنري دونانت في جنيف عام ١٨٢٨ ويعتبر من ابرز ملهمي منظمة الصليب الاحمر. حاز على جائزة نوبل لعام ١٩٠١، وتوفي عام ١٩١٠.

(٢) الموسوعة السياسية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر — بيروت ١٩٧٤

وشقيقتها: جمعية الهلال الاحمر

وعلى غرار جمعيات الصليب الاحمر في بلدان اوربا، انشئت جمعية الهلال الاحمر في البلدان الاسلامية لتقديم المساعدات الطبية واسعاف الجرحى والمصابين. وقامت اول جمعية للهلال الاحمر في تركيا عام ١٨٧٦ خلال الحرب بين تركيا وبلاد صربيا (يوغسلافيا). وانتسبت جمعيات الهلال الاحمر التي تاسست تباعا في البلدان العربية الى عضوية الاتحاد الدولي للصليب الاحمر عام ١٩٢٩، واصبح التصديق على اتفاقيات جنيف ومواثيقها عام ١٩٤٩، بشأن معاملة الاسرى واغاثة المنكوبين، شرطا اساسيا لانضمام جمعيات الهلال الاحمر الى منظمة الصليب الاحمر الدولي[٣]. وخلاصة الاتفاقية تقوم على نشر الرحمة بين اولئك الذين تصيبهم شظايا الحرب والآمها، بغض النظر عن جنسهم وقوميتهم وعقائدهم[٤].

ولمنظمة الصليب الاحمر الدولي علم اعتمدت فيه العلم السويسري، قوامه صليب احمر اللون على قاعدة بيضاء، وذلك اعترافا بفضل هنري دونانت السويسري. اما في البلدان الاسلامية، فقد استعيض عن الصليب بالهلال، ما عدا ايران التي اتخذت عام ١٩٧٤ الشمس والاسد بدلاً من الهلال[٥].

جمعية الهلال الاحمر العراقية

كان تأسيس اول جمعية هلال احمر عربي في مصر، إبان الحرب الايطالية-التركية عام ١٩١١. اما في العراق، فبعد قبوله عضوا في عصبة الامم، نشأت فكرة تأسيس جمعية الهلال الاحمر، حين دعا امين العاصمة (ارشد العمري)، عام ١٩٣٢، حوالي ١٥٠ شخصية عراقية للتداول. وعقدت عدة اجتماعات اسفرت عن انتخاب هيئة تأسيسية من ١٦ عضوا بينهم المرحوم يعقوب سركيس الذي كان عضوا في جمعية الهلال الاحمر في زمن الدولة العثمانية. وتشكلت لجنة تحضيرية[٦] لوضع مسودة النظام الاساسي وعرضها على الهيئة المؤسسة للمصادقة عليها. وفي اجتماع اللجنة التحضيرية بديوان امانة العاصمة، تم الاتفاق على صيغة نهائية لنظام الجمعية، بعد

(٣) نفس المصدر السابق

(٤) مجلة الهلال الاحمر العراقية: العدد الاول لعام ١٩٥٢

(٥) نفس المصدر السابق

(٦) اعضاؤها: ارشد العمري رئيسا وعضوية كل من السادة ابراهيم محمود الشابندر والدكتور ابراهيم عاكف الآلوسي والدكتور صائب شوكت والدكتور سامي سليمان.

الاطلاع على النظم الاساسية للجمعيات التركية والانكليزية والفرنسية. وفي ٢٢ شباط ١٩٣٢ اجتمعت الهيئة المؤسسة ووضعت اللمسات الاخيرة على مسودة النظام، ورفعت طلبا إلى وزارة الداخلية بالموافقة على تأسيس الجمعية، وتمت الموافقة في ٢٩ شباط ١٩٣٢ ويعتبر هذا اليوم يوم ميلاد جمعية الهلال الاحمر العراقية[٧].

لقد مر نصف قرن على ميلاد جمعية الهلال الاحمر العراقية التي لم تألل جهدا في تقديم الخدمات الانسانية الجليلة في زمن السلم كما في زمن الحرب. وهي ماضية في تطبيق مبادئها في اغاثة المنكوبين والمتألمين، وتطمح إلى الوصول إلى اعلى مستويات الخدمة لابناء هذا الوطن العزيز. وتتخذ نشاطاتها اليوم ابعادا كبيرة في الوقت الذي يخوض فيه قطرنا معركة الشرف والكرامة، حيث ترفرف خفاقة راية الهلال الاحمر مع راية الصليب الاحمر، ويعانق الهلال الصليب في عمل متناسق لخدمة الاهداف الانسانية التي قاما من اجلها.

عدد حزيران/ تموز ١٩٨٢

(٧) مجلة الهلال الاحمر العراقية: العدد الخاص لعام ١٩٥٢.

الاب كوركيس كدادي ١٩٢٠-١٩٩٩

من مواليد بعشيقة عام ١٩٢٠، تخرج في معهد المعلمين ومن ثم دخل معهد مار يوحنا الحبيب عام ١٩٤٠ لدراسة الفلسفة واللاهوت، ورسم كاهنا في ١٥ ايار ١٩٤٧. وبعد رسامته سكن في المعهد حيث زاول التعليم حتى عام ١٩٥٢، وانتقل من ثم إلى التعليم الديني في مدرسة الطاهرة للبنين والبنات حتى تقاعده عام ١٩٧٧. ومنذ عام ١٩٧٨ وحتى عام ١٩٨٦ تعين كاهن رعية في كنيسة الطاهرة بالموصل، ومن ثم في بعشيقة حتى عام ١٩٩٧، سنة اعفائه من الخدمة.

كان قد اعدّ سلسلة التعليم المسيحي للمتوسطة والثانوية والتي اعتمدت في تدريس الدين لطلبة المدارس الرسمية في المراكز الكنسية، وكان رئيسا للجنة التعليم المسيحي في الموصل.

توفي في ١٩٩٩/٥/١١ ودفن في كنيسة بعشيقة.

كانت له ٥ مساهمات:

- لا تدينوا فلا تدانوا/ انجيل — ت٢ ١٩٧٩
- * الاسينيون في قمران — شباط ١٩٨٠
- - القديس فرنسيس الاسيزي — ك١ ١٩٨١
- اضرب الراعي فتتبدد الخراف / س. ج. — ايار ١٩٨٣
- - بعشيقة/ بين الماضي والحاضر — ايار ١٩٨٩

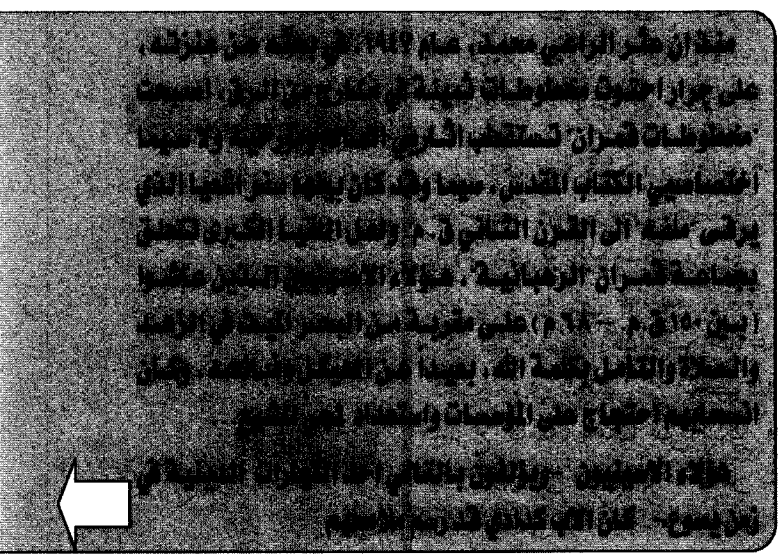

الاسينيون في قمران

كثر الحديث منذ ١٩٤٧ عن مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت في خربة قمران الواقعة شمال غربي البحر الميت. فقد تم اكتشاف الكهف الاول عن طريق المصادفة. فبينما كان الشاب البدوي محمد الذئب يبحث عن عنزته الشاردة في منطقة قمران، جلس يستريح في ظل صخرة ناتئة؛ واذ حانت منه التفاتة، رأى فتحة عميقة فوق راسه، فالتقط حجرا وقذف به الى الداخل، واذا به يسمع صوت خزف يتكسر، اضطرب الشاب واطل الى الداخل، فاذا هو امام كهف مملوء جرارا. عاد محمد في اليوم التالي برفقة احد اقاربه ودخلا الكهف سوية، فوجدا عددا من الجرار، منها ما هو سالم ومنها محطم. فكشفا عن السالم، فاذا بعضه فارغ والبعض الاخر يحتوي على مدارج (لفائف) من الرق وبعض هذه اللفائف كان مغلفا ببقايا قماش من الكتان.

اخذ الشابان هذه المدارج الى بيت لحم، ومنها الى القدس الى دير القديس مرقس للسريان الارثوذكس حيث اشترى مار اثناسيوس يشوع صموئيل مطران الدير المذكور بعض هذه المدارج، واشترى البعض الاخر الدكتور سوكينيك استاذ الاثار في الجامعة العبرية، ونقلت هذه المخطوطات الى الولايات المتحدة حيث بوشر بدراستها وطبعها.

وفي سنة ١٩٤٩، قامت لجنة رسمية مؤلفة من مدير الاثار الفلسطينية ومن رئيس المعهد الكتابي الاثاري في القدس الاب رولان دي فو الدومنيكي، وغيرهما، بمتابعة التنقيب، بينما ذهب التعامرة البدو من جانبهم يفتشون عن الاثار طمعا في المال. وكانت الحصيلة اكتشاف احد عشر كهفا حتى سنة ١٩٥٦ كانت تحوي العديد من المخطوطات، منها ما هو على شكل مدارج كاملة، ومنها على شكل فتائت من الرق والبردي. وقام عدد كبير من ذوي الاختصاص بنشر المخطوطات وترجمتها. وكان العمل شاقا واستغرق ما يقارب الثلاثين عاما.

نتائج التنقيبات عن قمران

كشفت التنقيبات عن وجود حصن صغير شيد في منطقة قمران في القرن الثامن ق.م.، واستمر حتى نهاية القرن السابع ق.م.، حين دمر وحرق. ولكن معظم الاثار التي كشف النقاب عنها كانت من القرن الثاني ق.م. من هذه الاثار قناة وصهاريج لتجميع مياه الامطار، وغرف للاجتماعات والكتابة والنوم والطعام والطبخ والغسيل ومشاغل، وعدد من المغاور للسكنى. هذه الاثار تدل كلها على ان سكان المنطقة كانوا جماعة انتهت اقامتهم بحدوث زلزلة ارضية وحريق حوالي سنة ٣١ ق.م.

عقبت هذه الجماعة جماعة اخرى واصلت الحياة بالنظم ذاتها، واستمرت حتى سنة ٦٨ م حيث اجتاحت فرق فسبسيانس الروماني تلك المنطقة وقتلت سكانها، وهكذا انتهت حركة جماعة قمران.

يتعذر تقدير عدد نفوس جماعة قمران في هذه الفترة من تاريخها الممتد حوالي قرنين. ولكنه وجد حوالي ١١٠٠ قبر في المقبرة المجاورة الواقعة شرقي الهضبة. ومعنى ذلك ان عددهم لم يتجاوز ٢٠٠ نسمة في اوج ازدهارهم. ويجدر بالاشارة الى ان الهياكل العظمية المكتشفة في هذه القبور هي لرجال، الا ان قبورا اخرى اكتشفت في امتداد هذه المقبرة تحوي هياكل عظمية لنساء واطفال. هذا الاكتشاف اوجد إشكالا حول الجماعة: هل كان اعضاؤها عزابا ام متزوجين؟ ان انظمة الجماعة كانت تفرض وجود عزاب يعيشون في حالة تطهير طقسي تام، لذلك لا يمكن الظن بانهم كانوا متزوجين. فلعل هذه المقبرة الاضافية هي من الحقبة الثانية للقمرانيين حيث فقدت الجماعة اندفاعها الديني الاول. او ان هذه الاثار هي لجماعة من النساء والاطفال ملحقة بالجماعة الاصلية، بدليل ان النظم الاضافية تتكلم عن النساء والاطفال. ولكن من هي هذه الجماعة التي عاشت بين ١٥٠ ق.م. وحتى عام ٦٨م، في هذه البقعة القاحلة، وكتبت ونسخت هذه المخطوطات العديدة؟ ولماذا ترك هؤلاء القوم المدن العامرة وسكنوا الصحراء؟

القمرانيون من خلال نظمهم

تحمل احدى المخطوطات هذا العنوان: "قانون الجماعة"، وقد دونت هذه المخطوطة في القرن الاول ق.م.، وتحتوي على تشريعات روحية وجنائية للجماعة، ومنها نستدل تاريخ الجماعة:

التاسيس

تبع ١٢ رجلا و ٣ كهنة "معلم الصدق"، وهو مؤسس الجماعة، وانسحبوا الى الصحراء ليحيوا حياة مقدسة صارمة. كانت هذه الجماعة تدّعي بانها "اسرائيل

المصغر" وشعب الله الجديد والبقية الامينة على الطاعة الكاملة لشريعة موسى والتقاليد الموحاة الى لاوي ونسله. اما سبب الفرار الى الصحراء، فهو الاحتجاج على السلطة الدينية والمدنية في اورشليم حول التقويم والعبادة. وقد كان الاسكندر بن بالاس قد عين في ذلك الزمان يوناثان رئيس احبار سنة ١٥٢ ق.م.، واراد هذا ترك التقويم الطقسي اليهودي واعتماد التقويم الرسمي اليوناني.

التشريع الجنائي

لقد اكتشف في ما اكتشف تشريع جنائي صغير يحدد المخالفات ضد الجماعة، وبحسب هذا التشريع يدعى الاعضاء الى تكميل مشترعات الجماعة بكل دقة. فاذا حاد احدهم عنها، ولو بقليل، يعاقب بصرامة، واذا كانت المخالفة عن الكبرياء او التراخي، يطرد المخالف من الجماعة نهائيا ويقطع الاعضاء علاقتهم به في كل ما يخص الخيرات والمشورات. اما اذا كانت المخالفة عن سهو او اغفال، فيحرم المخالف من التطهير ومن المشورة لمدة سنتين؛ واذا اظهر المخالف ندمه وأصلح سلوكه خلال فصله، يعاد حينذاك الى الاجتماعات والدراسة والمشورة بعد حكم الرابيم (الاعضاء الدائمون في الجماعة).

تنظيم جماعة كبيرة

بين سنة ١٣٤ و ١٠٤ ق.م. حدث اضطهاد على الفريسيين تحت سلطنة يوحنا هيركانوس، ففر قسم منهم وطلبوا الانتماء الى جماعة قمران، فخلق هذا التضخم حاجة الى توسيع البناء وتطوير قانون الجماعة بحيث يصبح التنظيم اكثر ديمقراطية، وصار لكل عضو دائم حق التصويت بينما كان يقتصر في السابق على الكهنة. كما رسم القانون الخطوط الرئيسة لحياة مقدسة مبنية على الحق والتواضع والعدل والمحبة والحياء في السلوك والمشاركة في الخيرات. وحُددت مدة الابتدء بثلاث سنوات يجري بعدها التصويت لقبول المرشح، ثم يقسم هذا الاخير باحترام الشريعة الموسوية. كما وضعت قوانين اخرى لتنظيم الاجتماعات وفرض القصاصات على المذنبين. ولكن القمرانيين فشلوا في ان يكونوا مركزا للبعث الروحي في اسرائيل واخفقوا تماما، عندما نشأت كنيسة العهد الجديد التي امتصت تدريجيا وظيفتهم التطهيرية وحلت محلهم.

هل كان القمرانيون رهبانا؟

عندما يقرا الراهب المسيحي المعاصر مقدمة "قانون الجماعة" يرى فيه هدفه الاساس أي البحث عن الله. والسؤال الذي يفرض ذاته هو: هل استقت الحياة الرهبانية في المسيحية اصولها من هذه الجماعة؟

اننا نجد في حياة القمرانيين عمقا دينيا صميما وقيما اساسية لحياة الراهب المسيحي، أي البحث عن الله وقراءة الكتب المقدسة والصلاة الليتورجية والحياة المشتركة والانقطاع عن العالم والطاعة وشظف الحياة والتوبة والعزوبة.. ولكن الفروقات -وهي جوهرية- تاتي من ان هذه الجماعة كانت تُعتبر شيعة مغلقة على ذاتها، تدّعي بانها مختارة وحدها وبان سائر الشعب كافر. فاذا كان ثمة اوجه شبه بين الاثنين من حيث التركيب والتنظيم، ينبغي ان نعرف ان الباعث والهدف يختلفان. فالرهبانية المسيحية لا تنبذ المؤسسة الكنسية ولا تعيش على هامشها ولا تصرح ابدا بانها الطريق الوحيد للخلاص، وانما طريقا بين طرق اخرى للكمال، وهي منفتحة على الخدمة والتبشير، لذا لا نرى علاقة عضوية بين الرهبانية المسيحية وبين جماعة قمران.

طقوس جماعة قمران

موقعهم من الهيكل

لم يرفض القمرانيون هيكل اورشليم، مع ان الكهنة كانوا قد دنسوه، حسب زعمهم، بل كانوا يتوقعون الرجوع اليه دوما والعودة الى اقامة الصلاة فيه. تقول التوراة بان العبرانيين عند خروجهم من مصر، رافقهم الله اثناء مسيرهم في الصحراء، افليس فرار الاسينيين الى قمران "خروجا" ثانيا لاعداد طريق الرب؟ فحضور الرب لا يقتصر على هيكل اورشليم. الم ير حزقيال مجد الرب يترك الهيكل المدنس بآثام الشعب (حز ١٠:١٨) ثم يرجع اليه (حز ٣٤). ان جماعة قمران تدعي بانها الهيكل الروحي، وان الله حاضر في وسطها، لانها تعيش في حالة تطهير وتقديس عبر صلواتها وطقوسها. ومن هذه الطقوس:

الغسل:

كان الماء يلعب دورا كبيرا في حياة الجماعة، وتدل على ذلك الصهاريج والاحواض والحمامات التي اكتشفت بين بقايا الابنية. فالتطهير يحتل مكانة هامة: انه استحمام ورتبة غسل، ولكنه لا يجدي نفعا ما لم يقترن بتوبة حقيقية. فالمبتدئ يمنع من ممارسة التطهير ما لم يمرّ على بقائه سنة كاملة في قمران، والمذنب يحرم منه موقتا، والتطهير شرط لدخول المقدسات.

وجبات الطعام:

يصف فلافيوس نظام وجبات الطعام عند القمرانيين بقوله: كانوا يجتمعون في الساعة الخامسة شروقية للغداء في مكان واحد، ويتوشحون بنقاب ابيض ويستحمون

في الماء البارد. وبعد الانتهاء من هذا التطهير يدخلون قاعة الطعام انقياء وكأنهم يؤمّون هيكلا مقدسا، فيجلسون صامتين. بعد ذاك يأتي الخباز ويضع امامهم ارغفة الخبز بالترتيب وكذلك الخمر الحلو، ثم يقدم الطاهي لونا واحدا من الطعام في صحن واحد امام كل منهم. ويتلو الكاهن صلاة البركة قبل الطعام وصلاة الشكر بعد الانتهاء منه. حينذاك فقط يخلعون ثيابهم البيضاء ويعودون الى اعمالهم حتى المساء. ثم يعودون لتناول العشاء بحسب الطقوس نفسها، ولا يشترك في هذه الوجبات سوى الرابيم ومن انهى سنتي الابتداء.

الصلاة والعمل:

الصلاة ضحية الشفاه تقدم الى الله مرتين في النهار: عند شروق النور صباحا وعند غيابه وحلول الظلام مساء. واما العمل في المشاغل، فيبدأ صباحا حتى الساعة الخامسة شروقية. وبعد الغذاء يتواصل العمل حتى المساء. يقول فلافيوس: يقضي القمراني نهاره يعمل لسد حاجات الجماعة. فاما يعمل في احد المشاغل منجرا او محددا او منحسا؛ واما يعمل في الحقل حاصدا، واما يرعى القطيع حيث يتطلب ذلك. ولكن اقدس الاعمال واشرفها كان الانكباب على الاسفار واستنساخها في قاعة الكتابة. وقد وجد على موائد الكتابة محابر من البرونز والخزف لا تزال تحفظ في قعرها اثارا ناشفة من الحبر الاسود.

يقضي القمرانيون ليلهم في قراءة الكتاب وتفهم معانيه واحكامه. فينقسمون الى ثلاث فرق، تقرأ كل فرقة منهم ثلث الليل ثم تفسح المجال لاخرى بعدها؛ وهكذا يحيون الليل كله قارئين مستمعين متعظين مصلين متممين قول الرب: "لا يبرح سفر هذه التوراة من فيك، بل تأمل فيه نهارا وليلا. لتحفظه وتعمل بكل المكتوب فيه، فانك حينئذ تقوّم طرقك، وحينئذ تفلح" (يشوع ١:٨).

معتقدات جماعة قمران

لاهوت الاسينيين في قمران هو نفس لاهوت العهد القديم في خطوطه وافكاره الرئيسة. وما يؤخذ على تعاليمهم هو انها كانت مقفلة وسرية. وقد جعل اعضاء الجماعة من انفسهم "الشعب الجديد" الملتف حول المعلم، وتبنوا لانفسهم قول ارميا: "بعد تلك الايام يقول الرب اني اجعل شريعتي في ضمائرهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الها وهم يكونون لي شعبا" (ارميا ٣١:٣١-٣٣). هذا وهناك آفاق جديدة للقمرانيين تتعدى معطيات العهد القديم، منها:

الثنائية:

يؤمن القمرانيون بوحدانية الله وبالخلقة والاصطفاء ونهاية العالم، ولكنهم يرون نزاعا دائما بين الخير والشر، فقالوا بان الله خلق روحين: روح الحق وروح الشر ووزعهما على البشر اجمعين لتقوداهم في اعمالهم. فكل ماهو حق، بزعمهم، ينبثق من عالم النور، وكل ما هو شرينبع من الظلمة. يسلك ابناء الحق في طريق النور ويتبعون امير الانوار؛ واما ابناء الشر، فانهم يتيهون في طرق الظلمة ويخضعون لملك الظلام ويصنعون بامره الشر والخطيئة. غير ان القمرانيين يستدركون بان هذه الثنائية ليست حتمية، لان الله هو السيد الاوحد وبيده النصر النهائي، وعلى الانسان تقع مسؤولية الصراع بين قوى الشر والخير التي فيه.

نبي ومسيحان:

انتظر القمرانيون نبيا ممهدا مثل موسى ومسيحَين اثنين، واحد من نسل هارون واخر من اسرائيل: مسيح هارون هو الكاهن الاعظم الذي يفسر كلام الله الحقيقي وينفذ الشريعة الجديدة. اما مسيح اسرائيل، فهو مسيح يهوذا التقليدي الذي ينحدر من صلب داود.

نهاية العالم:

يؤمن القمرانيون بنهاية العالم وتأسيس ملكوت الله في عالم جديد حيث يتلاشى الاشرار ويقضى على الشر والخطيئة. النصر النهائي هو لله ولابناء النور حيث يتمتعون بسعادة تماثل سعادة جنة عدن. من هذا المنطلق، كان الاسينيون، بحسب راي فلافيوس، يعتقدون بحياة اخرى وبخلود النفس ولربما بقيامة الاجساد، اقله للصديقين. فنبوءة دانيال تقول بالقيامة (١٢: ١-٣) وكذلك كتاب اخنوخ المعروف عند القمرانيين.

مكتبة قمران

اكتشف في مكتبة قمران حوالي ٦٠٠ مخطوطة كاملة علاوة على الاف الفتائت. كتبت هذه المخطوطات بالعبرية، ومنها بالارامية واليونانية والسريانية، وقد تم نسخها في الفترة ما بين القرن الثاني ق.م. واواسط القرن الاول للميلاد، وهذه المخطوطات هي:

١. كتابية: وتؤلف ربع ما وجد من المخطوطات، وهي تتضمن اسفار العهد القديم جميعها ما عدا سفر استير. كما ان هناك نسخا متعددة من نبوءة اشعيا والمزامير والانبياء الصغار ودانيال وكذلك تثنية الاشتراع وسفر طوبيا وابن سيراخ وايوب.

وتأتي فائدة هذه المخطوطات من قدمها، كما انها تقدم لنا نصا آخر الى جانب النص الرسمي الذي ثبته الرابيم في مجمع جمنيا بالقرب من تل ابيب نحو سنة ٨٠ م.

٢. كتب منتحلة: وتعكس الافكار الدينية والاخلاقية للعالم اليهودي في القرنين السابقين للميلاد. وأهم هذه الكتب سفر اليوبيلات وسفر اخنوخ ورسائل الاباء وصلاة نبونيد.

٣. مخطوطات خاصة بالجماعة: منها مدرج الهيكل ومدرج قانون الجماعة وقانون الجهاد ومزامير الشكر وقانون الاخلاق، وكذلك تفاسير لاسفار العهد القديم مثل التكوين وحبقوق وناحوم وهوشع وايوب.

و"قانون الجماعة" لواضعه "معلم الصلاح" يصف طقس الانتماء الى الجماعة ويتكلم عن امير النور وملاك الظلام ثم تلي ذلك قوانين الجماعة. اما "قانون الجهاد"، فيبحث في الصراع بين ابناء النور وابناء الظلام، حيث ينتصر القمرانيون على العالم اجمع بقيادة الملاك ميخائيل.

ان دراسة المخطوطات القمرانية تكشف النقاب عن الحقبة اليهودية التي سبقت العصر المسيحي مباشرة، كما انها تعكس حركة التطور الروحي والتعليمي والتشريعي لهذه الجماعة. واذا زعم بعضهم بوجود تشابه بين الاوساط الاسينية والاوساط الانجيلية، فاننا لا نجد أي نص انجيلي يشير الى علاقة ما بين يوحنا المعمذان او يسوع بالقمرانيين. اما التشابه اللاهوتي وتشابه المفردات والتعابير، فانما هو ناتج عن الوسط نفسه الذي نشأ فيه التياران وتواجدا. قد يكون ثمة منطلق مشترك استقى منه كتبة العهد الجديد والقمرانيون معا، اما الاتصال المباشر والتقابس، فلا قبل لنا ان نجزم فيه[1].

عدد شباط ١٩٨٠

(١) – مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران للدكتور اسد رستم، هدية مجلة المسرة لعام ١٩٥٩.

-Suppl. Cahiers Evangile, No.28: Les manuscrits de la mer morte et la communauté de Qumran, par Jean Pouilly.

المطران كوركيس كرمو ١٩٢١-١٩٩٩

ولد في تلكيف في ٨ كانون١ ١٩٢١. دخل معهد شمعون الصفا الكهنوتي البطريركي الكلداني عام ١٩٣٤، ومنه ارسل إلى روما لمواصلة الدراسة، فنال درجة ماجستير في الفلسفة والدكتوراه في اللاهوت. رسم كاهنا في روما في ١٩٤٥/١٢/٨ وعاد إلى العراق ليعلم في المعهد الكهنوتي، وفي عام ١٩٤٩ تسلم ادارته حتى عام ١٩٦٠.

خدم كاهنا في ديترويت حتى عام ١٩٦٥ حين تعين كاهن رعية في البصرة، ثم عاد من جديد إلى ديترويت (١٩٦٦-١٩٨٠). انتخب لرئاسة اسقفية الموصل على الكلدان وتمت رسامته الاسقفية في ديترويت في ١٩٨٠/٩/١٤، وتم تنصيبه في ٨ ك١ في كاتدرائية مسكنتة.

برعايته، تاسست الدورة اللاهوتية في الموصل، كما فتح دارا لبنات مريم الصغيرات، وقام بمشاريع عمرانية عديدة من ابرزها كنيسة الروح القدس.

ترك عددا من الكتب من ابرزها: سيرة مريم العذراء، شهود يهوه في الميزان، الخلاص والانسان والله...

توفي في ديترويت اثر مرض عضال في ١٩٩٩/٩/٩.

كانت له في الفكر المسيحي ١٢ مساهمة:

- رسالة الميلاد (مشتركة)	ك٢ ١٩٨٢
- الكنيسة الكلدانية، قديما وحديثا / ملف	ايار ١٩٨٣
• الروح القدس/ س. ج.	حزيران/ تموز ١٩٨٣
- مجمع الاساقفة، / ش. ر.	ك٢ ١٩٨٤
- الكردينال تيسران في الذكرى المئوية لميلاده	نيسان/ ايار ١٩٨٤
- رسالة راعوية في الحب والزواج (مشتركة)	ايار ١٩٨٥
- مجالس ابرشية وخورنية، لماذا؟ وما هي؟	ك٢ ١٩٨٧
- المزارات المريمية وابعادها الروحية/ ملف	شباط/ آذار ١٩٨٨
★ دون بوسكو، القديس البهلوان	حزيران/ تموز ١٩٨٨
- عناق بين كرسي بابل وكرسي روما/ ش. ر.	ك١ ١٩٨٩
- لقاء قبرص، امل الوحدة المسيحية/ ش. ر.	اذار ١٩٩٠
• المحاكم الكنسية/ س. ج.	ايار ١٩٩٠

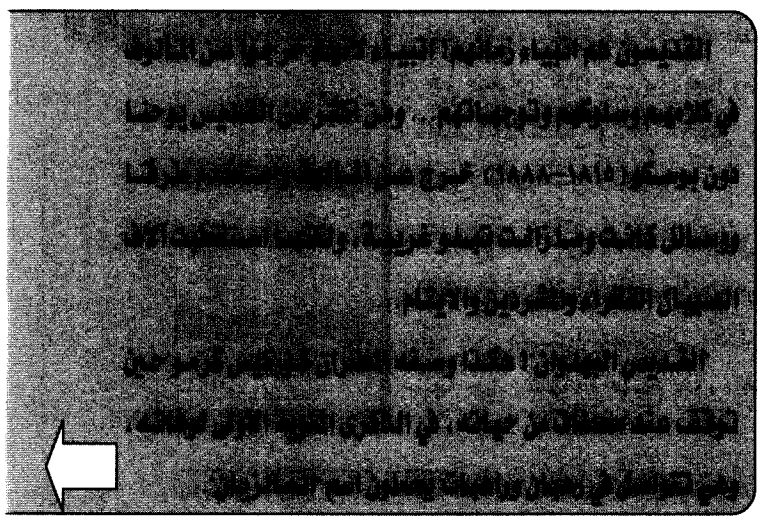

دون بوسكو، القديس البهلوان

بعث البابا يوحنا بولس الثاني، بتاريخ ٣١ كانون الثاني المنصرم (وهي ذكرى وفاة دون بوسكو)، برسالة طويلة الى الاب ايجيديو فيغانو، الرئيس العام للجمعية السالسية، يذكر فيها المآثر الجليلة التي قام بها مؤسسهم يوحنا بوسكو من اجل الشبان الفقراء والايتام والمشردين، وتأسيس جمعيتهم، واختها الاخرى، لمساعدة الفتيات. ويصفه البابا كرائد ومؤسس موهوب لاسلوب تربوي جديد وفعال، الا هو الاسلوب الوقائي المستند على الألفة والمحبة وبذل الذات[1].

ولد يوحنا بوسكو في ضواحي مدينة تورينو (شمالي ايطاليا) من عائلة فقيرة. فَقَدَ اباه وهو في الثانية من عمره، فاهتمت به وبشقيقيه امه مرغريتا، الفلاحة الامية الفاضلة التي كافحت بصبر وشهامة في اعطاء اولادها تنشئة حسنة.

كانت المدارس في ذلك الحين قليلة للغاية ومحصورة اغلبها في المدن، يؤمُّها ابناء الاغنياء فقط. الا ان ذكاء يوحنا الوقاد واخلاقه المتميزة جلبت عليه عطف كاهن القرية الذي لقنه المبادئ الاولى للقراءة والكتابة، فصار يطالع الكتب بشغف. هذا ورغم صغره، كان يساعد ايضا والدته واخويه في اعمال الحقل، وتنظيف الاصطبل ورعي الابقار وحلبها. كانت صحته جيدة، فترعرع قوي البنية، نشيطا.

نجح منذ سن الحادية عشرة في ألعاب التسلية، كالركض والقفز. وبعد ان شهد يوما مشعوذاً كان يقوم باعمال غريبة، راقبه عن كثب، استطاع ان يكتشف اسراره، فصار يتمرن عليها حتى اتقنها، واصبح بدوره بهلوانا يستطيع السير على يديه

(١) طالع الجريدة الرسمية الاسبوعية للفاتيكان: .O.R، عدد ٧ ليوم ١٧ شباط ١٩٨٨.

والركض والرقص على الحبل، ويخرج من انف فلاح منذهل بعض النقود او كرات صغيرة، او يفتح حقيبة سيدة ويطلق منها حمامة حية تطير، ويخرج من طاس صغيرة عشرات الكرات الملونة، ومن اناء فارغ صغير عشرات البيض، او يعرف كم من الدراهم في جيب فلان الخ... وقبل ان يأتي الى الفصل الاخير من هذه الاعمال البهلوانية، كان يخرج سبحة الوردية من جيبه ويدعو المشاهدين الى مشاركته في تلاوتها، او يعيد على اسماعهم الموعظة التي حفظها صباح الاحد في الكنيسة.

كانت هذه الاساليب المسلية، بجانب دماثة اخلاقه ومحبته للخير وعطفه الشديد على اترابه وامثاله، هي التي فتحت امامه الدرب نحو قلوب هؤلاء ليبادلوه المودة ويتعلقوا به ويطيعوه ايضا.

لما صار له اثنتا عشرة سنة، ارادت امه، وقد لاحظت ولعه الكبير بالدرس، ان يواصل دراسته، رغم التكاليف الباهضة. فوضعته لدى عائلة طيبة كي يتمكن من الذهاب الى المدرسة. فصار يقطع يوميا عشرة كيلومترات، ذهابا وايابا، حافي القدمين، في المطر والثلج؛ كما كان يتعلم في نفس الوقت ايضا حرفة الخياطة والاسكافي، ويأخذ دروسا في الموسيقى. ونظرا لتوصيات من كاهن رعيته، تبنّاه بعض الكهنة الافاضل وصاروا ينفقون على دراسته. وسرعان ما نمت البذور الصالحة التي زرعتها في قلبه الام مرغريتا، فاظهر رغبته في الانخراط في معهد كهنوتي ليصبح كاهنا. وقد حفظ لنا الكلمات الذهبية التي قالتها له امه في تلك المناسبة وهي: "اذكر ان ليس الثوب هو الذي يجعلك شريفا، بل الفضيلة، واذا اتفق لك ذات يوم ان تتردد في امر دعوتك، فاناشدك بمحبة الله الا تدنّس هذا الثوب، بل انزعه فورا. افضّل ان يكون ابني فلاحا فقيرا على ان يكون كاهنا مهملا لواجباته". وهكذا بعد ان قضى ست سنوات في الدراسة الكهنوتية، رسمه مطرانه كاهنا عام ١٨٤١.

كان دون (وهو لقب الكاهن بالايطالية) بوسكو منذ التاسعة من عمره قد رأى حلما (وستلعب الاحلام دورا هاما في حياته) شاهد فيه عددا كبيرا من الصبيان في سن الثانية عشرة وحتى الثامنة عشرة، بصحة جيدة وذوي اجسام قوية، لا عمل لهم طيلة النهار، تتجمع عليهم الحشرات القذرة، محرومين من الخبز المادي والروحي، "فراعني منظرهم" كما كتب لاحقاً، وها انه قد اصبح الان كاهنا وشعاره "اعطني النفوس وخذ المال". واوصته ماما مرغريتا في اول يوم من رسامته الكهنوتية: "فكر بعد اليوم في خلاص النفوس فحسب، ولا يهمك أمري قط. واذا صرت كاهنا غنيا فلن ادوس بيتك"!

صار يتردد الى السجن مع الكاهن القديس مرشده: دون كافاسو، ورأى اولئك الصبيان وراء القضبان الحديدية يخيّم عليهم الجهل، ويتفوهون بكلمات نابية ويكفرون ويعادون الكاهن؛ ومع ذلك قدر ان يجعلهم اصدقاءه رويدا رويدا، وفكّر في نفسه قائلا: ان هؤلاء الصبيان يحتاجون الى صديق، يوم يخرجون من السجن، يُعنى بهم ويعلّمهم ويقودهم نحو حياة افضل، كيلا يعودوا ثانية الى السجن. فخرج يوما من السجن وقد عزم عزما مكينا، كما كتب: "علينا ان نحول بين اولاد صغار في هذه السن، وبين ما يفضي بهم الى السجن، مهما كلّف الامر، اريد ان اكون منقذ الشبيبة".

وهكذا كان. فصار يجمع الشبان الاحداث حوله ويظهر لهم عطفا كبيرا بكل الوسائل المتاحة له. كان الصغار في تلك الحقبة، يشتغلون مثل الكبار من ١٤-١٦ ساعة في اليوم، باجور زهيدة لا تكفي لسد رمقهم، وفي بيئة قذرة غير صحية. وكان الكثيرون منهم غرباء عن مدينة تورينو، جاءوها من الريف ومن عائلات فقيرة؛ فكانوا مشردين، بلا مأوى ولا صديق، ينامون فوق اوراق الشجر، او في اصطبل الحيوانات، مما يقودهم الى رفاق السوء والجرائم والسجن. فشمّر دون بوسكو عن ساعد الجد، في ايجاد ارباب عمل انسانيين، وكان يلتمس منهم ان يقللوا ساعات العمل ويمنحوهم نهار الاحد كعطلة، فيجمعهم فيه ويلقي عليهم الارشادات الدينية والتعاليم الروحية مع بقية الممارسات المسيحية، ليجعل منهم مواطنين صالحين. وبعد ذلك كان يقدم لهم ايضا الخبز (وكان يكلف غاليا في تلك الايام) ثم ينشدون اناشيد مفرحة؛ وعمل لهم جمعية سماها "جمعية الفرح"، فكانوا يقومون بالعاب مسلية ومفرحة، ويمكثون عنده حتى الليل. وسرعان ما ازداد عددهم خلال بضعة اشهر، حتى بلغوا المئة شاب، وضاق بهم بيته الصغير، علاوة على ان اهل الحارة ضجروا من صراخهم واهازيجهم وركضهم، فاضطر دون بوسكو ان يستأجر مكانا اوسع ومرجا يسهل فيه اللعب والجري، وكان يكرر عليهم: "العبوا واقفزوا وضجوا، ان الامر المهم عندي هو ان لا ترتكبوا خطيئة".

كان اسلوبه التربوي، اسلوب المحبة واللطف في بيئة مفرحة تجعلهم يرتاحون اليه كثيرا، فتعلقوا به اشد تعلق[٢].

(٢) صادف يوما صبيا يعود من شراء بعض حاجات كانت امه قد اوصته بها، فكانت يداه مشغولتين بقنينة زيت وكوب خل؛ ولما رأى صديقه دون بوسكو هرع صوبه وهو يصيح: "صباح الخير دون بوسكو". وكان الزيت والخل يتأرجحان في الوعائين. فضحك دون بوسكو لمشاهدته الصبي سعيدا، فمازحه قائلا: "اراهن على انك=

حيّر اسلوب دون بوسكو رفاقه الكهنة ودائرة المطرانية، فاتهمه البعض بالجنون. ويبدو ان الدائرة المذكورة انتدبت اثنين من اصدقائه ليعرفا مدى اختلال عقله، باخذه سرا الى فحص طبي في مستشفى الامراض العقلية، لتتسنى معالجته. وذات مساء، بينما كان دون بوسكو يقوم بالتعليم لصبيانه، وصلت عربة مغلقة اغلاقا محكما، فنزل منها الكاهنان الصديقان، ودعياه الى مرافقتهما في نزهة قائلين له: انك مرهق كثيرا، فهلم معنا نستنشق الهواء البليل قليلا. ويبان ان دون بوسكو شعر بالمكيدة، فاجاب: بكل طيبة خاطر، ولكن اسمحا لي باخذ قبعتي ثم اتبعكما. ثم فتح باب العربة وقال لهما: تفضلا الان: ابيا الا ان يدخل هو الاول، غير انه رفض تأدّباً ومن باب التقدير والاحترام، والح عليهما بالصعود اولا الى العربة، ثم اطبق حالا الباب عليهما وقال للحوذي: اسرع الان الى مستشفى المجانين، فانهم بانتظارهما!

بعد ذلك ابتدأت تجربة جديدة على نطاق واسع، وذلك بايواء المشردين عنده. وكان قد دعا والدته العجوز عنده لمساعدته، بعد ان قال لها: قلت انك لن تدوسي بيتي لو صرت غنيا، فانا الان فقير وطامس حتى الراس بالديون، فتعالي وكوني أماً لهؤلاء الصغار.

وبدأ، منذ عام ١٨٤٧، يأوي عنده من كانوا حقا فقراء ولا عون لهم البتة. دعا اولا ستة منهم، فكان ان هرب الضيوف الكرام صباح اليوم التالي مع الاغطية التي اعارتها لهم ماما مرغريتا! كرر العَمَلية بعد بضعة ايام، فكانت اسوأ من الأولى، اذ اخذوا في هذه المرة حتى اكياس العشب والتبن التي كانت بمثابة مطارح لهم. الا انه لم ييأس، وكرر مرة ثالثة، فقالت الام، انهم هذه المرة سيسرقون القدور ايضا! ولكن التجربة نجحت وازداد عددهم تدريجيا حتى بلغ ٦٠٠ شاب في عام ١٨٦١، وبلغ بعده ٨٠٠ شاب؛ وكان عدد الخارجيين منذ ١٨٤٨ نحو ٨٠٠ صبي. وكانت والدته الحنون تقوم في الليل بترقيع القمصان الممزقة والبناطل المفتقة والازرار المقطوعة والجوارب المثقوبة حتى ساعة متأخرة، وبجانبها ابنها دون بوسكو يضع هو ايضا الرقع على السترات ويصلح احذيتهم الممزقة.

=غير قادر ان تعمل مثلي"، واخذ يصفق . وقع الصبي في الفخ، وقد استولى عليه سرور عارم، فوضع القنينة تحت ذراعه وكوب الخل تحت ابطه الآخر، وصفق بيديه ما استطاع وهو يصيح: "عاش دون بوسكو"، فانزلقت القنينة والكوب الى الارض وتحطمت، وبقي الصبي متجهما، وقال: "ما اتعسني، ان امي ستضربني الان". قال له دون بوسكو، "لا تقلق، هذه مصيبة يمكن تلافيها في الحال"، فدخلا حانوتا واشترى له دون بوسكو زيتا وخلا.

كانت هذه المشاريع الجبارة تحتاج الى مال وفير، وكان على دون بوسكو ان يطرق ابوابا كثيرة لمساعدته. وبينما كان يوما يلقي كلمة بهذا الخصوص، صار الحاضرون يصفقون له، فقال لهم مازحا: "لا احتاج لاعالة هذه البطون الجائعة الى اناس يضربون ايديهم بالهواء، بل الى اناس يضربون ايديهم في جيوبهم؛ فلو اكتفيت بالتصفيق لكان الصبيان على اسوأ حال".

واذا لم تَرُقْ هذه الاعمال لبعض من زملائه، فما عسى ان نقول عن الملحدين والفرمسون والغرباء؟ فلقد دعي دون بوسكو ذات ليلة لاعطاء الاسرار الاخيرة لمدنفة، فاخذ معه اثنين من شبابه الاكبر سنا ليرافقاه. وعندما دخل غرفة المريضة المزعومة، وإذا فيها اربعة رجال بايديهم عصي، فاطفأوا الضوء حالا وصاروا ينهالون عليه ضربا، فدافع عن راسه بكرسي امسكه كشمسية وتملّص من بين ايديهم وقد تمزق ظفره. ومرة اخرى دعي الى حفل، فارادوا ان يسقوه السم قسرا، فتخلص ايضا من ايديهم وهرب. وكان مرة ثالثة يعود ليلا من زيارة مريض، فاذا بشخصين يحاصرانه ويهجمان عليه ويلقيان ملاءة على راسه ليخنقاه، فظهر فورا كلب كبير بشبه الذئب صار يعضهما عضا مبرحا، فاستنجدا به ليخلصهما منه، فقال لهما: ارفعا العباءة عن راسي ليترككما الكلب -وقد سماه بالاغبر بسبب لون شعره. ويعزو الى "الاغبر" نجاته مرة اخرى، حيث جاء شخص يدعوه الى الخارج، فوقف "الاغبر" في الباب و لم يدعه يمر، وشوهد رجل وراء شجرة وبيده مسدس يريد اغتياله. وكان في احد الايام يعلّم صغاره، واذا بطلقة نارية تمر تحت ابطه، مزقت معطفه ورداءه، فاراد ان يداعب الصغار الخائفين بنكتة فقال: اني اتاسف حقا على معطفي ورداءي المثقوبين، اذ ليس لي غيرهما.

واراد دون بوسكو ان يصبح شبانه رجال الغد، نافعين للمجتمع، فعلّمهم الحِرَف المفيدة ليكسبوا عيشهم بكرامة. فادخل بادئ ذي بدء، في ١٨٥٣، ورشة لصانعي الاحذية والخياطين، وكان هو المدرب لهم؛ وتبعتها ورشة لتجليد الكتب، ثم لحقت بها ورشة النجارة والطباعة واخيرا ورشة للحدادة.

عندما تفشت الكوليرا في مدينة تورينو عام ١٨٥٤، تطوع ٤٤ شابا من اولاده لنقل المرضى الى المستشفيات ولمداواتهم. فمات في ذلك المرض المعدي ١٥٠٠ شخص من ٢٥٠٠ اصابة، الا انه لم يُصَبْ احد من شبابه المتطوعين، فجاءهم تقدير كبير من وزير الداخلية.

وبينما كان يسال احدهم يوما عن شرشف نظيف لمريض، اجابته الام مرغريتا: لم يبق لنا ولا واحد؛ فالح عليها الممرّض الشباب، عندئذ ذهبت الى مذبح الكنيسة ورفعت غطاءه واعطته له قائلة: "احمله الى مريضك، لا اظن ان الرب سيتذمر من ذلك".

وفي ١٨٥٩، بعد ان هيأ فريقا جيدا من هؤلاء اشباب ليساعدوه، انشأ لهم جمعية اطلق عليها اسم القديس فرنسيس سالس (١٥٦٧-١٦٢٢) مطران جنيف الشهير، تيمنا بوداعته وحلمه. ثم في ١٨٧٢ شكّل بواسطة القديسة ماريا مازرييللو جمعية رهبانية مماثلة للشابات بنفس الاسلوب والنظام، ووضعهن تحت شفاعة مريم العذراء ام المعونة. واستطاع منذ ١٨٧٥ ان يبعث برهبانه الى الارجنتين وباتاغونيا في اقصى الجنوب من القارة اللاتينية، تماما كما كان قد رأى ذلك في حلمه وهو صغير.

يبلغ اليوم عدد رهبانه وراهباته ٣٤٤٠٠ وهي الرهبنة الثالثة عددا في الكنيسة[٣]، يقومون برعاية اكثر من ٧٠٠ الف يتيم. وقد اعلنت الكنيسة دون بوسكو قديسا عام ١٩٣٤[٤].

ان القداسة التي مارسها دون بوسكو لا تعني مطلقا الثياب القذرة المهلهلة، ولا الكآبة والعبوسة ولا الانطواء على الذات، بل هي بذل وعطاء على مثال المسيح الذي جاء "ليَخدم ويَبذل نفسه فداء عن كثيرين" (متى ٢٠:٢٧). كما ان ملكوت الله هو ايضا: "برّ وسلام وفرح بالروح القدس" (رومية ١٤:١٧).

عدد حزيران/تموز ١٩٨٨

(٣) طالع "A.R.M" عدد ٥٣، ليوم ١٥ شباط ١٩٨٨، ص٣٧.

(٤) انظر تريزيو بوسكو: دون بوسكو صديق الشباب، ترجمة الاب يوسف قوشاقجي، عمان-الاردن، ٤٤٠ ص - وقد اعتمدت هذا المؤلف في هذا المقال.

الاب نعمان اوريدة

١٩٣٦-١٩٩٩

ولد في حلب في ١٩٣٦/٤/١٣. دخل معهد مار يوحنا الحبيب عام ١٩٥٠ ورسم في ١٩٦٢/٦/١٠ مع ستة من زملائه. أحد مؤسسي جماعة كهنة يسوع الملك/ اخوة الحياة المشتركة التي عنها صدرت مجلة الفكر المسيحي، وكان مدير ادارتها بجدارة.

تعين عام ١٩٦٥ مسؤولاً لرعية مار توما، واشرف على تحسين اوقافها. وفي الثمانينات عمد إلى صيانة وتجميل كنيستها العريقة من الداخل والخارج. كان في الستينات واوائل السبعينات مرشداً في الندوة الدينية للجامعيين وفي احدى فرق الشبيبة الطالبة المسيحية.

عين معاوناً لمرشد الجمعية الخيرية ومن ثم مرشدا لها حتى عام ١٩٩٢.

شارك في تأسيس مركز الدراسات الكتابية وحاضر فيه قرابة عامين. كما زاول التعليم في معهد الاباء الكمبونيين (السودان) للعام الدراسي ١٩٩٥-١٩٩٦. ولدى عودته اطلق مشروع العطاء لخدمة المحتاجين.

عاجلته المنية اثر مرض عضال في ١٩٩٩/١٢/١ ودفن في كنيسة مار توما.

كانت له ١٦ مساهمة، فضلاً عن عددين في "السلسلة" (رقم ٥ لعام ١٩٦٤: اولادنا؛ رقم ٥٠ لعام ١٩٦٨: انت والتسلية)

- لماذا التشاؤم لدى الشباب/ س. ج.	ك٢ ١٩٧٤
- معنى اسم يسوع/ س. ج.	ت١ ١٩٧٥
• الصور والصلبان في الكنيسة/ س. ج.	ت١ ١٩٧٥
- اعطوا ما لقيصر لقيصر/س.ج.	ت٢ ١٩٧٥
- مقابلة مع عبد الرزاق البكري/ عدد خاص	ايلول ١٩٧٧
- اما حان لنا ان نستيقظ	ك١ ١٩٧٧
• وإذا لم تغفروا/ انجيل	ت١ ١٩٧٩
• امراة خاطئة في المدينة/ انجيل	ايلول ١٩٨٠
- في تقدم الشعوب/ ش. ر.	ايار ١٩٨٢
• الحقيقة حول انجيل برنابا/ س. ج.	حزيران/ تموز ١٩٨٢
• التجديف على الروح القدس/ س. ج.	ك١ ١٩٨٢
- يسوع والشياطين/ س. ج.	آب/ ايلول ١٩٨٤
• الشباب ازاء وصايا الله/ عدد خاص	ت١، ت٢ ١٩٨٥
- أحيَي (همسات)	اب/ ايلول ١٩٨٨
★ دليل الى رموز القداس/ عدد خاص	آب/ت١ ١٩٩٢
• لو لم تكن في المحبة/ س. ج.	نيسان/ حزيران ١٩٩٣

ضمن عدد خاص بعنوان "الافخارستيا.. شركة واقتسام" كان قد أحاط بهذا السر العظيم في جذوره في العهد القديم وانعكاساته في العهد الجديد، عبر عشاء الرب الذي اصبح في الكنيسة لقاء الجماعة المسيحية لكسر الخبز... كان لا بد أن تحظى رموز القداس في الليتورجيات المختلفة بدليل إلى معانيها وابعادها اللاهوتية والروحية، بدءاً بلوازم القداس من أوانٍ مقدسة، مروراً بالحلل الكهنوتية، وانتهاء بالحركات الطقسية التي تكاد تتشابه في كل الطقوس...

وكان الاب نعمان اوريدة دليلنا إلى هذه الرموز انطلاقا من القداس السرياني.

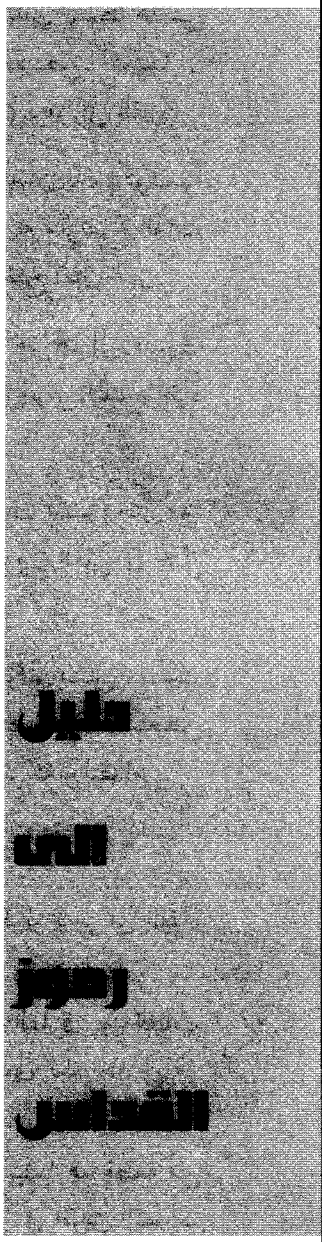

الرموز والحركات في القداس، كما في سائر الطقوس، هي لغة يعبّر بها المؤمنون عن السر الذي لا تستطيع الكلمات التعبير عنه. وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بحياتنا اليومية، وسرعان ما تكتسب بُعداً روحيا يذكّرنا بالحقائق السماوية ويحملنا على الدخول إلى ما وراء الرموز والحركات... ففي القداس، يجب ان تقودنا الرموز والحركات لملاقاة المسيح الحيّ والممجّد؛ فلا نتوقف على ما فيها من دغدغة لعواطف العبادة، بل علينا ان نتجاوزها إلى ما توحي به من التزام بالعالم الذي من اجله اعطى المسيح جسده "المبذول" ودمه "المهراق".

في قلب الاوخارستيا خبز وخمر، هما الغذاء الاساسي والرمز الاكمل لكل غذاء: فالخبز هو "ثمر" الارض وحصيلة جهود الانسان، يكسبه بعرق جبينه: انه خبز للحياة، وفي الاوخارستيا يصبح المسيح خبز الحياة. اما الخمر، فهو "عصارة" الكرمة وعصارة جهد الانسان التي تضفي على طعامه الفرح والحبور، وفي الاوخارستيا يصبح الخمر رمزاً لدم المسيح المهراق من اجل الكثيرين.

لقد احاطت بالاوخارستيا مجموعة من "اللوازم" و "الحلل" و "الحركات"، استقرت بفعل ممارسة طويلة بحسب الطقوس المختلفة. وها نحن نقدم "دليلاً" بأهمها، مع يقيننا بأن هناك مجالاً لاستبدال بعض الرموز والحركات حين لا تعود تخاطب مؤمني عصرنا أو لا توحي لهم بما ينطوي عليها من ابعاد.

لوازم القداس

- **الاواني المقدسة**: توضع تقادم الخبز والخمر في آنية مقدسة. فالخبزات المعدّة للتقديس توضع في "صينية"، فيما توضع الخمر في "كأس"، وكلاهما يستخدمان في الموائد ويوضعان على "المذبح"، وهما من ذهب او فضة.
- **الحجاب**: منديل من كتان تغطّى به التقادم، وهذا الغطاء الذي يُبسط على المائدة مسترسلاً، يرمز إلى الصخرة التي وضعت على قبر المخلص. كما ان المذبح نفسه أو "الطبليث" (لوح من الخشب في وسط المذبح) يرمز الى القبر.
- **الشموع والقناديل**: ترمز الى نور التعليم الالهي وتذكّر المؤمنين بان يكونوا "نور العالم"، ويشير ذوبانها وارتفاع لهيبها الى احتراق الخطيئة وارتفاع الذات الى الرب؛ وترمز شمعتا الانجيل إلى المبشرين الذين ارسلهم المسيح اثنين اثنين.
- **المبخرة والبخور**: حرق "البسمة" الزكية الرائحة وصعود بخورها الى فوق يرمزان إلى ازالة رائحة الخطيئة وارتفاع صلوات المؤمنين إلى عرش الله، طاهرة معطّرة.
- **الصنوج والاجراس**: صوت الصنوج والاجراس -وحفيف المروحتين في الطقس السرياني- مع الاضواء ورائحة البخور...تشير الى نزول العلي في جبل سيناء وهو يتجلى وسط الدخان والبروق والرعود...
- **"التبسة" او الصينية**: كان المؤمنون يقدمون عطاياهم وهباتهم من زيت وشموع وبخور وطحين وخمر الخ... -ويكون للفقراء منها حصة. وقد استعيض عنها بالهبات النقدية لسدّ حاجات الكنيسة، وعلامة على الشركة والتضامن.

الحلل الكهنوتية

- **القميص**: وهو ثوب مشترك بين الاكليروس، من كتان او حرير يرمز الى النقاء و"حلّة عدم الفساد".
- **البطرشيل**: كلمة يونانية تعني "ما يوضع حول العنق"، وهو الفارق بين الثياب المدنية والثياب الطقسية، وهو مفتوح لدى الكلدان ومغلق لدى السريان، ويرمز مع "الزنّار" (الحزام) الى القوة والثبات في طريق الرب.
- **الزنّار**: يشدّ به الكاهن وسطه (حزام في الطقس الكلداني، بينما هو قطعة من قماش البدلة في الطقس السرياني)، وهو رمز الاستعداد للسير في طريق الرب

—ويلبس الكاهن السرياني "كّمين" في ذراعيه يرمزان الى ذراع الرب القوية التي تسند الكاهن.

- **البدلة:** هي مستديرة في اسفلها ومفتوحة من الامام، وترمز الى الصلاح الذي يتوشح به المحتفل بالاوخارستيا.

الحركات الطقسية

الوقوف المصحوب ببعض الحركات الجسدية كالسجود والانحناء ورفع اليدين وجمعهما وقرع الصدر ورفرفة الايدي وتقبيل المذبح والاواني المقدسة الخ... توحي بان الكاهن والمؤمنين ينضمون الى الطغمات الملائكية المحيطة بالمذبح، ونقتصر على الحركات التالية:

- **غسل الايدي:** كان هذا الغسل يلي تسلّم تقدمات المؤمنين، فأصبح رمزاً للنقاء ودعوة إليه، كما جاء في المزمور ٣٦: "أغسل يديّ في النقاوة واطوف بمذبحك يا رب".
- **قبلة السلام:** علامة الشركة بين المؤمنين، وكانت "قبلة مقدسة"، فأصبحت مصافحة او تماسّاً بالأيدي، دليلاً على المصالحة الواجبة قبل تقدمة القربان (متى ٥:٢٣).
- **رفع المنديل:** عندما يرفع المحتفل المنديل عن "الاسرار"، فتلك اشارة الى الزلزال فجر القيامة وتدحرج الصخر عن القبر، اما "الرفرفة" بالايدي او بالمنديل فهي تشير الى حلول الروح القدس.
- **وضع الايدي:** هذه الاشارة بكلتا اليدين هي استدعاء الروح القدس على القرابين ليجعل منها جسد ودم المسيح؛ اما وضع اليد اليمنى على "الاسرار" قبل اعطاء البركة او السلام، فيدل على ان البركة تُستَمدّ من الاسرار، فتحل على المؤمنين.
- **الرفعة:** ان رفع المنديل عن "الاقداس" يشير الى حقيقة قيامة المسيح. ويتم استذكار موت المسيح وقيامته عبر "كسر الخبز" (القصي بالسريانية) ومن ثم "غمس" الجسد بالدم دلالة على القيامة.

المطران عمانوئيل بني ١٩٢١-١٩٩٩

ولد في بغداد في ١٩٢١/١/١. بدأ عام ١٩٣٢ الدراسة في اكليريكية الآباء البندكتيين في القدس وواصلها في دير الشرفة، ورسم كاهنا في بيروت في ١٩٤٤/٧/٢.

عاد إلى بغداد فخدم فيها ومن ثم في البصرة (١٩٤٨-١٩٥٤) واخيرا سكرتيرا لمطرانية بغداد إلى ان انتخب مطرانا على ابرشية الموصل السريانية واقتبل الرسامة الاسقفية في بيروت في ١٩٥٩/١٢/٨.

باشر مهمته الراعوية بأعمال بناء وصيانة للكنائس في الموصل وتوابعها وسعى إلى تنظيم حياة الكهنة ورسالتهم وتقاعدهم، واشرف على نشر الكتب الطقسية ورتب الاسرار... وامتدت مشاريع البناء إلى انحاء الابرشية، ومن ابرزها المركزان الثقافيان في كل من قره قوش وبرطلة.

واكب مسيرة كهنة يسوع الملك واصبح صاحب امتياز "الفكر المسيحي". وفي عهده نشطت الحركة الثقافية والرسولية والروحية في ارجاء الابرشية. كان قد شارك في جلسات المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥).

ثابر على خدمة الابرشية حتى استقالته عام ١٩٩٦، وواصلها حتى باغتته المنية قبيل رسامة خلفه على كرسي الموصل في ١٩٩٩/١٢/٩.

كانت له ٧ مساهمات:

- روح السنة المقدسة	شباط ١٩٧٤
- مقابلة مع الفكر المسيحي/ عدد خاص	ايلول ١٩٧٧
- رسالة الميلاد (مشتركة)	ك٢ ١٩٨٢
- مؤهلات طالب الكهنوت	ك١ ١٩٨٣
★ رسالة راعوية في الحب والزواج (مشتركة)	ايار ١٩٨٥
- وفد مسيحي للسلام	نيسان ١٩٨٨
- ...يتحدث من راديو الفاتيكان	نيسان ١٩٨٨

رسالتان راعويتان وقعهما اساقفة الموصل الثلاثة في الثمانينات، كانت الاولى بمناسبة الميلاد "في السلام والاخاء بين البشر" (١٩٨١)، والثانية "في الحب والزواج" (١٩٨٥) -وقد اخترناها لتعكس مساهمة المطران عمانوئيل بني. وكنا قد صدّرناها في حينه بمقدمة في الزواج بصفته شركة حياة تقوم على الحب والعطاء المتبادلين:

"مفاهيم خاطئة تعرّض هذا المشروع للخطر. عقبات جمة تنتصب بوجه الشبان والشابات -واكثرها وطأة المطاليب المادية التي توحي بان الزواج مساومة تضيع معها قيم الحب... فبدافع الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتق رعاة الكنيسة، وتزامنا مع عام الشباب الدولي، اصدر اساقفة الموصل رسالة راعوية مشتركة...".

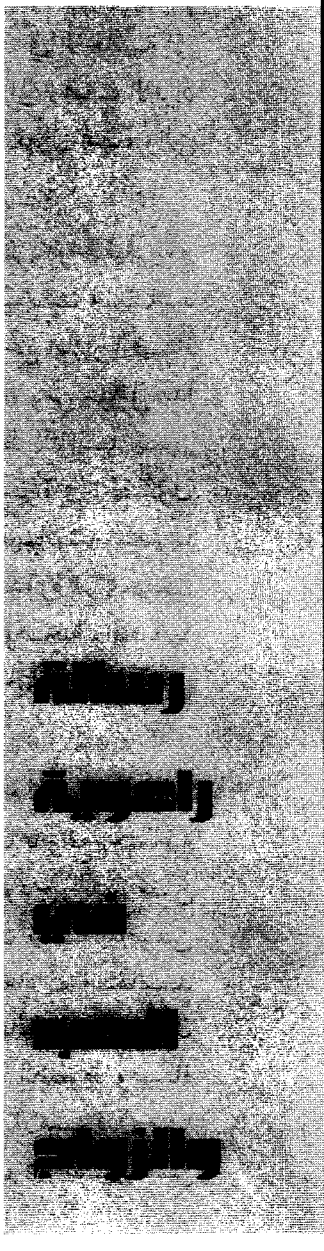

لما كان الزواج مشروعا حياتيا جليلا، يهدف الى الشركة الحبية بين رجل وامرأة يعزمان على السير معا في دروب الحياة، بحلوها ومرّها، كان من الضروري جدا ان يكتسب الزوجان وعيا عميقا بأسسه ومقوّماته، ويتأهبان بشكل جاد لتحمّل المسؤوليات الجسيمة التي يضعها على كاهلهما.

ففي اعقاب مناقشات راعوية بين اكليروس ابرشياتنا الثلاث، لفتت انتباهنا المشاكل والمعوّقات التي يتعرّض لها ابناؤنا من الشباب والشابات الذين هم على عتبة الزواج. وقرّ الرأي على توجيه رسالة راعوية في الاسس التي يقوم عليها الزواج المسيحي تسهم في توعية الآباء والامهات حول مسؤولياتهم تجاه اولادهم المقبلين على الزواج من جهة، وتعمل على ازالة العقبات التي تنتصب بوجه الشباب والشابات من جهة اخرى.

وازاء المفاهيم الخاطئة التي علقت بالحب والزواج والاسرة، وازاء المعوّقات التي يتعرّض لها المقبلون على الزواج في مجتمعنا العراقي، وتلافياً للمشاكل التي تنتج عن زيجات تنقصها العناصر الأساسية التي تضمن ديمومة الحب والشركة بين الزوجين، وبدافع الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا كرعاة، راينا ان نوجه اليكم، ايها الاخوة الاعزاء، آباءً وامهات، شبابا وشابات، هذه الرسالة التي تهدف الى اشاعة مفهوم انساني ومسيحي عن الحب والزواج، يسهم في بناء اسرة متراصة يرفرف عليها السلام والفرح والسعادة. ويطيب لنا ان نلتقي هذه الرسالة مع طموحات وتطلعات شبابنا المسيحي في هذا العام بالذات "العام الدولي للشباب".

نظرة الى واقع المجتمع

أ- حتى زمن قريب، كان دور الاسرة في المجتمع الريفي -ولا تزال آثاره قائمة حتى اليوم- يقوم في عملية استمرار الجنس البشري وضمان انتقال الملكية عن طريق الوراثة. ومن هذا المنطلق، كان الزواج اشبه باتفاقية بين اسرتين او عشيرتين تدفع اليها عوامل اقتصادية اجتماعية، اكثر منها نفسية عاطفية. ففي مثل هذه الزيجات، لم يكن للحب موقع ذو شأن، ذلك لان هدف المؤسسة الزوجية كان في الاجابة الى حاجة حياتية تفرضها الاوضاع الاجتماعية، اكثر مما في الاستجابة الى رغبات الافراد وعواطفهم؛ وكثيرا ما كانت المرأة ضحية هذه الاتفاقيات التي تتم بمعزل عنها، والتي قلما كانت تأبه للجوانب النفسية والعاطفية لديها.

ب- ومع التحولات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والخلقية، ومع انتشار العلوم الانسانية التي اكدت على حرية الانسان وكرامته وقيّمت مشاعره واحاسيسه النفسية والعاطفية، ومع تقدم علوم الحياة التي كشفت عن اسرار الحياة الجنسية... برزت ظاهرات ساهمت في تغيير النموذج القديم للاسرة. ومن عوامل هذا الانتقال الى نموذج جديد، ولا سيما في المجتمعات المدنية، الاختلاط المتزايد بين الجنسين في كل مرافق الحياة، ومفهوم المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ودخول المرأة في ميدان العمل، وتصاعد الوعي لديها بشخصيتها ومكانتها... فلم يعد الرجل "المعيل" الوحيد للاسرة، ولم يعد بمقدوره ان يمسك لوحده بزمام الامور، واصبحت وتيرة الانجاب رهنا بعوامل نفسية وصحية واقتصادية تتحكم بها المرأة، واضحت الحياة الجنسية ذاتها تتعدى مهمة نقل الحياة، بقدر ما هي لغة يعبّر بها الزوجان من خلالها عن اتحادهما الوثيق وعطائهما المتبادل.

جـ- ولقد ساهمت هذه التحولات الجذرية في اشاعة مفهوم للزواج يرسو على الحب، فسح المجال لعقد زيجات بدوافع نفسية عاطفية، اكثر مما بدوافع اجتماعية او عشائرية او قبلية او طبقية. وفيما نلاحظ بارتياح نشوء هذا النموذج الجديد من الاسر، يسوءنا ان نرى الكثير من شبابنا وشاباتنا ما يزالون يحملون تبعة الماضي ويخضعون في اختياراتهم لشتى الضغوط، سواء كانت متأتية من العادات والتقاليد الاجتماعية، أم من مفاهيم خاطئة لديهم أو لدى والديهم الذين غالبا ما يمارسون دورا حاسما في موضوع الزواج. ومما لا شك فيه هو ان اكثر هذه الضغوط وطأة تكمن في تلك العقلية المادية التي اخذت تهيمن على أفكار ومواقف الاسرة في ما يتعلق بالزواج، ولسنا نغالي اذا قلنا بأن الدوافع المادية اخذت تحتل، في كثير من الاحيان، مكان الحب!

مفهوم الزواج المسيحي

ان الزواج، في اساسه، شركة حياة بين رجل وامرأة عقدا العزم على السير يداً بيد في تعاون وثيق وانسجام عميق. فلقد شاء الله، منذ الخلقة، ان يولّف الرجل والمرأة شركة في الحب والحياة تقوم على رضاهما التام في عطاء متبادل: "ويكونان كلاهما جسدا واحدا" (متى ١٩:٦). ورفع السيد المسيح اتحاد الرجل والمرأة في الزواج الى مرتبة شبيه بسر اتحاده بالكنيسة، داعيا اياهما الى ان يحب أحدهما الاخر بأمانة واخلاص: "ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة وبذل ذاته لاجلها" (افسس ٥:٢٥). فالزواج المسيحي هو انعكاس حب الله للبشر، وهو اشتراك في عهد الحب الذي يجمع بين المسيح وكنيسته، وفيه يتجلى بوضوح ذاك الرباط الوثيق الذي يجمع بين شخصين في وحدة الروح والجسد، وحدة متراصة لا تنفصم ولا ينالها انحلال: "ما جمعه الله لا يفرقه انسان" (متى ١٩:٦).

وان اتحاد الرجل والمرأة في سر الزواج يجد اساسه في ذاك الانجذاب الطبيعي الذي يحمل كلاً منهما، بقوة العاطفة والارادة، الى الالتقاء بالآخر في حب متبادل معطاء يركّز على الاحترام والثقة والبذل والسخاء. وفي هذا الحب، يتكامل الزوجان ويغني احدهما الاخر على الصعيد الفكري والنفسي والعاطفي والجنسي، في احترام متبادل لخصائص كل منهما وميزاته الفيزيولوجية والنفسية، دون ان يمسّ شخصيتهما ذوبان او انتقاص.

من هذا المنطلق يضحي الزواج مشروعا حياتيا في غاية الاهمية يهدف الى الشركة الحميمة بين الزوجين واكتمالهما في الانجاب الذي يكلّل حبهما ويجعلهما يشاركان الله في عمل الخلق: "إنميا واكثرا" (تكوين ١:٢٨). لذا فمن الخطأ الفادح ان يُقبل المرء على الزواج بدوافع لا تليق بالانسان او تمسّ كرامته: فحين يبدو الزواج وكأنه "شر لا بد منه" يرضخ له الانسان لمجرد الاستقرار او لاشباع الغرائز، أو حين يضحي الزواج عقداً "تجارياً" لا يقيم وزناً للمساواة الجوهرية بين حق الرجل والمرأة وحريتهما في الاختيار، او حين تكون هناك مفاهيم تضحي المرأة بموجبها "خادمة" او اداة للمتعة او "ماكنة" للانجاب لا غير... يفقد الزواج آنذاك ابرز غاياته وأهم أسسه.

الحب اساس الزواج

ان الحب الذي يعمر به قلب الانسان ويحمله على عطاء الذات الكامل في الزواج، يجد جذوره في الله الذي هو محبة (١يوحنا ٤:٨). فالله هو الذي، منذ الخلقة،

غرس الحب في كيان الانسان ليكون بمثابة دافع له الى اكتشاف الآخر والالتقاء به والشركة معه. ولهذا الحب قيمة انسانية والهية معا، كونه يلتقي مع ارادة الله وطموحات الانسان؛ ومن ثم فهو يكتسب صفة القدسية، سيما بعد ان طهره المسيح ورفعه وتسامى به. وغني عن القول ان مثل هذا الحب الصافي والعميق يضفي كرامة خاصة على الفعل الزوجي، ويعطي معنى لكل التعابير الحميمة التي يتبادلها الزوجان في نطاق الحياة الزوجية بكافة ابعادها.

والحب في بعده الانساني والروحي هو ذاك التنادي العميق بين رجل وامرأة وطدا العزم على ان يدخلا معا معترك الحياة. إنه اشبه بمغامرة رائعة تحمل الواحد على قبول الآخر، كما هو عليه من ميزات وخصائص. وبقدر ما هو عطاء سخي وبذل مقدام، فهو في الوقت ذاته خروج عن الذات يمكّن من الانفتاح على الآخر والثقة به والسعي الى إسعاده، وينفي من ثم كل اشكال الانانية والتسلّط والتملك... والحب الصحيح هو الحب الذي يحمل كلاً من الرجل والمرأة على تحقيق ذاته والبلوغ الى ملء اكتماله، عبر العطاء المتبادل الكامل وعبر السعي الحثيث الى سعادة يتذوقانها معا.

ولما كان الزواج يرسو على الحب كقاعدة اساسية، ترى الكنيسة -وهي الام التي تسعى الى سعادة ابنائها- أن من واجبها التأكيد على قدسية الحب، معتبرة اياه حقا يجب ان يتمتع به كل شاب وشابة على عتبة الحياة الزوجية. ونحن، فيما نؤكد ان الحب هو اساس الزواج، ندعو الآباء والامهات الى تقييم الحب الذي ينشأ في قلوب ابنائهم. وافساح المجال لهم لاختيار شريك الحياة بدافع الحب، اكثر مما باية دوافع اخرى، ويقيننا ان زواجا لا يرسو على الحب، يتعرّض، آجلا ام عاجلا، لخيبات أمل مريرة قد تتمخض عن مشاكل لا تحمد عقباها.

معوقات الحب والزواج

وانطلاقا من كل ما تقدم. يجدر بنا ان نلفت انتباه الآباء والامهات، والشباب والشابات، الى بعض المعوقات التي تحول دون عقد زيجات على أسس قويمة راسخة. نوجزها في ثلاث نقاط: ١- صعوبة الاختيار لدى الشباب ٢ – التدخل المفرط من قبل الوالدين. ٣ – نفقات الزواج الباهضة.

١- صعوبة الاختيار

لا نخفي بان اختيار شريك الحياة امر في غاية الدقة، كونه موقفا حاسما يقتضي الاحاطة بكل الجوانب التي من شأنها ان تجعله اختياراً لا عودة فيه. ومما لا شك فيه

ان كل اختيار هو أشبه بمغامرة، طالما يكون المرء بازاء شسخص يختلف عنه كليا ومن جوانب كثيرة؛ الا ان المهم هو ان يتضمن الاختيار ذاك القدر المعقول من الانسجام العاطفي والتقارب الثقافي والفكري والروحي. هذا التكافؤ، بوسعه ان يحوّل الاختلافات في الشخصية والطباع والاذواق الى غنى متبادل- وغني عن القول ان الزواج لا يربط شخصين متجانسين بل مختلفين يجمعهما الحب.

ولا يسعنا الا ان نبدي قلقنا ازاء المقاييس الخاطئة التي يتم بموجبها الاختيار: كأن يطالب الشاب بفتاة تجتمع فيها كل صفات الجمال والاخلاق والقوام الخ... وأن تكون من عائلة "اصيلة"، ولا تكون اية نقطة سوداء في سجل والديها واقربائها القريبين والبعيدين! وكأن تحلم الفتاة بشاب من اسرة ثرية يكون بوسعه ان يلبّي مطاليبها في الملبس والمسكن الخ...، على أن يكون على قدر عال من الثقافة وتكون له وظيفة مرموقة ومنزلة اجتماعية رفيعة الخ... وغني عن القول ان هذه المواصفات قلما تجتمع في شخص واحد!

ومثل هذه المقاييس تجعل من الاختيار امرا بعيد المنال، وتحوّل الزواج عن اهدافه الجوهرية ومقوّماته الاساسية. ففيما ندعو الشباب والشابات الى اعطاء الاولوية للحب والتكافؤ الخلقي والفكري والعاطفي والروحي، نناشدهم ان يعتبروا سائر الدوافع الاخرى (الجمال والثروة والطبقة والمكانة الاجتماعية والحسب والنسب الخ...) بمنزلة العوامل الثانوية التي لا يليق ان تتحكم بالاختيار. ولا بد لنا في هذه الصدد ان نشير الى قلة الفرص المتاحة للالتقاء والتعارف بين الشباب والشابات: ففيما نناشد إلى الكف عن اصدار الاحكام القاسية التي كثيراً ما تُصوَّب نحو الاختلاط بين الجنسين، ونحو الحب بنوع خاص، نغتنمها فرصة للدعوة الى اقامة نشاطات ثقافية اجتماعية مختلطة، في نطاق الخورنات، تسهم في التعارف بين الشباب وتسهّل عليهم عملية الاختيار وفق مقاييس رصينة؛ وحبذا لو تقام لقاءات للمخطوبين تهدف الى تعميق التعارف في ما بينهم، واعدادهم للزواج اعدادا كاملا.

٢- تدخل الوالدين

على الوالدين تقع، بالدرجة الاولى، مسؤولية إعداد اولادهم للزواج، عبر توعية رصينة في كل ما يتعلق بالقضايا العاطفية والجنسية. إنّ لهم، بحكم خبرتهم، الحق في توجيه اولادهم نحو الاختيار الافضل، كما ان من واجبهم اسداء النصيحة لهم وحملهم على تجنّب الانزلاق في مهاوي الرذيلة والانسياق وراء الاهواء والنزوات، ولا سيما في قضية اختيار شريك الحياة، شريطة ان يكون هذا التوجيه سديداً تمليه المحبة والنزاهة المجردة عن المنافع الشخصية.

الا ان هناك احيانا تدخلا مفرطا في الاختيار من جانب الوالدين يتجاوز حقهم في التوجيه والنصح، لا سيما حين تختفي وراءه دوافع انانية نفعية، مادية كانت ام معنوية. ولا نخفي بان المفاهيم الخاطئة التي اشرنا اليها اعلاه، غالبا ما يتخذها الوالدون مقياسا في توجيه اختيارات ابنائهم وبناتهم: فكثيرا ما يركّز ذوو الفتاة اهتمامهم على قبول الشاب ذي الحسب والنسب والثروة الطائلة والمكانة الاجتماعية المرموقة الخ... ورفض ذاك الآخر، بسبب أصله القروي او طبقته او مهنته او طائفته الخ... وكثيرا ما يبررون رفضهم بحجج واهية، كأن على البنت الكبرى ان تتزوج قبل الصغرى، او أن عليها ان تنتظر "نصيبا" أفضل، الى غير ذلك... ولا يندر أن يشدّد ذوو الشاب على مواصفات تعجيزية لدى الفتاة، بدءاً بميزات الجمال وحداثة السن والقامة... وانتهاء بالاخلاق! وقد يؤدي هذا التسويف وهذا التماطل، من جانب أو من آخر، الى فوات فرص الزواج، وما اكثر مثل هذه الحالات في مجتمعنا المسيحي اليوم –وقد ازدادت هذه الظاهرة خطورة، ولا سيما ابان الحرب، واصبحت تنبئ بانفجارات خطيرة.

ولا شك ان من ابرز العقبات التي يتعرّض لها الشباب في مشروع الزواج، تكمن في عدم التفهم للحب الذي ينشأ في مرحلة الاختيار، حيث يصطدم الشباب والشابات بمعارضة شديدة ورفض صارم من قبل الوالدين. وكثيرا ما يبرّر الوالدون ممانعتهم، بحجة ان الحب غير جدير بأسرهم ولا يتماشى مع تقاليدهم، وأنه سيأتي بعد الزواج، ولا داعي له ان يسبق الزواج!

ونحن، اذ نحث الوالدين على تجنّب اطالة "الوصاية" على اولادهم الذين هم على عتبة الزواج، واعتبارهم بالغين، عليهم ان يُمسكوا مصيرهم بايديهم في قضية يعود اليهم فيها القرار، ندعوهم ان يسعوا الى حمل اولادهم على تقرير مستقبلهم في عمر مبكّر ويفسحوا لهم المجال لاختيار حر وواع، دون اية ضغوط قد تنقلب الى مآسٍ.

٣– نفقات الزواج

لم يعد خافيا ان المطاليب المادية التي تُفرض على المقبلين على الزواج اصبحت عبءاً يثقل كاهل العريسين في بدء مسيرهما المشتركة. فمن النفقات ما يتعلق بذوي الفتاة الذين، منذ الانطلاق، يحدّدون كمية الذهب والاثاث (الجهاز) التي على ذوي الشاب أن يؤدوها –وما زال قائما في بعض القرى اتفاق متعارَف عليه يفرض بموجبه والد الفتاة مبلغا من المال (المهر) لقاء يد ابنته. ومن النفقات ما يتعلق بفترة الخطوبة حيث يضطرّ ذوو الفتاة ان يتحملوا تكاليف الحفلة، فيما يُطالَب ذوو الشاب بهدايا

موسمية طيلة فترة الخطوبة مهما طالت. ومن النفقات في اسبوع الزواج ما يتجاوز الحدود، سيما منذ ان اصبح الاحتفال بالزواج يتم في النوادي والمطاعم! وقد اتخذت هذه العادات، في المدن، شكل ضغط اجتماعي غاشم، واصبحت الأسر تقلّد بعضها البعض وتتنافس في مظاهر الاحتفال، وكثيرا ما تدفع الاسر الفقيرة الثمن —وغني عن القول ان هذه الظاهرة تثقل كاهل العريس بنوع خاص، وهو في مرحلة يتحتم عليه فيها ان يجاهد لبناء اسرته الجديدة.

ان هذه المطاليب والنفقات المفرطة تجعل من الزواج مشروعا يخشى الكثيرون من الشباب الاقبال عليه. وغالبا ما يساورهم التهيّب والخوف ازاء التكاليف الباهضة التي تفرضها التقاليد الاجتماعية وكأنها ضريبة يتحتم على المقبلين على الزواج ان يدفعوها! ونحن، انطلاقا من مفهوم مسيحي للزواج، ومن رؤية مسيحية في استخدام المال، وبدافع التخفيف عن كاهل المقبلين على الزواج وذويهم، نلفت الانتباه الى ضرورة السعي الى تجنّب كل ما من شأنه ان يلصق بالزواج الطابع المادي الذي يشوّه وجهه ويفقده اسمى معانيه، ويجعله يبدو وكأنه "صفقة تجارية" بين اسرتين تدفع الواحدة ثمن نزوة الاخرى الى التباهي والتفاخر!

وفيما نشجب بشدّة التقاليد التي يُفرَض بموجبها "مهر" لقاء الفتاة -وذلك يوحي بانها "سلعة" تباع، مما يمس كرامتها ويتعارض مع مفهوم مسيحي للحب تنتفي منه كل اشكال المساومة- ندعو الوالدين الى تجاوز هذه العقلية المادية التي تنخر في صرح الزواج، ونناشد الشباب والشابات للعمل على ازالة هذه التقاليد البالية التي تذكّر بعهود التخلف.

كما اننا ندعو كافة الاسر الى التخفيف من النفقات التي تفرضها العادات والتقاليد في مراسيم الزواج، ونتمنى ان يتم الاحتفال بالزواج بطابع البهجة والبساطة معا. ونغتنمها فرصة للتذكير بالبعد الروحي الذي يجب ان يطبع حفلة الاكليل (البرّاخ)، ونؤكد رغبتنا في ان تتم في الكنائس، وفي جو من الخشوع والصلاة المشتركة.

توصيات

في ختام هذه الرسالة التي نتمنى ان تكون حافزا لمناقشات جادة بين الاسر المسيحية، ولا سيما بين الشباب في نطاق اللقاءات الدينية، نخلص الى التوصيات التالية، ويقيننا انكم ستتجاوبون مع مضامينها:

- نتمنى ان تزداد فرص اللقاء بين الشباب والشابات في نطاق النشاطات الدينية التي نمنحها دعمنا الكامل.
- ندعو الى تقييم ورعاية الحب باعتباره اساس للزواج، ونحثّ الوالدين الا يضعوا العقبات بوجهه.
- نؤكّد على مسؤولية الوالدين في إعداد اولادهم للزواج واخلاص النصيحة لهم، مع احترام حريتهم في الاختيار، دون ممارسة اية ضغوط.
- نحذّر الشبان والشابات من مغبة اختيار وفق مقاييس سطحية ومادية لا طائل تحتها، ونناشد الوالدين لتجاوز المفاهيم التي تمسّ كرامة الزواج واهدافه.
- نشجب الطابع المادي الذي يهيمن على الزواج ويشوّه مفاهيمه واسسه والتي تتمثل في المطاليب التعجيزية المفروضة. ونشجب بنوع خاص التقاليد التي توحي بالبيع والشراء والتي تمسّ كرامة المرأة.
- ندعو الى التخفيف في نفقات الزواج الباهضة والى التزام جانب البساطة في المراسيم والاحتفالات التي ترافق عقد الزواج.

الموصل في ١٤ نيسان ١٩٨٥

المطران كوركيس كرمو　　المطران صليبا شمعون　　المطران عمانوئيل بني

عدد ايار ١٩٨٥

الاب ميشيل دي مينار الكرملي ١٩٤٦-٢٠٠٤

ولد في بروكسل (بلجيكا) في ١٩٤٦/٦/٢٢. وبعد اتمام دراسته الثانوية انضم الى رهبنة الكرمل حيث ابرز نذوره المؤبدة فيها في ١٩٧٠/٨/٤، ومن ثم اقتبل الرسامة الكهنوتية في ٢٣/ ١٩٧٢/٤.

اوفدته الرهبانية ليعمل مع اخوته الكرمليين في بغداد، فتوجه إلى لبنان حيث انكبّ على دراسة اللغة العربية، ومن ثم قدم إلى بغداد لينضمّ إلى العمل الروحي والرسولي الذي سبقه فيه اخوة كان لهم، منذ قرابة ٤٠٠ عام، دور ريادي في تنشيط الحياة التأملية في كنيسة العراق.

والاب ميشيل، بحكم شبابه، تميّز بحبه للشباب والعمل معهم والارتقاء بهم إلى قمم الروحانية.

اضطر في آخر سنواته إلى مغادرة العراق للمعالجة من مرض ألمّ به، وتوفي في فرنسا في ٢٠٠٤/٦/٢٩.

كانت له ٥ مساهمات، نشبت الاولى، وقد سبق ان نشرنا الاخرى في كتاب "من وحي الانجيل"

★ البعد الجماعي للاوخارستيا/ ملف	ايلول ١٩٧٦
● عماذ يسوع/ انجيل	ك٢/اذار ١٩٩٣
● الله يعتلئ بحبه/ انجيل	نيسان/ حزيران ١٩٩٣
● مثل الزؤان/ انجيل	تموز/ ايلول ١٩٩٣
● وليمة العرس	ت١/ ك١ ١٩٩٣

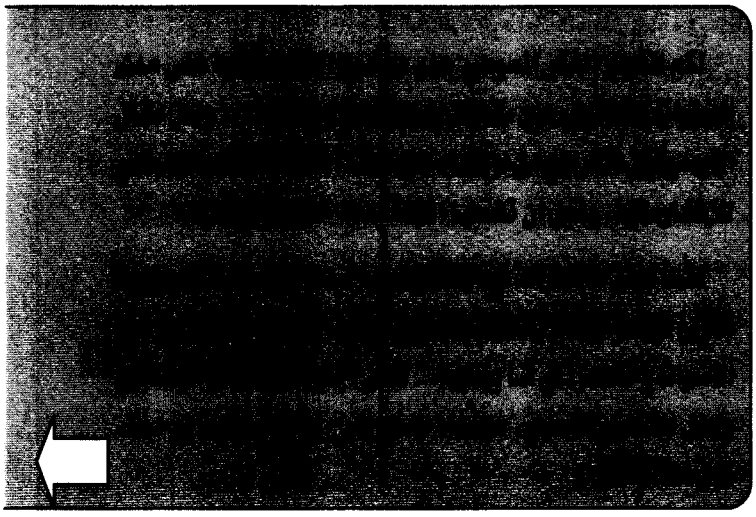

البعد الجماعي للاوخارستيا

الاوخارستيا هي التعبير الاسمى لحضور المسيح وسط كنيسته: حضور في الجماعة، حضور في الكلمة، واخيراً حضور في الخبز والخمر من حيث كونهما مقاسمة. ذلك لأن وحدة الجماعة المسيحية تبنى بنوع خاص إبان الاحتفال بالاوخارستيا، ومن هنا تأتي اهميتها الكبرى لحياة الكنيسة.

١ - ملاحظات اولية

قبل الادلاء بأي رأي حول بحثنا، يسوغ لنا ان نذكر ببعض حقائق جوهرية أُسيء فهمها أحياناً:

الاحتفال، هذه العبارة التي تضم حركات ليتورجية متعددة (القداس، الاسرار، الصلاة الفرضية، اجتماعات الصلاة، أشباه الاسرار الخ...) يدور فحواها حول العناصر التالية: **تجمع** مسيحيين -سماع كلام الله- يرتلون ويصلون سوية. فعبارة "الاحتفال" تضم اذاً نشاطات كنسية متعددة جداً في مواضيعها، ومتنوعة الجوانب في تحقيقها: ففي هذه الكنيسة مثلاً يمسك الكاهن بزمام كل شيء، وفي تلك يشترك العلمانيون معه ويتحملون مسؤولياتهم؛ هنا يشترك الجمهور اشتراكاً كاملاً في الصلوات والتراتيل، وهناك بالكاد يُسمع بعض المؤمنين المبعثرين في المعبد اصواتهم. هنا يقام حفل زواج بأبهة كبيرة، وهناك يحاول بعض الملتزمين ان يجعلوا من حفل زواجهم مناسبة لترسيخ ايمانهم وتعميقه؛ هنا يمارس كاهن ما أو "جماعة ضغط" معينة سلطاتهم المطلقة، بينما تظهر محاولات في موضع آخر لخلق سياسة راعوية تعطي كل واحد امكانية ممارسة مسؤولياته.

هكذا نلاحظ اذاً ان كل "احتفال" يكشف النقاب عن مفهوم خاص للكنيسة -وقد لا ينتبه المحتفلون الى ذلك دوماً-، ونميز

وجهات نظر مختلفة الى الكنيسة: من هي الكنيسة، ما هو دورها، وكيف ينبغي ان تمارس هذا الدور... كنيسة هرمية أم كنيسة شعب الله (بحسب الفاتيكاني الثاني)؛ كنيسة اكليريكية أم كنيسة تكون فيها المواقع خدمة؛ كنيسة تظهر بمثابة كيان اجتماعي أم جماعة انجيلية. ونظرتنا هذه تتحقق بتجاوز العناصر الحسية: بتجاوز المظهر الخارجي لهذا الفريق الذي يُعِدّ احتفالاً ما وينعشه، أو ذاك الكاهن الذي يأخذ كل شيء على عاتقه، أو الصيغة الفلانية للمشاركة، أو الموقف الفلاني المتحفظ... ان كل احتفال يعكس وجهاً معيناً للكنيسة.

من جهة اخرى، تقوم الكنيسة بتنظيم "الاحتفال" فتضع الاسس والتعليمات وتسنده الى كلام الله والتقليد المسيحي. وهكذا، اذ يعكس "الاحتفال"، بصورة غير مباشرة، وجهاً من أوجه الكنيسة، يكون في الوقت ذاته صورة لها، وبالتحديد صورة للكنيسة المحلية؛ صورة تحمل معالم الغنى والفقر التي تتكون منها الكنيسة في موضع معين: ففي كنيسة اكليريكية يكون الكهنة فيها الالف والياء، تنشأ ليتورجيا اكليريكية؛ وفي كنيسة يكون الكل فيها مسؤولين، تنشأ ليتورجيا يساهم فيها الجميع بشكل واسع.

لماذا نجتمع؟

للاجابة الى هذا السؤال يجدر بنا أن نستنجد ببعض مبادئ علم الاجتماع: **ان العيش في اتصال وشركة** نزعة متأصلة في كل انسان، والحياة اليومية لا تروي عادة هذا الشوق. لذا كان من الضروري، بداهة، ان يخلق الانسان في حياته وقتاً للعيد، ووقتاً للحرية والعطاء المجاني يتاح له فيهما ان يحيا في اتصال وشركة ووحدة مع الجماعة. فالانسان، اذ هو كائن اجتماعي، لا يحقق ذاته بالتمام الا عن طريق الجماعة -او الجماعات- التي ينتمي اليها، اذ ان للانسان انتماءات عدة في الواقع. الجماعة تبث الشجاعة في اعضائها، والاعضاء يشدون أواصر الجماعة بالتحامهم بها. وللاعياد والاحتفالات، مهما كانت طبيعتها، دور هام في خلق هذا التيار الوحدوي بين اعضاء جماعة معينة؛ والطقوس ما هي إلا وسائل تثبت فيها الجماعة ذاتها في المجتمع. ان العيد يشكل وقتاً مميزاً يشبع فيه الانسان توقه الى الاتحاد، و"الاحتفال" قمته؛ العيد استمرارية، و"الاحتفال" فعل يحتل من هذه الاستمرارية موقعاً خاصاً؛ "الاحتفال" يسم العيد بخاصيته المميزة التي تعبر عن التحام المشتركين بموضوع العيد وتحققه، وهذا الموضوع لا يحتفل به لذاته أبداً، انما من اجل ما يمثله في حياة المحتفلين. موضوع العيد هو قبل كل شيء واقع معاش، لذا كان الاحتفال ذاته "فعلاً رمزياً"، لأن الحدث

المعاش لا يمكن احتواؤه.انه فعل لا يمكن العودة اليه: فالوسيلة الوحيدة للاتصال بـه هي الرمز الذي يكمن دوره، فعلا، في ان يعيد حضور ما لا يمكن احتواؤه زمنيـاً؛ "الاحتفال" هو اذا عنصر مكون للعيد، وبقدر ما يكون "الاحتفال" حياً ومعبراً، بقدر ذلك يكون العيد مشعاً.

بقي الآن ان نقول بأن كل عيد، حتى اذا كان عيداً "مدنياً" يتضمن طابعاً دينياً، وبان كل احتفال ديني هو تكثيف لواقع مهم من حياة جماعة معينة من النـاس. وفي حالة العيد الديني، يضاف عنصر يجهله العيد المدني ألا وهو العلاقة بالله.

حتى الآن لم نقل شيئاً مما ذكرناه له سمة مسيحية خاصة، انما كان علينا أن نضع الأسس الانسانية لمقولاتنا. ومن الطبيعي، من جهة اخرى، ان يكون "للاحتفـال" المسيحي خاصيات متميزة تماماً، وان هذه الخاصيات قد لا تتفق احياناً مـع بعـض السمات التي اشرنا اليها أعلاه (لا سيما في ما يخص موضوع العيد).

فما هي هذه السمات المسيحية الخاصة؟

طالما أخذ على الليتورجيا، لا سيما الليتورجيا اللاتينية، انها انفرادية الى حـد بعيد. أما اليوم فالنزعة تميل الى الاحتفالات الجماعية، سواء كان ذلـك في طريقـة الاحتفال أم في ما يخص علاقتها بحياة المشتركين. وما ظاهرة الجماعات الصغيرة إلا مؤشر يعكس هذه النزعة، وان تضمنت هذه النزعة شيئاً من الغموض احياناً: فقـد تكون أيضاً مؤشراً الى فقدان الحس بالجماعات الكبيرة. ولكن من حسن الحـظ ان المعتادين على ارتياد الكنائس الخورنية انفسهم يطالبون اليوم بالتجديد الليتـورجي. فيوم كانت الانفرادية الليتورجية هي السائدة، كان المؤمنون لا يزالون يتمتعون بشيء من الشركة خارج النشاطات الليتورجية؛ إلا أن هذا الواقع اخذ يختفي تدريجياً مـع التحولات التي تحرك نظام الحياة الاجتماعية والسكنية، والمسيحي اليـوم يطالـب الليتورجيا بما لا تمنحه اياه الحياة اليومية.

لا يمكننا اليوم ان نقبل بليتورجيا لا تساهم فيها الجماعة، وهذه المطالبة العصرية نفسها هي بمثابة خشبة الخلاص لها. الا ان الليتورجيا لا يمكنها ان تعوض ما تفتقـر اليه الحياة الاجتماعية: فحياة اجتماعية مبتورة ومشوهة لا تعطي سـوى ليتورجيـا مبتورة ومشوهة. واستخدام عبارة "الجماعة" نفسه هنا، ما هو الا مغالطة كلاميـة، لأن غاية الليتورجيا هي خلق الشركة وليس الجماعة. ان يعيش المرء في جماعة، معناه العيش في حياة مشتركة سوية كما يفعل الرهبان والراهبـات أو بعـض الـشباب (كالهيبيين أو أشباههم). فاذا اردنا صفاء التعبير، وجب علينا التحدث، في ما يخص

"الاحتفال"، عن الجمهور او جماعة الاخوة، وليس الجماعة بمعناها الحصري الانف الذكر؛ وكتاب اعمال الرسل يحدثنا بالفعل عن **الاتحاد الاخوي الذي كان يعيشه جمهور الاخوة.**

٢ - "الاحتفال" في عهد كنيسة الرسل

كان الاحتفال بالاوخارستيا في مقدمة الاعمال التي كان يمارسها المسيحيون الاولون، ويشعرون من خلالها بخاصيتهم الجديدة. فقد كانت الاوخارستيا تحقق طبيعة اختلافهم عن سائر الجماعات، اذ انهم لم يكونوا يحتفلون بها، لا في الهيكل ولا في المجامع، بل في ما بينهم فقط.

من الناحية التقنية، تشير عبارة "كسر الخبز"، أولاً، في القاموس الفلسطيني القديم، الى عملية كسر الخبز نفسها طبعاً، ومن ثم الى مجموع الطقوس التي كان يبدأ بها اللقاء الاحتفالي، وقد أضفت الجماعة المسيحية الاولى لوناً خاصاً على هذه العبارة، بما ان يسوع مارس هذا الفعل. فقد عرض لوقا لوحة عن حياة المسيحيين الاولين في سفر أعمال الرسل، في ثلاثة نصوص موجزة (٢:٤٢-٤٧؛ ٤:٣٢-٣٥؛ ٥:١٢-١٦). يقول النص الاول: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل، والشركة، وكسر الخبز، والصلوات" (٢:٤٢).

يستعمل النص اليوناني فعل (بروسكارتيرين ***Proskarterein***) وهذا الفعل يعني عادة في كتاب اعمال الرسل "المشاركة" في عمل ديني (١:١٤؛ ٢:٤٦؛ ٦:٤). ففي الاول يأتي تعليم الرسل الذي هو بمثابة المدخل الى "كسر الخبز" -وأفضل مثال لنا في ذلك، هو جماعة تروآس (انظر اعمال الرسل ٢٠:٧-١١)- ثم تعقبه الشركة الاخوية (كوينونيا ***Koinonia***) التي يعبر عنها باشتراكية الممتلكات أو بوضعها تحت التصرف العام (٢:٤٤ و ٤:٣٢). ونلفت الانتباه الى ان "كسر الخبز" بادرة لا تصدر الا عن جماعة مؤسسة على حب واحد، ونفس واحدة. بعد ذلك يشير لوقا الى الصلاة، والصلاة المشتركة أمر طبيعي وبديهي بالنسبة الى جماعة مسيحية تكونت من أجل تمجيد الله والسجود له (٢:٤٦-٤٧).

٣- قيمة الاوخارستيا الأحدية

كل مجتمع بشري، لا بد وان يجرف معه، مع مرور الزمن، عادات ومشاكل. فبعد العهد الرسولي بزمن طويل، عندما انهمك المجمع التريدنتيني في إضاءة قضية

"الاستحالة الجوهرية"[1] بسراج فلسفة ارسطو، فقد اهمل في الظل حقيقة ان الجسد الحاضر في الاوخارستيا هو جسد المسيح القائم من القبر. من جراء ذلك انزلق المجمع التريدنتيني في شيء من تقديس الالم، والاوخارستيا التي قدمها للمؤمنين كانت بعيدة عن اجواء الفرح الفصحي. فقد كانت تتضمن اعلان موت المسيح، واستعراض ذبيحة الصليب الدموية، وتقدمة المسيح ضحية سرية. ان وجهة النظر هذه ناقصة وان كانت صحيحة: فنحن نرى في الكتاب المقدس، ولا سيما لدى يوحنا، مجد القيامة يشع حتى على الجلجلة ويُحيل الصليب الى عرش ممجد (انظر يوحنا ١٢:٣٢). ولكن تيار "تقديس الالم" اكتسب قوة بفضل المجمع التريدنتيني الآنف الذكر، فصارت القداديس تقام امام الصليب (براءة بندكتس الرابع عشر في ١٧٤٦). وصورة المسيح على الصليب تختلف عادة عن الصور التي نقلها التقليد الكنسي العام، والتي كانت تظهره كرب المجد، بل اصبحت صورة رجل الاوجاع، صورة يسوع فريسة التراع. وتنعكس هذه الروحانية في تعليم بيوس الثاني عشر حين قال: "ان حالة الذبيحة تنجلي في "علامات" الموت الخارجية.. والاعراض الاوخارستية ترمز الى الانفصال الدموي بين الجسد والدم...انفصال الرموز يبين أن يسوع المسيح هو في حالة ذبيحة" ("الوسيط بين الله..". ١٩٤٧، *DS* ٣٨٤٨).

ان الانسان العادي، عندما يشاهد خبزاً وخمراً، يفكر بالاحرى بفرح الحياة، لذا لم يتبع المجمع الفاتيكاني الثاني نظرة المجمع التريدنتيني تماماً حين تكلم بوضوح عن ذكرى القيامة المجيدة (دستور "الليتورجيا المقدسة" ٦ و ٤٧؛ "المسيح الرب" ١٥). ولما كان مجرى التاريخ لا يقف عند صليب الجمعة العظيمة، بل ينفتح على الأبدية عن طريق القيامة، فالجسد الحاضر في الاوخارستيا هو بالتأكيد جسد المسيح القائم حياً وممجداً. ان المائدة التي يقدمها لنا ليست مائدة الصليب، بل مائدة القيامة: من أجل ذلك بالذات، لم يربط التقليد الكنسي الاحتفال الاوخارستي بيوم ذكرى موت الرب، بل بذكرى يوم قيامته، بيوم الاحد، اليوم "الرباني".

٤- كيف يصبح القداس حقاً عشاء إخوياً؟

لقد أشرنا أعلاه الى ضرورة التحام الجمهور في الاحتفال الليتورجي. ويكفينا، للتأكد من أهمية هذه المقولة، ان نعود الى العهد الجديد.

(١) أي النظرية القائلة باستحالة جوهر الخبز والخمر الى جوهر جسد المسيح ودمه بعد كلام التقديس (الفكر المسيحي).

لقد ورد فعل "اجتمع" أربع مرات في ١ قورنتس ١١:١٧-٣٤، وسبق ان ذكر في الفصل الخامس، آ٤ من الرسالة عينها؛ كما ان كتاب اعمال الرسل استعمله أيضاً (انظر ٤:٣٢؛ ١٤:٢٧؛ ٢٠:٧). الى هذه العبارة نضيف عبارة "الكنيسة[٢]"، جماعة الاخوة" (١٢:٥). ان هذه العبارة ترينا أهمية مفهوم "الجماعة" أو جمهور الاخوة، لأنها هي التي غلبت على سائر التسميات. فقد كانت تطلق في البدء على الجماعة المحلية والليتورجية، ثم بعد ذلك على الجماعة المسيحية كلها (أنظر أفسس ٥:٢١-٣٣). ان هذا الاجتماع في نطاق الجماعة أو جمهور الاخوة هو الخاصية الاكثر عمقاً في الليتورجيا المسيحية، حيث ان جماعة الاخوة هي التي تجتمع للصلاة، والترتيل، والتمجيد، والضراعة، والتقريب، والشكر؛ والصلوات الاوخارستية ليست بصيغة المفرد، بل بصيغة الجمع، لأنها تنطلق من الجماعة كلها: جماعة الاخوة "تحتفل" بصورة مشتركة مع المسيح المحتفل الاول.

وانطلاقاً من الكتاب المقدس أيضاً، نقول عن الفصل ٢:٤٢ من كتاب اعمال الرسل ان بنية هذه الفقرة لم تأت جزافاً، بل هناك تقدم في الفكرة حيث ان الجزئين الاولين (تعليم الرسل والشركة الاخوية) يقودان الى الجزئين التاليين (كسر الخبز والصلوات). فاسلوب الحياة الذي يحدده سماع تعليم الرسل والشركة الاخوية يصبح أساساً لكسر الخبز والصلوات؛ وكسر الخبز لا يمكن فهمه الا اذا وجدت الشركة الاخوية، لأن كسر الخبز هذا ما هو إلا علامة للحياة مع المسيح ومع الاخوة. الاوخارستيا، اذن، هي علامة الشركة الاخوية في الجماعة؛ انها تجمع حول المائدة الواحدة لمقاسمة الحب الواحد: وهنا يكمن السر، سر شركة الحب في المسيح.

من أجل الحصول على ذلك، يشترط وجود جماعة موحدة واحتفال ذي معنى، فالرباط الذي يوحد ما بين الليتورجيا والاحتفال والحياة، ليس مسألة وصفات معينة، بل سر شركة روحية. المسيح هو البداية والنهاية لكل علاقة بين البشر والله، وبين البشر في ما بينهم، وهو علاقة شركة ووحدة؛ وسيكون ما بين الليتورجيا والحياة صلة حين يكون "الاحتفال" وقتاً غامراً من الشركة والوحدة في حياة موجهة كلها نحو الله. وهذا معناه ان لا حياة مسيحية من دون "احتفال" ليتورجي، لان الحياة المسيحية لا يمكنها ان تتجه نحو الله اذا لم تكن في شركة ووحدة مع المسيح. فالالتزام في خدمة العالم لا يكفي، لأنه لا يشكل في حد ذاته قيمة مسيحية مميزة، ولكي يحمل هذه القيمة يجب ان يكون متصلاً بيسوع المسيح. وهذا يعني أيضا ان لا "احتفال" مسيحياً من دون حياة تضحية، لأن "الاحتفال" الليتورجي ليس عملاً منعزلاً يقوم به

(٢) من فعل "كنش" - "كنوشتو" السريانية بمعنى جمع، وباليونانية "إكليزيا" بالمعنى ذاته (الفكر المسيحي).

قاموس البحث

- الاوخارستيا: كلمة يونانية معناها "فعل الشكر" اطلقت منذ بدء الكنيسة على مجمل الاحتفال بذكرى العشاء الاخير، ثم اطلقت حصراً على سر القربان المقدس والقداس.
- الاوخارستيا الاحدية: ويعني بها قداس يوم الاحد.
- الليتورجيا: كلمة يونانية تعني "الطقوس العامة" اطلقتها الكنيسة على طقوس العبادة والحفلات الكنسية، إلا انها تطلق بصورة خاصة على الاحتفال بالاوخارستيا أو القداس.
- الليتورجيا الانفرادية: وهي تلك التي ينفرد الاكليروس في اقامتها "أمام" الشعب. وينفرد الشعب في حضورها أو الاستماع اليها من دون صلة "حوارية".
- كنيسة هرمية: المقصود بها الكنيسة-المؤسسة المبنية على هرمية السلطة، ويأتي الشعب في القاعدة.
- كنيسة اكليريكية: المقصود بها الكنيسة التي ينفرد فيها الاكليريكيون -أي الاساقفة والكهنة- بالدور الاساس والرئيس في الادارة والتوجيه والتنظيم، ويكون دور الشعب سلبياً أو شبيهه.
- العيد: المقصود بالعيد هنا الفرح الذي يحتفل به.
- الجماعات الصغيرة: المقصود بها تلك الجماعات المعينة من المؤمنين، لا سيما من الشباب الذين يحلو لهم ان ينتظموا سوية في فرق صغيرة بحسب انتماءاتهم الفكرية أو اعمارهم للصلاة المشتركة، أو التأمل بالانجيل، أو بحث سبل جديدة للحياة المسيحية، أو للشركة الاوخارستية.
- الجماعات الكبيرة: المقصود بها هنا الجماعات المسيحية التابعة لخورنية ما، أو لعدة خورنيات.
- جماعة الضغط: المقصود بها جماعة تهدف، في ما تهدف، ان تكون قوة ضاغطة لتغيير عقلية أو اسلوب، او لاقرار فكرة.

الفكر المسيحي

المؤمن لمجرد ان يكون في وضع قانوني، انه لفي خطأ مبين من جعل من قداس يوم الاحد مجرد وقت مخصص للعبادة في خضم حياة لا تحسب له حساباً، خطأ مبين حول معنى الليتورجيا وحول معنى الحياة المسيحية.

غير انه الى جانب ذلك يجب توفير ظروف مادية معينة لكي يحقق الاحتفال الاوخارستي بعده الكامل. وغني عن القول ان استعمال لغة الشعب للصلاة هو أول الشروط المطلوبة. لقد تحقق ذلك أخيراً في الكنيسة اللاتينية، ولو بعد مقاومة، إلا انه كان شائعاً في بعض الكنائس الشرقية منذ البداية. ولكن هناك مزاعم وادعاءات بخصوص فهم اللغات الليتورجية في صفوف شعبنا تحتاج الى مزيد من الحس الواقعي.

ان عدم فهم الشباب اللغة الطقسية، بالاضافة الى جمود الطقوس نفسها، هو، من دون شك، أحد الاسباب المهمة التي تبعدهم عن الليتورجيا. ولكن استخدام لغة حية لا يحل المشكلة بحد ذاته، والتحديد الليتورجي في الكنيسة اللاتينية يبرهن كل يوم بصورة قاسية عن ان الترجمة غير كافية للفهم والمشاركة. هناك نصوص فقدت زخمها من كثرة الاستعمال، أو لكونها تعكس عقلية من عصر آخر، أو حتى لانها تحمل مقولات لاهوتية خاطئة احياناً.

فبوسعنا ان نقول بكل تأكيد ان اصلاحات ستأتي حتماً وتغير الوضع القائم، بالرغم من ان تبدل اتجاه "مجمع الأسرار" يوحي عكس ذلك في تعليماته الاخيرة حيث انتقل من "خط رعائي الى خط قانوني". فالقضية التي نطرحها هنا هي في الواقع قضية اتاحة المجال أمام "تشريع متسم بالحرية" في ما يخص البحث والتجربة الليتورجية في الكنيسة، وهكذا يُقضى على كثير من المجابهات العقيمة.

الليتورجيا تستخدم الرموز، ولا يمكنها الاستغناء عنها، ولكن ينبغي ان تكون هذه الرموز معبرة: ان تتحدث بذاتها. فاذا كان الاحتفال الاوخارستي (القداس) وجهاً من أوجه اعلان كلمة الله، فينبغي ابراز كتاب الاناجيل وإحاطته بالاحترام مثلاً، ليس ككتاب عادي، بل لأنه يحوي وجهاً من أوجه حضور المسيح وسط جماعة الأخوة. الاوخارستيا عشاء: ويجب، اذن، ان نرى في استخدام الخبز والخمر كل الغنى الكامن فيهما (ليكن الخبز خبزاً حقاً، والخمر مشاركة حقاً). الاوخارستيا فعل صادر عن جماعة الاخوة: لِنُعِدْ، اذن الى الجماعة، والى كل واحد من المؤمنين الحاضرين، رجالاً ونساء، ادوارهم الاصيلة في المشاركة. هناك جهد كبير يجب ان نقوم به جميعاً: فمن جهة يجب على الكهنة ان يعرفوا كيف يحتفلون، ومن جهة اخرى لا يجوز لافراد الجماعة المختلفة ان يتخلوا عن حقوقهم وواجباتهم ضمن الاحتفال الاوخارستي.

من كل ما تقدم لا نروم سوى ان نعيد الى الليتورجيا الاوخارستية (القداس) دورها المركزي، الحي، والفعال في حياة الجماعة المسيحية. غير اننا من دون ان نقلل من أهمية التنظيم الخارجي الذي يتطلب الكفاءة والصبر، نرى ان جوهر القضية كامن في اهتداء القلب لدى كل واحد منا.

الاب يوحنـــان جولاغ ١٩٣٥-٢٠٠٦

من مواليد القـــوش عـــام ١٩٣٥. دخل معهـــد شمعـــون الصفا الكهنـــوتي عـــام ١٩٥١ حيث تلقى الدراسة الإعداديـــة للكهنوت، وغادر عـــام ١٩٥٧ لسنة دراســـية في معهـــد ســـان سولبيس بباريس حيـــث تعلّـــم الفرنسية، وعاد بعدها إلى العراق ليواصل الدراسة، ورسم كاهنـــا عام ١٩٦١ في القوش.

خدم الاب جولاغ رعيـــة القوش منشطا الحياة الليتورجيـــة بصوته العذب وروحانيته العميقة –وقد ترك آثاراً شـــعرية مرتّلـــة بالسورث.

نقل إلى الموصل حيث عـــين عام ١٩٧٤ كـــاهن رعيـــة في كنيسة مار اشعيا وبقي فيها حتى وفاته. وخلال ثلاثين عاماً، وجّه اهتمامه لصيانة كنيسة مار اشعيا الاثرية وكنيسة الطهرة ودير مار ميخائيل العريق، إلى جانب عمله في الانشطة الكنسية المختلفة.

له ترجمات عديدة ومقالات في المجـــلات. وافـــاه الأجـــل في الموصل في ٢٠٠٦/٧/٣ ونقـــل جثمانه إلى القوش حيث يرقد.

له ١٨ مساهمة، بينها ١٢ في باب "سؤال وجواب" نـشر معظمها، فضلاً عن عدد في "السلسلة" (رقم ٢٦ لعام ١٩٦٦: تعليم الكنيسة الاجتماعي):

- اطلبوا أولاً ملكوت الله/ انجيل — شباط ١٩٧٩
- صفات الله في العهد القديم/ س. ج. — ك١ ١٩٧٩
- صوم الباعوثة/ س. ج. — آذار ١٩٧٦
- قراءة الانجيل وتفسيره/ س. ج. — نيسان ١٩٨١
- زمرنا لكم فلم ترقصوا/ س. ج. — شباط ١٩٨٢
- ★ قديس جديد: الاب مكسيميليان كولب — ك٢/ شباط ١٩٨٣
- تجارب يسوع/ انجيل — يسان ١٩٨٣
- التلاميذ الحقيقيون/ انجيل — حزيران/ تموز ١٩٨٣
- للثعالب اوجرة/ س. ج. — آب/ ايلول ١٩٨٣
- عبارات في رسائل القديس بولس/ س. ج. — ك٢ ١٩٨٤
- اصل البشر/ س. ج. — شباط ١٩٨٤
- وُجدت حبلى/ س. ج. — شباط/ آذار ١٩٨٥
- متى يحلّ الكذب؟/ س. ج. — حزيران/ تموز ١٩٨٥
- ابراهيم والرجال الثلاثة/ س. ج. — ايار ١٩٨٦
- من هم البروتستنت؟ / س. ج. — حزيران/ تموز ١٩٨٧
- الاصغر في ملكوت الله/ س. ج. — ك١ ١٩٨٩
- القديس اغناطيوس دي لويولا — ت٢/ك١ ١٩٩١
- المطران يعقوب اوجين منّا/ اعلام — ايار/ تموز ١٩٩٢

يـوم الاحـد ١٠ ت١ ١٩٨٢، في سـاحة القـديس بطـرس، وقـف البابـا يوحنا بولس الثاني ليعلن رسمياً قداسة مواطنـه، مكسيميليان كولب، امام حشد يزيد على مئة الف شخص، من بينهم فرنسيس كـايو فنيكزك –وعمره ٨٢ عاماً– الذي كان الاب كولب، قبل ٤٠ عاماً، قد قدم حياتـه عوضه، في معتقل اوشويتز النازي.

"لقد ظهر الحب اقوى من الموت، واقوى من النظام المعادي للانسان... فحياة القديس الشهيد مكسيميليان هي نـداء موجه إلى الانسانية وإلى الانظمة المسؤولة عن حياة الانسان والمجتمع..."! قالها يوحنـا بـولس يوم اعلان قداسة من طبق حرفيا في حياتـه وموتـه الاية: "ما من حب اعظم من ان يبـذل الانسان نفسه عـن احبائـه" – ورسم الاب يوحنـان جولاغ ملامحه.

من التضحية العظمى والشهادة..

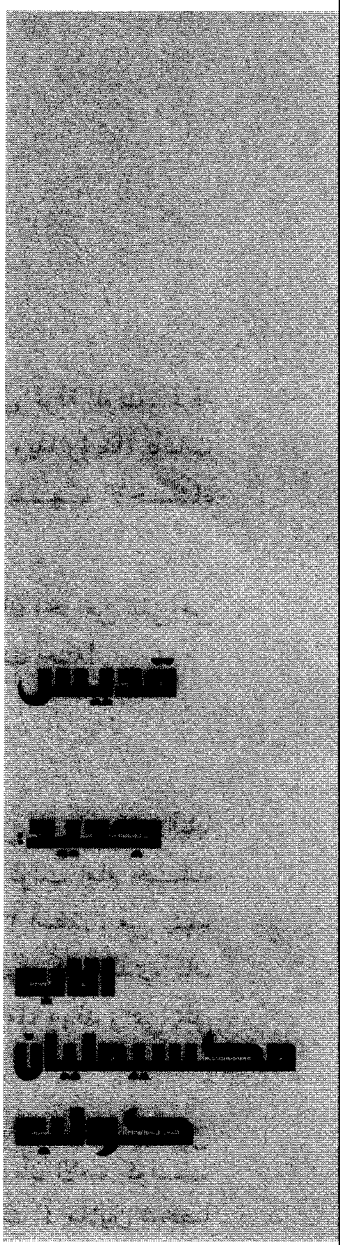

في ١٧ من شباط ١٩٤١ ترجل ثلاثة جنود نازيين من سيارة عسكرية امام دير "نيبو كالاناو" (بولونيا) يريدون مواجهة الاب مكسيمليان كولب. فاذا بهم ازاء راهب شاحب الوجه، أضناه المرض والجهد، فاقتادوه على الفور الى سجن بورياك. وبعد ايام استدعي الاب كولب امام القائد الالماني الذي استبد به الغضب لدى رؤيته الثوب الرهباني. فصرخ بوجهه:

– ايها الكاهن القذر، قل لي اتؤمن بالمسيح؟

– نعم أومن!

وإذا بصفعة قوية تهوي على خده. وجاء السؤال مجددا بتشنج:

– وبعد هذا، هل تؤمن ايضا؟

– نعم أومن!

فراح القائد العسكري يكيل له الضربات بيديه ورجليه ويقذفه بالشتائم والاهانات؛ والكاهن المسكين لا مقاومة له سوى الاصرار على ايمانه.

وفي ٣٠ من تموز ١٩٤١، هرب سجين من الغرفة ١٤ من سجن اوشوايتز، فتذكر السجناء المنكودون التهديد القاضي باعدام عشرين سجينا عن كل هارب من الفرقة؛ فاصطف المعتقلون امام القائد ليختار، كالجزار، من يرسله الى المحرقة.. وترتفع الزفرات، ويختلط الاستنجاد بالحسرات. واذا باحدهم يصرخ بصوت تخنقه الغصة: "آه، زوجتي التعيسة، أولادي

الاعزاء!". في هذه اللحظات، ترك احد المعتقلين صفه وتقدم من القائد، فشهر هذا مسدسه وصرخ:

- مكانك! ماذا تريد ايها الخنزير؟

فأجابه مكسيمليان -وكان هو المتقدم-:

- ان تسمح لي بأن اموت عوضا عن احد المحكوم عليهم!
- من أنت؟
- انا كاهن كاثوليكي.
- عوض من تريد ان تموت؟
- عوض هذا (واشار الى الرجل الذي انتخب قبل قليل).
- ولماذا؟
- لانه رب عائلة مسكينة!

ووافق القائد، واقتيد الكاهن البطل مع المحكومين الاخرين الى غرفة الموت..غرفة مظلمة تحت الارض. يُهمَل فيها المعذبون الى ان ينهشهم الموت رويدا رويدا، بأنياب الجوع والعطش. واقسى عذاب يعانونه هو العطش المحرق الذي يلهب الاحشاء ويجفف الدم في العروق. وما اقسى الموت اذا اقبل ببطء!

وفي صباح اليوم الرابع عشر من آب، كان الاب مكسيمليان اخر من تبقى من زملائه، فقضى عليه حارس المعتقل بزرقة من مادة الفينول واحرقت جثته!

.. الى ساحة التكريم والمجد

وفي يوم الاحد ١٠ ت١ ١٩٨٢، وفي ساحة القديس بطرس بروما، وقف البابا يوحنا بولس الثاني يعلن رسميا قداسة مواطنه الاب مكسيمليان كولب امام حشد غفير يربو على مئة الف شخص، يتقدمهم ٢٦ كاردينالا، و٣٠٠ اسقف، من بينهم ٥٠ اسقفا بولونيا وعشرة الاف بولوني، من جملتهم فرنسيس كايوفنيكزك الذي كان الاب كولب قد قدم حياته عنه قبل ٤٠ عام، وعمره الان ٨٢ عاما، ووفد رسمي يمثل الحكومة البولونية برئاسة وزير الاديان.

وفي الكلمة التي القاها بالايطالية والالمانية والبولونية، علق البابا على قول المسيح "ما من حب اعظم من هذا، ان يبذل الانسان نفسه عن احبائه"، بأن الاب كولب اكمل قول الفادي بحذافيره في معتقل اوشوايتز المشؤوم، حيث مات ٤ ملايين شخصا

بالتعذيب والاعدام. وفي مقابلته الخاصة للحجاج البولونيين بهذه المناسبة، قال يوحنا بولس الثاني مشيرا الى قداسة الاب مكسيمليان: "...في اساس هذه القداسة، نجد القضية الانسانية الكبرى والمؤلمة جدا. ويمكننا القول بان الله الازلي سيد التاريخ البشري، استخرج من قلب هذه القضية نفسها شهادات ابدية تبقى في تاريخ البشرية "كعلامات الازمنة".. فالحب ظهر اقوى من الموت، واقوى من النظام المعادي للانسان". واستطرد البابا الذي عرف الاعتقال النازي هو ايضا في شبابه: "ان القديسين هم في التاريخ كمراجع دائمة تعود به الى صميم مصير الانسان والعالم... فحياة القديس الشهيد مكسيمليان هي نداء موجه الى الانسان، الى المجتمع، الى البشرية، الى الانظمة المسؤولة عن حياة الانسان والمجتمع.. وفي مجمل استشهاده يصرخ مطالبا باحترام حقوق الانسان، وحقوق الشعوب احتراما كاملا".

حياة مكسيمليان.. عطاء دائم

ولد مكسيمليان – ريمون كولب يوم ٨ ك٢ ١٨٩٤، في ضواحي بلدة لودز البولونية، من عائلة عمالية فقيرة، وهو خامس اولادها. وقد بدت عليه علامات الحيوية وحب العمل والصلاة منذ حداثته. وقد نشأ على شاكلة والديه، شديد المراس، واقعيا في خوض معركة الحياة، جديا في نشاطه، صادقا في قوله، وكان متمسكا برايه، وشغوفا بحياة الصمت والتأمل، في آن واحد. وتربى منذ صغره، كمعظم البولونيين، على محبة العذراء مريم "المحبول بها بلا دنس"، هذه المحبة التي لازمته طيلة حياته، وكانت له بمثابة الطاقة التي لا تنضب في جميع مشاريعه وتحدياته.

دخل الرهبنة الفرنسيسكانية عام ١٩٠٧، ثم درس في روما حيث نال شهادة الليسانس في الفلسفة واللاهوت. وفي روما ايضا أسس عام ١٩١٧ منظمة روحية رسولية باسم "المحبول بها بلا دنس" ترمي الى مجابهة الالحاد والخلاعة عن طريق القداسة الشخصية ووسائل الاعلام. وفي عام ١٩١٩، عاد الى وطنه بولونيا، وراح ينشر حركته باللسان والقلم. فتمكن عام ١٩٢٢ من اصدار مجلة متواضعة بعنوان "فارس المحبول بها بلا دنس"، سرعان ما انتشرت في بولونيا كلها. وأسس في الوقت ذاته "جماعة الاخوة الاصاغر" هدفها نشر الاخلاق والايمان عن طريق الفقر والامانة لروحانية القديس فرنسيس الاسيزي؛ من اجل هذه الغاية انشأ لهم سنة ١٩٢٧ "مركز المحبول بها بلا دنس" (نيبو كالاناو) بالقرب من العاصمة وارشو، وقد بلغ عدد الاخوة فيه ٧٠٠ راهب. وبعد ايلول ١٩٣٩، أي بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، أصبح ذلك المركز مكانا لاستقبال اللاجئين وجرحى الحرب.

لم ينحصر نشاط الاب كولب على بولونيا وحدها. فقد ركب البحر رسولا تدفعه غيرة لا حد لها نحو الشرق الاقصى؛ وأسس، سنة ١٩٣٠، مركزا مماثلا في

نكازاكي في اليابان، واصدر اول عدد من مجلته المذكورة باللغة اليابانية بمئة الف نسخة. غير ان كل ذلك التوفيق لم يتم له الا بفضل عناده وصموده وثقته اللامحدودة بالعذراء، بالرغم من المعاكسات التي لم يبخل بها عليه رؤساؤه، والصعوبات المادية والفنية الجمة، وحتى الاخفاقات التي كادت احيانا تقضي على طموحاته. فكثيراً ما كان يدعوه رؤساؤه واخوته الرهبان بالرجل الفاشل، والمجنون، والعنيد، فيمتنعون عن دعمه، مما يضطره الى مد اليد الى هنا وهناك، فيأتيه المال من حيث لا يدري. لا، لم يثنه شيء عن تتميم خططه، ولا حتى المرض العضال الذي كان يحمله معه منذ العشرين من عمره في صدره، فيترف بين الحين والاخر، وتنتابه الحمى، ويقع طريح الفراش بسببه. حسبه ان يشكو حاله الى أمه العذراء ويستمر في العطاء والتضحية، مهما بدا ذلك لغيره غير معقول.

من اليابان، انتقل مكسيمليان الى الهند عام ١٩٣٢ للغاية نفسها، بيد ان الاسقف المسؤول هناك قابله بجفاء غير متوقع، فعاد الى اليابان ثانية بعد ان عرج على سيلان وأنشا فيها مؤسسته الاعلامية. وفي عام ١٩٣٦ عاد الى بولونيا. وفي المجمع العام، اختاره اخوته رئيسا عاما لجمعية المحبول بها بلا دنس. وفي هذه الفترة صدرت مجلته باللغة اللاتينية، ولقيت انتشارا واسعا في الاوساط الكنسية البولونية، غير ان الالمان، بعد غزوهم بولونيا، منعوا صدورها، ثم عدلوا عن القرار، فصدر عدد اخر كان هو الاخير.

مطبعة الاب كولب نفسها اصبحت في خبر كان منذ ١٩٥٢، غير انها عادت الى الحياة، وبأحدث التقنيات، في هذا العام بالذات، ليتابع ابناء مكسيمليان كولب رسالة النشر بلغة العصر واساليبه، خدمة للانجيل، واستمرارا في نهج قديس من عصرنا استشهد طواعية، لانه تعهد ان يفي بكلمته وان يذهب بحبه حتى التضحية العظمى.

المصادر

١- "مجنون العذراء" ترجمة م. عكوله – الموصل.

٢- Osserv. Romano, fr., 26-10-1982

٣- La Croix, 12-10-1982

٤- Le Pélerin, No.5210, Oct.1982

الاب روبير بيلي الكرملي ١٩٢٧-٢٠٠٧

ولد في باريس في ١٩٢٧/٣/٢٨. أمضى الدراسة الاعدادية ودخل الكرمل عام ١٩٤٥ حيث ابرز نذوره المؤبدة في ١٩٤٩/١٢/٨، ومن ثم رسم كاهنا عام ١٩٥٣.

درس في جامعة السوربون وتخصص بالدراسات الشرقية وحاز على الدكتوراه باطروحة عن يوحنا الدلياثي (القرن ٩)، احد آباء كنيسة المشرق ومتصوفيها الكبار.

قدم إلى العراق مع زميله الاب رعون (+٢٠٠٦)عام ١٩٥٦، وانبريا ينشطان الحركة الروحية والرسولية لدى الشباب، وعلى يدهما تأسس مركز القديس يوسف (السنتر) عام ١٩٦٠ الذي ضمّ عددا من الاخويات والنشاطات الشبابية، وفي المقدمة النادي الفني المسيحي والشبيبة الطالبة المسيحية وقد خصها باهتمامه الكبير، وفيها تنشأ شبان وشابات على قدر كبير من الالتزام، وورثها اخوية علماء فاطمة.

كان للاب روبير، بحكم شغفه بالروحانيات الشرقية، الر بالغ في تكوين اجيال من الشباب في مدرسة مار ايليا للصلاة... وفي الدورة اللاهوتية التي كان يحاضر فيها، فضلا عن منبر الفلسفة والروحانيات في معهد شمعون الصفا وكلية بابل.

اضطرته ظروف إلى مغادرة العراق للعيش في فرنسا حيث وافته المنية في ٢٠٠٧/٨/٩.

كانت له ٥ مساهمات بضمنها ٤ مساهمات في باب "من وحي الانجيل":

● الدنح/ انجيل	ك٢/شباط ١٩٩٢
● لقد قمتم مع المسيح/ انجيل	اذار/ نيسان ١٩٩٢
★ القديس يوحنا الصليبي	آذار/ نيسان ١٩٩٢
● الروح القدس/ انجيل	ايار /تموز ١٩٩٢
● الميلاد / انجيل	ت٢/ك١ ١٩٩٢

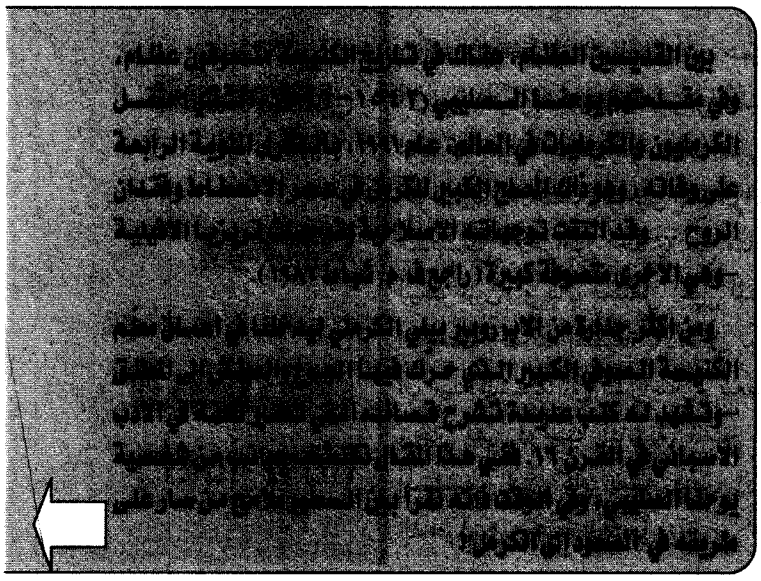

مصلح رهبنة الكرمل ومعلم الكنيسة الروحاني

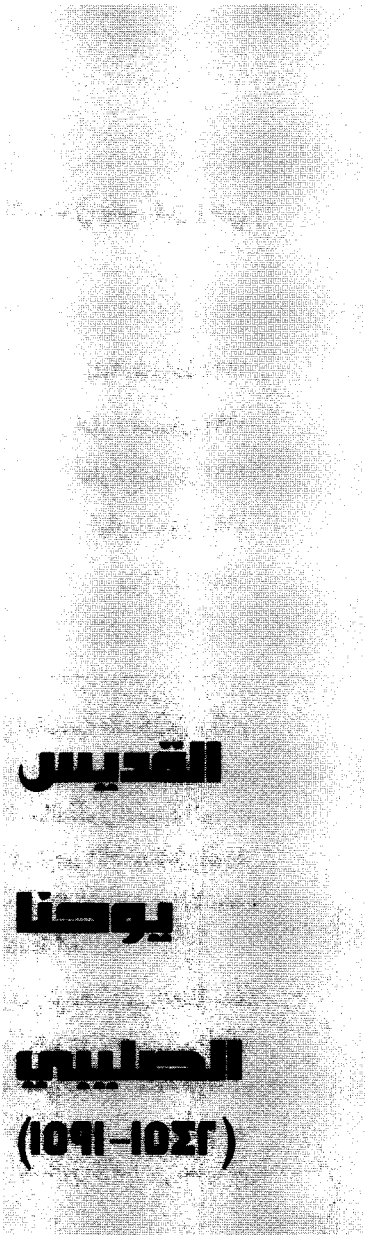

في قرية صغيرة من مقاطعة كاستيليا، وسط اسبانيا، حيث تتسم الطبيعة بالهيبة والصرامة، وتبلغ المفارقة بين الفصول أشدّها.. ولد يوحنا دي ييس عام ١٥٤٢ ليصبح "يوحنا الصليبي" ذاك المتصوف الكبير الذي سيذهب بعيداً في بحثه عن الله..

لقد كان لطفولة يوحنا اثر كبير في بناء شخصيته. فوالده سليل اسرة ارستقراطية، خرج عن تقاليدها ليقترن بفتاة من اسرة متواضعة قاسمها مهنة الحياكة! وهكذا سيكون للحب في حياته مكان كبير، فيتخذ منه محركا في بحثه عن الله، وسيقول فيما بعد: "في مساء حياتك ستُمتحن على الحب"! وكان له احساس مرهف بالجمال والطهارة، وقد ذكر هو نفسه هذا الحادث من طفولته حين وقع اثناء اللعب على حافة بركة موحلة وتمرغت يداه بالوحل وابى ان يمسك بيد سيدة مدّت له يد العون كي لا يلطخها بالطين! وسيطبع هذا الاحساس العميق بالطهارة روحانيته.

كان يوحنا في السادسة من عمره حين توفي والده. فأخذت الاسرة المنكوبة تذوق العوز والضيق: امتهن اخوه الكبير الحياكة، بينما دخل هو ميتما تلقى فيه دروسه الابتدائية وتعلّم حرفا يدوية مختلفة. وحين بلغ الرابعة عشرة، دخل في خدمة مستشفى للامراض الجلدية مع متابعته دروساً في مدرسة للآباء اليسوعيين، وكان يستغل الليل للدرس والمطالعة... وقد اسهمت حداثته المتصلة بالألم في تكوين روحانيته التزهدية؛ كما ان ميله الشديد الى الدراسة لم يبعده عن حياة الناس الواقعية. وحين انهى دراسته الثانوية، انفتح امامه باب الكهنوت لخدمة المستشفى التي كان يعمل فيها، إلا انه رفض الحياة الآمنة وقرر الدخول في رهبنة الكرمل.

يوحنا الصليبي مصلح الكرمل

لماذا الكرمل؟ لا شك ان طبعه الميّال إلى المطلق هو الذي وجّهه إلى رهبنة الكرمل التي كانت، منذ تأسيسها في فلسطين في القرن ١٢، متمحورة في البحث عن الاتحاد الصوفي بالله، في التجرد والسكوت. وحين انتقلت إلى اوربا، اتخذت اسلوبا يجمع بين الصلاة والاعمال الرسولية، مع التركيز على الصلاة الصامتة. وحين دخل يوحنا الكرمل، كان هذا التركيز قد انتقل الى الاعمال الخارجية، وسرعان ما شعر بالبعد عن أصالة الرهبنة، مما دفعه الى ان يطلب لدى ابرازه النذور، رخصة ليعيش، داخل الدير، قانون الرهبنة الأصلي. وسيبقى يوحنا امينا على التقشف والصلاة الصامتة ابان دراسته الفلسفة واللاهوت في جامعة سلامنقة؛ وابان فترة الدراسة عين معيداً لاخوته الطلاب الكرمليين.

ان الاساس في دراسة اللاهوت في جامعة سلامنقة كان "الخلاصة اللاهوتية" للقديس توما الاكويني. إلا أن يوحنا كان يقرأ أيضا، بامعان وحماس، "اللاهوت الصوفي" لديونيسيوس الأريوباجي وبعض روحانيي ألمانيا الشمالية مثل تاولير. فمن ديونيسيوس، مثلا، أخذ رمز الظلمة الالهية وفكرة ضرورة تجاوز كل خبرة حسية وكل مفهوم عقلي لمن يريد الوصول الى الاتحاد التام مع الله. غير أن هذه القراءات الروحية جعلت يوحنا يشتاق أكثر فاكثر الى حياة المتوحدين. ولذلك فكر، بعد رسامته الكهنوتية، أن يترك الكرمل ويدخل رهبنة المتوحدين الكارتوزيين.

وكان يتهيّأ لذلك عندما التقى بالقديسة تريزا الأفيلية التي تزيده ٢٥ سنة، وكانت تعمل في اصلاح الكرمليات، أي اعادة بعض أديرتهن الى روح الصلاة وجو السكوت. وكانت قد حصلت من الرئيس العام للرهبنة الرخصة بتأسيس بعض الأديرة للكرمليين بنفس الروحية الأصلية، واخذت تبحث عن الرجل أو الرجال الذين يستطيعون أن يقوموا بهذا الاصلاح. وحين التقت بيوحنا، بدأت بينهما مودة عميقة، وأقنعته أن يحقّق رغباته الصوفية في رهبنته، وليس خارجها، ولقد روت القديسة في كتاباتها: "لقد طلبتُ منه بالحاح أن ينتظر الى أن يعطينا الرب بيتا لنؤسّس فيه أول دير للكرمليين المصلَحين. فأعطاني كلمته بشرط أن لا ينتظر طويلا".

لقد أنتظر سنة، أنهى خلالها دراساته في سلامنقة. وبعد ذلك تم تأسيس الدير الأول. وكان هذا الدير بيتا صغيرا في وسط ريف فقير. عاش فيه يوحنا مع راهب آخر في تقشف بالغ استغربت منه القديسة تريزا نفسها. وسرعان ما تكاثرت الأديرة المصلَحة، مما سبب معارضة قوية من قبل الكرمليين غير المصلَحين، فأراد الرئيس العام

ان يحدّ من حركة الاصلاح ليتجنب الانشقاق داخل الرهبنة، غير أن السفير البابوي في اسبانيا كان يشجّع انتشار الاصلاح. ومن هنا تولّد وضع قانوني غير واضح، حيث كانت كل جهة تعتبر نفسها أمينة للطاعة الكنسية! هكذا كان الوضع عندما دعت القديسة تريزا يوحنا الى مدينة آفيلا ليصبح المرشد الروحي لدير كبير للكرمليات كانت قد عُيّنت رئيسة له. -وكان يوحنا في آفيلا منذ خمس سنوات، عندما قرر الكرمليون غير المصلَحين طعن الاصلاح في قلبه. فاختطفوا يوحنا ليلا وحبسوه في زنزانة ضيقة، في دير طليطلة التي تبعد ٥٠ كم تقريبا عن آفيلا.

ولكي نفهم هذا الحدث، علينا ان نتذكر أن سجن الرهبان المتمردين لم يكن شيئا غريبا في ذلك الوقت! فالكرمليون غير المصلَحين كانوا يعتبرون يوحنا متمردا يتوجب اخضاعه للطاعة، ولذا استعملوا معه العزلة التامة والتذليل والضرب بالسوط. بقي يوحنا تسعة اشهر في زنزانته الصغيرة القذرة الخانقة، وفيها وصل الى قمة الخبرة الروحانية الصوفية! فسيقول فيما بعد عن هذه الفترة: "ان نعمة واحدة من النعم التي منحني الله اياها هناك، لا يمكن دفعُ سعرها بسنوات عديدة من السجن"

يوحنا الصليبي المعلم الصوفي

سيذكر بعضُ رهبان طليلطة كيف كان يوحنا يتحمل كل ذلك بهدوء ولطف، حسب قوله العظيم: "حيث لا تُوجد محبة، ازرعوا المحبة، فتحصدوا المحبة". وهذا اللطف جعل أحد الرهبان يستجيب سراً لطلب يوحنا بأن يجلب له قلما وبعض الاوراق، وراح يكتب قصائده الأولى التي جعلته أحد كبار شعراء الأدب الاسباني، إن لم نقل أكبرهم، وجعلته فيما بعد المعلم الصوفي للكنيسة.

في ١٦ آب ١٥٧٨ هرب يوحنا من سجنه. وحفاظا على حريته، ابعده المصلَحون من كاستيليا وارسلوه الى الاندلس، حيث صار رئيسا لدير صغير منعزل في الجبال. وكان يذهب من وقت لآخر لارشاد احد أديرة الكرمليات ويباشر بتاليف الشرح الصوفي لقصائده. ثم عُيّنَ رئيسا في أديرة اخرى مختلفة لاقليم الاندلس، ومنها دير غرناطة حيث أكمل مؤلفاته الروحانية.

إلا ان عاصفة أخرى كانت تنتظره، هذه المرة، داخل الكرمل المصلح! ففي سنة ١٥٨٥ ظهر رئيس جديد على الكرمليين المصلحين، نيقولاس دوريا، كان يحلم بتغير اتجاه الاصلاح، محتفظا بتقشف السنوات الاولى، ومُضحّيا بروح السكوت والصلاة، لأجل الإكثار من الأعمال الخارجية. وكان يريد أيضا أن يفرض نظاما مركزيا على

أديرة الكرمليات، في حين أن القديسة تريزا ارادتها مستقلة بعضها عن البعض. لقد توفيت القديسة تريزا سنة ١٥٨٢، غير أن احدى بناتها البارزات، آن يسوع، عارضت دوريا، يساندها يوحنا الصليبي. ومع ذلك صَوّت أكثرية الرؤساء الكرمليين، في سنة ١٥٩١، لصالح أفكار دوريا، وحرموا يوحنا الصليبي من كل منصب وأجْلوه الى دير بعيد في وسط الجبال.

ويبدو أن هذا لم يُشبع غليل دوريا. فانه أرسل الى أديرة الكرمليات محققين يحاولون أن يجمعوا شهادات تدين أخلاقية يوحنا الصليبي في علاقاته معهنّ! بينما فكر مرسلٌ أخر بتسليم كتابات يوحنا الروحية الى محكمة التفتيش... وفي تلك السنة ذاتها وقع يوحنا طريح الفراش، واذ لم يكن من الممكن علاجه في ديره المنعزل في الجبال، نُقِل الى دير مركز الناحية، أوبيدا، في حدود الاندلس، وقد اختاره يوحنا وهو يعلم أن رئيسه يشعر بحقد تجاهه بسبب بعض الملامات التي كان قد وجّهها اليه عندما كان رئيس اقليم الاندلس. وفي ليلة ١٣ كانون الاول ١٥٩١ اقترب الى التراع وأعلن أنه سيكون في السماء ليصلي هناك صلاة الليل. وفعلا عندما دعا الجرس الرهبان للقيام بهذه الصلاة، مات بهدوء، بنوع من الاختطاف.

واعلنت الكنيسة الكاثوليكية قداسته عام ١٧٢٦، وأعلنته معلّما روحانيا لها في عام ١٩٢٦.

من قصائد يوحنا الصليبي

اني لعارف بالينبوع الذي ينبجس ويجري!
وإن كان ليلاً!
ذلك الينبوع الأبدي مخفيّ،
لكني أعلمُ أين مقرُّه،
وإن كان ليلاً!
مصدره لا أعرفه، اذ ليس له مصدر،
ولكني أدري ان كل مصدر متأصل فيه.
وإن كان ليلا!
اين احتجبت يا حبي
وخلفتني في أنين...؟
في ليلة ظلماء
ونفسي ملتهبة بحب مختلج
خرجتُ ولم يَرني أحد
وأنا لا أنظر الى شيء
دون نورٍ للطريق
إلا النور المتقد في قلبي...

نحن ويوحنا الصليبي

حين ننكبّ على مؤلفات القديس يوحنا الصليبي، يأخذنا العجب ازاء ذلك العمق الروحاني، ولكننا في الوقت ذاته نقف حائرين تجاه الصرامة التي يتسم بها مفهومه للزهد، فنتساءل: هل ان طريق "التلاشي المطلق" شرط لكل خبرة روحانية اصيلة؟

مؤلفات يوحنا الصليبي

ترك لنا يوحنا الصليبي أربعة مؤلفات رئيسية هي بمثابة شرح لبعض قصائده. لقد وضّح فيها الخبرة الروحانية التي ألهمت هذه القصائد، ألا وهي اشتياقه الى الاتحاد بالله، ومن ثم تحقيق هذا الشوق، وَرَسَم فيها مراحل الطريق المؤدي الى هذا الاتحاد.

الصعود الى جبل الكرمل حيث يتكلم فيه عن الزهد الذي يجب على الانسان أن يمارسه ليطهّر كيانه ويؤهّله للاتحاد بقداسة الله. ثم **الليلة الظلماء** حيث يصف كيف أن الله يُتم عمل التطهير في جذره، وذلك عن طريق عدة تجارب خارجية وداخلية. أما كتاب **شعلة الحب الحية**، فانه يشيد باستيلاء الروح القدس على النفس. واخيراً يتخذ **النشيد الروحي** محورا له الاتحاد بالله عن طريق الحب المتبادل بين الله والنفس، الى درجة ان الانسان المستحال الى الله يستطيع ان يحبه حباً غير متناهيا كما يحبه الله نفسه.

"تطهير"، "اتحاد"، "استحالة"... انها مصطلحات تقليدية في الروحانيات المسيحية، تطابق في معناها العميق عبارات كتابية مثل "صوت الانسان القديم" (القديس بولس). ومفهوم السكنى المتبادلة ("أقيموا في وأنا اقيم فيكم": يوحنا ١٥:٤) و "القيامة" التي هي تحول كياننا بفعل مجد الله ("نصبح عند ظهوره اشباهه لاننا سنراه كما هو": يوحنا ٣:٢) و ("نتحول الى تلك الصورة": ٢ قورنتس ٣:١٨).

لقد اختار يوحنا اثنين من رموزه الشعرية المفضلة كمحورين لعرضه طرق التطهّر والاتحاد بالله، ألا وهما رمز الليل ورمز النار. ان "الليل" يعبر بالدرجة الاولى عن خبرة ذاتية، أي خبرة قطع العلاقات مع العالم الخارجي والقلق الداخلي للنفس التي يحتجب عنها الله نفسه. أما "النار"، فتعبر أكثر من رمز الليل عن حقيقة موضوعية، الا وهي: الله الذي يحوّل الانسان اليه كما تفعل النار بالحطبة.

بغض النظر عن لغة يوحنا الصليبي التي تحمل ولا شك آثار فلسفة ثنائية، يمكننا ان نفهم الطابع الجذري المطلق لزهده في ضوء الكتاب القمدس، وبنوع خاص القديس بولس الذي يتكلم عن إماتة ميول "الانسان القديم" كي ينمو فينا الانسان الحقيقي الذي "يتجدد على صورة خالقه" (قولسي ٣:١٠) و "يتحول إليها من مجد الى مجد" (٢ قورنتس ٣:١٨).

وهناك درجات مختلفة لتحقيق هذا التحوّل. إلا ان القاعدة العامة تبقى أن الانسان لا يستطيع أن يرى الله، وأن يتّحد به كليا، دون ان يموت (خروج ٣٣:٢٠). ومن المستحيل أن نفتح لله أعماقنا ليدخل اليها، دون أن يتمزق كياننا المخلوق الفاني، وقبل أن يتحوّل الى مجد غير مخلوق وغير فانٍ. وهذا هو أحدُ معاني الموت: انه شرط لا بد منه للقيامة المجيدة. ولذلك فعندما يختار الله أحداً ليجعله شاهدا للحياة الابدية، وشاهدَ عيانٍ لها نوعا ما، لا يمكن ألا يُحرِقه حتى في أعماقه، بشكل مؤلم، ومن ثم بالمجد السعيد.

فعلى ضوء مثل هذه الدعوة يجب أن ننظر الى زهد يوحنا الصليبي، والى زهد جميع الروحانيين المتصوفين الكبار. فان الله هيأهم لتلبية هذه الدعوة، وهو يجعل فيهم، من البداية، عطشا الى المطلق يُبعدهم عن كل ما هو نسبي وفانٍ.

ومن هنا توزيع الدعوات المسيحية حسب بُعدين متكاملين. فالبعض، و"العلمانيون" بصورة خاصة، مدعوون الى أن يبنوا عالما تنعكس فيه صورة الله. وغيرهم مدعوون الى أن يشهدوا بتسامي الحياة الابدية المقبلة —ويوحنا الصليبي كان واحدا من هؤلاء. غير أن بين الدعوة العلمانية والدعوة الى قمة الخبرة الروحانية الصوفية درجات كثيرة. إلا ان الفرق يتوقف على درجة التركيز على أحد البُعدين: فعلى "العلماني" أن يكون هو أيضا، الى حدّ ما، صوفيا يُحرِقُه شيء من نار الالـه المتسامي؛ وعلى "الروحاني الصوفي" ألا يكون غريبا عن كل ما يظهر من حضور الله في عالم الانسان. ولذلك فان يوحنا الصليبي لا يؤدي شهادة على تسامي الحياة الابدية التي نحن مدعوون اليها حسب، بل يُرينا ايضا الاتجاه الذي يجب أخذه، منذ الآن، وكل بحسب الدرجة التي تطابق دعوته الخاصة في هذا العالم، للتعمق في "الليل السعيد" المؤدي الى فجر قيامتنا.

عصمت عبد الاحد عنائي ١٩٤٣-٢٠٠٧

ولد في الموصل عام ١٩٤٣. بعد الدراسة الاعدادية، قُبل في كلية الآداب ببغداد حيث تخرج عام ١٩٦٨ ببكالوريوس في اللغة الانكليزية.

اوفد الى المملكة السعودية عام ١٩٦٩ للتدريس سنة واحدة، وتنقل بعدها من العمادية إلى دهوك فالموصل حيث كان يعلّم في الاعدادية الشرقية على مدى اكثر من ٣٥ عاماً، ومن ثم أحيل على التقاعد عام ٢٠٠٧. وكانت له اهتمامات أدبية وتوجهات اجتماعية ووطنية...

وابان المحن التي حلت بالموصل، اضطر ان ينتقل مع عائلته للسكنى في تللسقف حيث وافته المنية في ٢٠٠٧/٩/١٦ ودفن فيها.

كانت له ٩ مساهمات:

- الاقباط في ثلاثية نجيب محفوظ	ت٢ ١٩٧١
- الصليب والرمز والشعر	ايلول ١٩٧٣
- الاب كاميللو توريس	اذار ١٩٧٤
- الاحتلال الصهيوني والكنيسة في اوربا/ عدد خاص	ت١، ت٢ ١٩٧٤
- التعليم الالزامي في العراق	شباط ١٩٧٥
- كمال ناصر في كتاب	نيسان ١٩٧٦
★ "الله" في رحلة نجيب محفوظ الرمزية	ايلول ١٩٧٦
- التعداد السكاني العام	ت٢ ١٩٧٧
- مؤتمر قمة عدم الانحياز	ت٢ ١٩٧٩

كان لتوجهات عصمت عنائي الادبية اثرها في "الفكر المسيحي". والمقال الذي نثبته له هو تحقيق في كتاب لجورج طرابيشي (منشورات الطليعة-بغداد) بعنوان "الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية". ولما كان نجيب محفوظ عالما حقيقيا، كان للدين والفلسفة مكان واضح لديه، مما يؤكد اصالة انشغال هذا الاديب الكبير وعمق تقديره لدورهما في الحياة. ففي إثر جورج طرابيشي استعرض عصمت عنائي عدداً كبيراً من روايات نجيب محفوظ، بحثا عن مكانة الله فيها، من "اولاد حارتنا" -وفيها اعاد كتابة تاريخ البشرية- إلى زعبلاوي والشحاذ وثرثرة فوق النيل وحارة العشاق...

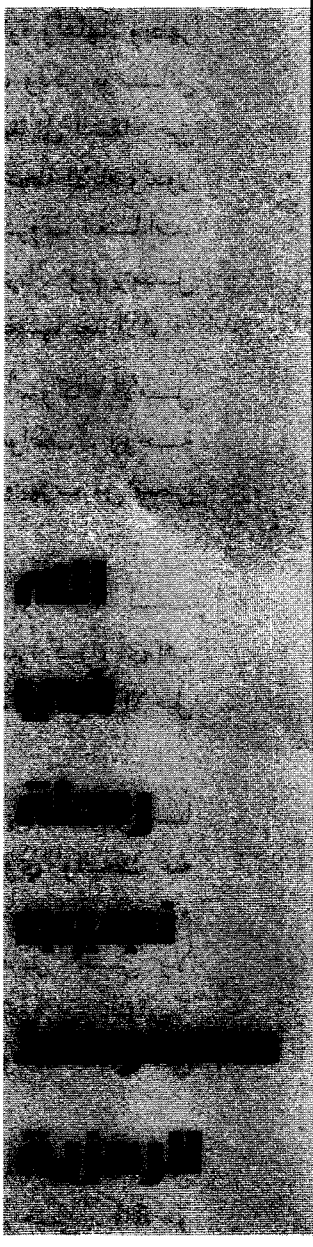

لما كان عالم نجيب محفوظ عالماً حقيقياً، كان للدين والفلسفة مكان واضح فيه، مما يؤكد اصالة انشغال هذا الاديب الكبير وعمق تقديره لدورهما في الحياة. وفي هذا الكتاب "الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية" يتناول جورج طرابيشي رحلة نجيب محفوظ في الرويات التي تناولها الكتاب في البحث عن الله. فالدين والاشتراكية كانا ولا زالا من اهتمامات نجيب محفوظ الجوهرية. يقول محفوظ عنهما: "ان القوتين تتنازعان الانسان، والانسان لا يملك ان يتجاهلهما".

ان اوضح افكار نجيب محفوظ في هذا المجال تتضمنها الرواية الاولى في هذا الكتاب والتي عرضت تحت عنوان "نجيب محفوظ يعيد كتابة تاريخ البشرية". تلك هي رواية "**أولاد حارتنا**".

والرموز التي تناولها نجيب محفوظ في رواية "أولاد حارتنا" واضحة المعالم، واحداثها مستقاة من التوراة والانجيل والقرآن. فهي عبارة عن اعادة كتابة قصة آدم وخلقه وسقطته وطرده وتكفيره. ثم يتناول حياة الانبياء الثلاثة: موسى والمسيح ومحمد، حتى يصل الى الحاضر وعصر العلم وموقف الانسان المعاصر من الدين والاشتراكية، وصراعه من اجل حياة أفضل ونيل حقه. فكيف تناول محفوظ هذه الاحداث والشخصيات في هذه "البانوراما" الادبية العظيمة:

الشخصية المحورية في هذه الرواية هو "الجبلاوي" (أو الله) الذي جبل البشر، ثم "أدهم" (أي آدم) ولده الذي أخطأ وطرد من القصر الكبير بحدائقه الغناء (الجنة)، وزوجته "اميمة" (أي حواء) ام البشر. فبعد ان طُردا، ابتنيا لهما كوخاً صغيراً ورزقا بولدين هما "قدري وهمام" (أي قايين وهابيل)، وكان الاول شريراً مثل عمه "أدريس" (أبليس) الذي كان الطرف الاول للصراع، واقتفى أبناؤه خطاه من بعده. أما الثاني، فكان طيباً وقد عرض عليه "الجبلاوي" العيش في القصر مكافأة على حسن

سيرته. فما كان من "قدري" الذي تملكته الغيرة ودفعه الحسد الا ان يقتل اخاه الطيب ويتزوج ابنة عمه "ادريس". ويبدأ صراع الاجيال بين الخير والشر، بين "ادهم" و "ادريس". وتزداد الحارة توسعاً وسكاناً، ويبدا ظهور المستغِلين والمستغَلين، ويعيش أهل الحارة في البؤس والشقاء ويزداد ارهاب الفتوات. ويظهر "جبل" (موسى) ليأخذ حق عشيرته ويحكم الحارة، وتعيش الحارة حقبة من الزمن في سعادة، تعود البلوى بعدها كما كانت وأشد، ويعود الفتوات والظالمون يتحكمون بالحارة وأهلها. ويظهر "رفاعة" (المسيح) ويقر نظاماً جديداً بعد ان يقهر الظلم والطغيان، ولكن بوسائل سلمية؛ فقد كان وديعاً وهادئاً، ولكنه قُتل. وتعود الحارة من جديد الى الشقاء حتى يظهر "قاسم" (محمد) ويبدأ رسالته وينشيء نظاماً جديداً. وتدور عجلة الايام وتدور الاحوال معها من جديد، ويجيء فتوات جدد يسومون الناس ضروب العذاب، وترتفع اصوات الناس مرة أخرى مستنجدة: "أين أنت يا جبلاوي!". ولم يرسل "الجبلاوي" أحداً بعد "قاسم"، وما على الحارة إلا أن تدبر أمرها بنفسها بعد الآن.

ويبدا صراع من نوع جديد ويظهر (العلم) تحت اسم "عرفة"، وكأنه الأمل المنشود. ولكن العلم دون العاطفة لا يخدم البشر؛ وهكذا تترك "عواطف"، زوجة "عرفة"، زوجها عندما تأخذ الطغاة تجرفه، ولكنه يسترد انسانيته ويهرب من سجن الطاغية مع زوجته.

ويرينا نجيب محفوظ ان رسالة "جبل"، و "رفاعة"، "وقاسم"، و "عرفة" ليست استرداد القصر الكبير (الجنة) والعودة اليه، بل جعل الارض ذاتها قصراً كبيراً، أي انهم حاولوا بناء الجنة على الارض. وتقترب هذه الفكرة من قول السيد المسيح في الانجيل "ملكوت الله في ما بينكم".

أما الفصل الثاني من كتاب (الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية)، فيعرض لنا جورج طرابيشي مجموعة من القصص الرمزية، أولاها قصة "**زعبلاوي**" والبحث عنه من قبل الراوية، أي بحث الانسان عن الله الذي ينعته الراوية بأنه شيال الهموم والمتاعب. ويبحث عنه أولاً عن طريق (العلم) ولا يجده؛ ثم عن طريق "الفن" ولا يجده؛ وأخيراً عن طريق (التصوف) وهنا أيضاً لا يجده. وهكذا لا يجده حتى النهاية لأن الغاية من البحث هي المصلحة الذاتية "ليشيل الهموم"، والحياة وهبت لنا، لا لكي نضيعها في البحث، انما لنصنع منها شيئاً جديراً بهذه الهبة العظيمة!

ثم تأتي رواية "**الطريق**" الصادرة عام ١٩٦٤، وهي قصة البحث عن "زعبلاوي"، ولكن تحت اسم جديد، هذه المرة، وهو "سيد سيد الرحيمي". فالله هو

السيد وهو الرحيم، وبحث "صابر" عن الاب هو بحث الانسان عن الله. و "صابر"، هو الآخر، لا يجد "سيد سيد الرحيمي"، لأنه يبحث عنه لتحقيق مصلحة شخصية أيضاً. "صابر" الضائع الذي دللته امه وتركته بعد موتها من دون مهنة أو ثقافة، اخبرته، قبل وفاتها، عن والده، وهو سيد وجيه وغني ولا حد لثروته ونفوذه. فيبدأ "صابر" بالبحث عنه "ليشيل عنه الهموم والمتاعب"، وليجد عنده الكرامة والسلام، وليعيش في كنفه حياة كريمة. ويتوضح الرمز حين نعلم ان "صابر" هو "صورة" عن ابيه، ونحن نعلم ان الانسان خلق على صورة الله كما جاء في الكتب المقدسة. وشخصية "الرحيمي" لا تظهر في الرواية مطلقاً، ولا يراها احد رؤيا العين، بل تدور حولها الاحاديث، وهي من دون شك الشخصية المحورية التي تستقطب كل الاحداث، وهي التي تعطي الرواية بعدها الفلسفي واللاهوتي.

فما هو مستقبل "صابر"؟ يجيبنا "صابر" نفسه حين يقول: "اني أبحث عن أبي، وهذا هو مستقبلي". وبهذا تكون علاقة "صابر" بابيه علاقة نفعية خالصة، علاقة من يريد ان يأخذ دون ان يعطي. والله عند نجيب محفوظ ليس ولا ينبغي ان يكون تكأة للانسان عند الملمات فقط.

فالانسان، عنده، خُلق على صورة الله، لا شكلاً، ولكن فيه قبس منه ومن عظمته ومن حريته، أي ان الانسان حر ومسؤول معاً في سلوكه وعن سلوكه؛ وما معجزة الله الحقيقية، عند نجيب محفوظ، سوى انه اعطى الانسان القدرة على ان يصنع المعجزات.

وهكذا لم يصل "صابر" الى "سيد سيد الرحيمي"، ولكن بحثه عن طريق غير قوته وذاته يوصله الى الجريمة، لأنه لم يكن يريد العمل؛ فمن يريد الوصول الى الله، عليه ان يجدّ ويعمل كي يصل اليه. أما الشخصية الثانية في الرواية، فهي "الهام" التي تلعب دوراً هاماً في مسيرة الرواية وفي معناها العميق: لقد أحبت "صابر" حباً نزيهاً دون شائبة، ولم تبتغ مكسباً أو نفعاً، بل ضحت وصفحت وسمت وكانت رمزاً للمحبة. وهنا بيت القصيد: فالوصول الى الله لا يمكن ان يكون عن غير طريق المحبة والتضحية والسمو، ولهذا سقط "صابر" وهوى وارتفعت "الهام"، وان لم تصل هي الى أبيها، فأبوها نفسه وصل اليها، اذ هزته من الاعماق، فجاء لزيارتها واصر على أخذها معه بعض الوقت.

شخصية "الهام"، اذن، هي التي تشير الى الطريق الصحيح الذي يجب ان يسلكه الانسان للوصول الى الله، وهو طريق المحبة والعطاء. أما "صابر"، فلم يصل، اذ كان

انساناً يتمزق بين الخير والشر؛ و "صابر" يذكرنا بقول بولس الرسول: "لماذا أفعل الشر الذي لا أريد، ولا أفعل الخير الذي أريد"!

ثم تأتي رواية "**الشحاذ**"، والشحاذ هو الانسان الذي يبحث عن معشوقه، وهو ليس انساناً من الناس ولا حتى ملاكاً من الملائكة، وانما هو غاية كل شيء، وسر هذا الوجود. ولكن "عمر الحمزاوي"، بطل الرواية، يسلك الطريق الخاطئ في البحث عن الله، لذلك يكون الفشل مصيره الحتمي.

أما رواية "**ثرثرة فوق النيل**"، فهي ليست رواية عن الله والبحث عنه. بل رواية عن غياب الله. انها تطرح هذه المشكلة: ثمة اناس بلا دين أو مبدأ فكري أو سياسي، فكيف يمكن التعامل معهم، وكيف يمكن ان يتعاملوا هم مع الحياة؟ انها رواية اخرى من روايات نجيب محفوظ العظيمة التي تؤكد بان المعجزة الكبرى في هذا الوجود هي الانسان، وان الانسان انسان حتى في حال غياب الله، والجريمة جريمة حتى بالنسبة الى الذي اسقط الله من حساباته، ولا مفر من ان تضع حداً للعبث واللاإنتماء.

وروايته التالية التي يتناولها جورج طرابيشي بالبحث هي رواية "**حارة العشاق**"، وهي رواية تبحث في الانسان، وهي قصة الانسان، وفيها يؤكد نجيب محفوظ من جديد مذهبه الانساني، بتأكيده على ان القرار الاخير للعناية الالهية هو ان تدع الانسان وشأنه. و "حارة العشاق" هي قصة "الشك" وليست قصة "اليقين": فهي ليست البحث عن "زعبلاوي" أو "سيد سيد الرحيمي" والايمان بضرورة الوصول اليه، بل قصة ما بعد الوصول.

وأول الرموز في هذه الرواية هو اسم البطل نفسه "عبد الله"، والهناء، أجر من يعيش في جوار الله، ومن هنا كانت الزوجة تدعى "هنية". وتبحث الرواية تطور الانسان وفكره منذ البداية، أو ما يسمى بمرحلة ما قبل التاريخ. وكلما تطور الانسان زاد عنده الشك والقلق، ففي طوره البدائي لا أفكار، ولا اسئلة، بل طمأنينة واندماج، الا ان تطوره ترك له فراغاً ووقتاً للتأمل والتفكير. وبدأ الشك! وهنا هجر "هنية" "عبد الله"، أي ان الشك أبعد عن الانسان الهناء والاستقرار. ثم يأتي الايمان عن طريق القلب والعاطفة، ويسترد الانسان الاول هدوءه عن طريق الدين؛ وتعود "هنية" الى زوجها "عبد الله"، ولكن هل تدوم السعادة وهل يسكت الانسان عن السؤال؟ ويأتي الجواب حين يفقد "عبد الله" ثقته بالدين، بعد ان اصبح احتكاراً لاغنياء الارض، وقد اتخذوه وسيلة لخدمتهم. ومع السؤال، يبدأ التطور عند الانسان ويرتقي "عبد الله" درجة اخرى في سلم التطور وهي درجة المعرفة عن طريق العقل،

ولكن "عبد الله" لم ينس القلب. وفي ملاذ العقل والقلب، تعود "هنية"، ويعرف الانسان حقبة من السعادة.

ولكن هل حقاً ان الطمأنينة قَدَر الانسان؟ فقدر "عبد الله" هو ان لا مفر من التساؤل حتى الموت، والتساؤل شك، ولكن أليس للعلم من كلمة يقولها في هذه القضية؟.. ولكن العلم لا يثبت ولا ينفي، إنما يقدم المعلومات ويبقى الاختيار أمراً شخصياً؛ لذلك، فان العلم لم يفتح باب الايمان ولا أوصده، وبذلك يصبح "عبد الله" أي الانسان وحده المسؤول عن حسم الموقف. ولكن كيف السبيل الى حسم القضية، هل حسم الموقف هو تسليم وتوطين النفس على القبول بحقيقة احتمالية لا حقيقة يقينية، أي احتمال الـ ٥٠%؟ اذن، هل كتبت على الانسان الحيرة الازلية؟ فالمسألة أولاً وأخيراً، ويعد ان قدم كل من القلب والعلم نصيبه من الاجابات، مسألة هوى!؟

أما الرواية الاخيرة أو "الحوارية" التي تناولها الكتاب فهي "**حكاية بلا بداية ولا نهاية**"، وهي الرواية التي تحمل جميع قسمات المواجهة بين الدين والعلم. ويذكر جورج طرابيشي موضحاً ما المقصود بالعلم عند نجيب محفوظ: انه ليس العلوم الطبيعية والرياضية الدقيقة ولا العمليات الرامية الى تغير الطبيعة فحسب، بل العمليات الرامية الى تغيير المجتمع نفسه.

والمواجهة بين الدين، ممثّلا برجاله، وبين العلم، ممثّلا برجاله، لا يدور حجة بحجة، بل بالعنف؛ فتحت ستار الحب يطلق رجال الدين آلة العنف متمثلة باستدعاء رجال السلطة، وهكذا تبدأ السلطة باعتقال رجال العلم ويستمر الصراع، ويبدو أخيراً ان العلم ليس ضد الدين، فهو استمرار لجوهر الدين. وأخيراً يصل نجيب محفوظ الى حل توفيقي بين الدين والعلم. ويرى جورج طرابيشي ان مثل هذا الحل يظل مثالياً ونخبوياً وغير ذي قيمة عملياً، حتى تتدخل "زينب"، وهي رمز الحياة التي تريد ان تستمر، ويؤكد نجيب محفوظ، مرة اخرى، ان العلم ينحدر من صلب الدين.

ونجيب محفوظ لا يعيد كتابة تاريخ البشرية فحسب، بل يحاول ان يتصور مستقبلها. وأياً كان موقفنا من الميتافيزيقيا أو من لغتها ومشكلاتها، فليس بقليل، كما يقول جورج طرابيشي في هذا الكتاب، "أن يؤكد، في مجتمع كمجتمعنا، كاتب له شعبية نجيب محفوظ وتأثيره، ان الانسان هو المعجزة، لأنه يحلم بالطيران وهو غارق في الوحل: الطيران باجنحة الدين بالامس، وباجنحة العلم اليوم، وربما باجنحة الاثنين معاً غداً".

عدد ايلول ١٩٧٦

الاب (المطران) فرج رحو ١٩٤٢-٢٠٠٨

ولـــد في الموصـــل في ١٩٤٢/١/٢٠ ودخل عام ١٩٥٤ معهد شمعون الصفا الكهنوتي والذي انتقل إلى بغداد، وفيها رسـم كاهنـا في ١٩٦٥/١/١٠. تعين في الموصل حيث خدم كيسة مار اشعيا والطهرة عبر نشاطات متميزة. شارك بصفة مرشد في حركة الشبيبة الطالبة المسيحية التي تأسست عام ١٩٦٤ في الموصل، واصبح مرشد الفرع الثانوي فيها. انتمى إلى جماعة كهنة يسوع الملك وابرز وعده فيها منذ عام ١٩٦٧ وظل امينا لها حتى النهاية.

أوفد إلى روما للدراسة عام ١٩٧٤ وحصل على ليسانس في اللاهوت الادبي، وعاد ليواصل نشاطاته في كنائس الموصل حيث خدم في خورنة ام المعونة حتى عام ١٩٨٣، فيما كان يهتم بانجاز بناء كنيسة مار بولس التي اصبحت خورنته المحبوبة، وفيها أطلق حركات عديدة للشباب بمختلف فئاتهم. ولعل ابرز ما تميز به هي مشاركته في تأسيس جماعة "المحبة والفرح" للمعاقين وافتتاح "واحة المحبة والفرح" – وكان لهذه الجماعة اخوّات عديدة في انحاء العراق، ولقاءات دورية تستقطب عددا كبيراً من الكوادر التي تعنى بالمعاقين...

انتخب مطرانا على ابرشية الموصل الكلدانية ورسم في ٢٠٠١/٢/١٦ ونُصّب في كاتدرائية مسكنته.

اختطف يوم ٢٠٠٨/٢/٢٩، وبعد اسبوعين عثر على جثته شهيدا، وشيع جثمانه في كرمليس يوم ٢٠٠٨/٣/١٤، وبعد عام نقل جثمانه إلى كنيسة مار بولس .

كانت له ٢٠ مساهمة، بضمنها ١٢ في باب "سؤال وجواب" نشر معظمها، فضلاً عن عدد في "السلسلة" (رقم ٤٤ لعام ١٩٦٨: رسول الامم).

- مثالية الانجيل وواقعية الحياة	ك١ ١٩٧٢
• لا تعلم شمالك ما تصنع يمينك/ انجيل	اذار ١٩٧٩
• العماذ بالنار والروح/ س. ج.	شباط ١٩٨٠
• ليس الانسان للسبت/ انجيل	ت١ ١٩٨٠
• ملكة الجنوب وهذا الجيل/ س.ج.	آب/ايلول ١٩٨١
- القداس المذاع والمتلفز/ س.ج.	ك٢ ١٩٨٢
- القداس الكلداني/ كتاب	آذار ١٩٨٣
• لا يذوقون الموت/ س. ج.	نيسان/ ايار ١٩٨٤
- الخلاص لمن؟ / س. ج.	ك٢ ١٩٨٥
- المراة وغطاء الراس/ س. ج.	آب/ ايلول ١٩٨٥
• هل يتناقض الانجيليون؟/ سز ج.	اذار / نيسان ١٩٨٧
- مكانة العلمانيين في الكنيسة/ مناقشة	ت٢ ١٩٨٧
- القداس، كيف هو؟ وكيف نريده/ مناقشة	اب/ ايلول ١٩٨٨
• إن شككتك عينك/ س. ج.	ك٢ ١٩٨٩
★ الانباء في الفكر المسيحي/ عدد خاص	ت١، ت٢ ١٩٨٩
• شهود يهوه/ س.ج.	ك١ ١٩٩٠
• الاعمى منذ مولده/ س.ج.	اذار/ نيسان ١٩٩٢
• لعنة التينة/ س. ج.	ك٢/ اذار ١٩٩٣
• طلاق ام بطلان زواج؟/ س. ج.	ت٢/ك١ ١٩٩٣
- نقتحم الحياة معا (مشترك مع عماد حسيب)	ت٢/ك١ ١٩٩٤

في العدد الخامس لعام ١٩٨٩ بعنوان "الفكر المسيحي: ربع قرن في خدمة الكلمة"، اكدت المجلة على شبه مراجعة حياة المسيرة التي تحققها خلال ٢٥ عاماً، بغية من طرق واساليب للسير بها نحو الافضل، وعلى كافة الاصعدة. ومن هذا المنطلق، كانت هناك مقالات تحلل وتنقد وتقيّم... وكانت "الانباء" –وتحتل مساحة لا يستهان بها– من نصيب الاب (المطران) فرج الذي احاط بها مقيّما هنا، ملقيا النظر هناك، وفي كل الاحوال مركّزا على اهميتها وما تحمله في طياتها من تعليم ودروس وعبر...

واذا ابينا إلا ان نثبت للمطران بولس فرج رحو هذا القال، فلأنه كان من أكثر الآباء قرباً إلى روح "الفكر المسيحي" وتوجهاتها ورسالتها...

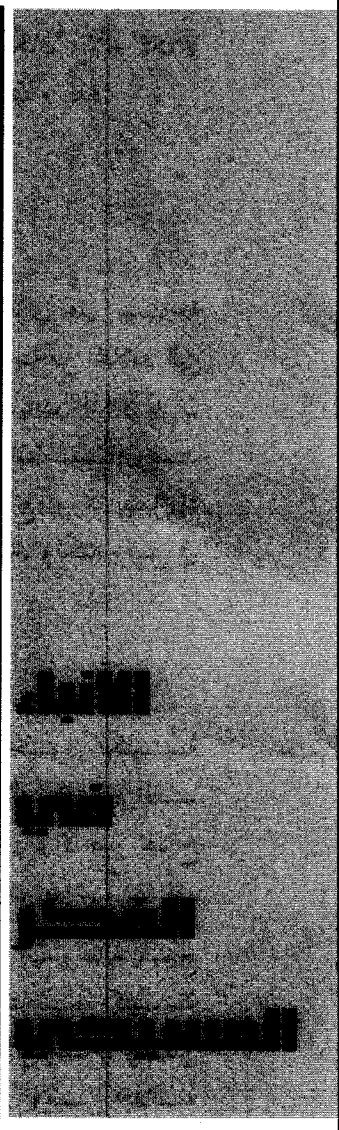

يحق للقارئ الكريم أن يعرف كل ما يدور وما يحدث على الساحة العالمية والوطنية. والمؤمن المسيحي، بدوره، له الحق أن يطلع على كل الأحداث والنشاطات والتحركات التي تحدث في الكنيسة على المستوى العالمي، وفي كنيسته على المستوى الوطني. "فللمجتمع البشري حق فطري في معرفة كل ما تهمّ الناس معرفته، كل حسب وضعه الخاص، سواء كأفراد أو كاعضاء في جماعة"(١).

من هذا المنطلق دأبت مجلتنا "الفكر المسيحي"، وهي بعد سلسلة فتية، على نشر الأخبار والأنباء التي تهم المؤمن، ولقد أفردت، منذ عام ١٩٦٨، باباً خاصاً تطرح فيه ما استجد في الكنيسة عامة، وكنيسة العراق خاصة، من تحركات وتطورات وأفكار ونشاطات. فالاعلام بهذا الاتجاه، له اهميته وفائدته، لا بل أحياناً كثيرة -كما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني- "اصبح أمراً لا غنى عنه للتقدم الذي احرزه المجتمع العصري.. لأن نشر الوقائع والأحداث على رؤوس الملأ، وفي الوقت المناسب، يتيح لكل فرد أن يعرفها معرفة أوفر استيعاباً واستمراراً"(٢)

ان وسائل الاعلام اصبحت كثيرة ومنتشرة في العالم وعلى كل الاصعدة، وفي متناول الجميع، وعلى مسمع ومرأى من الجميع. فعندما يتعرف القارئ المؤمن على نبأ تنشره مجلته بكل صدق واخلاص، فذلك أفضل من ان يطلع عليه من مصادر قد تدفعها مصالح خاصة، فتشوه مضمونه وتحاول ان تحرف هدفه، لان على ناشر الحدث أن ينظر "في القرائن والظروف التي يتم

(١) مرسوم في وسائل الاعلام الاجتماعي، فصل١/٥.

(٢) المصدر السابق.

فيها الاعلام، كالغاية منه والأشخاص والمكان والزمان الخ... وكلها ظروف جديرة بأن تحول اتجاهه، بل وقد تغيره تغييراً كاملاً"[٣]

وانطلاقاً من تعليم بولس رسولنا الكبير الذي يقول: "ليست كل معرفة تفيد، وأما المحبة فتبني" (١ قورنتس ٨:١)، حاولت مجلتنا العزيزة أن تستقي الأخبار والأحداث المفيدة والبنّاءة، وان تقدمها للقارئ -على قدر الامكان- تقديماً صادقاً وكاملاً ونزيهاً ولائقاً، في اسلوبه وفي تعبيره. وقلت "على قدر الامكان"، لأنه كان لا بد أن يقع نقص أو تصدر هفوة هنا وهناك، ولسبب ما، فالكمال لله وحده.

الحدث وابعاده

من اين الاخبار؟

لا يمكن لمجلة الفكر المسيحي أن تغطي كافة الاحداث التي تجري على ساحة الكنيسة عامة، وكنيسة العراق خاصة. فهي تحاول ان تستقي أخبارها من المجلات التي تردها، سواء كانت عربية أم أجنبية، ومن بعض مراسليها في الأبرشيات. لذا لا بد ان يحدث أحياناً أن خبراً مهماً لا ينشر بسبب عدم وصوله في الوقت المناسب؛ وقد يظهر حدث على صفحاتها مختصراً، بسبب وصوله والمجلة تحت الطبع؛ وربما يهمل إذ لم تعد له فائدة؛ وقد يحدث أحياناً ان ينشر خبر ليس بذات الأهمية، ولكنه وصل في الوقت المناسب!

لماذا هذا الخبر؟

حاولت المجلة ان تهتم بالقارئ لكي تعطيه نظرة واضحة حول الكنيسة ونشاطاتها واهتماماتها من خلال ما تنقله له من الأنباء، ذلك لأن النبأ يقدم أفقاً جديداً للقارئ، من خلاله يكشتف وجه الكنيسة ورسالتها. فمن وراء الاخبار تطرح المجلة فكراً معيناً ولاهوتاً هادفاً وهدفاً بنّاءً، وقد يكون هذا بطريق غير مباشر.

فالخبر الذي تختاره المجلة، تحاول ان تجعله نموذجاً الى ما تهدف اليه رسالة المسيح والكنيسة. فمن خلاله يمكننا أن نكتشف القضايا التي من أجلها تناضل كنيسة المسيح: من عدالة واخلاص ومحبة ودفاع عن حقوق الانسان بشكل عام. وعن حقوق المظلومين والمشردين والمطرودين من اراضيهم بشكل خاص. ومن خلاله تعكس المجلة بعضاً من طموحاتها في: الوحدة المسيحية، والدعوات الكهنوتية

(٣) المصدر السابق، فصل ١/٤.

والرهبانية، والرسالات في العالم، والتجدد الروحي والطقسي، والطروحات اللاهوتية المعاصرة... فالخبر ليس خبراً فحسب، وانما، باختياره، يصبح خبراً هادفاً وبناء، يعلّم ويبني. فالاحداث كثيرة والانباء متعددة والاختيارات صعبة... ولا يمكننا ان نلوم المحرر اذا ما "خطئ" أحياناً في اختيار الخبر وفي التعبير عنه.

للخبر رسالة وتعليم

يمكن للخبر، عندما يقدم للقارئ المتتبع، ان يُستَغل من اجل هدف معين، وذلك من خلال طرح الخبر وطريقة التعبير عنه. الا أن مجلة الفكر المسيحي حاولت ان تحمل من خلال النبأ وطرحه، رسالة هادفة تفيد القارئ من طرف مباشر أو غير مباشر.

١- من خلال أخبارها التي سردتها عن أمريكا اللاتينية، مثلاً، علّمتنا ان رسالة الكنيسة وشعب الله ليست فقط رسالة صلاة وصوم وممارسات وطقوس، وانما هي ايضاً دفاع عن حقوق الانسان المظلوم والوقوف بجانبه، ونبذ كل استغلال واستلاب وجشع.

٢- طرحت بعض الأنباء تطرف بعض الاساقفة ووقوفهم ضد النهج الذي تبناه المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، وبعض الانباء عن تعليم بعض اللاهوتيين الذين يُظن أنهم شذّوا عن الطريق التقليدي: فالمجلة حين تنقل مثل هذه الأنباء، فهي انما تريد أن تشعر القارئ أن الكنيسة جماعة مؤمنين، تجتاحهم تيارات فكرية مختلفة... وان فيها مجالاً لتعددية الاراء والمفاهيم وحرية التعبير، وإن تعثرت بذلك احياناً مسيرة الكنيسة التي "أقامها المسيح ممجدة لا دنس فيها ولا غضن". (أفسس ٥:٢٧)

٣- ان الاخبار المطروحة التي قد تبان عابرة أو هامشية، تهدف أحياناً الى أبعاد قد لا نتوقعها. فعندما نقرأ، مثلاً، على صفحات المجلة خبر رسامة أسقف أو كاهن او حتى شماس، او احتفالا بيوبيل كاهن قد يكون غير معروف، أو وفاة كاهن ما ... تثير هذه الاخبار الحماس لدى شبابنا وشاباتنا، فيكتشفون انهم ربما مدعوون هم أيضاً لخدمة بيعة الله، فيصبح الخبر شمعة مضيئة في طريق الاخرين.

هكذا فالخبر في ذاته رسالة وتعليم، وعلى المجلة ان تهدف الى هذا من خلال ما تغطّيه من أحداث تجري في الكنيسة، لها أم عليها.

•من الحدث الى النبأ

كنيسة العراق

مهمة الصحافة الرئيسة، أن تحول الأحداث إلى انباء. وهكذا سعت "الفكر المسيحي" وتسعى إلى أن تقدم لقرائها اعلاماً جاداً حول الكنيسة في العراق والعالم".

ولقد جعلت ركن "اخبار" كنيسة العراق مفتوحاً للكل -لا يُشتَمَ أبدا أي روح طائفية في سردها للاحداث- وحاولت ان تعكس، على قدر الامكان، كل ما يدور على ساحة كنيسة العراق، وتوثق كافة الاحداث البارزة، من دون تمييز بين كنيسة واخرى، وبين هذه الطائفة او تلك. فمن باب اخبار كنيسة العراق يمكننا ان نجمع موسوعة لا بأس بها سجلت للتاريخ مسيرة الكنيسة. فعلى صفحاتها قرأنا: رسالات السيد الرئيس بالمناسبات الدينية المسيحية، موقف الفاتيكان من الحرب العراقية الايرانية، اجتماعات اساقفة العراق والسينودسات البطريركية الكلدانية وغيرها، مسيرة التعليم المسيحي ومطبوعاته، الدورات اللاهوتية، المهرجانات الدينية والثقافية، مسيرة الحياة في الرهبانيات الرجالية والنسائية والمعاهد الدينية، المبادرات الوحدوية، رسامات اساقفة وكهنة وشمامسة وشماسات، وفيات ونبذة حياة لرجالات الكنيسة... وغيرها من الانباء التي تمكّن القارئ من معرفة ما يدور في كنيسة وطنه، وما تحتاجه وما تطمح اليه في مسيرتها نحو الافضل. واؤكد من جديد انه لا بد وقد حدث بعض السلبيات، لان المجلة لا يمكنها ان تعرف كل الاخبار ولا تغطي كافة الاحداث.

الكنيسة في الوطن العربي والعالم

في هذا المضمار فتحت المجلة الافق امام القارئ لينظر الى الكنيسة في العالم وما تقوم به من اجل الانسان وتقدمه والدفاع عنه. فعلى صفحاتها نكتشف: المشكلة الفلسطينية التي يعاني منها شعب فقد ارضه، وقضية لبنان وما ينخر وحدة اراضيه ومواطنيه وموقف الكنيسة من كل هذا، التعسف والاستغلال والتمييز العنصري الذي تنبت اشواكه في هذه البقعة من الارض او تلك، وموقف رجال الكنيسة منها. التجديدات والتغييرات التي حدثت على ساحة الكنيسة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني ومواقف الكنائس منها، وخصوصا بعض المحافظين من الاساقفة. انطلاقة الفكر في تفسير المبادئ الانجيلية اللاهوتية وفق مفاهيم عصرنا، وما تلاقيه هذه الانطلاقة من ردات فعل، سواء من الدوائر الفاتيكانية او من بعض الجهات التقليدية...

ويمكننا القول: اذا ما جمعنا كل ما سردته المجلة خلال مسيرة ربع قرن، سنحصل على موسوعة وثّقت لنا الكثير من الاخبار والانباء تصبح مرجعا تاريخيا للباحثين والكتّاب.

المحتوى

- كلمة الناشر ٧
- تقديم.. إلى روح كتاب "الفكر المسيحي" ٩
- الاب عبد السلام حلوة الدومنيكي ١٣
- شهادة.. بقلم المطران جرجس القس موسى ١٥
- مقالات الاب عبد السلام حلوة ١٦
  - الالتزام السياسي والانسان الانجيلي ١٨
  - من اجل لاهوت عربي ٢٦
  - يسوع الناصري، مسيح الفقراء ٣٢
  - يسوع المسيح، كيف نتكلم عنه اليوم ٣٨
  - مفهوم الانسان على ضوء سر الاوخارستيا ٤٣
- الاب فرنسيس فان ستابن المخلصي ٥٣
- شهادة.. بقلم الاب منصور فان فوسيل ٥٥
- مقالات الاب فرنسيس يوسف ٥٦
  - المسيح على شاشة السينما ٥٨
  - الكاهن على الشاشة ٦٢
  - مناقشة حول قانون الايمان/١ ٧١
  - مناقشة حول قانون الايمان/٣ ٧٦
  - شارلي شابلن، عبقري الفن السابع ٨٠
- الاب خليل قوجحصارلي الدومنيكي ٨٥
- شهادة.. بقلم الاخت ماريان هوفديل ٨٧
- مقالات الاب خليل قوجحصارلي ٨٨
  - خواطر في الصلاة/ملف ٩٠
  - صوت الطفل ٩٧
  - التربية الجنسية في اهتمام الكنيسة/ ملف ١٠٣
  - قيامة المسيح اليوم/ ملف ١١٣
  - نداء إلى العدالة.. من اجل عالم جديد ١١٩
- نجيب قاقو ١٢٥
- شهادة.. بقلم ماهر حربي ١٢٧
- مقالات نجيب قاقو ١٢٨
  - نحن واولادنا المراهقون/ ملف ١٣٠
  - تحرير الرجل ١٣٧
  - يسوع التاريخ/ عدد خاص ١٤٠
  - الجوع في العالم/ ملف ١٤٤
  - معوقات الزواج ١٥٢
- الاب يوسف حبي ١٥٩
- شهادة.. بقلم الاب سعد سيروب ١٦١

• مقالات الاب يوسف حبي ١٦٢
- تحرير المرأة ١٦٤
- لننفض عنا طفولة الفكر المسيحي ١٧٠
- افكار في زمن ما بعد الحرب ١٧٤
- حركة النشر المسيحي في العراق ١٨٠
- الجديد بين المسيحية والاسلام ١٩٠

اربعة عشر كاتباً

• الاب بهنام السمعاني ١٩٩
- اسرة آل بختيشوع ٢٠٠
• الاب (المطران) اسطيفان كجو ٢٠٥
- جماعة الفوكولاري، من هم؟ ٢٠٦
• الاب يوسف قوشاقجي ٢١١
- الاب تيار دي شاردان ٢١٢
• الاب بهنام كجو ٢١٦
- الام تيريزا – المرأة المعجزة ٢١٧
• بتول سليمان ٢٢٢
- الصليب يعانق الهلال ٢٢٣
• الاب كوركيس كدادي ٢٢٧
- الاسينيون، جماعة قمران ٢٢٨
• المطران كوركيس كرمو ٢٣٥
- دون بوسكو، القديس البهلوان ٢٣٦
• الاب نعمان اوريدة ٢٤٢
- دليل الى رموز القداس ٢٤٣
• المطران عمانوئيل بني ٢٤٦
- رسالة راعوية في الحب والزواج ٢٤٧
• الاب ميشيل دي ميثنار الكرملي ٢٥٥
- البعد الجماعي للاوخارستيا ٢٥٦
• الاب يوحنان جولاغ ٢٦٤
- قديس جديد.. الاب مكسيمليان كولب ٢٦٥
• الاب روبير بيلي الكرملي ٢٦٩
- القديس يوحنا الصليبي ٢٧٠
• عصمت عبد الاحد عنائي ٢٧٦
- "الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية"/ كتاب ٢٧٧
• الاب (المطران) فرج رحو ٢٨٢
- الانباء في "الفكر المسيحي" ٢٨٣
المحتوى ٢٨٧

سلسلة ابحاث كتابية

وبضمنها سلسلة تفاسير

١. قراءة مجددة للعهد الجديد	تأليف: أ. بيوس عفاص	٥٤٠ص/١٩٩٩	(٤٠٠٠ د)
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي	تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٣٤ص/٢٠٠٢	(١٠٠٠ د)
٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء		٢٤٠ص/٢٠٠٣	(١٥٠٠ د)
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع		٢٧٢ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٥. قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٦. قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة]
مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)
سعر خاص للمحزئين من "قراءة في العهد الجديد": ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل	تأليف: أ. ريموند براون ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٨ ص/٢٠٠٥	(٢٠٠٠ د)
٨. لوقا – الاعمال/ وعد التاريخ	تأليف: دونالد يوئيل تعريب: أ. البير ابونا	٢٠٠ص/٢٠٠٦	(٢٠٠٠ د)
٩–١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة	تأليف: أ. بيير بنوا تعريب: أ. بيوس عفاص	٣٣٦ص/٢٠٠٦	(٣٥٠٠ د)
١١. يسوع الذي هو المسيح	تأليف: أ. برنار راي ت: م. جرجس القس موسى	١٣٦ص/٢٠٠٧	(٢٠٠٠ د)
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا	تأليف: ك.كارلو مارتيني تعريب: أ. ألبير أبونا	١٧٦ص/٢٠٠٨	(٢٠٠٠ د)
١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١	تأليف: كلود تاسان تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٨٨ص/٢٠٠٨	(٣٠٠٠ د)
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة	تأليف: جاكلين هوري ت: م. جرجس القس موسى	٢٨٨ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤	تأليف: آلان مرشدور تعريب أ. بيوس عفاص	٢٨٠ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٦. رسائل القديس بولس/ج١: ١و٢ قورنتس/سلسة تفاسير ٦	تأليف: بول دي سرجي موريس كاريس ت: م. جرجس القس موسى	٢٣٢ص/ ٢٠١٠	(٣٠٠٠د)
١٧. رسائل القديس بولس /ج٢: (روما وغلاطية) / سلسلة تفاسير ٧	تأليف: جان– بيير ليمونون تعريب: الاخت باسمة الخوري		

سيظهر تباعا

١٨. رسائل القديس بولس / ج٣– سلسلة تفاسير ٨	يظهر في أوائل ٢٠١١
١٩. الرسائل الاخيرة– سلسلة تفاسير ٩	يظهر في خريف ٢٠١١
٢٠. سفر الرؤيا– سلسلة تفاسير ١٠	يظهر في أوائل ٢٠١٢
٢١. الانجيل بحسب القديس مرقس– سلسلة تفاسير ٢	يظهر في خريف ٢٠١٢
٢٢. الانجيل بحسب القديس لوقا– سلسلة تفاسير ٣	يظهر في أوائل ٢٠١٣
٢٣. سفر أعمال الرسل– سلسلة تفاسير ٥	يظهر في خريف ٢٠١٣

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية ***Les Dossiers de la Bible***
تصدر منذ عام ٢٠٠٠ عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى: ٢٠٠٠
١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١
٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢
٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلَّف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣
١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤
١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥
١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦
٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧
٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨
٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩
٣٥- العماذ في ك.م.+عدد خاص/كانون الثاني
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

السنة الحادية عشرة ٢٠١٠
٣٩- اورشليم مدينة السلام/ كانون الثاني
٤٠- كما في الكتب/ نيسان
٤١- واعطاها اسما (الحيوانات في ك.م.)/نيسان
٤٢- روايات الكتاب المقدس/ تشرين الاول

السنة الثانية عشرة ٢٠١١
٤٣- الجبل في الكتاب المقدس

سعر الملف لعام ٢٠١١: ١٥٠٠ل. فقط

انجزت مطبعة الديوان
طبع هذا الجزء من "مختارات الفكر المسيحي"
في الثامن من كانون الثاني ٢٠١١